

فَتَاوَى

الإمام عبد الحلیم محمود

الجزء الأول

الطبعة الخامسة



دار المعارف

تصميم الغلاف : محمد أبو طالب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً
وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا

وهذا الأساس كأساس القصر بالضبط ، وكما لا يطلق على أساس القصر أنه قصر فكذلك لا يطلق على أساس الإيمان أنه إيمان كامل ، وكما لا يكون القصر بدون الأساس فإنه لا يوجد الإيمان بدون الشهادتين .

وهذا الأساس نفسه يتبلور في شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

في الخلافة

إن الخلافة في الإسلام لا تورث ، إنها ليست ملكاً عضوضاً ، والمقطوع به من الدين إن الأمة يجب عليها أن تختار للخلافة أكملها فهماً للدين وتقوى الله وأمثلها حكمة واتزاناً وحزماً وعدلاً . . . ونظام ميراث الملك ابناً عن أب عن جد أو نظام كون الملك في أسرة معينة لا يتعدها نظام لا يعرفه الإسلام .

لم يوصي سيدنا أبو بكر بالخلافة لأحد أبنائه ، ولم يأمر بها سيدنا عمر لأحد من أبنائه برغم أن ابنه عبد الله بن عمر رضى الله عنه كان قمة في التقوى والصلاح والفضيلة ولم يوصي سيدنا عثمان بالخلافة أن تكون في أسرته وما كان سيدنا علي ، من الجهل بالإسلام وقواعده بحيث يأتي بعمل يخالف روح الإسلام ويخالف قواعده فيأمر أصحابه أن ينتخبوا ابنه الحسن خليفة من بعده وإذا كان هناك أمر لما يعنى الانتخاب إذن ؟ ولم الانتخاب ؟ إن المنطق البسيط يرشد إلى أن سيدنا علي لا يفعل مثل ذلك .

ويأتى التاريخ الصحيح وكتب السير والأخبار الثابتة فتؤيد ما أبده المنطق وترشد إلى أن سيدنا علياً ما كان يرى الخلافة كسرية متوارثة وإنما كان يراها انتخاباً من أولى الأمر . . . والله أعلم

في الشيعة

إن الأغلبية الغالبة الآن من الشيعة توجد في إيران وفي العراق وفي اليمن ، وشيعة إيران والعراق من الشيعة الاثنا عشرية ، أما شيعة اليمن فإنهم من الشيعة الزيدية وهذه الأقطار الذى ذكرناها تضم ملايين الشيعة .

بيد أن هناك آلافاً من الشيعة العلويين في لبنان ، ومجموعة ضخمة من الشيعة (طائفة البهرة) في الهند ، وطائفة ضخمة أخرى من الشيعة الإسماعيلية في الهند وأفريقيا .

أما تسميتهم بالشيعة فلأنهم شايعوا علياً رضى الله عنه في خلافه مع معاوية رضى الله عنه ، ومع الآخرين من الصحابة ، فكانوا شيعة على أى مناصريه ومؤيديه على كل من خاصمه . أما الفروق التى بين الشيعة وبين غيرهم فهى فروق في الفقه وفي العقيدة وأبرز مظاهر الخلاف بين أهل السنة والشيعة في الفقه . أمران :

أحدهما : زواج النعمة وهو أن يتفق الرجل مع المرأة على أن يستمتع بها فترة من الزمن في مقابل مبلغ من المال ، إذ يعتبر الشيعة ذلك حلالاً ويعتبره أهل السنة حراماً .

والأمر الثاني : في الاختلاف الفقهي حول الجمع بين العصر والظهر ، وبين المغرب . يأخذ به الشيعة فيجمعون ولا يفعل ذلك أهل السنة إلا في حالات معينة ، أما الاختلاف فيما يتعلق بالعقيدة فأبرز مظاهره .

١ - اعتقاد الشيعة في عصمة أئمتهم ، أما أهل السنة فإنهم لا يعتقدون إلا في عصمة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم .

٢ - اعتقاد الشيعة أن علياً كرم الله وجهه أفضل أصحاب رسول الله ﷺ على الإطلاق ، وأنه كان أحق بالخلافة ممن سبقه من الخلفاء ، أما أهل السنة فإنهم يكبرون علياً رضي الله عنه ويعتزمونهم ولكنهم يرتبون الخلفاء في الأفضلية بحسب ترتيب الخلافة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، وهؤلاء الأربعة هم أفضل الصحابة عند أهل السنة .

تفصيل الحديث عن الشيعة

أصل الشيعة^(٢٩)

يختلف الناس في أصل « الشيعة » ، فيعزوها بعضهم إلى أثر الفرس ، الذين كانوا يقدسون « المَلِك » ، فلما زال مُلْكُهم ، ودخلوا في الإسلام ، ظهر أثر ذلك في موقفهم من « آل البيت » وتقديسهم للأئمة .

ويرى آخرون : أن « الشيعة » تدين في نشأتها لـ « عبد الله بن سبأ » ، الذي كان يهودياً واعتنق الإسلام للتبيل منه ، والكيد له ، فأظهر هذا المذهب ليفرق بين المسلمين ، ويقضي على وحدتهم ، وعزتهم .

(٢٩) من مصادر هذا الفصل : مقالات الإسلاميين للأشعري .

الفرق بين الفرق للبغدادي ، التبصير في الدين للإسفرافيني .

الملل والنحل للشهرستاني ، مقدمة ابن خلدون ، عثمان ، للدكتور طه حسين ، علي وبنوه ، للدكتور طه حسين ، فجر الإسلام ، للدكتور أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، للدكتور أحمد أمين ، أصل الشيعة وأصولها ، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، أصول الإمامية ، للدكتور برنارد لويس .

رأى « وهوزن » و « دوزى » :

يقول الدكتور « أحمد أمين » :

وقد ذهب الأستاذ « وهوزن » إلى أن العقيدة « الشيعية » نبتت من « اليهودية » أكثر مما نبتت من « الفارسية » مستدلاً بأن مؤسسها « عبد الله بن سبأ » وهو يهودى .
ويميل الأستاذ « دوزى » إلى أن أساسها « فارسى » ، فالعرب تدين بالحرية ، و « الفرس » يدينون « بالملك » ، وبالوراثة فى البيت المالكة ، ولا يعرفون معنى لانتخاب الخليفة ، وقد مات « محمد » ولم يترك ولداً ، فأولى الناس بعده ابن عمه « على بن أبى طالب » ، فمن أخذ الخلافة منه « كآبى بكر » و « عمر » و « عثمان » و « الأمويين » فقد اغتصبها من مستحقها ، وقد اعتاد « الفرس » أن ينظروا إلى « الملك » نظرة فيها معنى إلهى ، فنظروا هذا النظر نفسه إلى « على » و « ذريته » .

وقالوا : « إن إطاعة الإمام أول واجب ، وأن إطاعته لله (٣٠) » أهـ .

رأيتا فى أصل الشيعة :

ولكننا نرى أن السبب فى نشأة (الشيعة) ، لا يرجع إلى الفرس عند دخولهم فى الإسلام ، ولا يرجع إلى اليهودية ممثلة فى « عبد الله بن سبأ » . وإنما هو أقدم من ذلك ، فتواته الأولى ترجع إلى شخصية « على » - رضى الله عنه - من جانب ، وصلته بالرسول - عليه الصلاة والسلام - من جانب آخر .

وتوضيح ذلك : أن صلة « على » بالرسول - عليه الصلاة والسلام - أقدم من الإسلام نفسه .

لم ينس « محمد » - عليه الصلاة والسلام - بعد زواجه « بخديجة » ، رضى الله عنها ، عطف « أبى طالب » عليه ، ورعايته له .

فقد ضم « أبو طالب » الرسول إليه ، وكفله ، بعد وفاة جده « عبد المطلب » وذلك بالرغم من كثرة عياله ، وعدم ثرائه .

وكان من تصرفات المقادير : أن أصابت « قريشاً » أزمة شديدة فتحدث رسول الله ، ﷺ ، مع عمه ، « العباس » وكان من أسير « بنى هاشم » ، فقال له :

(٣٠) فجر الإسلام للدكتور أحمد أمين ، ص ٣٤٠ .

إن أخاك «أبا طالب» كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا إليه فلنخفف من عياله : آخذ من بنيه رجلاً ، وتأخذ أنت رجلاً ، فنكِّلها عنه .
فقال «العباس» : نعم ، فانطلقا حتى أتيا «أبا طالب» (٣١) .
وانتهى الأمر بينهما وبينه : أن أخذ رسول الله ﷺ ، «علياً» فضمه إليه ، وأخذ «العباس» «جعفراً» .

نشأ «علي» مع الرسول ﷺ ، منذ نعومة أظفاره ، فتفتحت عيناه - طفلاً - على أكرم مثل للقدوة الحسنة ، ممثلة في الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتفتحت عيناه على أكرم مثل للود المتبادل بين الزوجين الطاهرين ، والحنان الذي يملأ البيت الكريم ، والرحمة التي تفيض من قلب «محمد وخديجة» فيكون من أثرها حمل الكلّ ، وصلة الرحم ، وقرى الضيف ، والإعانة على نوائب الدهر ، فترك ذلك في نفسه أكرم الأثر .

وأوحى الله إلى الرسول ، عليه الصلاة والسلام ، «وعلى» - يومئذ - ابن عشرين ، فلم تندنس جبهته بالسجود لصنم ، ولم يكن في سن تجترح فيها المعاصي : فاعتنق الإسلام طاهراً .
ولقد أراد - قبل إسلامه - أن يستشير أباه ، وبات ليلته يفكر في الأمر ، فلم يكن يغمض له جفن ، فلما أصبح أعلن في ثقة واطمئنان : أنه أسلم ، وأنه في غير حاجة لرأي «أبي طالب» وقال :

«لقد خلقني الله من غير أن يشاور «أبا طالب» فما حاجني أنا إلى مشاورته لأعبد الله» .
«وكان رسول الله ﷺ ، إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه «علي» ابن أبي طالب «مستخفياً من أبيه «أبي طالب» ومن جميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا ، فكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا» (٣٢) .
وحين نزلت الآية الكريمة (وأنذر عشيرتک الأقربين) دعا «محمد» «عليه السلام» إلى الطعام في بيته ، وحاول أن يحدّثهم ، داعياً إياهم إلى الله ، ففقطعه عمه «أبو لهب» حديثه واستنفر القوم ليقوموا .

ودعاهم «محمد» في الغداة كره أخرى ، فلما طعموا قال لهم :
ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم : بخير الدنيا والآخرة . وقد أمرني ربي أن أدعوكم إليه ، فأبيكم يؤازرنى على هذا الأمر ؟ فأعرضوا عنه ، وهموا بتركه .

(٣١) سيرة ابن هشام ، ص : ٢٩٣ .

(٣٢) سيرة ابن هشام ، ص : ٣٩٢ .

لكن « عليا » نهض وهو ما يزال صبيًا دون الحلم وقال :

أنا يا رسول الله في عونك ، أنا حرب على ما حاربت . فابتسم « بنو هاشم » وفتحهم بعضهم ، وجعل نظرهم ينتقل من « أبي طالب » إلى ابنه ، ثم انصرفوا مستهزئين^(٣٣) .

وفي ليلة الهجرة أسر الرسول ﷺ ، إلى « علي » أن يتسجى بژده الحَضْرَمِيِّ الأَخْضَر ، وأن ينام في فراشه ، وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي كانت عنده للناس^(٣٤) .

وآخى رسول الله ﷺ ، بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، حين نزلوا المدينة ، ليذهب عنهم وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، ثم أخذ بيد « علي » بن « أبي طالب » فقال : هذا أخي .

فكان رسول الله ﷺ ، و« علي » بن « أبي طالب » رضي الله عنه ، أخوين^(٣٥) . لقد رباه رسول الله ﷺ ، صغيراً ، وكان رضي الله عنه ، يعيش في بيته كأحد أبنائه ، وكان أول من أسلم من الذكور ، وآخى رسول الله ﷺ ، بينه وبينه ، وزوجه بأحب بناته إليه .

« فاطمة » ، رضي الله عنها .

ثم إن شجاعته الفذة ، وإخلاصه النادر للرسول ﷺ ، وتقواه ، وزهده ... كل ذلك مشهور ، لا يحتاج إلى توضيح ، ولذلك يقول الدكتور « طه حسين » بحق : ولقد قال المسلمون بعد وفاة النبي : إن « عليا » كان أقرب الناس إليه ، وكان ربيبه ، وكان خليفته على ودائعه ، وكان أخاه بحكم تلك المؤاخاة ، وكان ختنه ، وأبا عقبه ، وكان صاحب لوائه ، وكان خليفته في أهله ، وكانت منزلته منه بمنزلة « هارون » من « موسى » بنص الحديث عن النبي نفسه .

لو قد قال المسلمون هذا كله ، واختاروا « عليا » بحكم هذا كله للخلافة ، لما أبعدوا ، ولا انحرفوا^(٣٦) .

ولا غرابة ، والأمر كذلك أن : « كان جمع من الصحابة » يرى أن عليا أفضل من « أبي بكر » و« عمر » وغيرهما :

(٣٣) حياة محمد ، للدكتور هيكل ، ص : ١٤٠ .

(٣٤) للتصريح نفسه ، ص : ٢١١ .

(٣٥) سيرة (ابن هشام) ، والروض الأنف : ص ١٨ .

(٣٦) عثمان للدكتور « طه حسين » ، ص ١٥٢ .

وذكروا أن ممن كان يرى هذا الرأي « عماراً » و« سلمان الفارسي » و« جابر بن عبد الله » ، و« العباس » و« بنه » و« أبي بن كعب » و« حذيفة » إلى كثير غيرهم (٣٧) .

ولكن اجتماع الثغيفة انتهى باختيار « أبي بكر » ، رضى الله عنه ، خليفة للمسلمين فامتنع « على » ، رضى الله عنه ، عن البيعة ، لاعتقاده ، أنه أحق بالخلافة ، والحديث التالى يبين موقفه .

في صحيح البخارى : حدثنا « يحيى بن بكير » ... عن « عائشة » ، أن فاطمة - عليها السلام - بنت النبي ، ﷺ ، أرسلت إلى « أبي بكر » تسأله ميراثها من رسول الله ، ﷺ ، مما أفاء الله عليه « بالمدينة » و« فذك » وما بقى من خمس خيبر ، فقال « أبو بكر » : إن رسول الله ، ﷺ ، قال :

لا نورث ، ما تركناه صدقة ، إنما يأكل آل محمد فى هذا المال ، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله ، ﷺ ، عن حالها التى كان عليها فى عهد رسول الله ، ﷺ ، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله ، ﷺ ، فأبى « أبو بكر » أن يدفع إلى « فاطمة » منها شيئاً ، فوجدت « فاطمة » على « أبي بكر » فى ذلك ، فهجرته ، فلم تكلمه حتى توفيت .

وعاشت بعد النبي ، ﷺ ، ستة أشهر ، فلما توفيت ، دفنها زوجها « على » ليلاً ، لم يؤذن بها « أبا بكر » وصلى عليها . وكان « لعل » من الناس وجه حياة « فاطمة » فلما توفيت استنكر « على » وجوه الناس ، فالتمس مصالحة « أبي بكر » ومبايعته . ولم يكن يبايع تلك الأشهر ، فأرسل إلى « أبي بكر » أن اتنا : ولا باتنا أحد معك . كراهية ليحضر « عمر » ، فقال « عمر » :

لا والله لا تدخل عليهم وحدك . فقال « أبو بكر »

وما صيتهم أن يفعلوا بى ، والله لآتينهم .

فدخل عليهم « أبو بكر » ، فتشهد « على » فقال :

إنا قد عرفنا فضلك ، وما أعطاك الله ، ولم ننفس عليك خيراً ساقه الله إليك ، ولكنك استبددت علينا الأمر ، وكنا نرى ، لقربتنا من رسول الله ، نصيباً ، حتى فاضت عينا « أبي بكر » . فلما تكلم « أبو بكر » قال :

والذى نفسى بيده ، لقراءة رسول الله ، ﷺ ، أحب إلى أن أصل من قرابى ، وأما الذى شجر بينى وبينكم من هذه الأموال : فلم آل فيها عن الخير ، ولم أترك أمراً رأيت رسول الله ، ﷺ ، يصنعه فيها إلا صنعته .

فقال « على » « لأبي بكر » : موعذك العشية للبيعة .

فلما صلى « أبو بكر » الظهر ، رقى المنبر فشهد ، وذكر شأن « على » ، وتخلقه عن البيعة ، وعذره بالذي اعتذر إليه ، ثم استغفر .

وتشهد « على » فعظم حق « أبي بكر » ، وحدث : أنه لم يحمله على الذي صنع نفاسة على « أبي بكر » ، ولا إنكاراً للذي فضله الله به ، ولكننا كنا نرى لنا في هذا الأمر نصيباً ، فاستبد علينا ، فوجدنا في أنفسنا .

فسر بذلك المسلمون ، وقالوا : أصبت . وكان المسلمون إلى « على » قريباً حين راجع الأمر بالمعروف (٣٨) . ١ هـ .

بايع « على » « أبا بكر » في إخلاص المؤمن الصادق الإيمان . وأخذت حياته تسير في مجراها الطبيعي : زهد ، وتقوى ، وعلم ، وورع ، واستمر منارة يهتدى بها الحائر ، ومثلاً أعلى يسير على هداه من رغب عن سنن الباطل ، وطمح إلى رضوان الله .

وتوفى « أبو بكر » - رضوان الله عليه - بعد أن عهد بالخلافة إلى « الفاروق » فاجتمعت كلمة المسلمين على « ابن الخطاب » فقادهم جهده إلى مرضاة الله ، وكان « على » في زمنه ، كما كان في زمن « أبي بكر » ، المنارة والمثل الأعلى .

وكان كل شئ - يرشح « علياً » للخلافة بعد موت « عمر » : قرابته من النبي ﷺ ، وسابقته في الإسلام ، ومكانته بين المسلمين ، وحسن بلائه في سبيل الله ، وسيرته التي لم تعرف العوج قط ، وشدة في الدين ، وفقهه بالكتاب والسنة ، واستقامة رأيه في كل ما عرض عليه من المشكلات .

ولئن تخرج المسلمون من تقديمه على « أبي بكر » : لأنه كان رفيع المكانة عند النبي ﷺ ، وثاني اثنين في الغار ، ولأنه خلف « النبي » على الصلاة بالناس .

ولئن تخرج المسلمون من تقديمه على « عمر » ، لمكانة « عمر » أولاً ، ولعهد « أبي بكر » بالخلافة إليه ثانياً .

لقد كان المسلمون يستطيعون أن يختاروا « علياً » للخلافة ، لا يجدون بذلك بأساً ، ولا يكون فيه حرجاً ، « فعمر » قد رشحه ، ومكانته ترشحه ، ثم هو كان بعد ذلك من قوة العصبية في

(٣٨) البخاري ، ويجب أن تأخذ هذا الحديث بتحفظ فيما يتعلق بتفاصيله وتعبيراته ، فهو رواية السيدة « عائشة » - رضي الله عنها - وقد يكون فيه ، بطريقة لاشعورية ، بعض ما ينص من شأن « على » ، ولكنه صحيح فيما يعرفنا به من امتناع « على » عن البيعة ، ومن تحديد الزمن الذي امتنع فيه . ولهذا أهميته .

العرب عامة ، وفي قريش خاصة ، بالمتزلة التي كان فيها « عبد الرحمن بن عوف » .
فهو قد أصهر إلى « قريش » ، وأصهر إلى « مضر » ، وأصهر إلى « ربيعة » ، وأصهر إلى
« الجمانية » ، وكان له بنون من نسائه على اختلاف قبائلهن . فلو قد ولى الخلافة قبل أن يفترق
الناس لكان خليفاً أن يقارب بين العصبية المتباعدة ، وأن يجمع الناس على طاعته ، وأن
يحملهم على الجادة كما قال « عمر » .

ولكن المسلمين لم يختاروه لأمرين :

أحدهما : خوف قريش أن تستقر الخلافة في « بنى هاشم » إن صارت إلى أحد منهم . وقد
بينت الحوادث أن « علياً » لم يكن لينقل الخلافة بالوراثة ، فهو قد سار سيرة « النبي » وسيرة
« جمر » فلم يعهد لأحد من بعده .

والآخر : أن « علياً » لم يقبل ما عرضه عليه « عبد الرحمن » من أن يبايع على كتاب الله ،
وسنة رسوله ، وفعل « أبي بكر » و« عمر » لا يجيد عن شيء من ذلك . تخرج « علي » من أن
يعطى هذا العهد ، مخافة أن تضطره الظروف إلى أن يقصر عن الوفاء به كاملاً ، فعرض أن يبايع
على أن يلزم كتاب الله ، وسنة رسوله ، وسيرة الشيخين بقدر جهده وطاقته^(٣٩) .

وللمرة الثالثة لم يتول سيدنا « علي » الخلافة : إنما تولاها سيدنا « عثمان » واستمر سيدنا
« علي » المنارة ، والهدى ، والمثل الأعلى . وحدثت الأحداث التي انتهت بقتل سيدنا
« عثمان » ... وتولى سيدنا « علي » الخلافة فلم يتغير سلوكه ولم ينحرف عن الجادة .

وقد عاش « علي » قبل الفتوح ، كما عاش بعد الفتوح ، عيشة هي إلى الخشونة والشظف ،
أقرب منها إلى الرقة واللين : فلم يتجر ، ولم يتسع ، وإنما اقتصر على عطائه يعيش منه ، ويرزق
أهله ، ويستثمر فضوله في مال اشتراه ببئس ، ثم لم يزد عليه .

ولما مات لم تحصى تركته بالألوف ، فضلاً عن عشرات أو مئاتها أو الملايين ، وإنما كانت تركته
كما قال « الحسن ابنه » في خطبة له : سبعة آلاف درهم ، كان يريد أن يشتري بها خادماً .

وكان « علي » في أثناء خلافته القصيرة ، يلبس خشن الثياب ، والمرقع منها ، ويحمل الدرة ،
ويمشي في الأسواق ، فيعظ أهلها ، ويؤدبهم ، كما كان يفعل « عمر » فكان هذا دليلاً على أن
« عمر » كان صادق الفراسة حين قال : « لو وثوا الأجلح لحملهم على الجادة »^(٤٠) .

حقاً لقد كان سيدنا « علي » مثلاً سامياً في الدين والأخلاق ، ومع ذلك فإنه لم يكذب بتولى
الخلافة بعد مقتل سيدنا « عثمان » ، حتى اضطرب الأمر ، واختل النظام .

(٣٩) عثمان « للدكتور طه حسين » ، ص : ١٥٢ - ١٥٣ . (٤٠) عثمان ، ص : ١٥ .

أراد سيدنا « علي » أن يقود الناس إلى الآخرة ، فإذا هم متطلعون إلى الدنيا ، وأراد أن يوجههم إلى الله ، فإذا بالمادة قد غلبت عليهم ، ولقد عاش طيلة خلافته في جلال وصراع ، ضد الأهواء ، والشهوات ، والدنيا .

وفي النهاية لقي مصرعه علي يد « عبد الرحمن بن ملجم » . وتغلبت الأهواء ، والشهوات ، والدنيا . ممثلة في « معاوية » .

وانتصرت الدنيا ، ولكن كان للآخرة عشاقها ومحبوها ، وهؤلاء لم يتوانوا في نصره « علي » حيا ، فلما قتل أخذوا يذكرون حياته الحافلة بصالح الأعمال وجليلها ، وأخذت صورة « علي » - بمر الزمن - تلبس ، شيئا فشيئا هالة من الإجلال ... والتقديس ... والتثنية ... والربانية ... والألوهية ... و... وهل من مزيد ؟ .

كانت « الشيعة » - في بدء أمرها - محبة كمحبة « سلمان الفارسي » « لآل البيت » ثم أصبحت محبة ، وعطفاً ، وشفقة ، حينما اعتقد بعض الناس : أن « البيت العلوي » لم يأخذ المكانة اللائقة في المجتمع . فلما أصبح الظلم : اضطهاداً ، وتعذيباً ، ونشئاً ، وبتراً للأعضاء ، وسعلاً للعيون ، وقتلاً ... تكونت « الشيعة » بالمعنى الاصطلاحي المعروف الآن ... وكان رجال « البيت العلوي » ومن يعطف عليهم ، يغذون الفكرة ، ويمدونها بما استطاعوا من مال ، ومن تشجيع ...

ولكن الأفكار - إذ ذاك - لم تكن تسير بالمال والتشجيع فحسب ، وإنما كانت تتطلب سنداً من الدين لا مناص منه .

ولجأت « الشيعة » إلى القرآن ، وإلى السنة ، تستمد منها - في يسر ، أو في تصف - ما يعينها على ما تريد ...

وآل أمر « الشيعة » إلى شيع ، وأفرط الكثير منها في « علي » وغالى ، والحب - حقاً - يعمي ويصم : فكان من ذلك ، الغلاة .

ولعل فيما تقدم ، ما يدل على أن أصل « الشيعة » لم يكن يهودياً ، ولم يكن فارسياً ، كما يزعم بعض المستشرقين ، وإنما نشأت الشيعة نشأة طبيعية : ونمت نمواً طبيعياً .

فروق الشيعة :

وبرغم أن (الشيعة) تفرقت إلى ما لا يكاد يحصى من أحزاب ، فإنه من الممكن تقسيمها إلى :

١ - غلاة .

٢ - إسماعيلية ، وما تفرع عنها .

٣ - إمامية اثنا عشرية .

٤ - زيدية .

أما الغلاة ، فقد بادوا ، وانقرضوا ، وقد تبرأ منهم الشيعة : الإمامية منهم ، والزيدية . يقول الشيخ « محمد الحسين آل كاشف الغطاء » ، في رده على بعض الناقدين « للشيعة » . « فهل مراده ما يسمونه » : « غلاة الشيعة » « كالحطابية » و « الغرابية » و « العلياوية » و « الخمسة » ، و « البزيعية » ، وأشباههم من الفرق المألوفة « المنقرضة » التي نسبتها إلى الشيعة من الظلم الفاحش ، وما هي إلا من الملاحدة : (كالتقراطية) ، ونظائرهم . أما « الشيعة الإمامية » ، و « أئمتهم » « ع » فيبرءون من تلك الفرق « براءة التحريم »^(١١) .

أما « عبد الله بن سبأ » الذي يلصقونه « بالشيعة » أو يلصقون « الشيعة » به - فهذه كتب « الشيعة » بأجمعها تعلن بلعنه ، والبراءة منه ، وأخف كلمة تقولها كتب رجال « الشيعة » في حقه ، ويكتفون بها عن ترجمة حاله عند ذكره في حرف العين هكذا : « عبد الله بن سبأ » ألعن من أن يذكر^(١٢) .

وأما « الإسماعيلية » ، وهم منتشرون في الهند ، والباكستان ، وجنوب إفريقيا وشرقها : فلسنا الآن بصدد الحديث عنهم ، وعن مذهبهم ، وقربه وبعده عن الدين ، وصلته أو عدم صلته بالأفلاطونية الحديثة أو غيرها من مذاهب ، وسنترك ذلك لفرصة أخرى إن شاء الله .

سنقتصر في الحديث إذاً على « الإمامية الإثنا عشرية » و « الزيدية » و « الشيعة الإمامية الاثنا عشرية » يمثلون - كما يقول الشيخ « محمد الحسين آل كاشف الغطاء » - « أكثرية أهل السواد في العراق » ، وتسعة أعشار « إيران » ، وجماعات في « القفقاز » من « الاتحاد السوفيتي » وجبل « عامل » من « الشام » ، وجزر « البحرين » و « الكويت » وسواحل « الأحساء » ، و « الهند »^(١٣) .

ويقول « الدكتور أحمد أمين » : « ويبلغ « الإمامية » الآن نحواً من سبعة ملايين في « فارس » ، ونحو مليون ونصف في « العراق » ، وخمسة ملايين في « الهند »^(١٤) .

و « الزيدية » هم « الشعب اليمني » على الخصوص .

(١٣) أصل الشيعة .

(١٤) أصل الشيعة ، ص : ٤٦ - ٤٧ .

(١٥) ضحى الإسلام ، ص ٢١٣ .

(١٦) أصل الشيعة ، ص : ٥٠ .

- ١ - والإمامية والزيدية يتفقون على أن « عليا » أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ .
 ٢ - وأنه لذلك كان أحق بالخلافة من « أبي بكر » و « عمر » أما فيما عدا هذا ، فلا يكادون يتفقون على شيء .

مذهب الإمامية :

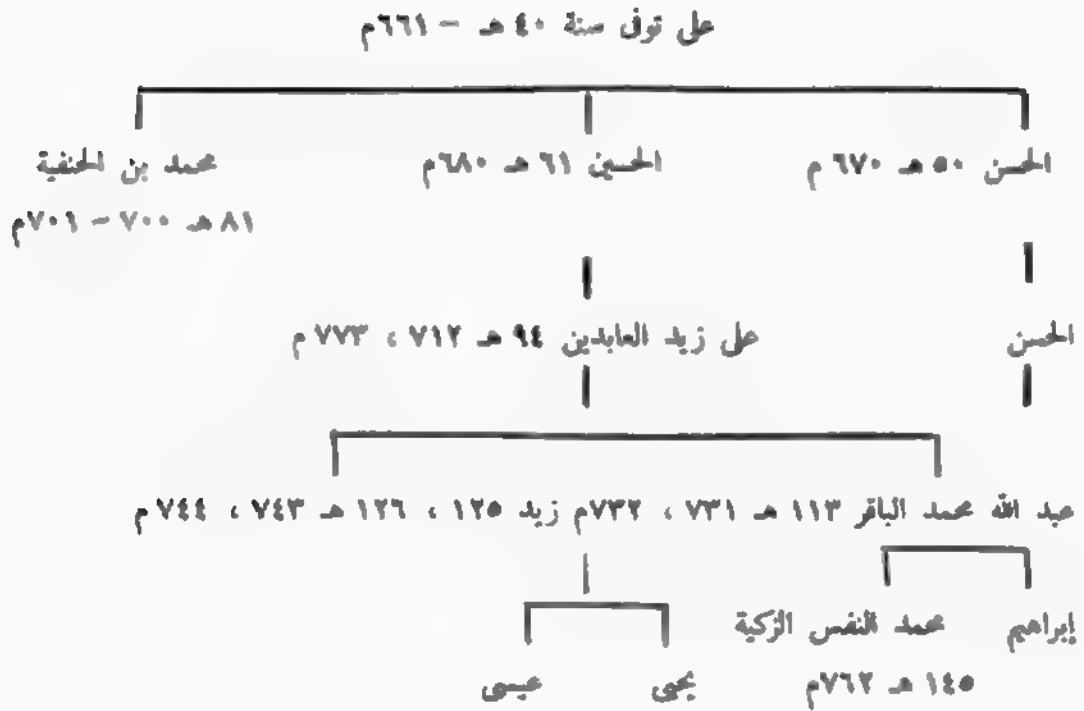
والإمامية مجمعون على أن النبي ﷺ ، نص على استخلاف « علي » بن « أبي طالب » باسمه ، وأظهر ذلك وأعلنه ، وأن أكثر الصحابة ضلوا بتركهم الاقتداء به بعد وفاة النبي ﷺ ، وأن الإمامة لا تكون إلا بنص وتوقيف ، وأنها قرابة ، وأنه جائز للإمام في حالة التقية أن يقول : إنه ليس بإمام ، وأبطلوا جميعاً الاجتهاد وزعموا أن الإمام لا يكون إلا أفضل الناس ، وزعموا أن « عليا » رضوان الله عليه ، كان مصيباً في جميع أحواله ، وأنه لم يخطئ في شيء من أمور الدين ...

وأنكروا الخروج على أئمة الجور ، وقالوا : ليس يجوز ذلك دون الإمام المنصوص على إمامته ...

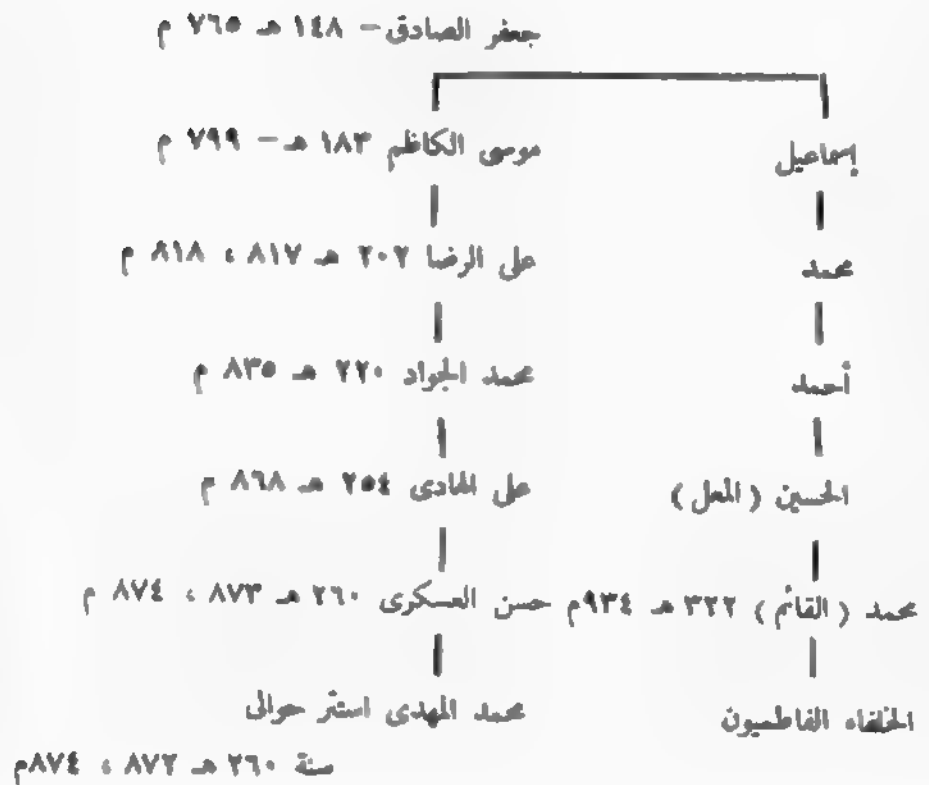
وهم يدعون « الإمامية » ، لقولهم بالنص على إمامة « علي » بن « أبي طالب » (٤٥) .
 وسميت : الإمامية الاثنا عشرية ، لأنها تُسلسلُ الأئمة إلى الثاني عشر « محمد بن الحسن ابن علي » وهو الغائب المنتظر عندهم ، الذي يدعون أنه سيظهر فيملاً الأرض عدلاً ، بعد أن ملئت ظلماً وجوراً .

والشجرة التالية تبين تسلسل الأئمة عند فرق « الشيعة » نقلاً عن المستشرق « برنارد لويس » .

آل علي



أئمة الشيعة الاثني عشرية



الأئمة المستورون الإسماعيلية

الزيدية :

وكان « الإمامية » ، و « الزيدية » في بدء أمرهما : حزباً واحداً ، ثم اختلفا ! والسبب في اختلافهما لم يكن أصلاً من أصول الدين ، وإنما كان حول « الإمامة » ، وهويين وجهة نظر كل منهما فيها .

يقول - البغدادي : « وسبب افتراقها » أن « زيد » بن « علي » قد بايعه على إمامته خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة ، وخرج بهم على والي العراق ، وهو « يوسف » بن « عمر » الثقي ، عامل « هشام » بن « عبد الملك » على العراقيين ، فلما استمر القتال بينه وبين « يوسف » بن « عمر » الثقي ، قالوا له :

إنا ننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في « أبي بكر » ، و « عمر » اللذين ظلما جدك « علي » بن « أبي طالب » .

فقال « زيد » :

إني لا أقول فيها إلا خيراً ، وما سمعت أبي يقول فيها إلا خيراً ، وإنما خرجت على « بنى أمية » الذين قاتلوا جدي « الحسن » . وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رموا بيتاً لله بحجر « المنجنيق » والنار ففارقوه عند ذلك - حق قال لهم : رفضتموني ! ومن يومئذ سموا : « رافضة »

وبنى « زيد » في مقدار مائتي رجل وقاتلوا جند « يوسف » بن « عمر » الثقي ، حتى قتلوا عن آخرهم ، وقتل « زيد » ، ثم نبش من قبره وصلب ، ثم أحرق بعد ذلك ^(١٦) .

والزيدية يرون أن الأدلة الخاصة بإمامة « علي » - رضي الله عنه - اقتضت تعيينه بالوصف لا بالشخص ، وتقدير الناس إنما أتى من حيث إنهم لم يضعوا الوصف في موضعه .

وهم لا يبتعدون من « الشيخين » ، ولا يطعنون في إمامتهما ، مع قولهم بأن « علياً » ^(١٧) أفضل منها :

ذلك أنهم يجوزون إمامة المفضول مع وجود الأفضل . ويشترطون بأن يكون « الإمام » عالماً ، زاهداً ، جواداً ، شجاعاً ، ويخرج داعياً إلى إمامته .

(١٦) الفرق بين الفرق للبغدادي : ص ٢٥ ، ط المعارف .

(١٧) « ابن خلدون » ص ١٣٩ ، ط عبد الرحمن محمد .

وقد كان « زيد » يناظر أخاه « محمد الباقر » على اشتراط الخروج في الإمام ، فليزمه « الباقر » ألا يكون أبوهما « زين العابدين » إماماً ، لأنه لم يخرج ، ولا تعرض للخروج :
وكان « الباقر » ينهى عليه أيضاً مذاهب « المعتزلة » وأخذة إياها عن « واصل ابن عطاء » (٤٨) .

و « الزيدية » سموا بذلك نسبة إلى صاحب المذهب وهو « زيد بن علي بن الحسين السبط » .
وقد ساق الزيدية « الإمامة » على مذهبيهم فيها ، وإنها باختيار أهل الحل والعقد ، لا بالنص ، فقالوا بإمامة « علي » ، ثم ابنه « الحسن » ، ثم أخيه « الحسين » ، ثم ابنه « علي زين العابدين » ، ثم ابنه « زيد بن علي » ، وهو صاحب هذا المذهب ، وخرج بالكوفة ، داعياً إلى « الإمامة » ، فقتل وصلب .

وقال الزيدية بإمامة ابنه « يحيى » من بعده ، ففضى إلى « خراسان » ، بعد أن أوصى إلى « النفس الزكية » فخرج بالحجاز وتلقب « بالمهدي » ، فأرسل إليه « المنصور » جيشاً ، فقتل .
بعد أن عهد إلى أخيه : « إبراهيم » الذي قتل « بالبصرة » (٤٩) .

الشيعة وأصول الإسلام

نرى مما سبق : أن الشيعة تكونت في المبدأ حياً في « علي » : لقربته من الرسول ﷺ ولشخصيته الفذة . ثم تطورت فأصبحت « حزب البيت العلوي » .
ونظرياتها دارت - أولاً وبالذات - حول الإمامة ، وحول الإمام :
« فالمهدي » إمام من أئمتهم ، يعود فيملأ الأرض عدلاً ، كما ملئت جوراً . و « العصمة » لأئمتهم ، لا شك فيها ، بحسب نظرهم .
و « الغيبة » التي تعقبها « الرجعة » إنما هي لإمام : هو آخر الأئمة ، اختفى ، وهم في انتظار عودته ، مها طال الزمن .

و « التقيّة » إنما وجبت لإحكام العمل حتى يتولى « البيت العلوي » الرياسة ...

أين الخلاف في الأصول في كل هذا ؟

يقول الشيخ « محمد الحسين آل كاشف الغطاء » فيما يتعلق بموقف « الشيعة الإمامية » من الغلاة الذين يتبرأ منهم كل مسلم :

(٤٨) مقدمة « ابن خلدون » ، ص : ١٤٠ .

(٤٩) مقدمة « ابن خلدون » ، ص : ١٤٠ ، ط عبد الرحمن محمد .

أما الشيعة الإمامية ، وأغنى بهم جمهرة العراق ، وإيران ، وملايين من مسلمي الهند ، ومئات الألوف في سوريا ، وأفغان ، فإن جميع تلك الطائفة ، من حيث كونها شيعة : يبرهنون من تلك المقالات . ويعدونها من أئمة الكفر والضلالات : وليس دينهم إلا التوحيد المحض ، وتثريه الخالق عن كل مشابهة للمخلوقات ، أو ملايسة لهم ، في صفة من صفات النقص ، والإمكان ، والتغير ، والحدوث ، وما ينافي وجوب الوجود ، والقدم ، والأزلية ، إلى غير ذلك من التثريه . والتقديس المشحونة به مؤلفاتهم في الحكمة ، والكلام من مختصره : كالتجريد ، أو مطولة كالأفسار ، وغيرهما مما يتجاوز الألوف ، وأكثرها مطبوع منتشر ، وجلها يشتمل على إقامة البراهين الدامغة على بطلان التناسخ ، والاتحاد ، والحلول ، والتجسيم^(٥٠)

رأينا في الشيعة :

« الشيعة » : حزب ، وهم لذلك يزيفون كل ما يقف عقبة في سبيل توطيد مركزهم ، ويتهاقنون على كل ما يتوهمون أنه يساعدهم ، ويؤولون التاريخ حسب ما تهوى نفوسهم : فإذا ما تركنا العصبية جانباً فإننا نرى - في إخلاص - أنه لو كان هناك ما يشبه - ولو من بعد - أن يكون رغبة « للرسول » في أن يتولى « على » الأمر من بعده ، لسارع « أبو بكر » و « عمر » إلى بيعته .

إن إخلاص « أبي بكر » و « عمر » لله ، ولرسوله ، وللدن ، أسمى وأجل من أن يتطرق إليه ظل من الشك .

وسيدنا « عمر » - رضى الله عنه - حينما دهمته الطعنة المشثومة ، وأوشك أن يلاقى ربه ، وأراد أن يخرج من الدنيا ، ولم يأل جهداً في الإخلاص لربه ، وللأمة الإسلامية ... لم يول « علياً » ، وإنما جعل الأمر شورى ، بين ستة نفر ، هم أمثل الأمة الإسلامية في نظره ، ومن بينهم « على » رضوان الله عليه .

ولم يته مجلس الشورى هذا باختيار « على » .

ولما تنازل « عبد الرحمن بن عوف » عن ترشيح نفسه ، لاختار الخليفة - وكان الأمر بيده - لم يختار « علياً » وإنما اختار « عثمان » رضى الله عنهما .

ثم إنه امتنع عن بيعه « على » « سعد بن أبي وقاص » بطل « القادسية » وفاتح « فارس »

وأول من رمى بسهم في سبيل الله ، وأحد هؤلاء الذين توفى « الرسول » وهو راض عنهم ، ومطمئن إليهم .

وامتنع عن بيعته « عبد الله بن عمر » ، الرجل الزاهد ، الورع ، الذي آثر الله في كل تصرفاته .

وامتنع عن بيعته أيضاً « أسامة بن زيد » - وصلته « بالرسول » معروفة - وتقدير « الرسول » له أشهر من أن يتأري فيه اثنان .

وامتنع عن بيعته « محمد بن مسلمة » ومكانته في الأنصار معروفة .

وامتنع عن بيعته غير هؤلاء ممن أراد السلامة لدينه ، والبعد عن الفتن .

على أن أصول الإسلام العامة تستوجب المساواة بين المسلمين في الحقوق ، والواجبات ، وتجعل الأكرم هو الأتق .

والحق أن الأمة الإسلامية - على اختلاف طبقاتها - تقدر « عليا » تقديراً كريماً ، وتنزله من نفسها منزلة سامية ، أما ما وراء ذلك من آراء « الشيعة » الغالية منهم والمعتدلة ، فليس ديناً ، وليس ضرورة عقلية .

وإننا لنعتقد - في إخلاص - أن الزمن كفيل برد « الشيعة » إلى السنن القويم . وبالله التوفيق .

في علامات الساعة

من الأمور التي يجب الإيمان بها كما جاءت عن الصادق المعصوم عليه السلام علامات الساعة لأنها من الأمور الغيبية ، ومن علامات الساعة إتيان المهدي ونزول عيسى عليه السلام . وقد ورد بذلك الآثار عن الرسول صلى الله عليه وآله ، وإتيان المهدي قبل عيسى عليه السلام ، ثم نزول عيسى يكون عند خروج الدجال فيترل فيقتله ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية كما ورد في الحديث ..

ونزول عيسى عليه السلام إنما هو تأكيد لرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وأنه سيتزل عاملاً بشرية الإسلام مؤيداً لها ناشراً عبادتها وتعاليمها ، صلوات الله وسلامه على رسل الله أجمعين ..

في الإمام المهدي المنتظر

خبر ظهور المهدي جاءت به نصوص السنة الصريحة وأنه سيكون أول ظهوره بمكة المكرمة ، وسيكون قبل نزول المسيح عيسى بن مريم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وسيظل قائماً بأمر المسلمين يتولى شئونهم ويقودهم في جهاد عدوهم ، حتى يتزل المسيح بن مريم حاكماً بشرية سيدنا محمد صلى الله عليه وآله منفذاً لقواعد الإسلام والمفهوم من جو الأحاديث الخاصة بالمهدي أنه قائد عربي مناضل مجاهد يحاول نشر العدالة ورفع الظلم كما جاء في الأحاديث الخاصة في أسلوب صريح . واضح . وأنه يتزل سيدنا عيسى عليه السلام وقد أقيمت الصلاة فينتحي المهدي للمسيح من إمامة المسلمين في تلك الصلاة فيدفعه المسيح عيسى بن مريم بين كتفيه ويقول له : لك أقيمت فصل ، فيصل بالمسلمين تلك الصلاة ثم يتسلم سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام القيادة منه ، ثم يذهب إلى الدجال فيقتله ..

ومن أخبار المهدي ما رواه الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي بواطىء اسمه اسمي ، وفي لفظ آخر حتى يلى رجل من أهل بيتي .

وعن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال : « لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً » أخرجه أبو داود .
وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : المهدي مني ، أجل الجبهة ،

أقنى الأنف ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يملك سبع سنين ... أخرجه أبو داود .

وهذا الحديث وإن كان في ظاهره انقطاع إلا أنه بالنسبة للأحاديث الواردة في وجود المهدي وولايته للمسلمين صحيح المتن وهو بذلك يوجب على المسلمين التحرز من رفض ما جاء في المهدي من أخبار وتفهم من الأحاديث الواردة فيه أنه ليس خاصاً ببقعة من الأرض كنيجيريا مثلاً أو غيرها وإنما قائد للمسلمين بدليل قول النبي ﷺ يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

والجو العام لأحاديث المهدي يبشر بتحقيق الدولة العالمية التي تضم جميع أقطار الأرض تحت راية واحدة وهي راية العدل والخير والحق ، وهو أمل يسعى له كثير من الذين يريدون للإنسانية خيراً ، ويظنون بها خيراً ، وهو حلم راود الكثير من الفلاسفة خطط له الفارابي مثلاً حينما كتب عن عالمية الحكم بمناسبة كتابته عن المدينة الفاضلة .

والأحاديث عن المهدي أيضاً تذكير للمسلمين بأن من رسالتهم إزالة الظلم والجور من العالم أجمع ونشر الحق والخير وتحقيق العدالة .
والله أعلم ...

في نزول المسيح عليه السلام إلى الأرض مرة ثانية

نم سبترل المسيح عليه السلام إلى الأرض مرة ثانية وسيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرد نفسه على من آلهوه وبدلوا شريعته وأنكروا ما جاء به من التبشير بسيدنا محمد ﷺ كما قال تعالى :

(وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدي من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) .

والدليل على ذلك قوله ﷺ :

والذي نفسى ييده ، ليوشكن أن يتزل فيكم ابن مريم ﷺ حكماً مقسطاً -- أي عادلاً -- فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وفي رواية : يقول أبو هريرة راوى الحديث : اقرءوا إن شئتم (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ...) أي وما من أحد من أهل الكتاب يكون في زمن نزول عيسى عليه السلام إلا ويؤمن به

إيماناً صحيحاً قائماً على أساس أنه عبد من عباد الله وأنه مقر لنبينا بالرسالة . وفي رواية عن الرسول ﷺ قال :

« والله ليتزلن ابن مريم حكماً عادلاً فليكسرن الصليب وليقتلن المختير .. »
 بل إن عيسى عليه السلام حينما يتزل يبلغ من تقديره للرسول ﷺ ولرسالته أن يمتنع عن التقدم على إمام المسلمين الذي يصلى بهم يقول ﷺ .
 « ولا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، قال : فيتزل عيسى ابن مريم ﷺ ، فيقول أميرهم تعال صل لنا . فيقول : لا إن بعضكم على بعض أمراء نكرمة الله هذه الأمة . »

قال الإمام النووي : في قوله ﷺ ، حكماً : دليل على أن عيسى عليه السلام يتزل حاكماً بهذه الشريعة أى الإسلام - ولا يتزل نبياً برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل هو حاكم من حكام هذه الأمة .

وما من شك في أن محمداً ﷺ هو خاتم النبيين والرسل بنص القرآن الكريم يقول سبحانه :
 (وخاتم النبيين) .

وكونه ﷺ خاتم النبيين إنما يؤخذ أيضاً من أن الله سبحانه تكفل بحفظ القرآن من كل تحريف أو تبديل : يقول سبحانه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) . فالذكر أى القرآن بمثابة رسول دائم قائم في الإنسانية يحق الحق وسيبطل الباطل . والله سبحانه وتعالى بهذا الحفظ يشير إلى أن محمداً ﷺ لا تزال رسالته قائمة محفوظة ، وكأنه بذلك بيننا مبشر وهاذٍ ونذير ، ورحمة لكل من اتبعه فتزول عيسى عليه السلام إنما هو من أجل التبشير بدعوة نبينا والعمل على إقامتها ، ومما له مغزاه العميق أن رسول الله ﷺ يقول عن سيدنا موسى : « والله لو كان موسى حياً ما حل له إلا اتباعي » وكذلك الأمر في سيدنا عيسى فلو كان حياً ما حل له إلا اتباع محمد رسول الله ﷺ . والله أعلم .

في المسيح الدجال

المسيح الدجال إنسان مولود من أبوين كسائر البشر ، فسيدنا عمر رضوان الله عليه ظن أنه ابن صياد ، وكان ابن صياد مولوداً من أبوين ، وقد أراد سيدنا عمر أن يقتله ، فنهاه الرسول ﷺ قائلاً له : إن يكن فلن تسلط عليه ، وإن لا يكنه فلا خير له في قتله . فهو موجود إذا واستعادة

الرسول صلوات الله عليه منه إنما كانت تعليماً للأمة وتحذيراً لها منه . وسيظهر قبل قيام الساعة .
وأما علامات قدومه فذلك عندما يخف وزن الإيمان في النفوس ، ويفزو الشر القلوب وتكثر
الخلافات ويسود الشغب .

أما الفتنة التي ستحدث فإن ضعف الإيمان وجرحهم عن طريق الرغبة وعن طريق الرهبة إلى
اتباعه والكفر بالدين الصحيح ، كفر مطلق ، وهي أيضاً ذلك الصراع الرهيب بينه هو وأتباعه
من جانب . وبين من استمسكوا بالإيمان واعتصموا بحبل الله وقانا الله شره ، وأعادنا من الفتن ..
والله أعلم ..

في عمده بعض اللادينيين إلى الخلط بين المذاهب الفنية والأدبية وبين المذاهب الاقتصادية والاجتماعية الوثيقة الصلة بتصور العقيدة

المذاهب الفنية والأدبية التي تتعلق بوسيلة التعبير ، وكيفية توصيل المعاني إلى الناس لا يقيد بها
الدين إلا من ناحية ما تعبر عنه ، أي أن الدين يهتم بالمعنى المعبر عنه ، وبأن تكون وسيلة التعبير غير
مفيدة معنى آخر ، وبأن يكون هذا المعنى في إطار الخير ..

ومن المفيد أن نشير إلى قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) أي أن
الرسالة لا يمكن أن تصل إلى المرسل إليهم إلا إذا كانت بلغة يعرفونها وبلسان يفهمونه ..
وقد أوجب الإسلام تعلم لغات الناس لتوصيل الدعوة إلى غير العرب انطلاقاً من قاعدة
ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

وانطلاقاً من هذه القاعدة تنوعت أساليب القرآن من محاورات عقلية إلى أمثال حسية ، إلى
قصص أدبية ، ليتسع مجال فهمه لكل العقول ولشقي البيئات وهو سر من أسرار الإعجاز فيه ، إن
كل إنسان لها كانت درجة ثقافته يفيد منه ، ولا يمكن أن يرتفع إنسان منها علت ثقافته عن
مستوى التعبير القرآني الكريم .

وفي السنة الشريفة تنوعت أساليب الرسول ﷺ ما بين استفهام لتبنيه الأذهان إلا ما يلقى من
علوم . وتوجيه مباشر ، وسؤال لاستخراج المعلومات من الناس ثم تصحيح هذه المعلومات إلى
غير ذلك مما يجده الباحثون .

ومذاهب التعبير إذن مذاهب إنسانية تختلف باختلاف أحوال الناس ونظمهم ودرجة

ثقافتهم ، والإسلام لا يقيدهما كما قلنا إلا من ناحية ما تعبر عنه ، ومن ناحية الألفاظ المستخدمة في التعبير .

أى أن الإسلام لا يبيح الخروج على آدابه ولو في اللفظة المستعملة في التعبير ، ويترك للمسلم بعد ذلك أن يعبر عن فكرته بالأسلوب الذى يرد ، دون أن يقيد بمذهب ما ، فلم يأت الإسلام بمذهب للتعبير لا يرضى غيره ... وهكذا ...

هذا عن المذاهب الفنية والأدبية .

أما المذاهب الاقتصادية والاجتماعية فقد رسم الإسلام إطاراً للتحرك في مجالها بما سنَّه من تكاليف وقرره من قواعد .

فأسلوب التصرف في المال مقيد في الإسلام بمراعاة أن يكون مصدره من حلال ، وبأن يدفع حق الله منه وهو الزكاة ، وبألا يفرط في حق لازم عليه كالنفقة على أهل بيته ، وصلة رحمه ، وهكذا ...

أما كيفية العمل فقد ترك الإسلام للناس طريق التطور في استخراج خيرات الأرض عن طريق الصناعة بطرقها المختلفة أو الزراعة أو التخصص في مجال من المجالات . والمذاهب الاجتماعية رسم الإسلام لها أطراً لا ينفى الخروج عليها ، كنظام النكاح والطلاق وسائر ما يتعلق بتكوين الأسرة ، وتركيب المجتمع ، ومسئولية المسلم من غيره من المسلمين ، وفيما عدا ذلك ترك الإسلام للمسلم أن ينظر في نظم المجتمعات المختلفة ، ويؤسس النظريات على أساس من هذا النظر ، ليظهر روعة الإسلام فيما قرره من أحوال المجتمعات ، ليتكون له من البصر بشئون الدنيا ما يمكنه من نشر تعاليم الإسلام أو تطبيقها إن كان ممن يملك وسائل التطبيق .

المذاهب الفكرية والفنية إذن وسائل للتعبير لا يقيد بها الإسلام إلا من حيث ما تعبر عنه ، والمذاهب الاقتصادية والاجتماعية - إن وافقت الإسلام أخذ بها على أنها إسلام أو وضع إلهي لا على أنها أفكار بشرية ، وإن خالفت الإسلام ضربنا بها عرض الحائط ، إذ المسلم لا يرى خيراً فيما لا يوافق دينه ، وإلا كان متناقضاً مع نفسه .

(أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون) .

في أهل الفترة

من عاش ومات قبل الرسول ﷺ وقبل نزول القرآن الكريم يسمون أهل فترة ، وهؤلاء قد اختلف في حكمهم علماء التوحيد .

فبى أهل السنة أنهم ناجون وليسوا بمكلفين لقوله تعالى : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) .

ولقوله تعالى : (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة) وآية : (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) صريحة كل الصراحة في أن أهل الفترة ناجون وهم لا يبعثون على دين معين ، ونجاتهم إنما هي بفضل الله ورحمته .

في أول من كفر بعد مجيء الإسلام ، ومن هو أول من حاول تشويه الإسلام

إذا دخل الإيمان في القلب وشع نوره على الأعضاء ، فإن المؤمن لا يمكن أن يرتد عنه ولا يتأنى الكفر إلا ممن دخل في الإسلام لمجرد منفعة ، أو مصلحة تعود عليه . فإذا لم تتحقق هذه المصلحة فإنه يرجع عن دينه ، وهذا هو الذي لا يغفر الله له ذنبه ولا يتجاوز عن سيئاته . قال تعالى : (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً) .

أما أول من حاول تشويه الإسلام فهم اليهود ، كانوا في عصر الرسول ﷺ يشككون في الإسلام ويقولون للذين كفروا إنهم أهدى سبيلاً من محمد وقومه قال تعالى في سورة النساء . (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً ، أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً) . وبعد عصر الرسول ﷺ دخل كثير منهم في الإسلام ليكيدوا له ويدسوا سمومهم فيه ويشوهوا تعاليمه فدمسوا الإسرائيليات في تفسير القرآن ، ووضعوا كثيراً من الأحاديث ونسبوها للنبي ﷺ . بيد أن المسلمين الصادقين كانوا لهم بالمرصاد فبينوا زيفهم ونبيها على كل دسيسة حاولوا بها الكيد للإسلام وصدق الله تعالى إذ يقول :

(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

في عدد الرسل

أرسل الله سبحانه وتعالى إلى بنى البشر رسلا من أنفسهم ليرشدوهم إلى ما فيه صلاحهم وسعادتهم في معاشهم ومعادهم .
والأنبياء والرسل كثيرون لا يعلم عددهم إلا الله ، والواجب الإيمان إجمالاً بأن لله أنبياء ورسلا كثيرين لا يعلمهم إلا هو كما قال تعالى :
(منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) .
ونحب علينا أن تؤمن تفصيلاً بخمسة وعشرين رسولا وهم المذكورون في القرآن الكريم ، وقد جمعهم علماء التوحيد في بيتين من الشعر :
في تلك حجتنا منهم ثمانية من بعد عشر وبقى سبعة وهو
إدريس هود شعيب صالح وكذا ذو الكفل آدم بالختار قد ختموا
وقد ورد في ذلك أحاديث ضعيفة والمشهور منها ما رواه ابن مردويه عن أبي ذر قال : قلت
يا رسول الله كم الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا .
قلت يا رسول الله : كم الرسل منهم ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جم غفير ،
هذا والله أعلم بعدتهم كما ورد في الآية السابقة ..

في لماذا اختار الله الجزيرة العربية للرسالة المحمدية ؟

(إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً)
وهذا البيت كان قبل إبراهيم عليه السلام .. وإبراهيم عليه السلام إنما رفع قواعده التي كانت موجودة من قبل ..
(وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل . ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ..
ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا ، وتب علينا إنك أنت التواب
الرحيم) .
وكما كان أول بيت للعبادة فإنه في التقدير الأزلي آخر بيت لله تقام فيه العبادة على الوجه الصحيح الصادق ..

ولقد اختار الله تعالى الجزيرة العربية للرسالة المحمدية لأن بها بيته هذا المحرم ملتقى الحجيج من كل جانب . من جوانب الأرض ، ولأن أهلها كانوا حيثئذ أحسن الناس استعداداً لحمل رسالة الله ... ولو أن الرسالة كانت في غير جزيرة العرب لما وجدت آذاناً مصغية .. ولا قلوباً واعية .. ذلك أن الروم كانوا أهل دين يصعب عليهم تركه إلى دين آخر ، والفرس كانوا ذوى ملك وسلطان . يرون فيها العزة والمتعة ، ولا يمكن أن يدينوا معها بدين آخر من أبرز ما فيه تغيير العقيدة وتغيير الأنظمة وإزالة الطغيان الذى كان سمة كثيرين من الملوك والأمراء .. لذلك كانت الجزيرة العربية المكان الصالح لنشر الدعوة المحمدية لأن أهلها كانوا بفطرتهم وعدم اعتناقهم أى دين من الأديان التى كانت موجودة حيثئذ مهيين لقبول الرسالة وحملها ..

ولقد رفض اليهود الإسلام بالمدينة . وما حولها وهم يعلمون تمام العلم صفة رسول الله ﷺ في كتابهم .. ولكن خوفهم من ذهاب السلطان جعلهم يمحذون .. وأصحاب السلطان في الفرس والروم لاشك كانوا يرفضون الدين الجديد خوفاً من زوال سلطانهم ..

في ما يقال بأن سيدنا محمد ﷺ هو أول مخلوق فأين كان حينما كان آدم وحواء في الجنة ؟

في كتاب « حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين » للنبيهاني « في خلق نوره ﷺ وانتقاله من أصلاب أجداده الطاهرين » قال الحافظ أبو علي الحسن بن علي بن عبد الملك الرهوني المعروف بابن القطان في كتابه البشائر والأعلام لسباق ما لسيدنا ومولانا محمد المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام من الآيات والنبات والمعجزات الباهرات :

كان من أول ما ظهر من آياته ﷺ قبل البدء ما رواه علي بن الحسين عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال : قال رسول الله ﷺ : كنت نوراً بين يدي ربي عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام .

وفي حديث آخر : كنت نبياً وآدم بين الماء والعطين .
ولعل المراد أنه كان نبياً في علم الله سبحانه وتعالى .
وكان ﷺ حينما كان آدم وحواء في الجنة ، في صلب آدم .
وكما ورد في الحديث الشريف خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدتنى أمي لم يصبني من سفاح الجاهلية شيء .

والرأى السليم الصحيح في كل هذا هو أن النبي ﷺ ولد ولادة طبيعية عادية وليس في أمر خلقه خوارق عادات والأحاديث التي تتحدث عن خلقه ﷺ قبل خلق آدم لا أساس لها من الصحة وليس الأمر أمر أولية في الخلق فليس في أولية الخلق أساس للتفاضل أو التفضيل وإنما أساس الفضل والتفضيل هو التقوى : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، وهو الخلق الحسن ولقد كان رسول الله ﷺ على أعلى مستوى أخلاق وهو الذي قال سبحانه وتعالى فيه : (وإنك لعل خلق عظيم) وهو القائل : « إنما بعثت لأنتم مكارم الأخلاق » .

ولقد وصفت السيدة عائشة رضوان الله عليها خلقه فقالت « كان خلقه القرآن » ولقد وصل ﷺ القمة في الإخلاص السامي وفي السمو الأخلاق بقول الله تعالى له :
(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) ﷺ ..

روى الإمام أحمد بسنده عن العرياض بن سارية رضى الله عنه قال : قال لى النبي ﷺ :
« إني عند الله لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طيسته » ...
وروى أحمد بسنده عن ميسرة قال : قلت يا رسول الله ... متى كنت نبياً ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد ..

رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح .
وهذان الحديثان لا يدلان على أنه ﷺ أول مخلوق ، وإنما يدلان على أن نبوته ثابتة من القديم وأن الله سبحانه وتعالى كتبها وقدرها وتم بها ما أراد .
أما كونه ﷺ أول مخلوق فيحتاج إلى ما يدل عليه من الآثار الصحيحة ..
وأولية الخلق لا تستلزم تفضيلاً ولا تشريفاً .. ذلك لأن الله سبحانه وتعالى رتب بعض الأشياء على بعض في الوجود ، ولم يجعل السبب بأفضل مما يترتب عليه من المسببات .
أما كونه ﷺ أحب مخلوق إلى الله .. فهذا مما لا يمكن أن يشك فيه .. والقرآن الكريم يشير إلى ذلك في كثير من الآيات .. إنه ﷺ رحمة للعالمين قال تعالى :
(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

وهو ﷺ خاتم الأنبياء قال تعالى :
(ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)
وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وأتم نعمته عليه وهداه صراطاً ونصره الله نصراً عزيزاً واختصه بالشفاعة العظمى التي يتفاخر دونها مشاهير الأنبياء .

وببركته ﷺ رفع العذاب عن أهل الأرض ولم يهلكهم الله في الدنيا بكفرهم أو من عنادهم
قال تعالى :

(وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)
وامثالاً منه ﷺ لقوله تعالى : (وأما بنعمة ربك فحدث) تحدث عن كثير من هذه النعم ،
وعن تكريم الله تعالى له وتفضيله له على كل خلقه .. قال ﷺ :
« لو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي .. » وقال :
« أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة ، وأنا أول من يفرع باب الجنة .. » رواه مسلم وقال :
« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع » - رواه
مسلم وأبو داود ...

وقال :

« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، ويبدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ -
آدم فمن سواه - إلا تحت لوائى وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر » رواه أحمد والترمذى
وابن ماجه ..

وفضائله ﷺ كثيرة والأدلة على كونه أحب الخلق إلى الله عديدة نفعنا الله باتباعه ورزقنا حبه
وحب من يحبه وجعلنا من جنوده الصادقين ..

أما لماذا ؟ فذلك أنه ﷺ أنخلص نفسه لله سبحانه وتعالى إخلاصاً كاملاً .
ومعنى كونه أول المسلمين : إنه أول المسلمين في كل فضل وفي كل خير وفي كل مكربة ولأجل
ذلك كان أحب خلق الله إلى الله .

وألقي بنفسه إلقاء كاملاً في الرحاب الإلهي مستجيباً إلى الله في كل ما أمر متنبهاً عن كل ما نهى
ولقد حقق صلوات الله وسلامه عليه قوله تعالى :
(قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) .

في النسب الشريف

الصحيح من نسب رسول الله ﷺ أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم
ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك
ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

أما ما بعد عدنان من الأسماء فإنه لا يقين فيه .
والذى صح عن رسول الله ﷺ أنه انتسب إلى عدنان لم يتجاوز .
وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لما بلغ في ذكر نسبه إلى عدنان
قال : « كذب النسابون مرتين أو ثلاثاً » .

وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال إنما نتسب إلى عدنان وما فوق ذلك لا ندرى
ما هو ، أما مسألة أن النسب الشريف ينتهى حقاً إلى سيدنا إبراهيم فقد روى في ذلك الإمام
البخارى حديثاً « صحيحاً » عن واثلة بن الأسقع : قال رسول الله ﷺ : « إن الله اصطفى من
ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة . واصطفى من بنى كنانة قريشاً . واصطفى
من قريش بنى هاشم واصطفاني من بنى هاشم » .

ويلاحظ أن هذا الحديث الشريف لم يذكر سلسلة النسب من إسماعيل عليه السلام إلى بنى
كنانة ولكنه يؤكد أن النسب الشريف ينتهى إلى إسماعيل وإبراهيم عليهما السلام وليس في ذلك
استحالة عقلية وليس هناك من التاريخ اليقين ما ينفي ذلك وبقي الحديث صحيحاً وأن نسبه ﷺ
ينتهى إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام .

في حكمة إرسال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

يقول الله تعالى معبراً عن الحكمة في إرسال سيد الخلق ﷺ :
(هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب
والحكمة ، وإن كانوا من قبل لى ضلال مبين) .
ومن دعاء سيدنا إبراهيم ، وسيدنا إسماعيل ، وهما يرفعان القواعد من البيت (ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، إنك أنت العزيز
الحكيم) .

من هذه الآيات ، ومن غيرها : نعلم أن الحكمة في إرسال الرسل ، إنما هي تبليغ آيات الله ،
أى تعاليمه وأحكامه وتكاليفه إلى بنى البشر ، إن الله سبحانه وتعالى : لم يرد أن يترك البشر دون
هداية في الأمور الأساسية لبناء المجتمع وهى : العقيدة ، والأخلاق ، والتشريع ، فأرسل لأهل
الأرض المنصور السماوى الذى يودى اتباعه والعمل به ، إلى تركية النفس وتطهيرها وصفائها .
فالأديان والرسل إنما كانوا لبيان الأسس والقواعد التى لا يقوم المجتمع الصالح بدونها ، وكانوا

أيضاً لمصلحة الفرد التي تتمثل في الارتفاع به إلى مستوى التزكية والطهر والصفاء وهو مستوى يجد فيه من يحققه السعادة كل السعادة والبهجة كل البهجة . ويشعر من يرتقى في معارجه منغمساً في نور هداية الله سبحانه بالسكينة تحيط به وبالطمأنينة تملأ جميع أقطاره ويشعر فوق كل ذلك برضوان من الله أكبر . حكمة إرسال الرسل إذن إنما هي إسعاد المجتمع وإسعاد الفرد والرقى بها إلى المستوى الذي يرضاه الله لها وهو المستوى الرباني .

بيد أن الإنسانية ابتعدت شيئاً فشيئاً عن الأديان والرسالات ، فأخذت تشقى بنسبة هذا الابتعاد أفراداً وجماعات ، وأخذت في تدمير بعضها بعضاً وتنكيل بعضها ببعض الآخر ولو عادت إلى الله لسعدت أفراداً ولسعدت جماعات ، وباب السعادة مفتوح ورحمة الله لن تضيق بمجرد مخلص ، وعلى كل فرد إذا أراد الخير لنفسه وللإنسانية أن يتمسك وأن يدعو إلى التمسك بهدى السماء ، ففي ذلك سعادته وسعادة المجتمع .

في معجزة النبي في الأمة

رسولنا محمد ﷺ ، كان أمياً لم يعرف القراءة والكتابة وهذه معجزة له إذ إنه جاء بالقرآن الذي أعجز العرب الفصحاء البلغاء وهم أهل القراءة والكتابة مع كونه أمياً ، وهذا دليل على أنه من عند الله ..

وقد عبر القرآن عن ذلك بقوله :

(وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك إذأ لارتاب المبطلون) .

وفي سورة الأعراف قوله تعالى :

(الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل) .

في خلق الرسول ﷺ

سُئلت السيدة عائشة رضوان الله عليها عن خلق رسول الله صلوات الله عليه فقالت : كان خلقه القرآن . والقرآن كان يتحدث عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه حديثاً مباشراً أو كان يرسم المبادئ ويضع القواعد في العقيدة والأخلاق ويصور في الوقت نفسه الطريق الذي كان يسير عليه السراج المنير الرؤوف الرحيم صلوات الله وسلامه عليه ، فالقرآن إذن المصدر الأول الذي نستمد منه صفات الرسول وأخلاقه ﷺ .

والمصدر الثاني هو كتب الأحاديث الصحيحة وخبرها صحيح البخارى يليه صحيح مسلم وكل كتاب من كتب الأحاديث على وجه العموم ينحصر قسماً منه لصفات الرسول وأخباره ثم يأتي في المرتبة الثالثة كتب السيرة القديمة منها والحديث .

ومن خير كتب السيرة القديمة سيرة ابن هشام ، ولقد طبعت طبعات مختلفة محققة مع شرح الكلمات الصعبة . ومن خير الكتب القديمة والحديثة كتاب الأنوار المحمدية للعارف بالله يوسف النبهاني .

أما الكتب الحديثة فإن من خيرها كتاب « حياة محمد » للدكتور هيكل وقد نال هذا الكتاب إقبالا يستحقه وقد توالى طبعاته ولا تزال تتوالى وتجد رواجاً كبيراً هي أهل له ومنها كتاب « محمد رسول الله » . وهو كتاب مترجم عن الفرنسية كتبه أحد كبار مفكرى الفرنسيين بعد أن هداه الله للإسلام وبعد أن حج بيت الله الحرام معتمداً على المصادر الإسلامية الأصلية .

في حجة الوداع

في السنة العاشرة للهجرة وقد دار الفلك دورته قبل شهر ذى القعدة نادى منادى رسول الله ﷺ في المسلمين أن يجهزوا أنفسهم لحج بيت الله الحرام مع رسول الله ﷺ فقد عزم الرسول أمره على أن يؤدي بالمسلمين فريضة الحج ليأخذوا عنه المناسك فهو إمام المسلمين وقادونهم (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) واجتمع الألوف المؤلفة من المسلمين وقدموا من الصحارى والبادى وضربوا خيامهم حول المدينة استعداداً للرحيل إلى بيت الله الحرام وفي الخامس والعشرين من ذى القعدة سار الرسول ﷺ ومعه نساؤه كلهن ومائة ألف أو يزيدون من المسلمين ميممين شطر المسجد الحرام بمكة المكرمة ليطوفوا بالبيت ويقفوا بعرفات ويؤدوا مع الرسول ﷺ هذه الفريضة الجامعة فيعرفوا منه صلوات الله وسلامه عليه المناسك الصحيحة وهو القائل صلوات الله عليه :

خذوا عني مناسككم ، وبلغ الرسول والحجيج معه مكة المكرمة في اليوم الرابع من ذى الحجة وأدوا جميعاً مناسك العمرة ، ويقف الرسول ﷺ محرماً لأداء مناسك الحج ، وفي يوم التروية وهو الثامن من ذى الحجة ذهب الرسول والمسلمون معه إلى منى فقفوا فيها ليلتهم حتى مطلع الفجر فصلى الرسول الفجر وركب ناقته القصواء حين بزغت الشمس ويم بها جبل عرفات والمسلمون من ورائه وارتقى الرسول الجبل وألوف المسلمين محيطين به ، بين مُلَبٍّ ومُكَبِّرٍ ، وضربت

للمرسول قبة بنمرة ، ولما زالت الشمس يوم عرفات يوم الحج الأكبر ركب صلى الله عليه وسلم ناقته وسار بها حتى أتى بطن الوادي ونادى في الناس بصوت جهورى وهو على ناقته وكان يردد الصوت من بعد ربيعة بن خلف ، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه خطب في الناس خطبته الجامعة التي وضع بها القواعد والأسس لهذا الدين القويم وأكد الحلال والحرام ، وبين الحقوق والواجبات .

فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وكل المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه ، وأن الربا كله باطل قليله وكثيره سواء ، وأن للمرأة على الرجل حقوقاً وللرجل عليها حقوقاً ونبه المسلمين إلى أن ما فيه عز الدنيا والآخرة لكم هو كتاب الله وسنة رسوله ، فإذا انحرفوا عنها فذلك هو الضلال البعيد وها هي ذى خطبته صلى الله عليه وسلم :

قال : بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس : اسمعوا قولي فإنى لا أدرى لعل لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً .

« أيها الناس : إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا . وإنكم تلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت .
« فمن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع - أى مهدر - ولكن لكم أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون .

« قضى الله أنه لا ربا ، وأن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله .

« وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دماءكم أضع دم ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب . أما بعد أيها الناس : فإن الشيطان قد يشس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ولكنه إن يطلع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم .
« أيها الناس : إن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما أحله الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض . وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها : أربعة حُرُم ، ثلاثة متوالية ورجب مفرد الذى بين جمادى وشعبان .

« أما بعد : أيها الناس فإن لكم على نساءكم حقاً ولهن عليكم حقاً ، لكم عليهم ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح .

« فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله .

« فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت . وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً
أمراً بيناً : كتاب الله وسنة رسوله .

« أيها الناس : اسمعوا قولي واعقلوه . تعلمون أن كل مسلم أخٌ للمسلم وأن المسلمين إخوة
فلا يحل لأمرئٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه » فلا تظلمن أنفسكم .
اللهم هل بلغت :

فأجاب الناس من كل صَوْتٍ : نعم : فقال اللهم فاشهد .
هذه هي خطبة الوداع وسميت بذلك لأن الرسول ﷺ ودع الدنيا وذهب إلى الرفيق الأعلى
بعد أداء مناسك الحج والذهاب إلى المدينة بقليل .
وكان أسلوبه ﷺ فيها أسلوب مودع ، كقوله : اسمعوا واعقلوا فلم يَلُ لا ألفاكم بعد عامي
هذا في هذا الموقف أبداً - ألا هل بلغت اللهم فاشهد .

وقد حدث أنه ﷺ بعد الخطبة نزل عن ناقته وأقام حتى صلى الظهر والعصر ، ثم ركبها وسار
حتى الصحراء ، وهنأ تلا على الناس قوله تعالى : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم
نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) . فلما سمعها صاحبه الصديق أبو بكر رضي الله عنه بكى ،
إذ أحس أن النبي ﷺ وقد تمت رسالته قد دنا يومه الذي يلقي فيه ربه .

وكما سميت الخطبة خطبة الوداع فقد سميت الحجة كذلك حجة الوداع ، كما سميت حجة
البلاغ ، لأن النبي ﷺ أتم فيها بلاغه للناس بما أمره الله ببلاغه .

وبعد قليل من عودته ﷺ إلى المدينة المنورة بعد أن أتم مناسك الحج دهمه ﷺ مرض
الحمى ، وعانى منه صلوات الله وسلامه عليه ما عانى ، وخير الرسول ﷺ بين مفاتيح خزائن
الدنيا أو الخلد فيها ثم الجنة وبين لقاء ربه والجنة فاختار لقاء ربه صلوات الله وسلامه عليه ..

في معجزات النبي غير القرآن

لكل نبيٍّ معجزات . فهل لرسول الله ﷺ معجزات غير القرآن ، وما هي ؟
أيد الله سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله بالمعجزات التي تدل على تصديقه سبحانه وتعالى لهم في
دعواهم ، وكأن الله سبحانه وتعالى - بهذا التأييد - يقول : صدق عبدي في كل ما يبلغ عني .
وهذه المعجزات تناسب العصر الذي بعث فيه الرسول وتكون من جنس ما اشتهروا به حتى
يكون عجزهم عن معارضته دليلاً على أنها من صنع الله وليست من صنع البشر .

ولما كان العرب أهل فصاحة وبلاغة كانت أعظم معجزة للرسول ﷺ القرآن المتزل باللفظ العربي الذي أعجزهم ببلاغته ، فلم يستطيعوا معارضته أو الإتيان بشيء من مثله وهو المعجزة الخالدة .

ولنينا ﷺ معجزات كثيرة حسية أظهرها الله على يديه وشاهدها الحاضرون ، ولقد تحدث القرآن عن بعضها وذكرت السنة بعضاً آخر منها .

فتحدث القرآن عن معجزة الإسراء والمعراج . قال تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لئله من آياتنا إنه هو السميع البصير) وقوله تعالى : (ولقد رآه نزلة أخرى ، عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى) فالآية الأولى تذكر حادثة الإسراء والثانية تشير إلى المعراج .

وفي السنة الكثير من الأحاديث التي تتحدث عن معجزاته عليه السلام ومنها مثلاً نبع الماء من بين أصابعه الشريفة .

ولقد أفرد بعض المؤلفين مؤلفات في معجزاته عليه الصلاة والسلام .

في كيف كان بدء الوحي ؟

إن الحديث الذي رواه الإمام البخاري عن السيدة عائشة رضى الله عنها وفيه بعض سيرة النبي ﷺ وصفاته في مطلع نزول الوحي عليه : هو حديث بدء الوحي .

وهذا الحديث وثيقة هي من الأهمية بحيث لا يوجد ما يماثلها في الأدب العلمي ، وأهميتها ترجع إلى وصفها للكيفية التي أتى بها - أول ما أتى الوحي . وإن الإنسان حينما يقرؤها يلمس فيها مباشرة صدق الحديث ، وسهولة التعبير ، وتصويراً للحقائق لا يجد الشك إليه سبيلاً .

ومن المعروف أن السيدة عائشة تروى في هذا الحديث ما علمته علماً يقينياً من الملابسات والظروف والأخبار الصادقة والروايات الصحيحة ومن حديث رسول الله ﷺ لها مباشرة . ويمكننا أن نذكر ما تحدثت به عن سيرة النبي ﷺ فيما يلي بحسب الترتيب الذي ورد في الحديث .

١ - لقد أخذ رسول الله ﷺ يرى الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح .

٢ - وعند ذلك حُبب إليه الخلاء ، فكان يذهب إلى مشارف مكة ، بعيداً عن ضجيج

المدينة وصحبها ومشغلها ويعتكف في غار حراء « فيتحث فيه » وهو التعب الليلي ذوات العدد قبل أن يتزع إلى أهله ويتزود لذلك « أى يأخذ الزاد للاعتكاف من جديد » ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى يجاءه الحق وهو في غار حراء .

٣ - ولما جاء الملك في الغار وحدث ما حدث بينها خرج من الغار برجف فواده ، وبعد أن أخبر السيدة خديجة بالأمر قال لها :

« لقد خشيت على نفسي » .

فقالت السيدة خديجة واصفة سيرة النبي في دقة دقيقة : سيرته التي كان عليها في مطلع الوحى : وكان عليها طيلة حياته ، سيرته التي كانت متناسقة مع بواعث رسالته وأهدافها ، تلك البواعث والأهداف التي قال عنها سبحانه وتعالى (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . . .) قالت السيدة خديجة ردًا على قوله « لقد خشيت على نفسي » كلا والله ما يخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وهذه الصفات التي وصفته بها السيدة خديجة والتي روتها السيدة عائشة في الحديث الشريف الذي رواه البخاري ، إنما هي عبارة عن الرحمة .

ولقد كانت سيرة النبي - ﷺ - رحمة كلها ، وهو القائل :

« إنما أنا رحمة مهداة » .

وهو القائل :

« أنا نبي الرحمة » .

في حياة الشباب لرسول الله ﷺ

لقد كانت حياته صلوات الله وسلامه عليه شرحًا مستفيضًا وتوضيحًا كاملاً ، وتعبيرًا تامًا لما ذكره ابن خلدون وما يتفق عليه العقلاء ويجمع عليه أصحاب البصائر المستنيرة من أن ذلك من علامات الأنبياء :

« أنه يوجد لهم قبل الوحى ، خلق الخير والذكاء ، ومجانبة المذمومات والرجس أجمع . وهذا هو معنى العصمة وكأنه مفطور على التزه عن المذمومات والمنافرة لها ، وكأنها منافية لجبلته » .
ويضرب ابن خلدون بعض الأمثلة من حياة الرسول صلوات الله وسلامه عليه مبينة لهذه القاعدة فيقول :

« وفي الصحيح : أنه حمل الحجارة وهو غلام مع عمه العباس لبناء الكعبة فجعلها في إزاره فانكشف . فسقط مغشياً عليه حتى استتر بإزاره .

ودعى إلى مجتمع وليلة فيها عرس ولعب : فأصابه غشى النوم إلى أن طلعت الشمس ولم يحضر شيئاً من شأنهم . »

ومضت فترة الشباب برسول الله ﷺ وهو طاهر زكى : طاهر من الآثام التي تدنس الشباب في مجتمعاتهم . وزكى لأنه بعيد عن الشرك لم يسجد لصنم قط صلوات الله عليه وسلامه .

في الرسول يعمل كما يعمل سائر الناس .

عاش الرسول ﷺ حياته الكريمة بكل ما تقتضيه هذه الحياة من حركة وسعى وعمل في كل المجالات المطلوبة . . . لقد رعى الغنم واشتغل بالتجارة قبل البعثة . . . وكان القائد السياسي والحربي للمسلمين بعد البعثة .

وتطلبت هذه الحياة العريضة التنقل فيما بين أرجاء الجزيرة العربية فتنقل فيها بل تجاوزها إلى غيرها كبلاد الشام ، واستخدم في تنقلاته وسائل المواصلات المطلوبة والميسورة في وقته وفي ظروفه . . . فاستعمل في ركوبه الخيل والإبل والحمير . .

وقد حفظت لنا كتب السنة والسيرة أوصافاً لما كان يستخدمه ﷺ في ركوبه وأسفاره بل أسماء لها .

ولكنه ﷺ لم يحتاج في حياته الكريمة إلى ركوب سفينة أو اجتياز بحر . ومع ذلك فقد كان عارفاً بالبحر وبما وراء البحر . لقد سمع بعدالة ملك الحبشة النجاشي قبل الهجرة . . فوجه أتباعه إليه فراراً من ظلم المشركين واستبدادهم . . . وركبوا البحر من شواطئ الجزيرة العربية إلى الحبشة وعادوا بعد تلك الهجرة مجتازين له .

وبشر أمته بأن منهم من سيركب البحر مجاهداً في سبيل الله وسيغزو من وراءه . إن عدم ركوبه ﷺ سفينة أو نزوله البحر أمر عادي اقتضته ظروف حياته وأحوال بيئته لاصلة له بتشريع ولا علاقة له بالنبوة .

وما يتصل بهذا المجال ، حكى أن بحاراً أورياً قرأ فيما تُرجم من القرآن قوله تعالى : (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها) .

فسأل : أكان هذا بحارًا يجتاز البحار ويتنقل بين أرجائها ؟ فقيل له بأنه لم يركب البحر في حياته فقال : إن هذا الوصف لا يصفه بهذه الدقة والبراعة إلا من شاهده وعاش فيه فقيل له : إن القرآن ليس من عنده إنه من عند الله - فأمن وكان ذلك سببًا في إسلامه .

في أبرز صفات الرسول الخالدة

إن من أبرز صفات الرسول ﷺ الخالدة ، والتي تشع النور ، وتعطي القدوة الحسنة على مر العصور ، والتي نحتاج إلى التركيز عليها في حياتنا الحاضرة : صفة الجهاد .
 إن رسول الله ﷺ الذي كان يقوم من الليل حتى تنفطر قدماه ، والذي كان في كثير من الأحيان يواصل في الصيام . . هو الذي يقول :
 « والذي نفس محمد بيده : لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ، ثم أغزو فأقتل ، ثم أغزو فأقتل » .

وهو القاتل :

« من مات ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بالغزو ، مات على شعبة من النفاق » إن النبي العابد - هو النبي المكافح . . . وإن نبي الرحمة هو نبي الجهاد . . وما كان الجهاد قط في الإسلام إلا في سبيل الله . . فإذا ما خرج عن سبيل الله ، لم يكن إسلاميًا ، وكل ما في سبيل الله إنما هو رحمة . . وأول ملاحظة : هي أن الرسول العابد ، لم يتراجع في غزوة قط . وكان الأبطال يتراجعون ، والصناديد من المهاجرين والأنصار يفرون أحيانًا . ولكنه صلوات الله وسلامه عليه ، في ما يقوله سيدنا علي ، وهو من هو بطولة وفروسية :
 « كنا إذا حمى الوطيس - أي الحرب - اتقينا برسول الله ﷺ : أي احتمينا به وفيه - فيكون أقربنا إلى العدو » . .

وكان صلوات الله وسلامه عليه - مع التجائه إلى الله تعالى ، يدعو ويستغيث به ، ويستنجزه وعده بالنصر - يحكم الأمر إحكامًا بحيث لا بدع فيه ثغرة . .
 هكذا كان أمره في جميع أموره :

لقد نظم الجيش في غزوة بدر تنظيمًا محكمًا ، ثم انجه إلى الله يدعو وكان دائمًا متفانيًا . . كان متفانيًا حتى ولو كان العدو عشرة أمثال المسلمين . .

لقد كان للمشركون في غزوة بدر ، ثلاثة أمثال المسلمين . . . فهزمهم المسلمون بإذن الله . . . وكان انهزام المسلمين في غزوة أحد ، شذوذاً في القاعدة . . . وما كان ذلك إلا لأنهم خالفوا - متاولين - أوامر الرسول ﷺ غير أن تفاؤله صلوات الله عليه وسلامه : لم يفارقه لحظة . . . إذ إنه بعد أن انهزم المسلمون في غزوة أحد مباشرة . . . أمرهم صلوات الله وسلامه عليه ، بلم شعثهم وتضميد جراحهم ، والاستعداد فوراً لخوض المعركة من جديد .

ومن مظاهر تفاؤله صلوات الله وسلامه عليه . . . أنه في غزوة الأحزاب وقد تجمع الشرك من جميع أرجاء الجزيرة . . . يسانده اليهود والغادرون ليقضوا على الإسلام في المدينة . . . ليقضوا عليه ديناً ، وليقضوا عليه دولة . . . ليقضوا عليه عقيدة ، وليقضوا عليه رجالاً . . . وقد كان المسلمون يعملون في حفر الخندق حامية لهم ومنعاً من وصول العدو إليهم .

وفي هذه اللحظة الحرجة : يروى البراء بن عازب رضى الله عنه القصة التالية : حسبما رواه الإمام أحمد :

« أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق لاتأخذ فيها المعاول . . . فشكونا إلى رسول الله ﷺ ، فجاء . . . ثم هبط إلى الصخرة . . . فأخذ المعول وقال : باسم الله . . . فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر وقال : والله أكبر . . . أعطيت مفاتيح الشام - والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا . . . ثم قال : باسم الله ، وضرب أخرى ، فكسر ثلث الحجر ، فقال : الله أكبر . . . أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر المدائن ، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا . . . ثم قال : باسم الله وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر ، فقال : الله أكبر . . . أعطيت مفاتيح اليمن . . . والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا .

وأشاع هذا التفاؤل الثقة والاطمئنان في المسلمين ، وإن كان قد دعا إلى السخرية في وسط المشركين والوثنيين الذين قالوا إن محمداً بعدهم ويمنيهم ، وهم لا يأمنون على أنفسهم الآن . . . هذا التفاؤل ، وهذه الثقة في الله ، لم تفارق الرسول قط في كفاحه الطويل الدائب ، الذي استمر إلى نهاية حياته الشريفة . . .

في عرض الرسول نفسه على قبائل العرب

عرض المشركون على رسول الله ﷺ من الأموال والجاه ما يغرى غير النبي ﷺ بقبوله وترك ما يدعو إليه ، ولكن رسول الله ﷺ لم يكن ليدع ما أرسل به إلى الناس لدنيا لابقاء لها ، لأن الله

ثبته بالقول الثابت والله أعلم حيث يجعل رسالته في الذين لا يخالفون عن أمره من صفوة عباده .
لو أن رسول الله ﷺ استجاب لمشركي مكة وركن إليهم قليلاً بالكف عن تسفيه أحلامهم
وسب آلهتهم في تبليغ رسالة ربه لكان مقرراً لهم ، والمقر لأحد على فعل معصية يعتبر شريكاً له في
فعلها وبجزياً بإثمها .

وحاش رسول الله ﷺ أن يقر أحداً على معصية ، أو يركن إليه أو يدع ما أرسل به إلى العرب
وقوله تعالى : (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض . . .) بيان لشدة تمسك رسول الله ﷺ بما
أوحى به الله إليه . .

في عدد الغزوات التي قام بها النبي

عدد الغزوات التي غزاها الرسول ﷺ تسع عشرة غزوة وقيل إنها إحدى وعشرون ، عن
أبي إسحاق قال : كنت إلى جنب زيد بن أرقم فقبل له كم غزا النبي ﷺ من غزوة قال تسع
عشرة ، قبل كم غزوت أنت معه قال : سبع عشرة قلت : فأيهم كانت أول ؟ قال العشيرة
أو العشير فذكرت لقتادة قال العشيرة وروى عن جابر أن عددها إحدى وعشرون ففات زيد بن
أرقم ذكر ستين ، ولعلها الأبواء وبواط .

وأشد الغزوات هولا غزوة أحد ، لأن هذه الغزوة فيها انتصر المسلمون أولاً ثم أخذوا في تقسيم
الغنائم وجمعها ، فاستغل الفرصة المشركون وانهالوا عليهم كالسيل الجارف ثم رأى المسلمون أن
الھول الذي وقع عليهم لا يمكن صده فانسحبوا وولوا الأدبار حينئذ أصيب ﷺ وشقت ربابته
ولم يكن معه إلا أبو بكر وعدد قليل من الصحابة ، وشاع الخبر أن محمداً قُتل ، فاشتد الهول على
المسلمين والخوف وكادت نفوسهم أن تضيق بها الأمكنة . .

في الإسلام حمل السيف دفاعاً عن حريته وعقيدته

بدأ رسول الله ﷺ الدعوة إلى التوحيد في مجتمع لا يدين بالتوحيد ، وأخذ صلوات الله عليه
طيلة الفترة المكية ، بين الدعوة بالقرآن ، وبالأحاديث ، وبالسلوك المستقيم ، وفي هذه الفترة
المكية كلها : لم يرفع الرسول صلوات الله عليه سيفاً ، ولم يقم حرباً ، وكان أعداء الحق يعذبون
المسلمين ، وينكلون بهم ، ويحاولون قتل رجال لأنهم يقولون : ربنا الله . .
وانتهى التعذيب إلى غايات أليلة : فأخرج الذين يقولون : ربنا الله من ديارهم ، وشتوا من
أوطانهم ، فكانوا المهاجرين : هاجروا إلى الحبشة أولاً ، ثم هاجروا إلى المدينة .

ولكن الكفر لم يكتف بذلك ، فأراد أن يقضى على الإسلام في المدينة ، وكان من توفيق الله : أن وجد في هذه الفترة من المؤمنين من أمكنهم أن يردوا هجمات الشرك والكفر : فحملوا السيف دفاعاً عن أنفسهم وأوطانهم ولقد ألجأهم الشرك مرة إلى أن يحفروا حول مدينتهم خندقاً عميقاً ، حينما جاء أعداء الله آلافاً مؤلفة ، ليقضوا على المؤمنين في ضربة واحدة وفي صورة حاسمة ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم .

والتاريخ إذن : يرينا - في صورة لامية فيها - أن الإسلام لم يحمل السيف طيلة الفترة المكية ، وقد كان يتشرب بالدعوة إليه . ثم حمل السيف دفاعاً في أوائل الفترة المدنية ، وكان يتشرب بالدعوة إليه ، ثم لما انتشر الإسلام بالدعوة السلمية انتشاراً واسعاً ، وأصبح قوة لها شأنها ولها خطرها ، رأى المؤمنون بها أن إيمانهم بالحق لا يكون كاملاً إلا إذا فتحت أبواب الدعوة إلى هذا الحق في كل مكان ، ولما كان الطغاة والمستبدون يقفون في وجه الحق ، ويتكبرون على الهداية ، رأى المؤمنون بالحق : أنه لا بد من تحرير الشعوب من طغيان الطغاة واستبداد المستبدين ، حتى يمكن بيان الحق والدعوة إليه ، فحملوا السيف تحريراً للشعوب وفتحاً للأبواب التي أغلقها الملوك المستبدون في وجه الدعوة إلى الله ، وليس في تاريخ الإسلام كله حادثة واحدة تدل على أن المسلمين أجبروا شخصاً على اعتناق الإسلام ، بل كان الأمر بالعكس لبعض الولاة ، كان يضيق ذرعاً بكثرة اعتناق الناس الإسلام بالرغم مما يعمل للحد من ذلك . إن الإسلام انتشر في كل مكان أشرق نوره فيه لأنه حق واضح ، ولأنه رحمة للعالمين .

في رسائل النبي إلى الأمراء والملوك

كان رسول الله ﷺ ، يبعث الرسائل إلى ملوك الدول يدعوهم إلى الإسلام ، ومن هذا القبيل رسالته ، التي بعث بها دحية إلى هرقل : بدأت هذه الرسالة : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، وهي آية من القرآن ، وبعد أن دعا الرسول ﷺ : هرقل إلى الإسلام كتب ﷺ في رسالته :

(يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) .

هذه الرسالة إلى هرقل رواها الإمام البخاري ورواها الإمام مسلم .
فهي إذن ثابتة وهي تشتمل على بعض القرآن ، وهي مرسلة إلى النصارى .

والذى أرسلها هو الرسول ﷺ ومن المعلوم ، ومن المتيقن لدى رسول الله ﷺ ، أنهم سيمسكون الرسالة ، ولو كان مسها حراماً لاشتغالها على القرآن لما كتب الرسول ﷺ فيها قرآناً ، وهذا هو مارآه الإمام داود الظاهري ، والإمام ابن حزم .
هذا وما يبيح أن يحمل القرآن من هم على غير دين الإسلام ، أنه من المحتمل أنهم يقرءون فيه فيبتدون .

أما إذا تضمن حمل غير المسلم للمصحف إهانة لكلام الله فإنه يحرم على المسلمين أن يكونوا وسيلة أو وساطة لتمكين غير المسلمين من حمله .

هذا وعلى المسلمين أن يهدوا إلى كتاب الله بكل وسيلة كريمة تيسر اهتداء الناس إلى الحق ، وقد يكون من ذلك تمكين غير المسلم من الاطلاع على القرآن .

لا يلزم من رواية ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كتب إلى هرقل أن يكون كتب بنفسه ، فقد كان له كتاب للوحى . وكان الكتبة يكتبون ما يأمرهم بكتابته .

وقد كان الرسول ﷺ أمياً قبل الرسالة قال تعالى : (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا غطه يمينك إذا لارتاب المبطلون) .

ولم يرد ما يفيد تعلمه ﷺ الكتاب بعد الرسالة . وورد في الآيات والأحاديث الصحيحة ما يفيد أمية الرسول ﷺ ، قال تعالى :

(ورحمى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون ، الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل) .
وقال تعالى :

(هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم) .

وأمية الرسول ﷺ معجزة من أبلغ المعجزات دلالة على صدق الرسول ﷺ فى رسالته ، ورد كل ما ادعاه المشركون من تلقيه ﷺ عن أهل الكتاب ونحو ذلك .

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة فى الجاهلية والتأديب فى اليم

ولأجل ذلك أمر الرسول ﷺ للقضاء على الأمية بين المسلمين بتعليم القراءة والكتابة ، وكان له كتاب للوحى ولغير الوحى كالرسائل ونحوها . . .

وآيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ كلها داعية للعلم بشتى ألوانه وحاته على سلوك طرق التعلم والتعليم .

زواج الرسول كان لمصلحة الرسالة

الذى نعرفه أن زواجه ﷺ كان مساهراً للحكمة والمصلحة لا للعواطف ، فقد قضى ﷺ أول شبابه ولم يهتم بالزواج حتى فتح الله له وبسر له أمره وسخر أم المؤمنين خديجة وهى فى مثل سن والدته ، وقد كان يعمل فى مالها تجارة من قبل عرف عنه فيها الأمانة والبركة فعرضت عليه نفسها فتزوجها واقتصر عليها طول حياتها ، وأعقب منها ذريته كلها إلا إبراهيم فإنه من مارية الجارية القبطية التى ملكتها يمينه لما أهداها إليه المقوقس عظيم القبط . . فلما ماتت السيدة خديجة وعمره خمسون أو فوقها لم يعتمد إلى زواج شابة مثلاً بل تزوج كبيرة فى السن هى السيدة سودة بنت زمعة بهدف أن ترعى أولاده . وقد عقد على السيدة عائشة بمكة وكانت بنت تسع سنين إكراماً لأبيها أول المؤمنين به وأصدقهم صحبة له ، وبعد الهجرة إذ كانت بنت تسع سنين دخل بها . ومابنت سبع سنين ولاتسع بمحركة للعاطفة عند النبي الرزين المكين - تزوج سيدتنا أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان وقد كانت آمنت به وهاجرت إلى الحبشة فى سبيل الله . . فهل يتركها بعد ما عادت دون زوج لأبيها مثلاً ، وقد كان عدواً محارباً له ، أو يتخذها زوجة له صيانة لها ومد يد نحو السلم تألفاً للقلوب ؟ كما زوجه الله بنت عمته السيدة زينب بنت جحش الذى كان زوجها لزيد بن حارثة ، لقد تزوجها ﷺ بعد ما طلقها من زيد بن حارثة الذى كان النبي ﷺ قد تنبأ لاختياره الله ورسوله على أبيه وأهله وعشيرته وزوجه زينب بنت عمته لحكمة أرادها الله تعالى هى هدم عادة التبنى بعد ما كان يفعلها أهل الجاهلية بأن زوج نبيه امرأة زيد التى طلقها وقد كان النبي يخالطه شئ من الحياء قبل نفاذ الأمر ولكنه السميع المطيع لأمر الله فمادام منفذاً له فلا عليه من قاله الناس ، والله أحق أن يخشاه وقد كان أول من يخشى الله وبطبعه فلا يتأخر عن تنفيذ ما يأمر به أما قوله : هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذهني فيما تملك ولا أملك فلا يدل على أن الزواج نبع للعاطفة بل اعتذار عن ميل القلب بحكم البشرية فى المخالطة والمباشرة مثلاً إلى بعض الأطراف أكثر من غيره وذلك طبعى لا حرج فيه مالم يحمل على ظلم أو بغى وذلك لم يحصل ، إذ قال ﷺ هذا قسمي أى بالعدل فيما أملك أى من التصرفات ، أما الذى لا أملك أنا بل تملكه أنت - من جعل بعض الأشياء والأشخاص أحب إلى من غيرها - فلا مؤاخذه فيه مادام العمل فى الحق لا على الهوى . .

عن لقب أمهات المؤمنين وعن طلاق الرسول وعن كونه نبي أمي

إنما سميت السيدة عائشة وسائر أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين إجلالا واحتراما ومنعاً من زواجهن من بعده ﷺ كما يتأدب المرء مع أمه .

هل طلق النبي ﷺ ؟ نعم : حملت إليه امرأة في عرشها فلما دخل عليها كان بعض النسوة قد خدعنها وقلن لها : إذا أراد منك شيئاً فقل أعوذ بالله منك . فلما قالت ذلك أجابها قائلاً : عذت بمعاذ الحق بأهلك أى أنك استغثت بغياث عظيم هو الله فارجمي إلى أهلك فإنك مطلقة والحق بأهلك عند العرب عبارة تفيد ذلك . .

هذه واحدة . كما رووا أنه طلق السيدة حفصة بنت سيدنا عمر رضى الله عنه فأوحى الله إليه أن يراجع حفصة فإنها صوامة وقوامة وإنها من نسائه في الجنة .

لقد بقي ﷺ فيما نعلم أمياً طويلاً حياته المباركة حتى بعد نزول القرآن الكريم ، فقد كان له كنية يسجلون الوحي بالقرآن كما نزل عليه . .

في مظاهر الرحمة في سلوك الرسول

إن سلوك الرسول صلوات الله عليه وسلامه كان الرحمة نفسها . ولقد وصفته السيدة خديجة رضوان الله عليها فقالت : إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، وهذه الصفات كلها : تتبلور في كلمة واحدة هي الرحمة .

وفي يوم من الأيام ، رأى أحد الأعراب رسول الله ﷺ : يقبل أحد أحفاده ، فقال ، مندهشاً : أتقبلون أبناءكم ؟ إن لي عشرة من الأولاد وما قبلت واحداً منهم قط ، فعرفه صلوات الله عليه وسلامه في نوع من الاستهجان . أن الله قد نزع الرحمة من قلبه ولقد تعدت رحمته ﷺ الإنسان إلى الحيوان ، وكتب السيرة تروى أنه صلوات الله عليه وسلامه : مر ذات يوم على بستان رجل من الأنصار فدخله ، فإذا جمل يحن وتدرف عيناه ، فأنابه النبي صلوات الله عليه وسلامه فسح عليه ، فسكت ثم قال صلوات الله عليه : من رب هذا الجمل ؟ فجاء فق من الأنصار : فقال هذا لي يارسول الله ، فقال له : ألا تتق الله عز وجل في هذه البهيمة التي ملكك الله . إنك

تجميعه وتدثبه (أى تتعبه ومجهده) فنجعل الشاب الأنصارى وتغير سلوكه مع الجمل وتذكرنا هذه القصة بما قصه صلوات الله عليه من قصة ذلك الرجل الذى وجد كلبًا يلهث من شدة العطش ، فلأخفه وسقاه فغفر الله له بسبب ذلك .

فى الإسراء والمعراج

ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين إلى أن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة بحمد النبى ﷺ وروحه بعد البعثة
ولقد توارد على ذلك - كما يقول الإمام ابن حجر - ظواهر الأخبار الصحيحة ولا ينفى العدول عن ذلك ، إذ ليس فى العقل ما يحمله حتى يحتاج إلى التأويل .
ولو كان ذلك منامًا أو بالروح فقط لما كذب رسول الله ﷺ مكذب لجواز وقوع مثل ذلك لأحاد الناس :

إن الناس فى الرؤيا يرون أنهم سافروا ، وأبعدوا وذهبوا وجاءوا وعقدوا العقود ورأوا نتائج عقودهم ونمار عهودهم ، فلو كنا بصدد رؤيا لما ارتاب فى صدق الصادق الصدوق صلوات الله وسلامه عليه إنسان ولما أشفت السيدة أم هانى رضى الله عنها على رسول الله ﷺ حين أخبرها الخبر وقال إنه سيحدث الناس به فأرادت منه أن يعدل عن ذلك قائلة :
« إنهم سيكذبونك فلم يستجب صلوات الله وسلامه بنصيحته لأن الحق ينبغى أن يُداع وأذاعه ﷺ بين الناس .

- ماهو إذن الموقف الذى ينبغى أن يتخذه من هذا الموضوع ؟
إن موقف المؤمن الصادق فى ذلك إنما هو موقف سيدنا أبى بكر :
فعن عائشة رضى الله عنها أنه سعى رجال من المشركين إلى أبى بكر رضى الله عنه فقالوا هل لك إلى صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس - فقال أوقد كان ذلك ؟
قالوا : نعم . . .

قال : لئن قال ذلك فقد صدق . . قالوا تصدقه إنه قد ذهب إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ . . قال نعم إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ، أصدق فى خبر السماء فى غدوة أو روحة فلذلك سمى الصديق . .

لقد كان رسول الله ، صلوات الله عليه ، خاتمة سلسلة من الأنوار التى يرسلها الله إلى العالم بين

الغبية والغبية ، لتهدى إلى الرشاد ، ولتقود إلى الله ، ولتسمو بالمؤمنين درجات في معارج القدس ، لتصل بالجديرين منهم إلى الكمال المرجو ، عن طريق الإرشاد الإلهي وكان الكتاب الذي أنزل عليه ، صلوات الله عليه ، وهو القرآن : خاتم الكتب ، وأكملها ومهيئاً عليها . ولأن الرسول - صلوات الله عليه - تخلق بأخلاق أكمل كتاب رباني ، فهو إذن أكمل رسول ، ﷺ .

ومن هنا كانت إمامته - صلوات الله عليه - بالرسل والأنبياء في بيت الله المقدس ، ولأنه صلوات الله عليه ، أكمل رسول ، كان من أجل ذلك ، أقرب المقربين إلى الله ، سبحانه وتعالى ، لقد تخطى الأرضين والسماوات ، وتجاوز الكون كله ، ووصل إلى ما لم يصل إليه بشر ، بل إلى ما لم يصل إليه جبريل نفسه عليه السلام ، لقد وصل صلوات الله عليه إلى (قاب قوسين أو أدنى) وكما أن المعنى الذي يدل عليه نأ المعراج : من وجود الأنبياء والرسل في السماوات ، ومن أن الرسول صلوات الله عليه أخذ يتجاوز هذه السماوات واحدة بعد الأخرى ، ويتجاوز الأنبياء واحداً بعد الآخر ، نقول : كما أن المعنى الذي يدل عليه النبأ معنى مكافئ ، فإنه أيضاً - بل بطريق أولى - معنى روحى ، أى أن الرسول صلوات الله عليه في تساميه الروحى في كل لحظة من اللحظات قد بلغ في معراجه إلى درجات تتجاوز - في روحانياتها - آدم في سمائه الأولى ، ثم تجاوزت يحيى وعيسى عليهما السلام ، في سمائهما الثانية ، ثم تجاوزت يوسف عليه السلام في سمائه الثالثة وهكذا حتى تجاوزت روحياً إبراهيم عليه السلام ، في سمائه السابعة ، ولقد تجاوزت كل ذلك وتجاوز الكون كله إلى سدرة المنتهى إلى شجرة النهاية ، إلى حيث لا يبلغ ملك مقرب ، ولأنبي مرسل . . .

لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، هذا هو مقام الرسول صلوات الله عليه ! !
ولكن بعض الناس ، يتزل بنا من هذه الآفاق العليا والسماوات السامية .
ومن الرحاب الإلهي . . . يتزل بنا منحدرًا ، فيجادل في الإسراء والمعراج ، أكان رؤيا أم كان يقظة

أستغفر الله ، وأتوب إليه ! !

إن ذلك الجدل ، إذا دل على شيء ، فإنما يدل على ضعف الإيمان في قلب المجادل .
وإذا كان ماسبق يدلنا على جانب من مقام رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، فتزداد بذلك تقديرًا ، وحجًا واتباعًا ، فإن من هدى الله سبحانه وتعالى وتوجيهاته في نبأ الإسراء والمعراج هذه الرمزيات الأخلاقية ، التي تربط ربطًا محكمًا ، بين الدين والأخلاق . . .

والواقع أن الأخلاق في جو الإسلام مرتبطة بالدين ارتباطاً ، لا ينفصل : منه تنبع ، وعلى أساسه تقوم ، وعنه تصدر ، إنها جزء من الدين الإسلامى ، لا يتجزأ ، مصدرها هو مصدره ، إلهى ربانى .

وبعض الناس في العصر الحديث يريد أن يجعل للأخلاق مصادر أخرى . يريد بعضهم أن يجعل أساس الأخلاق الضمير ، بيد أن ذلك خطأ بين فالضمير يرى ويكون ، وتربيته ولونه ، هما شكله ، ونزعتيه واتجاهه ، الذى يتكيف بحسب الثقافة والبيئة والعصر والوسط . .

في الحكمة من الإسراء والمعراج

إنها ليست حكمة واحدة وإنها هي عدة حكم منها : أنه كان تكريماً للرسول ﷺ في وقت استحکم فيه الجهاد بين قوى الخير ممثلة في الرسول وأتباعه ، وقوى الشر ممثلة في المشركين يتزعمهم أبو جهل ، وكانت قوى الشر في عنفوانها على قوى الخير فجاءت معجزة الإسراء والمعراج مبينة مكانة الرسول ﷺ ، وأظهرت أن مقامه صلوات الله عليه وسلامه عليه : قاب قوسين أو أدنى في القرب من الله سبحانه .

ومن حكم معجزة الإسراء والمعراج أنها كانت نصفية لضعاف النفوس والشاكين والمترددین . لقد كانت نفيًا لهم عن الجماعة الإسلامية الناشئة إذ إنهم لو مكثوا فيها لكانوا ضرراً عليها ، ولئن كانت معجزة الإسراء والمعراج تكريماً للرسول ﷺ فإنها كانت ابتلاء للجماعة الإسلامية ليميز الله الخبيث من الطيب ، وليذهب الزبد جفاء .

وتخلصت بذلك الجماعة الإسلامية الناشئة من الضعاف والشاكين والمترددین .

ومن الحكم بيان أن القيادة في بيت المقدس يجب أن تكون للمسلمين وهذا هو المعنى الذى يؤخذ من إمامة رسول الله ﷺ للأنبياء والرسل . إن الإمامة في بيت المقدس وإن الكلمة الأولى والقيادة يجب أن تكون للمسلمين دون غيرهم ، فإذا قصرُوا فيها فهم آثمون أفراداً ، وهم آثمون جماعات ، وهم آثمون دولاً وحكومات .

ومن هذه الحكم ما نهت عليه المشاهدة الأولى في مرحلة الإسراء المباركة لقد كان أول مشاهد رسول الله ﷺ مشهد هؤلاء الذين يزرعون ويحصدون في يوم ولما سأل عنهم قيل إنهم المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنات إلى سبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين .

والجهاد هو وسيلة الحصول إلى القيادة في بيت المقدس .
 أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها إن روح سيدنا عمر وروح صلاح الدين من وراء
 الأجيال تنادىكم لإنقاذ بيت المقدس مرددة قول الله تعالى :
 (انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم
 تعلمون) .
 ومرددة قوله تعالى : (إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضرّوه شيئاً ،
 والله على كل شيء قدير) .

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

في المراد من أسماء الله الحسنى

إن أسماء الله الحسنى ألفاظ من القرآن الكريم ، وهي دلالات على الله سبحانه وتعالى تهدي إلى ما يتصف الله به من وجوه الكمال فهي مباركة في نفسها من حيث هي أسماء للذات المقدسة ، وهي مباركة بالنسبة لقارئها من حيث هي هداية وإرشاد للمسلم في عقيدته ومن أجل ذلك كان الاعتقاد في بركاتها ، سواء كانت متلوة مقروءة أو محمولة مكتوبة : اعتقاداً سليماً :

وعلى هذا فإنه لا مانع للمسلم من أن يحتفظ بأسماء الله الحسنى مكتوبة محفوظة ملفوفة في قطعة من القماش الطاهر ، وذلك للتبرك بها ، كما يحتفظ الإنسان بآيات من القرآن الكريم ملفوفة في قماش طاهر ، ولم يمنع أحد من المسلمين أن يكتب الإنسان القرآن ، أن يكتب آيات منه أو يكتب أسماء الله الحسنى ويحملها متبركاً بها .

فإذا كُتبت أسماء الله الحسنى وُفِّت لفأ متقناً أو جُلِّدت في عناية ثم عُلقت في رقبة الطفل فلا مانع من ذلك ، خصوصاً أن ذلك يدل دلالة واضحة على تقديس أسماء الله الحسنى وتقديرها واحترامها ، وعلى الرغبة الطيبة في تعويد الأطفال على تقديسها واحترامها وتقديرها .

وما من شك في أن أسماء الله الحسنى إنما أخبرنا الله بها لتدل أولاً وبالذات على الكمالات الإلهية ولنهدينا إلى العقيدة السليمة ، بالنسبة لله سبحانه ، وذلك لا يتنافى أبداً مع كتابتها وحملها وتعليقها في رقبة الأطفال إيماناً ببركتها ، وتقديساً لها وحباً فيمن دلت عليه سبحانه .

وقد ورد في الأخبار أن سيدنا خالد بن الوليد كان يتبرك بشعرات من شعر رسول الله ﷺ .

يحتفظ بها في عامته فالتبرك بأسماء الله الحسنى لا مانع منه .

في أفضل وسيلة لحفظ القرآن الكريم

أفضل الطرق وأيسرها لحفظ القرآن الكريم هي أن يتفهم القارئ معاني الآيات التي يقرؤها ، وبوجه إجمالي فظلال المعاني في ذهنه تساعد على بقائها ، وسهولة حفظ الجمل المعبرة عنها ، ثم يبدأ الطفل - عادة - بالسور القصيرة والأجزاء الأخيرة من القرآن الكريم ، يضاف إلى ذلك أن يقرأ المُحَفِّظُ الآيات أمام تلاميذه . فالقراءة الجيدة تعود التلاميذ على حسن النطق وحسن الترتيل ، ولا يكلف التلميذ بحفظ آيات كثيرة حتى لا يتقل عليه حفظ ما يكلف به .

أما الفوائد التي تعود على حافظ القرآن فأهمها المعلومات التي يستفيد منها من آي القرآن وأحكامه . وقصصه ومواعظه ، فقد قلت إنه ينبغي للمتعلم أن يلم بالمعاني الإيجابية للآيات التي يحفظها ، ثم هو يستفيد قدرة على التعبير الأدبي ، ويحسن الاقتباس من آيات القرآن ، والقراءة بعد كل هذا عبادة ، يستطيع الحافظ أن يؤديها في أي وقت وفي أي مكان .

في حرمة مسّ المصحف للمحدث

إن قراءة القرآن على غير وضوء جائرة مادام القارئ طاهراً من الجنابة ، وقد ورد أن سيدنا عمر رضي الله عنه كان يقرؤه على غير وضوء ، فلما سئل في ذلك أجاب بما يفيد أنه جائز ، وأما حمله على غير وضوء ، فقد أجاز أبو حنيفة رضي الله عنه ، ذلك إذا كان بغلابة ، أي إذا كان مُغْلَفاً داخل كساء .

ولقد اختلف العلماء في مسّ المصحف على غير وضوء : فالجمهور على المنع من مسه . ويقول الإمام القرطبي :

« واختلفت الرواية عن أبي حنيفة ، فقد روى عنه ، أنه يمسه المحدث حدثاً أصغر ، وقد روى هذا عن جماعة من السلف منهم ابن عباس وغيره » .

ويقول الإمام القرطبي : وقد روى عن الحكم وحاد وداود بن علي أنه لا بأس بحمله ومسّه للمسلم طاهراً أو محدثاً حدثاً أصغر .

أما مس الصبيان للمصحف فالأظهر الجواز ، لأنه لو منع لم يحفظ القرآن . وبعد فإنه مما لا شك فيه أن مس المصحف على طهارة كاملة من الأمور التي يحرص عليها المؤمن كلما أتاحت له الفرصة لذلك ، وهو في هذا يسير مع الوضع الصحيح لتكريم المصحف واحترامه . بيد أنه تحدث ظروف لا يتمكن الإنسان فيها من الوضوء لسبب من الأسباب ، وتكون في الوقت نفسه الفرصة متاحة للقراءة في المصحف ، وفي هذه الحالة للإنسان أن يأخذ برأى الأئمة الذين أباحوا مسه على غير وضوء . ذلك خير من أن يترك فرصة متاحة للقراءة والثواب .

في احترام الأوراق المكتوب فيها القرآن

القرآن نور أنار الله به طريق السير للمؤمن ومنة آمن بها عليهم . . وقد طالبهم باحترامه والقيام بحقوقه وحذرهم من التفريط في احترامه فضلاً عن امتنانه ، قال تعالى : (إنه لقرآن كريم . في كتاب مكنون . لا يمسه إلا المطهرون)

والذى يبيع بعض الحاجات في ورقة بها آية من آيات قرآنية مرتكب لمنكر ، والذى يبيع من الورق ما فيه آية قرآنية لمن يبيع فيه ويمتنه مرتكب لمنكر وهكذا .

ولا يعتبر الامتنان غير مقصود إلا إذا أغفل المسلم أو ظن أن ما في الورق ليس قرآناً فإذا ما تمزقت أوراق مصحف أو بعض أوراقه بادر الإنسان بحرقها إذا لم يتيسر له حفظها في مكان أمين ، أو إلغاؤها في البحر ، لأن الماء سيزيل آثار الكتابة وتتحول حينئذ إلى ورقة عادية سرعان ما تتفتت .

والمقصود في هذا كله المحافظة على القرآن الكريم بما يجب نحوه من احترام وإذا كان الله تعالى قد منع غير المتطهرين من مس المصحف أو شيء من القرآن ، فإن امتنان القرآن من أكبر المحرمات ، وقد كان سبب الوبال لبعض الأفراد الذين استهانوا بحرمته فزقهم الله شر ممزق .

في مس المصحف المكتوب باللغة اللاتينية بغير وضوء

الأمر في مس المصحف المكتوب بالحروف اللاتينية . لا يختلف عنه بالنسبة للمصحف المكتوب بالحروف العربية .

غير أن أمر كتابة المصحف بالحروف اللاتينية لا يتم إلا بفهم المعنى المراد من كل آية قرآنية وصياغته باللغة المترجم إليها ، وليست ترجمة المعنى كترجمة النص ، فترجمته قد تكون مستحيلة في كثير من الحالات ، أما ترجمة المعنى فهي ميسورة للمترجم ، وفهم المعنى لآيات القرآن يختلف باختلاف الباحثين إيجازاً وإطناباً . وفهماً للمراد كله ، وقصوراً في فهم المراد تارة أخرى .

وعلى ذلك فالمصحف العربي يختلف كثيراً عن المصحف اللاتيني من حيث إن المصحف العربي نص المنزل من عند الله لا يحتمل غيره ، أما المصحف اللاتيني فإنه ترجمة للمعنى وليس نصاً ، أعني أنه كتاب تفسير لا قرآن .

لذلك فسه بغير وضوء لا منع منه .

في فضل البسملة

حسب البسملة فضلاً أن افتتح الله بها كل سورة من سور القرآن ما عدا سورة « براءة » ، وحسبها فضلاً أن كان رسول الله ﷺ لا يدعها في كل كتاب أرسله إلى من دعاهم إلى الإسلام ، وحسبها فضلاً أن ذكرها الله عز وجل في سورة النحل ، حاكياً عن سليمان عليه السلام أنه صدر بها كتابه إلى بلقيس : قال تعالى :

(إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلو عليّ وأتوني مسلمين) .

وقد كان رسول الله ﷺ لا بدع البسملة في كل شأن من شئونه وحث عليها مبيناً فضلها فقال :

« كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أجزم ، وفي رواية أبت ، وفي أخرى أقطع .. والمعنى لا بركة فيه » .

. وذكر في بداية العمل من إثارة الإذعان بأن هذا الأمر يكون ابتداءً ويكون تمامه بالله ، وأنه لا حول ولا قوة إلا به جل جلاله .

ومن آثارها بركة هذا العمل كما نص الحديث السالف الذكر عن رسول الله ﷺ ، ولقد قالها نوح عليه السلام وهو يركب سفينة وقد بلغت الشدة نهايتها حينما فتحت أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرت الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر ، وصارت الأمواج تتلاطم كالجبال ، فكانت (بسم الله) أماناً لنوح ومن معه في السفينة ، ولعل في هذا بلاغاً لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

في استحباب سماع تلاوة القرآن

إن سماع القرآن خير جزيل ، وإن تلاوته خير جزيل أيضاً ، وتلاوته بصوت مسموع أفضل من سماعه ، وذلك لأن تلاوته بصوت مسموع فيها - في آن واحد - استعمال اللسان والآذان . والتالي للقرآن يمكنه أن يقف عندما يمر على آية استغفار يستغفر ، وعندما يمر على آية توبة يتوب ، وعندما يمر على آية عذاب يتضرع ويطلب النجاة .

وييسر له أن يعيد القراءة متدبراً متأملًا . وأن يقف عند بعض الآيات متفهماً ، وكل هذا

لا يتيسر في نوع من الكمال بمجرد السماع ، ولا يمنع عدم المهارة بالقرآن من أن يقرأه الإنسان ، فرسول الله ﷺ يقول فيما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله عنها : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن ، ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران » .

ويقول ﷺ فيما رواه الترمذى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشرة أمثالها ، لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » . وهذا الحديث نص في القراءة لا في السماع .

في معنى كلمة آمين

إن كلمة آمين معناها : اللهم استجب ، وهي ترد عقب كل دعاء . إنها ترد عقب الفاتحة بعد قوله تعالى : (اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) .

وروى الإمام البخارى والإمام مسلم وغيرهما : رضى الله عنهم أجمعين : أن رسول الله ﷺ قال : إذا قال الإمام « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » فقولوا آمين ، فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه .

وفي رواية للبخارى إذا قال أحدكم آمين ، وقالت الملائكة في السماء آمين فوافقت إحداها الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه .

ولكن هذه الكلمة تختص بالصلاة ، فمن أبى مصباح المقرائى فيما رواه أبو داود قال : كنا نجلس إلى أبى زهير البيمرى رضى الله عنها وكان من الصحابة يحدث أحسن الحديث فإذا دعا الرجل منا بدعاء قال اختمه قال آمين ، مثل الطابع على الصحيفة ، قال أبو زهير البيمرى أخبركم عن ذلك : خرجنا مع رسول الله ﷺ ليلة نمشى فأتينا على رجل ألح في المسألة : أى ألح في الدعاء - فوقف النبي ﷺ يستمع منه ، قال النبي ﷺ أوجب أن ختم ، قال رجل من القوم بأى شيء يختم ؟ فقال : بآمين ، فإنه إن ختم بآمين فقد أوجب - أى قبل الله دعاءه ، فانصرف الرجل الذى سأل النبي ﷺ فأتى الرجل فقال اختم يا فلان بآمين وأبشر .

أما كون الإمام لا يجهر بها فذلك لأنها ليست قرآناً ، وأما جهر المأمومين بها فإنه ليس واجباً وهم بالخيار إن شاءوا جهروا وإن شاءوا أسروا .

في نزول القرآن في ليلة القدر وهل كان جملة أو لا

يرى بعض العلماء - ومنهم الشيخ محمد عبده - أن المراد بتزول القرآن في هذه الليلة ابتداء نزوله ، مستدلاً بما قاله الشعبي - المراد من نحو أنزلناه وأنزل فيه القرآن : الابتداء بإنزاله . وعلى هذا المعنى فإن القرآن ابتداءً الله سبحانه أنزله في ليلة القدر ، ثم توالى إنزاله بحسب الظروف والملابسات ، وبحسب حكمة الله سبحانه وهو الحكيم الخبير . أما كيف انقسمت السور القرآنية إلى المكية والمدنية . فإن السبب في ذلك هو اختلاف أماكن نزول القرآن ، فقد استمر نزول القرآن على الرسول ﷺ ثلاثاً وعشرين سنة : قال تعالى : (وقرآنًا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً) وقال : (وقال الذين كفروا لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة كفل لك لتثبت به قوادك ورتلناه تنزيلاً) ومن الآيات ما نزل بمكة ، ومنها ما نزل بالمدينة ، فسمى ما نزل بمكة بالمكي ، وما نزل بالمدينة بالمديني ، واستخلص العلماء لكل سماته وخصائصه وبجمل البحث فيه ، وإن في تمييز المكي من المديني ومعرفة مكان النزول يعطى صورة واضحة عن اهتمام المسلمين بكتاب الله وبكل ما يتعلق به : حيث لم يكتفوا بحفظه بل عرفوا ملابساته وما أحاط به من ظروف .

في الوحي

يمكن الشخص العادي أن يرى سيدنا جبريل عليه السلام ، فليست رؤيته بمستحيلة ، وليست رؤيته وعدمها ، خاضعة لرغبة شخص أو عدمها ، وإنما مرد ذلك كله إلى الله عز وجل ، وعلى النحو الذي يريده الله سبحانه ، حسب قدرة الرائي ، لأن سيدنا جبريل عليه السلام ، ليس كآحاد البشر ، وقد رآته السيدة مريم عليها السلام ، وليست بنبيه ، ورآه أناس كثيرون في حياة النبي ﷺ وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : طلع علينا رجل شديد بياض الثياب . . . شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد . . إلخ . الحديث في أول صحيح مسلم وكان هذا الذي رآه الصحابة هو جبريل .

وليس معنى أنه يرى أن كل من يراه يوحى إليه وحى تشريع ، لا . . . لأن وحى التشريع انتهى بوفاة رسول الله ﷺ ، وإنما تعبر الرؤيا متاماً أو يقظة بالمعنى الذي يتناسب وحال الرائي من بشارة أو إنذار أو تقرير أو نحو ذلك والوحي الخاص بقوله : (وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه . .) الآية .

هو وحى الرؤيا المنامية ، ولم يرد في شرح الآية نص يكشف ماهية الوحى الذى كان ، ولعله وحى إلهام . والآية الكريمة محتملة لذلك .

في محاولات أعداء الإسلام لتحريف القرآن

المحاولات لتحريف القرآن الكريم مستمرة ودائمة . . منذ عهد قديم ، وقد تمثلت أولاً في الخروج بتفسيره عن هدى الدين ، وصرف المسلمين عن هدايته بأخبار موضوعة تبليبل المفاهيم وتصرفها عن روح الدين ، كما هو ملاحظ في بعض التفاسير من الإسرائيلية . والحشو . ومن ناحية ثانية فقد حرفت بعض الطوائف معانى القرآن الواضحة الظاهرة إلى معان باطنة لا تمثل إلا ما يهدم الدين تحت دعوى الخصوصية والفهم الذى لا يقبل الخطأ ونحو ذلك ، وتمثلت هذه المحاولات : في القضاء على لغة القرآن . . وتوجيه الطعنات إليها ثم إلى القرآن ثالثاً : بتغيير رسمه وكيفية نطقه .

وآخر هذه المحاولات تغيير القرآن الكريم بحذف بعض الكلمات منه أو تغيير شكل الكلمة حتى يتغير المعنى تبعاً لذلك . وطبع مصاحف محرفة طبعات أنيقة ونشرها على أوسع نطاق . وعلماء المسلمين يحفظون القرآن في صدورهم ويكشفون ما استطاعوا عن هذا التزييف . والأزهر يمارس نشاطاً كبيراً في مجال القضاء على كل محاولات التحريف فتقوم لجنة المصحف التابعة لمجمع البحوث الإسلامية باعتماد ما تراه صحيحاً من المصاحف قبل الطبع . . وتفحص المصاحف المزورة وتصدر نشرات عنها وعن طبعاتها وتنبيه البلاد الإسلامية إلى خطورها .

وتقوم حكومة مصر على أساس توجيه هذه اللجنة بمصادرة كل مصحف غير مطابق لنص القرآن الكريم .

وسيقوم المجمع بطبع مصحف نموذجي ونشره على أوسع نطاق بحيث يعتبر أساساً لمقارنة غيره به (٥١) .

ومقارنة لكل ما يمكن أن يصدر من طبعات محرفة ، أنشئت إذاعة القرآن الكريم بمصر ، تلو

(٥١) كان الإمام عبد الحليم عمود رضى الله عنه أميناً عاماً لمجمع البحوث الإسلامية وقت صدور هذه الفتوى ، وقد تم في عهد توليه مشيخة الأزهر طبع هذا المصحف ، ونشر على أوسع نطاق .

القرآن آناه الليل وأطراف النهار بعدة قراءات ، تيسر للمسلم أن يراجع مصحفه على أساس قراءتها .

وبعد فالحمد سبحانه وتعالى : قد تكفل بحفظ القرآن ، قال تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

وعلماء الإسلام يحفظون القرآن وعندهم من النسخ المصبوبة الكثير . ومن الممكن الرجوع إليهم فيما يشك في تحريفه .

والأمل كبير في أن تتكاتف الحكومات الإسلامية أمام هذا المظهر الخطر من محاولات تزيف الدين والتراث في أقدمس مخططاته ، وهو القرآن الكريم (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) فتزيل من حكمه حميد .

في التوبة كما وردت في القرآن

لقد فتح الله سبحانه وتعالى باب التوبة على مصراعيه أمام المذنبين الذين أسرفوا على أنفسهم في الذنوب ولم يشعروا من رحمته فقال تعالى :

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم ، وأنبئوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) .

وقال سبحانه وتعالى : (إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقال أيضاً : (لمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه) . وغير ذلك من آيات القرآن الكريم التي ترغب في التوبة وتحث عليها .

وفي الحديث الصحيح : إن الله ييسر يده بالليل ليتوب مسيء النهار وييسر يده بالنهار ليتوب مسيء الليل .

وفيه أيضاً : إن الله فتح باب التوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها . لمن أسرف على نفسه ثم تيقظ ضميره بلزمه أن يرفع أكف الضراعة والندم على ما فرط منه في حق مولاه ، ولييك على خطيئته ، ويعزم على عدم الرجوع إليها ، ويرد المظالم إلى أهلها ويؤدي الفرائض التي فاتته بشروط التوبة ، إن فعل ذلك قبل الله توبته وعفا عن ذنبه وخطيئته وجعله في زمرة عباده المقبولين .

أما إن أخل بشروط التوبة وتاب باللسان ولم يرد المظالم ولم يفلح عن المعصية فإن توبته مردودة عليه نعوذ بالله من ذلك .

في حادث الإفك

إن من المبادئ الإسلامية الأصلية الأخوة الإسلامية : (إنما المؤمنون إخوة) ، هـ والمؤمنون في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحصى والسهرة .

ومن أجل ذلك فإن الذين يسيرون في طريق معارض وهم الذين يحبون أن تنتشر الخفصا القبيحة في الذين آمنوا أعد الله لهم عذاباً أليماً في الدنيا وفي الآخرة ، والله يعلم ما انطوت عليه السرائر وأما أنتم فلا تعلمون من ذلك شيئاً .

(إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون) .

وهذه الآية الكريمة وما يتلوها إنما هي تعقيب على ما اقترفه البعض من الخوض في حديث الإفك ، لقد أخذ البعض يخوض في عرض الرسول ﷺ ولولا فضل الله ورحمته بالمجتمع الإسلامي إذ ذاك لمس الذين خاضوا في الإفك والمشايين لهم والساكنين على بهتانهم عذاب عظيم .

ويستمر الله سبحانه في التعقيب على الحادث تربية للمؤمنين فيحذرهم سبحانه من اتباع خطوات الشيطان ، وذلك أن الشيطان يأمر بالفحشاء والمنكر إنه لا يوجه إلى خير ، ولولا أن الله سبحانه قد رسم طريق الهداية واضحاً لا لبس فيه رسمه في العقيدة ، وأساسها التوحيد ممثلاً في : إياك نعبد وإياك نستعين ، ورسمه في التشريع وأساسه العدالة ، ورسمه في الأخلاق وأساسها الرحمة - ولولا فضل الله ورحمته على عباده لولا كل ذلك ما زكى منهم أحداً أبداً ، ولكن يأخذ بيد من يشاء فيزيهه ويطهره من الإثم بالتوبة والغفران ، وهو سبحانه السميع لكل من التجأ إليه متضرعاً ، متجهاً إلى تركية نفسه ، العليم بالخلصين في الإنابة إليه .

ولقد روى الإمام البخارى وغيره أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه كان ينفق على مسطح لقربته وفقره فلما خاض في أمر عائشة رضى الله عنها قال أبو بكر : والله لا أنفق عليه شيئاً أبداً فترل القرآن الكريم ناهياً أولى الفضل وذوى السمعة أن يقسموا على عدم الإنفاق على ذوى القرني

والمساكين والمهاجرين في سبيل الله ، ونصح الله المؤمنين بالعفو والصفح وخاطبهم قائلاً :
 ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم : فلما سمع أبو بكر رضي الله عنه هذا الخطاب
 قال : بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي ، وأعاد نفقته على مسطح .

في إمكان الإعادة بعد العلم

وجود الشيء من جديد بعد كونه وتحلله السابقين ممكن بدليل مشاهدة وجوده بالفعل مرة ،
 لا سيما أن جمع المتفرق أسهل من إيجاد وإبداعه من عدم ، وإن كان لا يوجد حد بالنسبة لله ،
 شيء أسهل وشيء أصعب هذا الدليل الموجود في الآيات في كلمات قليلة .
 (قُلْ يَحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) ظهور الشيء من نقيضه كظهور النار
 من الشجر الأخضر ممكن وواقع تحت الحس .
 وإذن يمكن أن تدب الحياة في الجسد المتحلل الهامد مرة أخرى .
 وذلك أيضاً على أساس المبدأ الأكبر وهو :
 إن الشيء يمكن أن يوجد من العدم المطلق بفعل المبدع الحق : هذا الدليل موجود في آية :
 (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً ، فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تَوَفُّونَ) . وقد انتفع به الأشعري
 في إثبات إمكان البعث .
 خلق الإنسان أو إحياءه بعد الموت أيسر من خلق العالم الأكبر بعد أن لم يكن .

في منهج التشريع القرآني

بشرع القرآن أحياناً : في صورة مجملة - لبعض المسائل التي تتغير أساليبها بتغير الزمن ويترك
 للمجتمع تحديد الأساليب والطرق التي تناسب الحالة التي عليها المجتمع والتي تحقق الفائدة من
 التشريع ، وذلك كما فعل في الشورى مثلاً ، فقد أمر بها الله سبحانه ، ثم ترك سياستها وكيفية
 تحقيقها لتؤدي الهدف منها إلى المصلحين في المجتمع وولادة الأمور فيه .
 أما المسائل التي تكون عادة مثار نزاع في المجتمع أو بين أفراد الأسرة الواحدة فإن القرآن قد
 فصلها تفصيلاً ، ووضحها سافرة لا لبس فيها وذلك كالميراث مثلاً :
 لقد بين القرآن الأنصبة محددة في مختلف الحالات والظروف ، فأبان نصيب الزوجة مثلاً حينما

يكون للمتوفى أولاد ، ونصيبه حينما لا يكون له أولاد ، والأم والبنت ، والأخت وهكذا . وهذا معلوماً من الدين بالضرورة . فمن جحدته إنكاراً ، أو جحدته غير معترف بعدالته ، أو جحدته مفضلاً غيره من التشريعات عليه ، فإنه يكون بذلك قد خرج من الملة الإسلامية . والواقع أن الانحراف في موضوع الإرث يأتي من طائفتين :

طائفة المتفرنجين الذين يريدون أن يسووا بين الرجل والمرأة في الميراث ويعتبرون أنفسهم من المجددين المتطورين . وهم بهذا يعتبرون أنفسهم أحكم من الله سبحانه ، وأحكم تشريعاً منه وهم بهذا يخرجون على الإسلام وعلى رب الإسلام .

والطائفة الثانية : هي طائفة العقليات والمنازع الجاهلية التي وصل بها احتقار المرأة أن كانت تدفنها حية في العصر الجاهلي .

إن هذه العقليات الجاهلية لم تمت بعد ، إذ لا يزال أثرها حياً للآن برغم تحطيم الإسلام لها وإنكاره عليها وهدمه لمبادئها : إنها لا تزال حية في نفوس الدين لم تتشبع نفوسهم بروح الإيمان والدين لم يغمهم نور الإسلام ، ولقد صور القرآن موقف هذه العقليات بالنسبة للمرأة أبلغ تصوير في قوله تعالى :

(وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) .

وهؤلاء يحددون كل حق للمرأة ويحرمونها من الميراث برغم وضوح حكم الله سبحانه وتعالى في وجوب إعطائها حقها وهم بذلك يخرجون على الإسلام وعلى رب الإسلام .

وسواء كنا بصدد المتفرنجين أو بصدد العقليات الجاهلية فإن الواجب أن يخضع الإنسان لحكم الله أحكم الحاكمين ، وأن يوقن بأن كل خروج عليه إنما هو اتباع للهوى وسير وراء نزعات الشيطان .

وإن القرآن ليصف أمثال هؤلاء الذين يخرجون على قوانين الله سبحانه ، بأنهم كافرون وبأنهم ظالمون : وبأنهم فاسقون . وقانا الله السوء وهدانا لاتباع أوامره واجتناب نواهيه .

في حكم النسخ في القرآن

يقول الشيخ جمال الدين الفاسمي :

قد تقرر أن النسخ في الشرائع جائز ، موافق للحكمة وواقع : فإن شرع موسى نسخ بعض الأحكام التي كان عليها إبراهيم ، وشرع عيسى نسخ بعض أحكام التوراة ، وشرعية الإسلام نسخت جميع الشرائع السابقة لأن الأحكام العملية التي تقبل النسخ إنما تشرع لمصلحة البشر ، والمصلحة تختلف باختلاف الزمان ، فالحكيم العليم شرع لكل زمن ما يناسبه .

ولقد فسر صاحب كتاب محاسن التأويل في تفسير القرآن قول الله تعالى :

(ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) بقوله :

ما نبدل من آية بغيرها كنسخنا آيات التوراة بآيات القرآن (أو ننسها) أي نذهبها من القلوب كما أخبر بقوله : (ونسوا حظا مما ذكروا به) (نأت بخير منها)

وعلى النسق في تفسير هذه الآية سار الشيخ محمد عبده ، وكثير من رجال الفكر في العصر الحاضر وهم يرون أن نسخ القرآن بالقرآن لم يحدث ، ويتابعون في ذلك أبا مسلم بن بحر الأصفهاني المفسر الشهير الذي يقول :

ليس في القرآن آية منسوخة ، ويشرح كل ما قالوا إنه منسوخ على وجه من التخصيص أو التأويل .

وهذا الرأي الذي نراه ، وعلى ذلك فإن من ينكر النسخ في القرآن الكريم لا يكون كافراً ، والرأي المشهور لدى المسلمين إنما استند على الخصوص إلى آية النسخ في القرآن الكريم ، وهي آية يمكن أن تفسر بنسخ الشرائع لا بنسخ آيات القرآن بعضها لبعض .

في الذين قاموا بتشكيل القرآن الكريم بعد النبي ﷺ

نزل القرآن على الرسول ﷺ بلسان عربي مبين ، وكان الرسول ﷺ يقرؤه كما أنزل عليه وكما سمعه من جبريل ويسمعه الصحابة منه ، فيحفظونه كما سمعوه . وهم بسليقتهم العربية لا يلحنون . ولما اتسعت الفتوح الإسلامية ودخل في دين الله غير العرب واختلطت اللغة وبدأ اللحن في الكلام العربي أمر الحجاج بتشكيل القرآن خوفاً من اللحن . فالحجاج في عهد بني أمية هو أول من

أمر بتشكيل القرآن ونقطه ، ومن الروايات المشهورة أن أول من قام بتشكيل القرآن ونقطه إنما هو أبو الأسود الدؤلي بأمر عبد الملك بن مروان ، وقد ذكر الإمام السيوطي رواية تقول : إن من الذين اشتركوا في نقط المصحف وشكله الحسن البصري ويحيى بن يعمر .

في الحفاظ على حدود الله

الحفاظ على حدود الله سبحانه : هو الالتزام الكامل بأداء ما أوجبه الله على خلقه والعمل بمقتضاه أمراً كان أو نهيًا يقوم بتلك أفراد الأمة : حكاماً ومحكومين إذ كل راع مسئول عن رعيته . وحدود الله تبدو في ظاهرها عبارة عامة لكنها مع ذلك ذات مفهوم محدود ، جوهره الالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويرسم الله سبحانه وتعالى صورة من الصور لهذه الحدود أو بعضها في أول سورة : النساء : فطلمعها أمر بالتقوى : (يأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) . . . ثم بعد ذلك أمر آخر . يقول الله : (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم . . .) ثم هناك أحكام أخرى . يقول تعالى : (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفاً)

ثم يقول : (وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح ، فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا) .

ثم بين سبحانه أحكاماً في القسمة والميراث يقول تعالى : (للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون) .

وقوله : (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين . . .) إلخ الآيات . ثم أشار سبحانه إلى كل ذلك بقوله سبحانه (تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم) .

وتضمنت هذه الآية جزاء الحفاظ على حدود الله ، أما العصاة الذين تعدوا الحدود وطفوا وبغوا فجزاؤهم في الآية التالية مباشرة .

(ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين)

إنه الجزاء الوفاق للحفاظ على حدود الله والمعتدين لها .

في دعاء الصالحين

بظهر الغيب

روى مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك بمثل :
وروى مسلم أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يقول : دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة ، عند رأسه ملك موكل ، كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل :
بل إن نفس الرسول ﷺ صبح عنه أنه طلب من عمر رضي الله عنه أن يشركه في الدعاء ففرت بذلك عين عمر .

وغير ذلك كثير من الآيات والأحاديث ، إذن دعاء الصالحين نافع سواء كان ذلك الدعاء من الأفضل للفاضل كما حصل من الأنبياء لغيرهم أو كان من المفضول للأفضل كما حصل من عمر للنبي ﷺ ، وكما حصل من المؤمنين الذين حكى عنهم ذلك في سورة الحشر (ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم)
فدعاء الصالحين مستجاب وبركة .
وأما وجودهم والجلوس معهم فنافع وبركة ، والأدلة على ذلك لا تحصى ولا تعد من الكتاب والسنة والحوادث .

في الفرق بين العزم والهم

العزم هو : توطيد النفس على المعصية والقصد إليها بالقلب والشعور . والهم : إمرار فكرة المعصية بالفكر من غير استقرار .

وفي الحديث الصحيح : عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى : قال : إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك . . فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة . وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة .

وعلى هذا : فمن دارت المعصية بمخاطره دون عزم عازم ورغبة أكيدة فلم يعملها خوفاً من الله وإيثاراً للصواب كتب له حسنة لأنه جاهد نفسه فتغلب على الشر فيها . .
ومن عزم عليها وتأكدت رغبته فيها كتبت عليه سيئة ، فإن لم يعملها وتغلبت مجاهدته كتبت له حسنة . .

ومن المعلوم أن من عزم على المعصية فمنعه منها مانع من غير نفسه كخوف فضيحة أو عقوبة قانون ، أو ما إلى ذلك لا حسنة له ، وعليه إثم نيته التي نواها . . .

في التخلق بأخلاق الله الجمالية

يقول الله تعالى : للملائكة (إني جاعل في الأرض خليفة) ولقد استحق خلافة الله في الأرض لأن الله سبحانه خلقه وفيه الاستعداد للتخلق بأخلاق الجبال التي لله سبحانه ، ومن المعروف أنه مطلوب من كل شخص أن يتخلق بأخلاق الجبال التي لله سبحانه وتعالى ، فالله مثلاً سمي نفسه الرحمن ، بل جعل هذه الصفة تالية للاسم الكريم ، أعنى اسم (الله) فقال سبحانه : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) .

ومطلوب من الإنسان أن يكون رحيماً ولقد هبى لأن يكون رحيماً إذا شاء . والله سبحانه كريم ومطلوب من الإنسان أن يكون كريماً وفيه الاستعداد لأن يكون كريماً ، وهكذا خلق الله الإنسان مستعداً للرحمة والكرم والمغفرة والعفو والسلام والعلم والسمع والبصر وغير ذلك من صفاته سبحانه وتعالى ، والله سبحانه خالق ومصور ومبدع وفي مقابل ذلك بالنسبة للإنسان العمل والكدح في الأرض التي جعلها الله ذلولا له ، وسخرها له ، بل سخر الكون كله من سمائه وأرضه وما بينها ليستخدم كل ذلك بالعلم والعمل ، واستحق الإنسان خلافة الله في الأرض إذن بهذه الصفات الخيرة وبالعامل المتواصل .

أما إذا لم يكن كذلك بأن كان شريراً أو كان كسولاً فإنه يكون قد تخلى عن الرسالة التي هيأه الله لها وهي رسالة الخلافة فلا يكون أهلاً لها .

في خلق آدم ليكون خليفة الله في السموات والأرض

بين الله سبحانه وتعالى أنه إنما خلق آدم للأرض وذلك قبل أن يصور وينفخ فيه الروح ويبرز في عالم الوجود فقال للملائكة :

(إني جاعل في الأرض خليفة)

وقد سئل الحسن رحمه الله عن : آآدم للسماء خلق أم للأرض ؟
فقال : ما هذا ؟ للأرض خلق .

فقال السائل : أرايت لو اعتصم ولم يأكل من الشجرة ؟

قال : للأرض خلق ، فلم يكن بد من أن يأكل منها .

ومن أجمل الآراء في قصة آآدم وأعمقها رأى الإمام أبي الحسن الشاذلى : لقد شعر أبو العباس المرسى في يوم بضيق شديد لم يعلم له سبباً ، فذهب إلى أبي الحسن الشاذلى ، فلما رآه قال مباشرة :

آآدم خلقه الله بيده ، وأسجد له ملائكته ، وأسكنه الجنة نصف يوم خمسمائة عام ، ثم نزل به إلى الأرض ، والله ما نزل بآآدم إلى الأرض لينقصه ، ولكن نزل به إلى الأرض ليكمّله ، ولقد أنزله إلى الأرض من قبل أن يخلقه بقوله : (إني جاعل في الأرض خليفة)

وما قال في الجنة ولا في السماء ، فكان نزوله إلى الأرض نزول كرامة ، لا نزول إهانة فإنه كان يعبد الله في الجنة بالتعريف فأنزله الله إلى الأرض ليعبده بالتكليف ، فلما توفرت فيه العبوديتان استحق أن يكون خليفة .

وأنت أيضاً لك قسط من آآدم كانت بدايتك في سماء الروح ، في جنة المعارف ، فأنزلك الله إلى أرض النفس لتعبده بالتكليف ، فلما توفرت فيك العبوديتان استحققت أن تكون خليفة .

أما أين نزل فذلك غيب لا يتحدث عنه التاريخ الموثوق به ، وقد كان يكفى ذلك للكف عن بحث العلماء في هذا الموضوع ولكن العلماء بحثوا فيه واختلفوا ، شأنهم في ذلك في بحث كل ما لم يرد فيه نص صحيح ..

في معنى اليتيم

يقول تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل . . .)

واليتيم : هو : من مات أبوه وهو دون البلوغ ذكراً كان أو أنثى ، لأنه في حاجة إلى العطف والرعاية .

أما بعد البلوغ فيكون قد زال عنه هذا الاسم ، لأنه قوى واشتد هذا هو اليتيم بوجه عام .
أما اليتيم الذى يستحق الصدقة فهو اليتيم الفقير الذى لا مال له من ميراث ، ويستوى فى ذلك الذكر والأنثى . .

فى قصة قوم تبع

قوم تبع الذين جاء ذكرهم فى القرآن هم : جُنُبُ باليمن ، وقد فصل القرآن ذكرهم فى سورة سبأ ، وكانت حمير كلها ملك فيهم رجل سموه تبعاً ، كما يقال قبصر لمن ملك الروم ، وكسرى لمن ملك الفرس ، وفرعون لمن ملك مصر ، والنجاشى لمن ملك الحبشة ، وغير ذلك من أعلام الأجناس .

وتبع هذا المذكور فى الآية : كان رجلاً صالحاً خرج من اليمن وسار فى البلاد حتى وصل إلى سمرقند واشتد ملكه واتسعت مملكته وكثرت رعاياه ، فاتفق أن مر بالمدينة المنورة فى أيام الجاهلية فلائنه أهلها بأن حاربوه فى النهار وجعلوا يقدمون له الزاد بالليل فاستحيا منهم وكف عنهم .

ولما مر بالكعبة أراد هدمها فلما أخبر بما لها من حرمة تركها وكساها كسوة حسنة وقد اعتنق اليهودية دين موسى عليه السلام قبل ظهور المسيح وتابعه قومه فى ذلك حتى إذا مات عادوا بعده إلى عبادة النيران والأصنام وكان ما كان مما قصه الله تعالى عن أهل سبأ وتبدل خيراتهم إلى نقم . .
أخرج الحاكم عن عائشة قالت : كان تبع رجلاً صالحاً ألا ترى أن الله تعالى ذم قومه ولم يذمه .

وروى أحمد بسنده عن سهل بن سعد عن الرسول ﷺ قال :
« لا تسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم » أى أسلم وجهه لله ولم يشرك به شيئاً من خلقه .
ولا يفوتنا أن نشير هنا إلى اضطراب الأخبار فى شأن تبع حيث لم ترد تفصيلاتها عن طريق موثوق يعتد به ، ولم تثبت الكشوف التاريخية الصحيحة شيئاً مهماً فى هذا المجال .
وكل ما يجب علينا أن نؤمن به هو صلاح هذا الرجل وفساد قومه كما بيته عائشة رضى الله عنها .

في حكم قراءة القرآن على الأموات

قراءة القرآن على الأموات ليست واجبة إلا في صلاة الجنازة فقط ، أما عند القبر فقد استحباها عبد الله بن سيدنا عمر رضي الله عنهما بعد الدفن مباشرة ، واستحبها الشافعي كذلك ، فقد ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : أحب أن يقرأ عند القبر بعد الدفن أول سورة البقرة وخواتيمها ، وقال الإمام الشافعي : أحب أن يقرأ عند الميت بعد الدفن ختمة كاملة .
وذلك لما يرجى من تنزل رحمة الله في المكان الذي يتلى فيه كتابه وهذه الرحمة يستفيد بها الأحياء والأموات .

وإذا ترك المسلم قراءة القرآن على الأموات فليس عليه عقوبة ، وقد كان النبي ﷺ يزور المقابر كثيراً ويسأل الله تعالى لأهلها الرحمة والعافية ، والدعاء للأموات مستحب سواء زرت المقابر أم لم تزر تأسيساً برسول الله والخليل إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ، فقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ بالاستغفار للمؤمنين والمؤمنات .

ولقد دعا لهم سيدنا إبراهيم بالمغفرة كما حكي الله عنه بقوله .
(ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) .

في تفسير أوائل السور

الحروف التي بدئت بها سور القرآن مثل (آلم) و (آلر) و (طسّم) و (حم) (ص) قبل إنها أسماء للسور التي بدئت بها ، وقيل إنها أقسام أقسم الله بها على أن ما اشتملت عليه السور التي بدئت بها حق لا ريب فيه ، وقيل إنها أسماء لله تعالى وقيل إنها نزلت للتحدي بها ، وإن القرآن الكريم مؤلف من مثل الحروف التي يؤلفون منها كلامهم . وإن على الذين ينكرون أنه من عند الله أن يأتوا بمثله والله أعلم بمراده .

آراء في فواتح السور

منها : أنها أسماء للسور المبدوء بها ، فـ (طس) اسم للسورة المبدوء بها ، وكذلك (حم) ونحوها ، غير أن بعض هذه الأسماء مشترك من عدة سور مثل (حم) و (آلم) و (آلر) . . .

ومثل هذه يكون التمييز فيها بمشخصات كأن يقال : حم ، الأحقاف ، أوحم فصلت ، وهكذا .
 وقيل : إنها أسماء للحروف الهجائية التي وضعت بإزائها والغرض منها إفهام المخاطبين أن ما يتلى
 عليهم من الكلام إنما تتركب من الحروف التي يتخاطبون بها ويتداولونها ، وإما لإظهار شرفها
 وفضلها إذ هي مبنى كتبه المترلة .
 وموقف المؤمن من أمثال ذلك ينبغي أن يكون موقف الراسخين في العلم الذين يقولون (آمنا به
 كل من عند ربنا) .

في مكانة الأنبياء

إنها فرصة طيبة للحديث في المسائل التي تتعلق بأنبياء الله تعالى صلوات الله وسلامه عليهم
 أجمعين :

والمبدأ الأول : هو أن الأنبياء معصومون فقد اصطفاهم الله سبحانه قبل ميلادهم ، وتخبرهم
 الآباء والأجداد والأمهات والجندات لقد اختارهم الأمر ، المنبت وانظر إلى القرآن الكريم يقول
 عن عيسى عليه السلام قبل ميلاده .
 (ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً)
 لقد كان أمراً مقضياً قبل ميلاده .

وتكفل الله بهم بعد ميلادهم ، إنه سبحانه يصطفقهم لنفسه ويربيهم على عينه ويبعد عنهم كل
 أذى ويبعدهم عما يشين ويعصمهم عن كبريات السيئات قبل بعثتهم ويعصمهم عن كبرها
 وصغيرها بعد بعثتهم .

تلك هي العقيدة الإسلامية الصحيحة وعلى ضوءها يجب أن يسير المفسر ، وعند حدودها
 يجب أن يقف ، وعلى هذا فإن الأمر في الآية ظاهر :

لقد اختصم اثنان من بنى البشر كما يختصمون كل يوم في هذا الأمر أو ذاك فذهبا إلى داود عليه
 السلام يعتقد الظالم أنه بلسانه الطلق ، وذكائه القوى يستطيع أن يلبس على داود عليه السلام
 فيبدي الباطل في صورة الحق ويظهر الظلم في صورة العدالة ويعتقد المظلوم أن حقه واضح برغم
 كل ما يزيفه خصمه ، لقد كان النزاع على غنم ، والنعاج هي الإناث من الضأن ولا مجال لغير
 ذلك ولا يتأتى أن نصرف اللفظ إلى غير معناه .

وحكم بينهم داود عليه السلام قائلاً : (لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه) ، ثم بين

الطبايع البشرية فقال : (وإن كثيراً من الخلطاء ليغنى بعضهم على بعض) ، ثم استثنى طائفة قليلة حددتها بقوله : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) ، ولكن ثم تُختتم الآية بقوله تعالى : (وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه ، وخرّ راكعاً وأناب) وما هي الفتنه التي ظن داود عليه السلام أن الله فتنه بها ؟

والفتنة هي الملك ، وهي هذه السعة من السلطان والجاه والسيادة يقول تعالى : (ونبلوكم بالشر والخير فتنة) .

وهل يسير بعض المفسرين على هذا النسق ؟

نعم : إن المحققين من المفسرين يرون هذا الرأي وعلى رأسهم الفاضل عياض ، والإمام ابن كثير الذي يقول : قد ذكر المفسرون هنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات لم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه .

في تفسير الربع الثاني : من الجزء الأول من سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

(إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها ، فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يُضِلُّ به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يُضِلُّ به إلا الفاسقين (٢٦) الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويُفسدون في الأرض ، أولئك هم الخاسرون (٢٧) كيف تكفرون بالله وكُتِبَ أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون (٢٨) هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، وهو بكل شيء عليم (٢٩) وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (٣٠) وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (٣١) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (٣٢) قال يآدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون (٣٣) وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين (٣٤) وقلنا يآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها

رغداً حيث شئنا ولا تقربا هذه الشجرة فكونا من الظالمين (٣٥) فأزَلَّهَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهَا
 مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقَلْنَا اهْبُطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦)
 فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قَلْنَا اهْبُطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فِيمَا
 يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْهُ هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا
 بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ
 عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ (٤٠) وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقاً لِمَا مَعَكُمْ
 وَلَا تَكُونُوا أُولَٰئِكَ كَافِرِيهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ (٤١) وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
 وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ .
 إن التفسير لكل ربع من القرآن الكريم ، في مجال التحريك والتحريك بالقرآن العظيم ينبغي أن
 يرسم صورة متكاملة . . لأن كل ربع في تقسيم القرآن ، إنما يعطى معنى من المعاني التي تكتمل بها
 الصورة في كل سورة .

وهذا الربع الثاني من سورة البقرة يبدأ بداية مثيرة ، إلا أنها مرتبطة بالموضوع الرئيسي الذي
 يتناوله هذا الربع . وأعني بذلك تحديد علاقة الإنسان بربه وبقصّة بدء الخليقة في ذلك الحوار
 القدسي بين الله سبحانه وتعالى والملائكة ثم بينه جلّت حكمته وبين آدم عليه السلام وإبليس . .
 لقد علم الله سبحانه آدم عليه السلام الأسماء كلها وهباً بذلك ليكون خليفة الله في أرضه لكي
 يعرف ابتداء مصادر العلم ومبادئ الانطلاق بهذا العلم . . وبعد أن وقف آدم على هذه الأسرار
 وتلك المداخل أصبح مهيباً للخلافة وحينما اجتاز آدم الاختبار طلب الله من الملائكة أن تسجد
 لآدم .

وينتهي الأمر بما تشرحه الآيات تفصيلاً من موقف إبليس الذي وصفه الله بالكفر والعصيان
 ولكن آدم عصى أمر ربه - لقدّر وتقدير - تلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، وهنا الفرق الكبير
 والبون الواسع بين آدم الذي تاب الله عليه ، وبين إبليس الذي عصى ولم يستغفر ولم يتب
 وإنما استمر في كفره وعصيانه .

والغريب أن هذا الربع يبدأ باستهلال غريب ، أخذ يثير التساؤل ولكن حينما نربطه بمحتوى
 ما جاء به الربع تكتمل في أذهاننا الحكمة من أن يورد سبحانه هذه الآيات في مدخل هذا الربع .
 إنه تعالى يريد أن يوضح مسبقاً أن الكافرين سوف يشككون ويتذبذبون ولن يقروا أو يسلموا .
 وأنهم سينتقدون أي شيء حتى في هذا الأمر البسيط - ضرب المثل بالبعوضة - وهو لا يعدو أن
 يكون سبيلاً وأسلوباً من الله عز وجل لتبسيط الأمر بتلك الأمثال ليقرّبها إلى عقل الإنسان وإدراكه

وحسه ، ويفرر سبحانه بوضوح وجلالة أن المؤمنين يعلمون أنه الحق من ربهم حتى ولو كان الأمر مثل بعوضة فما فوقها . (أما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين) والأوصاف المباشرة لهؤلاء الفاسقين في هذا الموقع هي :

١ - ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه .

٢ - يقطعون ما أمر الله به أن يوصل .

٣ - يفسدون في الأرض .

وبعد هذه المقدمة الأخاذة والمثيرة بين الله لنا أن المؤمن وهو الذى يعلم أنه الحق - يصبح مطمئناً لأمر الله وحكمه ، واثقاً في الكلام المنزل من عند ربه . فمن مقومات الإيمان الأولى ما توضحه الآية (والذين آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) زالت من قلوبهم الريبة والشك . أما الذين كفروا فهم في ريب دائم وتشكك مستمر ، فإذا كان أمر التشكيك يصل إلى هذا المثل (البعوضة) فما بالنا بقضية الخلق . . ولهذا فإن الله سبحانه يسأل هذا السؤال الذى يتضمن الدهشة والاستغراب وعدم تصور التصديق حينما يسأل (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون . هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم) وأظهر سبحانه وتعالى صفة العلم عند التدخل إلى بدء الخليقة .

وهكذا نرى ونتعلم أن الله سبحانه وهو يبنى الإنسان من خلال الآيات كان لابد أن يبدأ بعد تعريف الإنسان بأنواع الناس الذين سيلتقى بهم مسار القرآن - كان لابد أن يتقل إلى تحديد علاقة الإنسان بخالقه منذ بدء الخليقة لكى يعرف كل إنسان قدره ومكانته فليس آدم عليه السلام فى ذلك إلا كل إنسان ، ومن يستشعر هذا المعنى لابد أن يستشعر مدى تكريم الله لشخصه وما يميزه به من علم استوجب سجود الملائكة لآدم . . فإذا كان التصرف على مستوى هذا التكريم يتكافأ مع هذا العلم الذى علمه ربه إياه استطاع الإنسان أن يعرف فضل الله عليه وتكريمه إياه .

وكما حرص الربع الأول على تحديد وتعريف أنواع الناس الذين سيجرى التعامل معهم فإن الربع الثانى حرص على تحديد علاقة الإنسان أولاً بخالقه ثم بالملائكة قبل أن يدخل مع القرآن - فى الرسالات . . ينبغى أن تكون هذه العلاقة واضحة ومستقرة رحمة بالإنسان عندما يعرف مصادر القوة ، ويعرف مصادر العلم ، ويعرف مصادر السلطة ويمتد الإنسان كل هذه المساندة . فمن أكبر النعم التى تفضل الله بها على الإنسان أن يشمله برحمته ، وأن يزوده بعلمه وأن يسخر له ما فى الأرض جميعاً وميزة العلم فى حد ذاتها من أكبر الدعامات لتحقيق الرحمة للفرد فى تنمية

هذا العلم الذى وضع الله به آدم عند نقطة أساس يمكن أن ينطلق منها إلى منابع الغيب بلا قيد وبلا حد فى نطاق ما يأذن به رب هذا الوجود ، فالحوار يؤكد كرامة الإنسان ويؤكد دور الإنسان فى عبادة الكون ومسئولته عن هذا العلم الذى أودعه الله فيه والفتوى يشار إليها بأنه علم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

وهنا يضاف إلى العلم الحكمة . وقد يعطى لنا العلم ولكن الحكمة هى التدبير المحكم وهى صنعة الله ، وإن الذين يشقون فى هذه الحياة هم الذين يريدون أن يعرفوا الحكمة وراء كل شىء ومن وراء كل تدبير ، لأنهم يعيشون فى الظاهر وسبحانه الأول والآخِر والظاهر والباطن ، فها كان مقدار علمك فإنه فوق كل ذى علم عليم ، إن الله لا يحب أن يسأل لماذا ولا كيف . . أما إذا تفضل الله على عبد من عباده فأثاء الحكمة فما لا شك فيه أنه قد أوفى خيراً كثيراً وينتهى الحوار بالكلمة الفاصلة التى يجب أن ينتهى إليها كل إنسان حتى لا يتعب .

(قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) . وبهذا نحدد الموقف ليلتزم كل امرئ حذره ومكانه من هذه القاعدة الكلية رحمة به حتى لا يضل ، ورحمة بالمجتمع حتى لا يضيع ، ورحمة بالبشرية حتى نهتدى إلى الصراط المستقيم . إن كل تشريف لا يتم إلا بقدر ما يؤدي المقابل له من تكاليف ، فما استحق آدم سجود الملائكة إلا بعد أمرين :

العلم ، ثم اجتياز الاختبار بنجاح :

وهنا أصبح مُعدًّا لمباشرة الخلافة بكل ما عليها وبكل ما لها ، وطالما أن هناك مسئولية فلا بد أن تتأكد المسئولية بالتزام الأوامر ، والانهاء من النواهي ، وإلا كيف يبنى الالتزام ؟ وهنا أيضاً يطلب من الملائكة السجود فتسجد ويمتنع إبليس الذى أبى واستكبر وكان من الكافرين . (وقلنا يآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)

فطالما هناك تكليف . كان هناك التزام وأمر وهناك نواه . . وبهذا يكون التكريم عليه أعباء والتزامات إذا أدبت كان التكريم هو الجزاء وإذا لم تؤدّ ينتهى بنا الأمر إلى ما تعرض له الربع الأول فى شأن الكافرين والمنافقين .

وكانت أول تجربة لآدم يخرج فيها عن أمر ربه لتعرف أن الخطأ جائر وممكن إلا أن يكون تعدياً

وأن الله تواب رحيم . . فخلق آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، وبعد أن أمره الله بالهبوط إلى الأرض كفل له الرزق والاستقرار إلى حين لقائه سبحانه وتعالى :

(قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) تأكيد جديد لما جاء في الفاتحة بأن هناك رسالات وهناك رسلا ستأتي سيتبعهم من أنعم الله عليهم وسيعصاهم من غضب الله عليهم وسينحرف بها من ضل عن الطريق ، أى أننا على مسار قراءة القرآن سنرى أمثلة لمن أنعم الله عليهم وأمثلة لمن غضب الله عليهم . . . ومن حادوا عن الصراط المستقيم وكيف كان عملهم وكيف كان جزاؤهم فتعلم من هذه العظة وتدارك أنفسنا بالخير والعمل الصالح ، وننتهى عند آية مخالفة الله عز وجل ثم ينه إلى الذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون توضيحا للجزاء في لقاء المخالفة وفتحاً لباب التوبة كما كانت توبته على آدم بعد هبوطه تبياناً كاملاً لأساس التصرف بين الإنسان وربه وبين الإنسان والملائكة تعريفاً بإبليس ومن يمثلونه على الأرض حتى نتق الوقوع في حبالهم ، وينتهى هذا الريع بالكلام ولأول مرة عن بنى إسرائيل وذلك بمزيد من التفصيل بالنسبة للذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم بالنسبة لبنى إسرائيل في مجال إعداد المسلم الذى يسمى القرآن لبنائه ينتهى هذا الريع بتحصيل المسلم في مجال بنائه وإعداده لمواجهة أنواع البشر الذين سبقت بهم على هذه الأرض ، ويكون من بين من يحذرنا الله منهم بنو إسرائيل وهذا التحذير يأتي من خلال خطاب موجه إليهم لعل وعسى أن يعود إليهم عقلهم ويعود إليهم إيمانهم السابق حينما فضلهم الله على العالمين فوجدوا نعمته ونقضوا عهده فيخاطبهم قائلاً (يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوفى بعهدكم وإياى فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصداقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافرين ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً) وكأنما في خطابه هذا لهم بوضع تصرفهم بشأن التوراة التى بدلوا فيها وعدلوا ليشتروا بها ثمناً قليلاً (وإياى فارهبون) ينههم إلى أن يرهبوه وحده ثم يشير إلى صفة تعاني منها البشرية كلها من تصرف يهود حتى إنها أصبحت علامة مميزة لهم في مجال أخبارهم ودعايتهم ، وأعلامهم فيقول : (ولا تلبسوا الحق بالباطل ونكتموا الحق وأنتم تعلمون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) . بالمعنى العام كونوا مع الناس ولا تنحرفوا كما انحرف إبليس .

النواهي :

- لا تنقض عهد الله من بعد ميثاقه .
- لا تقطع ما أمر الله به أن يوصل .
- لا تفسد في الأرض .
- اتبع هدى الله (لمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .
- أوامر لبني إسرائيل وهي أوامر خاصة لها صفة العموم :
- ١ - اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم .
- ٢ - أوفوا بعهدي أوف بعهدكم .
- ٣ - إيتائي فارهبون .
- ٤ - (آمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ، ولا تكونوا أول كافر به) (القرآن)
- ٥ - (لا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً وإياي فاتقون) .
- ٦ - (ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون) .
- ٧ - (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين) .

في تفسير قول الله تبارك وتعالى :

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ^(٥٢))
 فهل إبليس من الملائكة أو من الجن . . . وهل هو من الشياطين .

• • •

معرفة جنس إبليس من المعتقدات التي كلفنا بها ، ومع ذلك فإن معرفة جنسه متوقفة على الخلاف في كونه من الملائكة أولاً : وهو قبل معصيته لأمر الله لا يُعلم حاله بطريق ثابت ، وكل ما قيل في ذلك فهو منسوب إلى بعض الصحابة ، أما بعد الإخبار بمعصيته ففي معرفة جنسه رأيان :

الرأى الأول : أنه من الملائكة . واستدل أصحاب هذا الرأى بأدلة منها :
 (١) ظاهر الاستثناء في قوله تعالى : (فسجدوا إلا إبليس) وهو استثناء متصل يدل على أنه من الملائكة .

(ب) أنه لو لم يكن من الملائكة لما كان أمر الله لهم بالسجود متناولاً له ، ولو لم يكن متناولاً له استحال أن يكون تركه للسجود إباءاً معصية ، ولما استحق العذاب ، وحيث حصل ذلك عامماً بأن الخطاب بالسجود يتناوله فهو من الملائكة .

والرأى الثانى : أنه ليس من الملائكة واستدل أصحاب هذا الرأى بأدلة منها .

(١) قوله تعالى : فى سورة الكهف إلا إبليس كان من الجن .

(ب) إن الملائكة معصومون من المعصية لقوله تعالى : (عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويمعلون ما يؤمرون) وإبليس عصى واستكبر عن السجود فهو ليس من الملائكة . وأدلة الطرفين متناقضة فلا يمكن الأخذ برأى فى هذا الموضوع ولهذا قيل : إن إبليس ليس من الملائكة ولا من الجن بل هو خلق مفرد خُلق من نار ، وإبليس يطلق عليه شيطان ، لأن الشياطين هم شرار الجن - فإن منهم أخياراً ، كما يطلق لفظ الشيطان على من تمرد من الإنس والجن والدواب ، وإذا أردت تفصيلاً أوضح فارجع إلى كتاب « آكام المرجان » للمحدث الشبل ومجلة الأزهر مجلد ٨ ص ٥٦٦ وما بعدها .

فى تفسير قول الله تعالى :

(يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين) (٥٣) سورة البقرة آية : ٤٧

• • •

ليس فى القرآن آية تدل على تفضيل بنى إسرائيل على كل العالمين فى جميع العصور وإنما فيه فى سورة البقرة ما يدل على أنهم أفضل على زمانهم ، فقد كانوا مؤمنين بالله ربهم وبأنبيائهم فى وقت كفر الناس فيه بربههم فعوقبوا بعقوبات رادعة من إرسال الجراد على محاصيلهم الزراعية ، وإرسال الضفادع إليهم فأقضت مضاجعهم وحلت بأطعمتهم ، وسال الدم من أجسامهم لابتلائهم بأمراض الحساسية وكانت نهايتهم أن غرقوا فى البحر ونجا موسى عليه السلام ومن معه . والآيات التى وردت بتفضيل بنى إسرائيل على عالمى زمانهم آيات بسورة البقرة منها : (يا بنى إسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأنى فضلتكم على العالمين) .

وبنو إسرائيل الذين لم يؤمنوا بعمى ومحمد عليها الصلاة والسلام من الخاسرين وليسوا بمساوين لأحد من المسلمين لقول الله تعالى :

(ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

في تفسير قوله تعالى :

(إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (٥٤).

• • •

ليس الإيمان بالله واليوم الآخر ممزجاً للنصرانية واليهودية ودين الصابئة على أوضاعها الحاضرة أو المحرفة عما جاء به الأنبياء والمرسلون ولا تدل الآية على شيء من ذلك ، والذي تدل عليه أن المرء على أى دين كان فجاءه دين الله غير محرف على يد الداعى إلى الحق فاتبعه نجاة وفاز أو أن الذى كان عليها كما جاء بها أنبياؤهم دون تغيير قبل التعقيب برسالة أخرى كان على الدين الحق ، والصابئة قوم زعموا أنهم .

على دين نوح وقيل يؤمنون بطائفة من الأنبياء ويعظمون الأحد ويعملون بالمعمودية والاعتراف .

في قول الله تعالى :

(قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) (٥٥)

• • •

ادعى اليهود أن الدار الآخرة خالصة لهم دون الناس وأنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن غيرهم من الناس ليس لهم فى الآخرة نصيب من الخير .
فبين الله سبحانه بالدليل العملى كذب اليهود وافتراءهم حيث طالبتهم بتمنى الموت والرغبة فيه ولو تمنوه لوقع بهم .

والواقع أن الآية تشتمل على تحقيق الحق بين المسلمين واليهود ، لقد ادعى اليهود ما ادعوا من الميزات فى الآخرة فأمر الله رسوله أن يساجلهم وأن يقول لهم أنتم تقولون ذلك ، وأنا أقول إنه كذب فقالوا تتباهل أى نقول لعنة الله على الكاذب والموت المحقق لمن يدعى خلاف الحق ، فدعاهم ﷺ إلى ذلك فأبوا ولو أجابوه لتزل بهم الموت ولشرق أحدهم بريقه .
وهكذا تبين كذب اليهود فى دعواهم بهذا التحدى وظهر الحق من عند الله .

في تفسير قوله تعالى :

(فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون) (٥٦) .

• • •

معنى الآية الكريمة : أن مَنْ ذكر الله بالقلب كالتفكير في الدلائل الإلهية ومظاهر الكمال الرباني في هذا الخلق البديع ، والتنظيم الذي يجبر المشككين على الإذعان والتسليم ويزيد المهتدين هدى . وَمَنْ ذكر الله باللسان بألوان الذكر الواردة من التسبيح والتهليل والتقديس والصلاة على الرسول ﷺ .

وَمَنْ ذكر الله بالجوارح بأداء أمر ربه والابتعاد عما نهى عنه صادراً في ذلك عن قلب حي وشعور يقظ .

أثابه الله تعالى برفع درجاته وتحسين مكانته ، وما إلى ذلك من المنازل العالية التي لا تحدها حدود ولا تحصرها قيود وعبر عن ذلك بالذكر لأن من يذكر شيئاً يعرف حقه ويدرك ما له وما عليه . وعلى ذلك فعل الإنسان دائماً - خاصة المسلم أن يذكر الله على كل حال وفي أى وقت لئلا يُحرم من فضل الله .

ففي الآية حث على الذكر ودعوة إليه لما ذكرناه .

وبعد الأمر بالذكر وبيان فائدته جاء الأمر بالشكر ، وقدم الأمر بالذكر على الأمر بالشكر لأن الذاكر مشغول بالله تعالى والشاكر مشغول بالنعمة والاشتغال بالله أولى من الاشتغال بالنعمة . ومن لا يشكر الله كافر بنعمه ونعم الله كثيرة . . إنها لا تحصى : وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ومن داوم على شكر الله زاده سبحانه من نعمه .

(لئن شكرتم لأزيدنكم) .

والذاكر الشاكر راض وهو بذلك سعيد في دنياه حتى إذا لقي الله سبحانه فرح بقاء ربه .

في حياة الشهداء في سبيل الله

حياة الشهداء ، حياة أرواح فقط ، إلا أنها أرق من حياة غيرها بدليل قول النبي ﷺ أرواح الشهداء في حواصل طير خضر في رياض الجنة ، ثم تأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش .

غير أن الآية الكريمة تنص بدلالة اللفظ على أنه لا ينبغي لأحد أن يقول في الشهداء إنهم أموات بدليل قوله تعالى : (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ^(٥٧)) .

وللشهداء خاصية أخرى بالنسبة لأجسادهم ، فإنها تبقى بحالها حتى تبعث أرواح أصحابها متصلة بها .

تلك الخاصية ليست لأحد سواهم إلا الأنبياء الصديقين والعلماء العاملين ، وبالإستثناء وجد أجسام كثير من المشهود لهم بالصلاح والثقى باقية في قبورها بحالها لم يصبها شيء من البلى .

في تفسير قول الله تعالى :

(قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) ^(٥٨) ،
وفي قول الله تعالى : (واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم ، والفتنة أشد من القتل ، ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين) ^(٥٩) .

قال الله تعالى : في سورة البقرة في الحث على الجهاد : (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ، واقتلوهم حيث ثقتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل) .

وقال في آية أخرى : (يستلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير ، وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل) .

• • •

والمعنى : روى أنه عليه السلام بعث عبد الله بن جحش على سرية في جادى الآخرة ليرصد عيراً لقريش فيهم عمرو بن الحضرمي وثلاثة معهم فقتلوه وأسروا اثنين واستاقوا العير وكان ذلك في غرة رجب وهم يظنون جادى . فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام الذى آمن فيه الخائف ويتفرق فيه الناس إلى معاشهم فسفك فيه الدماء وأخذ الأسارى ، فشق ذلك على أصحاب السرية فترلت الآية : والمعنى أنهم يستعظمون القتال في الشهر الحرام ، وما فعلوه من الصد عن سبيل الله والكفر به والمسجد الحرام وإخراج المسلمين من ديارهم أكبر من القتال في

(٥٧) سورة البقرة - آية (١٥٤) .

(٥٨) سورة البقرة - آية (١٩٠) .

(٥٩) سورة البقرة - آية (١٩١) .

الشهر الحرام ، والأفطع منه فتنة المسلمين عن دينهم والشرك في الحرم أشد قبحاً فلا تبالوا أيها المسلمون بقتالهم في أى مكان وأى زمان .

والذى يرى المنكر يرتكب يجب عليه أن يغيره بأى نوع من أنواع التغيير . ولا يسكت عنه ، فمن وصايا لقمان لابنه : (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور) .

وحديث الرسول ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

في تفسير قول الله تعالى :

(أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) . إلى آخر الآية (٦٠) .

• • •

أما قوله تعالى : (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) فإنه نزل لإزالة لبس حدث في أول تشريع الصيام ، وذلك أن بعض المؤمنين ظن أن اتصال الرجل بزوجه ومباشرته لها محرم ليلاً ، كما هو محرم نهاراً ، فبين الله لهم أن الرفث وهو مباشرة الرجل زوجته ليس بمحرم في ليالي رمضان ، وإن كان محرماً في نهاره .

في تفسير قول الله تعالى :

(ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) (٦١) .

• • •

إن هذه الآية الكريمة تتضمن دعاءً مباركاً وقد كان رسول الله ﷺ يرددتها كثيراً ، روى الإمام أحمد عن عبد العزيز بن صهيب قال : سأل قتادة أنساً ، أى دعوة كان أكثر ما يدعوها النبي ﷺ ؟ قال : يقول : « اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » . وكان أنس رضى الله عنه إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها :

(٦٠) سورة البقرة - آية (١٨٧) .

(٦١) سورة البقرة - آية (٢٠١) .

ولقد حدث عبد السلام بن شداد كما يذكر ابن كثير - قال كنت عند أنس بن مالك فقال له ثابت إن إخوانك يحبون أن تدعو لهم قال :

« اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

وتحدثوا ساعة حتى إذا أرادوا القيام قال يا أبا حمزة إن إخوانك يريدون القيام فادعوا الله لهم فقال : أتريدون أن أشقى لكم الأمور ؟ إذا آتاكم الله في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، ووقاكم عذاب النار فقد آتاكم الخير كله .

والحسنة في الدنيا أوسع من أن تخصص بباب من أبواب الخير دون غيره فهي شاملة لجميع أنواع الخير ، وقد جمعت كما يقول الإمام ابن كثير كل خير في الدنيا وصرفت كل شر ، فإن الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ، ودار رحمة ، وزوجة حسنة ، ورزق واسع ، وعلم نافع وعمل صالح ، ومركب حصين وثناء جميل ، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبادات المفسرين ، ولا منافاة بينها فإنها كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا .

وأما الحسنة في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة ، وتوابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرضات وتيسير الحساب وغير ذلك من أمور الآخرة الصالحة . وقبل أن نترك الكلام عن هذه الآية الكريمة نذكر ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ عاد رجلا من المسلمين قد صار مثل الفرخ فقال له رسول الله ﷺ :

هل تدعو الله بشيء أو تسأله إياه ؟ قال نعم : كنت أقول :

اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا ، فقال رسول الله ﷺ : سبحان الله ، لا تطيقه أولا تستطيعه فهلا قلت :

(ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) .

قال فدعا الله فشفاه . والله أعلم .

في قوله تعالى :

(نساؤكم حرثٌ لكم فاتوا حرثكم أنى شئتم وقداموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملائقوه وبشر المؤمنين) (٦٢) .

• • •

يقول الإمام السجستاني في غريب القرآن عن هذه الآية :

الحرث هو إصلاح الأرض وإلقاء البذر فيها ويسمى الزرع الحرث أيضاً :

ولما كانت النساء مواضع النسل وما ينبغي فيهن من نطف الرجال فقد شبهتهن الآية الكريمة بالأرض التي هي موضع الإنبات والزرع . فنطفة الرجل التي تلقى في الرحم فيكون منها الولد كالبذر الذي يلقى في الأرض لإنبات الزرع . فيكون معنى الآية الكريمة : نساؤكم مواضع نسلكم كالأرض موضع حرثكم فكما تأتون أرضكم لإصلاحها ، وإلقاء البذر فيها من أى جهة شتم فأتوا نساءكم من أى جهة شتم ما دام الإنبان في موضع الحرث أى « القبل » إذ هو موضع المرأة فلا حرج أن تأتيه من الأمام أو من أى جهة تشاء .

وقدموا الخير الذى أمركم الله به لأنفسكم وذلك شامل لصالح الأعمال ، قال تعالى :
(وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً) .

وقيل هو طلب الولد وقيل هو التسمية عند غثيان الزوجة ومن الأدعية الماثورة في هذه الحالة « بسم الله اللهم جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقني » ولا مانع أن يشمل ذلك كله ، واتقوا الله وخافوا ربكم وراقبوه في جميع أحوالكم فافعلوا ما أمركم به واجتنبوا ما نهاكم عنه واعلموا أنكم مُلاقوه ، فمجازيكم على أعمالكم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره .

وبشر المؤمنين الذين يعملون خير الأعمال ويتركون قبيحها . روى أن اليهود كانوا يقولون : مَنْ جَامَعَ امرأته من الخلف في قبلها جاء ولدها أحول فذكر ذلك درسول الله ﷺ فقال صلوات الله وسلامه عليه كذبت اليهود ونزلت الآية :

يقول الإمام الزمخشري في تفسير الكشاف وقوله تعالى : (فأتوا حرثكم أنى شتم من الكتابات اللطيفة والتفويضات المستحسنة ، وهذه وأشباهها في كلام الله لقوله هو أذى فاعتزلوا النساء ، وقوله فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ، آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مللها في محاوراتهم ومكاتباتهم .

أما آية : (يأيتها الذين آمنوا ليسأذنكم الدين ملكت أيمانكم . . . الآية (٥٨) من سورة النور فقد اشتملت على كثير من الآداب الحميدة والتوجيهات السديدة ، ومن هذه الآداب الحميدة والتوجيهات السديدة ومن هذه الآيات يجب أن يأخذ الآباء بها أولادهم الذين لم يبلغوا الحلم بعد ، كما يؤدب بها الإمام والعبيد . والاستئذان قبل الدخول في ثلاث حالات قد يكون الإنسان فيها مكشوف العورة أو هو معرض لكشفها ، لأنه في هذه الحالات الثلاثة غالباً ما يخلع ملابسه ويستبدل بها من الملابس أو الغطاء ما لا يؤمن معه كشف ما لا يحسن كشفه أما الإمام

أو الأطفال وهذه الأوقات الثلاثة وقت القيلولة وبعد صلاة العشاء وقبل صلاة الفجر وقد سماها القرآن عورات ثلاث ، إذ فيها يختل نظام الإنسان في ملبسه على الوجه الذي شرحنا «بقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) أمر الله سبحانه المؤمنين بأن يؤدبوا عبيدهم وإماءهم وكذلك أطفالهم الذين لم يبلغوا من التكليف بهذا الأدب الإسلامي الجميل ، وهو الاستئذان قبل الدخول بملبسهم ثلاث مرات في اليوم والليلة هي : من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة - أى تخلعوها في القيلولة - ومن بعد صلاة العشاء هذه الأوقات الثلاثة لا يجوز دخول الصغار والإماء فيها إلا بعد الاستئذان لتكونوا قد سترتم فيها ما عساه أن يكون قد انكشف من عوراتكم فقبل صلاة الفجر وقت القيام من النوم وطرح الثياب التي ينام فيها ، ووقت الظهيرة تخلع الملابس للقيلولة وبعد صلاة العشاء وقت التجرد من ثياب البقطة وارتداء ثياب النوم ، أما عدا هذه الأوقات الثلاثة فلا حرج عليكم في أن تدخل إماءكم وصغاركم عليكم فيها ، بلا استئذان لأنهم يطوفون عليكم لخدمتكم وتطوفون عليهم لاستخدامهم وطلب ما يحتاجون إليه منهم .

ليس عليكم جناح بعدهن أى بعد الأوقات الثلاثة المذكورة (طوافون عليكم بعضكم على بعض) أى بعضكم طائف على بعض ، فالحاجات بينكم وبينهم متداخلة وللمصالح متشابهة والأمر بالاستئذان في كل وقت يؤدي إلى الحرج (كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) أى مثل ذلك البيان والتوضيح يوضح الله لكم آياته والله عليم حكيم بأحوالكم وما يصلح أمركم ، حكيم فيما يشرعه لكم من آداب وأحكام .

روى عن مدلج بن عمرو - وكان غلاماً أنصاريًا - أرسله رسول الله ﷺ وقت الظهيرة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه : فقال عمر : لوددت أن الله عز وجل نهى آباءنا وأبنائنا وخدمنا ألا يدخلوا علينا هذه الساعات إلا بإذن ثم انطلق معه إلى النبي ﷺ فوجده وقد أنزلت عليه هذه الآية : وهي إحدى الآيات المترلة بسبب عمر رضي الله عنه وقيل نزلت في أسماء بنت أبي مرشد قالت : إنا لدنخل على الرجل والمرأة ولعلها يكونان في لحاف واحد - وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فأتى رسول الله ﷺ فقالت : إن خدمنا وغلاننا يدخلون في حال نكرهما - فترلت الآية الكريمة :

في تفسير قول الله تعالى :

(وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ)

فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف ، والله بما تعملون خبير^(٦٣) .

• • •

والمعنى أن الذين يموتون ويتركون زوجات لهم : يجب على الزوجات أن ينتظرن بدون تعرض للزواج ولا يصح العقد عليهن في مدة أربعة أشهر وعشرة أيام ، فإذا انتهت تلك المدة فلا إثم ولا حرج على ولاية أمورهن في السماح لهن بالتزين والتجمل والتعرض للزواج في حدود ما هو معروف في الشرع ، والله ، سبحانه وتعالى : بما تعملونه خبير ، فلا يخفى عليه شيء من التحايل في مخالفة المعروف في شرعه ودينه .

ويؤخذ من هذه الآية الكريمة ، أن عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام . ولكن آية في سورة الطلاق خصصت تلك الآية بغير الحامل حيث قال الله تعالى : (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) .

والمقصود من المعروف ما يقره الشرع من التزين المقبول ، فإذا تبرجت النساء أو تزين بما يخالف الشريعة الغراء أثمن ووجب على ولاية أمورهن منعهن .

في تفسير قول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفِي حَمِيدٌ^(٦٤)) .

• • •

يأمر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة عباده المؤمنين بالصدقة من طيبات أموالهم ، قال حبر الأمة ابن عباس رضى الله عنهما : أمرهم بالإِنفاق من أطيب المال وأجوده وأنفسه . ونهاهم عن التصدق براذلة المال ودنيته وهو خبيثه فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً .

ويقول الإمام ابن كثير : ولهذا قال : (ولا تيمموا الخبيث) أى تقصدوا الخبيث ولستم بآخِذيه إلا أن تغمضوا فيه) أى لو أعطيتموه ما أخذتموه إلا أن تتفاضوا فيه فالله أغنى عنه منكم فلا تجعلوا لله ما تكرهون .

والهدف الذى من أجله ذكرنا هذه الآية الكريمة هو أن كثرة الثواب في الصدقة تابعة لطيب المتصدق به وجودته فإن كانت فضلات الطعام هى الأطهر الأنفس الأجود فتوابها أكثر .

(٦٣) الآية (٢٣٤) من سورة البقرة .

(٦٤) الآية (٢٦٧) من سورة البقرة .

على أن كثرة الثواب في الصدقة متعلق بأمر ثان أيضاً هو صفاء المتصدق وإخلاصه وإرادة وجه الله سبحانه في تصدقه .

والخلاصة أن كثرة الثواب على الطيب من الصدقة أى أن تكون المتصدق به طيباً في النوع وطيباً من حيث نية المتصدق .
يقول الله تعالى :

(لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ) .

ويقول رسول الله ﷺ :

« إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ »

فعلى قدر جودة المتصدق به وعلى قدر صفاء المتصدق يكون الثواب .

في تفسير قول الله تعالى :

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بسم الله الرحمن الرحيم يقول الله تعالى : (فلما أحسن عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الخواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ^(٦٥)) .

ما يتعلق بالفردات :

أحسن عيسى : أى علم ويقول أبو منصور اللغوى : يقال أحسست بالشئ . وحسست . وقول الناس في المعلومات محسوسات خطأ . والصواب المحسّات ، فأما المحسوسات فهي المقتولات يقال حسه إذا قتله .

والأنصار : الأعوان . واستنصرهم طلب عونهم على إقامة الحق وبيان أمر الله الموحى به .
والخواريون : هم كما يقول الإمام ابن عباس أصفياء عيسى ، ويقول الفراء هم خواص عيسى . أما الخواريون في اللغة فهم الذين طهروا من كل عيب .
وهؤلاء الخواريون كانوا اثني عشر رجلاً . وكانت صناعتهم صيد السمك كما يقول الإمام ابن عباس رضى الله عنهما .

لقد استجاب هؤلاء للدعوة إلى الله وقالوا في صدق وإخلاص نحن أنصار الله . والدعوة إلى الله والاستجابة إلى هذه الدعوة معناها الإيمان الصادق بالتوحيد الخالص .
والتوحيد الخالص في الماضي وفي الحاضر وفي كل مكان وفي كل زمان إنما هو الإيمان بأن الله

وحده هو المتصرف في الكون لا شريك له في الذات ، ولا شريك له في الفعل ، من خلق ورزق وإعطاء ومنع وحياة وموت .

وقد بين القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة هذه العقيدة في استفاضة وفي دقة لا مزيد عليها .

وليس في العالم الآن نص مقدس للأسلوب الإلهي يشرح الإيمان بالله كما يشرحه القرآن . والكلمة التي تعبر عن هذا في إحاطة شاملة وفي عمق عميق هي كلمة الإسلام . ومن أجل ذلك عبر الحواريون عن شعورهم العامر بالإيمان بالله بقولهم لعيسى عليه السلام : واشهد بأننا مسلمون .

وإذا أردنا شرحاً لكلمة الحواريين واشهد بأننا مسلمون فإننا نقول : إن رسولنا ﷺ : سئل عن الإسلام ما هو فقال : أن يسلم لله قلبك وأن يسلم المسلمون من لسانك ويذك . لقد أسلم الحواريون قلوبهم لله فأصبحوا مسلمون ، والإسلام بهذا المعنى هو التوحيد . وإذا وجد الإنسان ربه فإنه يسير في جو : إياك نعبد وإياك نستعين : وجو إياك نعبد وإياك نستعين هو الجو الإسلامي الصادق وهو جو الأنبياء في رسالتهم الصافية . إن سيدنا نوحاً يقول : وأمرت أن أكون من المسلمين .

لقد أمر أن يسلم قلبه لله تعالى ، وأمر أن يدعو قومه إلى ذلك . يقول الله سبحانه وتعالى : (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنى لكم نذير مبين ، أن لا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) .

وأما هود فقد قال لقومه : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . وصالح أيضاً قال : يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، وكل الرسل أمروا بالتوحيد وأمروا به أى أمروا وأمروا بإسلام القلب لله ، وكانوا بذلك مسلمين ، وكانوا بذلك يسرون على منهج إياك نعبد وإياك نستعين . وكان الحواريون مسلمين بهذا المعنى :

والإسلام بهذا المعنى هو الدين : إنه الدين في إطلاقه المطلق زماناً ومكاناً ، وفي تحديده المحدد في القلب ، وفي السلوك وهو بذلك الدين عند الله . إن الدين عند الله الإسلام .

وإذا كان ما قدمنا منطقاً دقيقاً لقضية (إن الدين عند الله الإسلام) ولا يتارى في ذلك أحد - فإن معنى ذلك أن إسلام القلب لله هو الدين منذ الأزل ، ولقد جاءت الرسل به ، وبكيفية الوصول إلى تحقيقه في القلب والشعور ، لقد حققه الحواريون .

وتابع الحواريون حديثهم قائلين (ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكبتنا مع الشاهدين) .
وما من شك في أن من اتبع الرسول على الوضع السليم فإنه يسلم قلبه لله ، ومن أسلم قلبه لله
فإنه يكون بذلك قد هيا نفسه ليكتبه الله مع الشاهدين .
والشاهدون هم الصادقون المخلصون في إيمانهم . اعترفوا به قولاً وصدقوا قلباً ، . وأقاموه
بجوارحهم .

أما كيفية إسلام القلب لله في العصر الحاضر ، فقد تكفل بها القرآن الكريم في تفصيل مفصل
وفي دقة دقيقة بالأسلوب الإلهي نفسه الذي قال الله عنه (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

في معنى قوله تعالى :

(ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين) (٦٦)

• • •

هذه الآية من آيات سورة آل عمران المباركة ، وسورة آل عمران تتحدث فيما تتحدث عنه -
عن عقيدة التوحيد لله سبحانه ، وهذه العقيدة هي جوهر عقيدة الإسلام التي قررها رب العزة
وشهد بها هو وملائكته وأولو العلم فقال في السورة (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو
العلم قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، إن الدين عند الله الإسلام) .
وقد جاءت الآية المشثول عنها في هذا الإطار من الدعوة إلى التوحيد ونبد غيره من الأديان ،
سواء كانت ديانات صحيحة ثم حرفت أو اتجاهات فكرية فاسدة أدت إلى الشرك والإلحاد كعقائد
الوثنية والشيوعية وغيرها .

ولكى يزداد الجواب وضوحاً نجب أن نقول : إن الآية الكريمة المذكورة سبقت بآيات أربع
تقرر عقيدة الإسلام منذ الأزل فهي دعوة الرسل كلهم جميعاً منذ آدم عليه السلام إلى عيسى عليه
السلام بأن يكون من جوهر رسالتهم ودعوتهم إلى الله أن يؤمنوا بمحمد ﷺ خاتم الأنبياء
وينصروه وإن بعث بعدهم مع ما آتاهم الله من علم ونبوة كريمة وحكمة .

وقد أقرروا جميعاً عليهم السلام وشهدوا وشهد الله معهم على هذا الميثاق وتوعد الله من ينقض
هذا العهد بالعذاب ووصفه بالفسوق والعصيان ، ثم ينكر الله سبحانه على من أراد ديناً سوى دين
الله الإسلام القائم على التوحيد الذي جاءت به الرسل ونزلت به الكتب ثم أمر رسوله الكريم ﷺ
أن يسلك نفسه في هذا العهد والميثاق من دعوة الرسل لله المسماة بالإسلام لا يفرق بين أحد منهم

ويؤمن بهم جميعاً كما آمنوا به في العهد والميثاق الذي أخذ عليهم ، ويعلم في صراحة ووضوح أن دينه وهو دين (الإسلام) ما هو إلا امتداد وإكمال لدعوة مَنْ سبقه من الرسل والأنبياء . ثم تأتي بعد ذلك الآية المستول عنها ليقرر فيها الحق سبحانه أن من سلك طريقاً آخر غير الإسلام أباً كان هذا الطريق سواء كان ديناً محرّفاً عن وجهه الصحيح ، أو عقيدة فاسدة قامت على اتباع الهوى وميل النفس والشيطان ، كل ذلك لن يقبل من صاحبه لأنه منها حل من الفضائل فهو بعيد عن أمرين :

الأمر الأول : عقيدة التوحيد لله سبحانه .

والأمر الثاني : الإيمان بالله والرسول الخاتم سيدنا محمد ﷺ ، وبدون هذين الأمرين لا تقبل عقيدة منها كانت : أما الآيات فهي قوله سبحانه :

(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمننَّ به ولتنصرنه قال : أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ، قالوا : أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ، فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)
(أفعير دين الله يبعون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون . قل أما بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون) .
ثم جاءت الآية الكريمة بعد ذلك قائلة .
(ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين .)

في قوله تعالى :

(فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين^(٦٧))

• • •

معنى الآية كما ورد في كتاب الكشاف للزخشري وروح المعاني للألوسي وتفسير الحافظ وابن كثير وغيرهم ، فمن حاجك أى جادلَكَ وخاصمَكَ من النصارى في شأن ليس من بعد ما جاءك من البيانات الموجبة للعلم فقل : « تعالوا » أى هلموا ندع كل منا ومنكم أبناءه ونفسه إلى المباحلة ،

ثم تتباهل بأن نقول : مبهلة الله « أى لعنة الله على الكاذب منا ومنكم ، يقول الزمخشري : المبهلة بالفتح والضم لعنة وبهله الله ، لعنه وأبعده من رحمته ، من قولك أبهله إذا أهمله ، وأصل الابتهال هذا ، ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه ، وإن لم يكن التعاناً يقول العلامة ابن كثير في تفسيره : وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا وفد نجران : إن النصارى لما قدموا على رسول الله ﷺ فجعلوا يحاجون في عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من النبوة والإلهية فأنزل الله صدر هذه السورة ردّاً عليهم ، قال الإمام محمد بن إسحق بن بصار في سيرته المشهورة وغيره : قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكباً ، فيهم أربعة عشر رجلاً من أشرافهم يثول أمرهم إليهم وهم : العاقب واسمه عبد المسيح وهو الأبهم ، وأبو حارثة ابن علقمة أخو بكر بن وائل ، وأويس بن الحارث ، وزيد وابناه وخويلد ، وعمرو وخالد وعبد الله ومحسن . وأمر هؤلاء يثول إلى ثلاثة منهم وهم : العاقب وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيهم ، والسيد كان عالمهم وصاحب رحلهم وجمتمعهم ، وأبو حارثة بن علقمة وكان أسقفهم وصاحب مدارسهم ، وكان رجلاً من رجال العرب من بنى بكر بن وائل ولكنه تنصر فعظمته الروم وملوكها وشرفوه وبنوا له الكنائس ، واخدموه لما يعلمونه من صلابته في دينهم . وكان يعرف أمر رسول الله ﷺ . وصفته وشأنه مما علمه من الكتب المتقدمة ، ولكنه استمر في النصرانية لما يرى من تعظيمه فيها وجاهه عند أهلها قال ابن إسحاق وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال : قدموا على رسول الله ﷺ المدينة فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر ، عليهم ثياب الحبرات جيب وأردية يقول ، من رأيهم من أصحاب النبي ﷺ ما رأينا بعدهم وقدأ مثلهم ، وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : (دعوهم) فصلوا إلى المشرق قال : فكلم رسول الله ﷺ من أبى حارثة بن علقمة والعاقب عبد المسيح ، والسيد الأبهم وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون هو الله ، أى (عيسى) ويقولون هو ولد الله ، ويقولون هو ثلاثة ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً . وفي كل ذلك من قولهم نزل القرآن .

فلما كلمه حبران قال لهما رسول الله ﷺ « أسلما » قالا قد أسلمنا قال : إنكما لم تسلما فأسلما « قالا : بلى قد أسلمنا قبلك قال : كذبتا . بمنعكما من الإسلام ادعاؤكما أن الله ولدأ وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير .

قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت رسول الله ﷺ فلم يجيبها فأنزل الله في ذلك قولهم أمرهم سورة آل عمران في بضع وثمانين منها .

وجاء في تفسير الألوسي أن رسول الله ﷺ لما تلا عليهم قوله تعالى :
(إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) قالوا : إن
ما نعرف ما تقول ونزل (فمن حاجك . .) الآية .

فقال لهم رسول الله ﷺ إن الله تعالى قد أمرني إن لم تقبلوا هذا أن أباهلكم ه فقالوا
يا أبا القاسم بل نرجع فننظر في أمرنا ثم نأتيك ، وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن طريف عطاء
والضحاك عن ابن عباس أن ثمانية من أساقفة أهل نجران قدموا على رسول الله ﷺ منهم العاقب
والسيد فلما نزلت آية المباهلة قالوا : أخرنا ثلاثة أيام فخلا بعضهم ، وتصادقوا فيما بينهم .
قال السيد للعاقب ، قد والله علمتم أن الرجل نبى مرسل ، ولئن لاعتموه إنه ليستأصلكم
وما لآعن قوم نبياً قط ، فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، فإن أنتم لم تبصروه تبصرة ، وأيتم
إلا ألف دينكم ، فوادعوه وارجعوا إلى بلادكم .

وقد كان رسول الله ﷺ خرج ومعه على والحسن والحسين وفاطمة فقال رسول الله ﷺ ه إن
أنا دعوت فآمنوا أنتم ، فأبوا أن يلاعنوه ، وصالحوه على الجزية .
وعن الشعبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد أتاني البشير أهل نجران حتى الطير على
الشجر لو تموا على الملائكة .

وروى أن أسقف نجران لما رأى رسول الله ﷺ مقبلاً ومعه على وفاطمة والحسان رضي الله
عنهم قال : يا معشر النصارى إنه رأى وجوها لو سألو الله تعالى أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله
فلا نباهلو فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة فقالوا : يا أبا القاسم رأينا أن
لأبناهلك وأن نفرك على دينك وثبت على ديننا ونصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا عن ديننا
على أن تؤدى إليك كل عام ألفى حلة ، ألف في صفر وألف في رجب وثلاثين درعاً عادية من
جديد ، فصالحهم على ذلك وقال : والذي نفسي بيده أن الهلاك قد تدلى على أهل نجران ، ولو
لاعنوا مسخوا قرده وخنازير ولاضطرم عليهم الوادى ناراً ولا استأصل الله نجران وأهله حتى يطيروا
على رهوس الشجر ، ولما حال الحول على النصارى وكلهم حتى يهلكوا .
وبعد فالسائل بعد هذا البيان قد عرف الإجابة عن كل ما أورد من أسئلة . والله الموفق .

في تفسير قوله تعالى :

(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً)

ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون^(٦٨) .

• • •

أرسل رسول الله ﷺ كتباً إلى النصارى يدعوهم فيها إلى الإسلام وفي هذه الكتب قوله تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم) وهى آية من القرآن الكريم وفي بعضها ، قوله تعالى : (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) وهذا نص قرأتى ، وأرسل رسول الله هذه الكتب وهو يعلم أن هؤلاء النصارى يمسونها ، وقد يكون أحدهم جنباً ، ومن هنا رأى الإمام داود الظاهرى والإمام ابن حزم والإمام البخارى : إنه يجوز مس المصحف للجنب ، أما من حرم ذلك فإنما حرمه تعظيماً للمصحف وتكريماً . وتعظيم المصحف وتكريمه تقتضى أن يرفع المسلم المصحف مباشرة إذا رآه مُلقى في نجاسة ولو كان جنباً فإذا تركه فإنه يكون آتماً بتركه ، وإذا رفعه ولو كان جنباً فإنه يُثاب على رفعه وقوله تعالى (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون . لا يحسه إلا المطهرون) « فسرهما الإمام البيضاوى - على أحد مذاهب التفسير - بقوله : « في كتاب مكنون » : مصدق ، وهو اللوح المحفوظ لا يحسه إلا المطهرون ، لا يطلع على اللوح إلا المطهرون من الكدورات الجسمانية وهم الملائكة .

ويجوز إعطاء المصحف لغير المسلم لإصلاحه إذا كان ممزقاً أو لتجليده إذا لم يوجد مسلم يقوم بهذا العمل ، أما إذا وجد مسلم يقوم بذلك فهو أولى : وذلك لأن المسلم - لإيمانه يعظم المصحف ويحترمه ، أما غير المسلم - لعدم إيمانه بالقرآن لا يتحرى الاحترام والتكريم .

في قول الله تعالى :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم . منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون^(٦٩)) .

• • •

بين الله سبحانه وتعالى السبب في خيرية الأمة الإسلامية وذلك هو قيامها فرداً فرداً بالأمر بالمعروف ، والمعروف الذى تقدم الأمة الإسلامية على الأمر به هو الحق ، وهو الخير ، وهو الفضيلة ، وهو العدل ، وهو الرحمة ، وهو كل هذه الآداب السامية والشم الجميلة التى أتى بها

(٦٨) آل عمران آية (٦٤) .

(٦٩) سورة آل عمران - آية (١١٠)

الإسلام والتي يتضمنها الإيمان مبنية بإمالة الأذى عن الطريق حتى تنتهى بشهادة أن لا إله إلا الله .

والمنكر الذى تحاربه الأمة الإسلامية وتنتهى عنه إنما هو الرذيلة بجميع ضروبها ، وهو الظلم على اختلاف ألوانه ، وهو التعدى غدرًا وخيانة ، وهو كل ضرب من ضروب البطش والجبروت . إن الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس لأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر ثم لإيمانها بالله الذى حدد الله فى نطاقه تحديدًا كاملاً الخير والشر .

ومبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من المبادئ التى اهتم الله سبحانه ورسوله بتوطيده وتوطيداً محكمًا . ولقد أمر الله به ورتب عليه الفلاح فقال سبحانه : ولتكن منكم أمة ، وإذا كانت الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس لهذا فإن الله لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل لأنهم ما كانوا يقومون بهذا المبدأ فقال سبحانه : (لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل . . .) الآية .

ولقد بين رسول الله ﷺ عاقبة اتباع مبدأي : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهى النجاة ، وعاقبة إهمالها وهى الفرق فقال فى حديث رائع : مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : إنا خرقنا فى نصيبنا حرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً .

فى قوله تعالى :

(وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين (٧٠)) .

• • •

هذه الآية نزلت تعقيباً على ما حدث فى غزوة أحد حينما أشيع بين الناس أن محمداً ﷺ قد قتل ورأى بعض الصحابة أن الحاجة إلى القتال قد انتهت وخارت عزائمهم ، ولكن بعض الصحابة ثبتوا فى مواقعهم وتمسكوا بالقتال . . عن أنس رضى الله عنه أن عمه أنس بن النضير غاب عن قتال بدر فقال : غبت عن أول قتال قاتله النبي ﷺ للمشركين لأن أشهدنى الله قتالاً للمشركين

ليرين ، ما أصنع . فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون ، فقال : اللهم إني أعوذ بك عما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعني المشركين ثم تقدم فلقبه سعد بن معاذ دون أحد ، فقال سعد : أنا معك قال سعد : فلم أستطع أصنع ما صنع . فوجد فيه بضع وثمانون من بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم ، قال : فكنا نقول : فيه وفي أصحابه نزلت (لنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر) .

ونزلت الآية الكريمة : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) وبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن الدين والرسالة لا يرتبطان بحياة الرسول ﷺ الدنيوية أو انتهاء هذه الحياة فالمؤمن حقاً يدافع عن الدين .

في تفسير قول الله تعالى :

(الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم ، الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم (٧١)) .

• • •

يقول الله تعالى في سورة آل عمران :

(الذين استجابوا ذو فضل عظيم) الآيات

لقد نزلت هذه الآيات الكريمة في جملة ما نزل من آيات في غزوة أحد ، ولقد كان في غزوة أحد دروس وعظات كثيرة ، وكانت عاقبة هذه الغزوة خيراً بالنسبة للمسلمين ، فقد علمتهم أموراً كثيرة تذكر منها أمراً واحداً فقط هو :

أن يلتزموا التزاماً تاماً بأمر القائد مهما كانت الظروف ، ومهما صور لهم خيالهم أنهم أصبحوا في حيل من مخالفة الأمر . وذلك أنهم رأوا بأعينهم بغية مخالفة الأمر وهو ما بدا من مظهر الهزيمة . وما إن انتهت المعركة بهذا المظهر حتى ركب الأعداء راجعين إلى مكة ، ولكن المسلمين ظنوا أن الأعداء ركبوا مسرعين من أجل الذهاب إلى المدينة ، وكان هذا هو المنطق الطبيعي لغلبتهم : أن يذهبوا إلى المدينة ليقضوا على الإسلام نهائياً .

فدعا رسول الله ﷺ المسلمين للنهوض من كبوتهم والاستعداد لسبق العدو إلى المدينة إذا كان حقاً ذاهباً إليها . ولمَّ المسلمون شعثهم وضمدوا جراحهم وحفزهم الإيمان والثقة في الله على النشاط والعمل ، واستجابوا بذلك لله ورسوله من بعد ما أصابهم القرع : أى نالهم الجراح والطعنات والضَّرَّ على جميع ألوانه يوم أحد .

فوعد الله سبحانه وتعالى الذين أحسنوا منهم وانقوا الأجر العظيم . وهل ذهب المشركون إلى مكة دون تردد أو تلاوم ؟

كلا فإنهم حين سار بهم الطريق عادوا إلى أنفسهم يتساءلون أكانت المعركة فاصلة ؟ أحسنوا في العودة إلى مكة ؟ وأخذوا يترددون ويتلاومون ويحيلون الرأى فيما بينهم ثم رأوا أن يذكروا بالمسلمين ليروا أثر الهزيمة في نفوسهم فأرسلوا إليهم يذكرون فيها أنهم قد جمعوا لهم جموعهم من جديد ليستأصلوا عن آخرهم .

وحين بلغت هذه الرسالة التي حاول المشركون أن يظهروها بمظهر الرسالة العرسية استعد المسلمون استعداداً كاملاً للمعركة من جديد . وعبر القرآن عن ذلك في أسلوب جميل وفي روح قوبة وفي معنى من الإيمان عميق . يقول الله تعالى : (الدين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) . فلما كان ذلك رد الفعل في نفوسهم أثابهم الله تعالى على ذلك بما عبر سبحانه وتعالى عنه بقوله .

(فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم) .

في قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا ^(٧٢)) .

• • •

قال ابن عباس في هذه الآية . كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامراته إن شاء بعضهم تزوجها . . وإن شاءوا زوجوها وإن شاءوا لم يزوجوها ، فهم أحق بها من أهلها فترلت هذه الآية :

وفي بعض الروايات عنه : أن الرجل كان يرث امرأة ذى قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد إليه صداقها ، فأحكم الله تعالى عنه بذلك أى نهى عن ذلك .

وقيل : كان الرجل إذا مات وترك زوجته ألقى عليها قربه ثوبه فمنعها من الناس فإن كانت جميلة تزوجها وإن كانت دميمة حبسها حتى تموت فيرثها فترلت الآية .
ولا يخفى ما كان في ذلك كله من تصرفات الجاهلية - من إهدار لحرية المرأة وكرامتها واستهانة بحقوقها ، فمنع الله تعالى وترك لها حرية اختيار من تقبله من الأزواج بعد انقضاء عدة الوفاة ، وارفع بها عن أن تكون مادة من المواد الموروثة عند الزوج .
فإذا ما انقضت العدة تقدم للزواج بالمرأة من شاء من الرجال من أقارب الزوج أو من غيرهم ، فمن قبلت الارتباط به حل له زواجها .
ويستوى على ذلك أى قريب للزوج ، فيجوز تزوجها من شقيقه ومن ابن عمه وابن خاله :
نعم لا يجوز لها الزواج من أبيه لأن الله تعالى جعل من المحرمات حلائل الأبناء أى زوجاتهم .
ولا يجوز لها الزواج من ابنه لأن الله تعالى قال .
(ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء) .
وما عدا ذلك من الأقارب يحل له الزواج منها . ويحل لها الزواج منه ، بعد العدة وبعد استيفاء شروط النكاح .

في تفسير الآية الكريمة وهي قوله تعالى :

(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم ، فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً (٧٣)) .

* * *

هذه الآية تعالج أموراً خطيرة من أمور الأسرة بصفاتها مجتمعاً صغيراً يحتاج - ككل مجتمع من المجتمعات - إلى قائد يقوم على أمره ويسوس شئونه ويرجع إليه الأمر في إدارة السفينة ، فتقرر الآية الكريمة الشأن في القيام على النساء ورعايتهن وتوجيههن كما يوجه الراعى رعيته بالأمر والنهي ونحو ذلك هو للرجال .

يقول الإمام الألوسى في تفسيره (روح المعاني) : واختيار الجملة الاسمية مع صيغة المبالغة (الرجال قوامون على النساء) للايذان بعراقلة الرجال ورسوخهم في الاتصاف بما أسند إليهم .

وعلى سبحانه وتعالى : هذا الحكم بأمرين

أحدهما : فطرى خلق (بما فضل الله بعضهم على بعض) والآخر : فى الأصل التكوينى والخلقه فالشأن أن الرجال مها قاموا بفطرتهم وتكوينهم للقيام بهذه المهمة فهم قوامون على النساء بسبب تفضيل الله تعالى لهم عليهن ، ولذلك خصوا بالرسالة والإمامة الكبرى ، فلا تكون المرأة خليفة للمسلمين ، والإمامة الصغرى فلا تصل إماماً للرجال . كما خصوا كذلك بإقامة الشعائر كالأذان والإقامة والخطبة والجمعة والشهادة فى أمهات القضايا ، وجعلت شهادة المرأة نصف شهادة الرجل فى قضايا المعاملات .

قال تعالى : (واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تَفْضِلَ أحدهما فتذكر إحداهما الأخرى) .

الأمر الثانى : فى التعليل لهذا الحكم أمر كسبى وليس فطرياً والشأن أن يقوم به الرجال ، وهو قوله تعالى : (وبما أنفقوا من أموالهم) قال مجاهد : إنه المهر ، ويحوز أن يُراد به ما يعم المهر والإنفاق عليهن ، فالرجال هم الذين يدفعون المهور للنساء وهم الذين يجب عليهم الإنفاق عليهن حتى ولو كنَّ غنّيات بما لهن الخاص بهن .

ثم بينت الآية بعد ذلك المنهج الذى يسلكه الرجال إذا نشزت المرأة وخرجت على طاعته من وعظ وهجر فى المضاجع وضرب غير مبرح ، فإذا أطاعت واستقام أمرها فلا سبيل لبغى الرجل عليها أو طلاقه لها ، (واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا)

ولعله من المفيد أن نبين سبب نزول هذه الآية ليتبين للناس مدى عناية شرع الله تعالى بأمر الأسرة وما يصلح شأنها يقول : الألوسى : والآية كما روى عن مقاتل : نزلت فى سعد بن الربيع ابن عمرو ، وكان من النقباء وفى امرأته حبيبة بنت زيد بن زهير وذلك أنها نشزت عليه فلطمها .

فانطلق أبوها معها إلى النبي ﷺ فقال : أفرشته كريمتى فلطمها . فقال النبي ﷺ لتقتنص من زوجها . فانصرفت مع أبيها لتقتنص منه ، فقال النبي ﷺ : ارجعوا هذا جبريل عليه السلام : (أتانى) وأنزل الله هذه الآية : الرجال قوامون على النساء . . إلخ .

فتلاها ﷺ ، ثم قال : أردنا أمراً وأراد الله تعالى أمراً والذى أَرادَه الله تعالى خير . . وقال الكلبي نزلت فى سعد بن الربيع وامرأته خولة بنت محمد بن سلمة وذكر القصة وقد استدل بالآية على أن للزوج تأديب زوجته ، وأن عليها طاعته لا فى معصية الله تعالى ، وأن أفضلية الرجل على المرأة إنما بالفطرة والتكوين والخلق حتى إن كان فقيراً فققر الرجل لا يحل المرأة أفضل منه .

في تفسير قول الله تعالى :

(حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَتَزِيرِ وَمَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ (٧١)) .

• • •

أول في الآية الكريمة للجنس الشامل للبرى المتوحش والمستأنس الذى يُرى فى البيوت ويألف لأنه لم يرد من السنة تخصيص لبعض أنواعه دون البعض .

ونفهم من نص الآية الكريمة : أن أكل لحم الخنزير بصفة عامة حرام يجب البعد والكف عن تناوله والاجتناب الكلى عنه امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى واتباعاً لرسوله ﷺ ، فإنه الإمام والقدوة الحسنة الذى تجب متابعتة دون متابعة الذين يتناولونه من غير المسلمين .

وما أظن الذين يحرصون على تناول لحم الخنزير البرى مفرقين بينه وبين الخنزير الذى يرى فى البيوت ، إلا تابعين لغير المسلمين تحقيقاً لمعجزة النبي ﷺ فى الذين يخالفون عن أمر الله وعن أمر الرسول ﷺ حيث يقول : « لتبعن سنن من قبلكم شبراً شبر ، وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب خرب لسلكموه » إذن فإن لحم الخنزير سواء كان برياً أو مريضاً فى البيوت - لا يصح لمسلم أكله ولا يجوز مطلقاً تناوله .

في تفسير قول الله تعالى :

(اليوم أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمَحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ ، وَالْمَحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٧٥) .

• • •

والمحصنات : هنَّ العفيفات العاقلات الممتنعات عن الزنى والفساد .
والآية دالة على جواز نكاحهن دون غيرهن من أهل الشرك من الجوس ومنكرى الدين جملة .

فيجوز على هذه الآية نكاح المسلم الكتابية يهودية أو نصرانية بدليل هذه الآية .

وبرى ابن عمر أن اليهودية والنصرانية من أهل الشرك لأنهم بذلوا الدين ، وقالوا في الله تعالى ما لا يليق به .

والجمهور على خلاف ذلك :

نعم يجوز للحاكم لمصلحة خاصة أن يمنع مثل هذا النكاح إذ رأى فيه ما قد يضر بالدولة أويؤثر على النظام العام .

من ذلك ما فعله عمر مع بعض الصحابة ممن تزوج بغير مسلمة .

في تفسير قوله تعالى :

(يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (٧٦)

• • •

قال المفسرون في معنى هذه الآية : إن الله سبحانه وتعالى يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب إلى نور الحق الواضح الجلي المبين السهل المنير .

وإن الكافرين إنما وليهم الشيطان يزين لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات ويخرجهم ويحيد بهم عن طريق الحق إلى الكفر والإفك والضلال .

(أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)

وإنما جمع سبحانه وتعالى لفظ الظلمات ووجد النور ولم يجمعه لأن الحق الذي هو مُشَبَّهٌ بالنور واحد ، والكفر الذي هو الظلمات أجناس كثيرة وأصناف متعددة وكلها باطلة ، كما قال تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبُلَ فَتَفْرَقَ بكم عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَ وصاكم بِهِ لعلكم تَتَّقُونَ) .

ففي هذا إشعار بتفرد الحق وانتشار الباطل وتفرقه وتشعبه ولذا كان طريق الإيمان واحداً لا اعوجاج فيه ولا التواء ولا تفرق .
وأما الكفر والضلال فطرقها متعددة متشعبة .

في تفسير قوله تعالى :

(إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (٧٧)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) وفي سورة المائدة يقول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ ، وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) .

• • •

وهذه الآيات كلها ، وغيرها كثير ، صريحة في أنه لا يصح أن يكون الأب المسيحي ولياً لابنته المسلمة في عقد زواجها .

وقد يسأل إنسان : ومن يكون الوالي إذا ؟

إن الوالي الذي يتولى عقد الزواج في مثل هذا هو الحاكم المسلم أو من يقوم مقامه من المسلمين أو من توكله هي أن يتولى عقد زواجها .

أما إذا رفض الأب المسيحي زواج ابنته التي أسلمت من شخص صممت هي أن تتزوج منه بعد أن أسلمت فليس لرفض الأب قيمة .

وإذا عقد العقد عند مأذون شرعي واستوفى شروطه من وجود الوكيل الذي توكله الزوجة ، ومن وجود الشهود ، فعقد الزواج صحيح ولا يؤثر رفض الأب المسيحي في صحته .

في معنى قوله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . . . إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ) (٧٨)

• • •

وبهذا قطع الله سبحانه وتعالى الطريق على كل متعلل لشربها وأبي قبول أي عذر ممن يتناولها .

(٧٧) سورة المائدة - آية (٥٥) .

(٧٨) سورة المائدة - آيات (٩٠ - ٩١) .

والصلاة عماد الدين ، وبين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة ، وقد حدد الله تعالى لها مواقيتها وأمر بمراعاة هذه الأوقات قال تعالى :

(إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) .

ونزل جبريل صلى الله عليه وسلم بالنبى ﷺ كل صلاة ويُن من الصلوات في يومين متتابعين ، وفي اليوم الأول كانت صلاته في أول الوقت ، وفي اليوم التالى كانت صلاته في آخر الوقت ، وبين بعد ذلك أن ما بين صلاته من وقت هو وقت الصلاة المطلوب أداؤها فيه . ولا يجوز تقديم الصلاة على وقتها إلا لعذر ضرورى من سفر أو مطر يتعذر معه أداء الصلاة في وقتها أو الاجتماع لها في المسجد في هذا الوقت .

كما لا يجوز تأخيرها عن وقتها المحدد إلا لعذر قهرى من الأعذار التى حددها الرسول ﷺ بقوله : « رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون المغلوب على مثله حتى يبرأ . وعن النائم حتى يحلم وفي رواية : وعن المبتلى حتى يبرأ » .

وكلها موانع طبيعية لا يد للإنسان في أحداثها ولا قدرة له على منعها : أما شرب الخمر فإنه كبير وجرم شنيع وصاحبه مستول عما يرتكبه في حال سكره محاسب عليه في الدنيا أمام قانون الشرع ، وفي الآخرة أمام الله .

وقد جعل الله الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر ، فكيف يجوز التلاعب بها تقديماً أو تأخيراً للتمكن من فعل المنكر وهو شرب الخمر .

وبعد ، فلا يجوز لمسلم أن يسكر ولا يصح له تقديم الصلاة على وقتها لأجل هذا السكر أو الخوف من حدوثه ، وليتق الله ربه ليحسن حسابه ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

في تفسير قول الله سبحانه :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) ويقول الرسول ﷺ : « من رأى منكم منكراً فليغيره .. الخ » فهل هناك تعارض بين الآية والحديث ؟

• • •

للإجابة على هذا السؤال : نذكر حديثين يتصلان بالموضوع أوثق اتصال : روى الإمام أحمد وأصحاب السنن عن قيس قال : قام أبو بكر الصديق رضى الله عنه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّكُمْ تَقْرءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ

ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) وَأَنْكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا .

وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيروه يوشك الله عز وجل أن يعذبهم بعقابيه »

وروى الترمذى بسنده عن أبي أمية الشيباني قال : أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له : كيف تصنع في هذه الآية ؟ قال آية آية ؟

قلت : قول الله عز وجل : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرْكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ) . .

قال : أما والله لقد سألت عنها خيراً ، سألت رسول الله ﷺ قال : بل اتقوا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذي رأى برأيه ، فعليك بخاصة نفسك ودع العوام ، فإن من ورائكم أياماً الصابر فيهن مثل القابض على الجمر ، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً يعملون كعملكم .

ومعنى الآية إذن : إن على المسلم أن يأمر وينهى ولا عليه بعد ذلك أثم سعيه أم لم يثمر . . فيكون المقصود لا يضركم من ضلَّ إذا اهتديتم بالتمسك بالحق والدعوة إليه ، ونبد الباطل والنهي عنه ، وهو ما يوافق حديث أبي بكر رضى الله عنه ، وهذا التفسير هو ما نرجحه . وعلى ذلك فلا تعارض بين هذه الآية وبين حديث . من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ، لأن الآية تطمئن للمسلم إلى أنه لا وزر عليه إذا أدى واجبه وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

في تفسير قول الله تعالى :

(وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)^(٧٩)

. . .

إن هذه الآية الكريمة توضح تفضل الله على عباده ورحمته بهم ، فهي تأمر الرسول ﷺ أن يبشر المؤمنين الذين عملوا السيئات ثم تابوا وأخلصوا بأن أمرهم سلام ، أى أن التوبة انتهت بهم إلى السلامة ، فقد غفر الله لهم وتقبل توبتهم وعرفهم أن الله سبحانه وتعالى كتب على نفسه الرحمة هؤلاء الذين يعملون المعاصي عن جهل يعقابها بالنسبة لهم في هذه الحياة الدنيا ، وعن جهل

يعاقبها بالنسبة لهم في حياتهم الأخرى ، والواقع أن اليقين بعاقبة المعاصي في الدنيا والآخرة يجعل الإنسان بمعزل عن إتيان الآثام .

ومن هنا يقول الحسن رضى الله عنه : كل من عمل معصية فهو جاهل . ويقول أحد الحكماء : إن الآثام توقع الإنسان في الشقاء ، ولا يعدل الإنسان عن السعادة التي تتمثل في الفضيلة إلى الشقاء الذي يتمثل في المعصية إلا إذا كان جاهلاً ومن هنا : كما يقول - كانت المعصية جهلاً وكانت الفضيلة معرفة .

ولقد ذكر القرآن الكريم معنى هذه الآية ليفتح الطريق أمام العصاة إلى التوبة وليحث الذين يعملون السيئات على قرع بابه تعالى بالرجوع إليه تائبين فتعمهم رحمته قال تعالى : (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم ، وكان الله عليماً حكيماً) .

ويقول سبحانه :

(ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحو إن ربك من بعدها لغفور رحيم) . (٨١)

في تفسير قول الله تعالى :

(الله أعلم حيث يجعل رسالته) (٨٢)

ويقول : (الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير) .

• • •

وفي هاتين الآيتين بيان لحكمة الله سبحانه وتعالى في إرسال الرسل واختيارهم ، وأن هذا الاختيار راجع لمشيئته وحده ، يختار الرسول من أى بلدة ومن أى بيئة ويعدده للرسالة ويهيئه لها ، فليس بشرط أن يكون الرسول من أهل البلدة ورسولنا ﷺ (جعله الله رحمة للعالمين) وأرسله للناس كافة بشيراً ونذيراً وأمر الله الناس جميعاً اتباعه قال تعالى :

(يأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم)

ومع ذلك فلم تحرم أفريقيا من الرسل : (لقد ولد فيها موسى عليه السلام وأخوه هارون .

(٨٠) سورة النساء - آية (١٧) .

(٨١) سورة النحل - آية (١١٩) .

(٨٢) سورة الأنعام - آية (١٢٤) .

ووفد إليها يوسف ويعقوب والمسيح عليهم السلام ، ومن قبل ذلك وفد إليها أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام .

وبعد ، فلعل أفريقيا قبل الرسالة المحمدية حوت كثيراً من الرسل ، إذ لم يرِدْ عنهم حصر جامع في القرآن الكريم ، ولم يذكر سجل كامل بأسمائهم وتواريخهم :
قال تعالى : (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) .

وقال : (ورسلنا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلنا لم نقصصهم عليك) .

في تفسير قول الله تعالى :

(وهو الذي أنشأ جنات معروشات ، وغير معروشات ، والتَّخْل والزَّرع مُخْتَلَفاً أَكَلَهُ والزيتون والرُّمَّانَ مُتَشَابِهاً وغير متشابه ، كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حَقَّهُ يوم حَصَادِهِ ولا تُسْرِفُوا ، إنه لا يحب المُسْرِفِينَ) (٨٣)

• • •

ويقول الرسول ﷺ ، فيما سقت السماء العشر وفيما سقى بالنضح نصف العشر وحديث رسول الله ﷺ ، يدل على العموم ، والآية الكريمة تؤيد المنهج نحو العموم ، وعلى أساس العموم المأخوذ من الآية ومن الحديث ، تكون الزكاة واجبة في كل ما أنبتته الأرض وهذا هو رأى أبي حنيفة الذي يعمم الزكاة في جميع ما تنبت الأرض لا يفرق في ذلك بين الخضراوات والفواكه - والحبوب ، وهو الرأى الذي نرتضيه أما فيما يتعلق بالمواشي التي تجب فيها الزكاة فهي : الإبل ، والبقر ، والغنم ، وتجب الزكاة فيها إذا توافرت فيها الشروط الآتية :
أن تبلغ . وأن يكون قد حال عليها الحول .

في الأعراف :

الأعراف : هي الأشياء المشرقة ، والمراد بها هنا المكان المشرف الذي بين الجنة والنار ، أما أصحاب الأعراف فهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وخلفتهم حسناتهم عن النار ، فجعلوا على الأعراف . لأنها درجة متوسطة بين الجنة والنار ، فهم ليسوا من أهل الجنة ولا من أهل النار ، ولكن الله تعالى سيدخلهم الجنة بفضلِهِ ورحمته ، فلأنه ليس في

الآخرة من دار سوى الجنة أو النار ، فهم - بعدل الله - في مكان بين الجنة والنار وهم - بفضلهم - يكون مآلهم الجنة .

قال ابن مسعود رضى الله عنه : يحاسب الناس يوم القيامة ، فمن كانت حسناته أكثر بواحدة دخل الجنة ، ومن كانت سيئاتهم أكثر بواحدة ، دخل النار وأن الميزان يخف ويثقل بمشقة حبة من خردل من إيمان ، ومن استوت حسناته وسيئاته ، كان من أصحاب الأعراف ، فوقفوا على الأعراف فإذا نظروا إلى أهل الجنة نادوهم ، سلام عليكم ، وإذا نظروا إلى أهل النار قالوا : ربنا لا نجعلنا مع القوم الظالمين .

في تفسير قول الله تعالى :

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون) (٨٤)

• • •

يخبر الله سبحانه في هذه الآية الكريمة أن أهل القرى وهم الناس في مجتمعاتهم - صغيرة كانت تلك المجتمعات أو كبيرة وقديمة كانت أو حديثة - لو أنهم التزموا الإيمان واتبعوا قاعدة التقوى لوسعنا عليهم الرزق وزودناهم من الخير في كل شيء ، وليست البركات خاصة بالرزق المادى وإنما تتضمنه وتتجاوز به إلى الرزق المعنوى ، فتكون البركات في صورة الرعاية الإلهية للإنسان المؤمن المتقى ، وفي صورة العناية بالله ، إن الله مع المتقين ، إن رحمة الله قريب من المحسنين ، ومن يثق بالله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، وسنة الله سبحانه أن من كان لله كان له ، ومن كان مع الله كان الله معه ، ومن تقرب إلى الله شبراً تقرب الله منه ذراعاً ، ومن تقرب إليه سبحانه ذراعاً تقرب منه باعاً ، ومن أتاه يمشى أتاه تعالى هرولة ، ولكن أهل القرى لم يلتزموا سنة الله التى وضحتها على لسان رسله ولم يتبعوا هديه وكذبوا برسله فأصابهم الله بما يتناسب مع أعمالهم من الشقاء والعذاب (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) .

(ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه ، وكان الله عليماً حكيماً) .

في تفسير قول الله تعالى :

(إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين) . (٨٥)

• • •

إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا يرفع لهم عمل صالح ولا دعاء بل عملهم مردود ودعاؤهم غير مستجاب ، وعلى ذلك فلا مجال لدخولهم الجنة وهم عن رحمة ربهم محجوبون لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم ، وإنما تطرد من على أبواب عليين إلى أسفل سافلين . أما الذنب الذي ارتكبه هؤلاء الذين أوعدهم الله بهذا الوعيد فإنه الشرك بالله ، والله سبحانه وتعالى لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، والشرك بالله سبحانه وتعالى له أثره على المجتمع وعلى الإنسانية في غاية الخطورة ، وخصوصاً على الجانب الأخلاقي من المجتمع . والله سبحانه وتعالى يتحدث عن أمثال هؤلاء فيقول :

(وائل عليهم نأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض وأتبع هواه ، فله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا . فاقصص القصص لعلهم يتفكرون) .
 فهم قوم أتبعهم الشيطان ووجههم وسيرهم إلى الشر والفساد فكانوا من الضالين ، ولو شاء الله لرفعهم وهداهم إلى آياته ، ولكنهم هم الذين اتجهوا إلى الشر وأخلدوا إلى الأرض بدل اتجاههم إلى السماء وإلى الهداية والصلاح والإصلاح . وآيات الله واضحة ولكنهم عاندوا وكفروا وأشركوا فأنالوا مقت الله وغضبه في الدنيا والآخرة .

في تفسير قول الله تعالى :

(فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون) .

• • •

المقصود بأمة محمد ﷺ الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه - وهم الذين يستحقون أن يُضافوا إليه ويشرفوا بالانتساب له والاندراج تحت لوائه . . وهم أمة الإجابة .

أما غير المسلمين في عصره وبعد عصره فلا يستحقون الانتساب إليه ولا يجوز تكريمهم

بإضافتهم إليه ، ولم يضيفهم الرسول ﷺ إليه حينما تحدث عن أمته ، قال ﷺ : كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي . . .

ولكنهم يعتبرون من أمة الدعوة حيث شاهدوا أنواره وأنوار ما جاء به فأعرضوا عن الحق واستكفوا عن اتباعه . ومن هنا عبر عنهم الرسول ﷺ : باسم الأمة ولم يعبر عنهم بأمتي فقال ﷺ :

« والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى أو نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا حرم الله عليه الجنة » .

فسمى اليهود والنصارى أمة ولم يقل من أمتي يهودياً أو نصرانياً .
ومن هنا فإن الفرق واضح بين أمة محمد - أى من آمن به - وغيرها من الأمم ممن لا يؤمن . .

في تفسير قوله تعالى :

(وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً ، وأوحينا إلى موسى إذ استسفاه قومه أن يضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا) (٨٦)

. . .

أما قوله تعالى : (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً) فإنه خبر عن بني إسرائيل . يقول الله تعالى فيه : إنه سبحانه ، صيّرهم اثنتي عشرة قبيلة ، فأصبحوا في تفرقهم وتعددتهم كالأمم . . أما هذا العدد بالذات ، فإنه يرجع إلى أن أولاد يعقوب عليه السلام كانوا اثني عشر ولداً ، فكانت القبائل اثنتي عشرة قبيلة ، كل واحدة منها تنتمي إلى واحد منهم .

في قول الله تعالى :

(وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) (٨٧)

. . .

ويقول الله سبحانه في تعريف المؤمنين :

(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) .

(٨٦) سورة الأعراف - آية (١٦٠) .

(٨٧) سورة الأعراف - آية (٢٠٤) .

والأمر بالاستماع ، والإنصات ، اللذين تفيض بسببهما رحمة الله على السامع المنصت ، إنما كان من أجل التدبر للمعاني الكريمة التي انطوت عليها الآيات القرآنية ومن أجل الانتعاض بها ، والتزام الحدود التي سنتها ، والقواعد التي أتت بها ، وهي لكل ذلك إذا تليت على المؤمنين زادتهم إيماناً .

وكلام الله سبحانه وتعالى له أثره الطيب في إثارة خشية الله عند المؤمنين الصادقين بقول الله سبحانه : (الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعروا منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء) .

والله سبحانه وتعالى يبين أن الخشية تتحقق عند المؤمنين الصادقين نتيجة لتلاوة القرآن أو سماعه ، حتى إنه لو نزل القرآن على جبل لتمثل فيه الخشوع ، بل يصل الخشوع به إلى درجة التصديق بقول سبحانه : (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يذكرون) .

فالواجب إذن التزام الهدوء والصمت مع التدبر والتأمل .

ومما لا شك فيه أن الله سبحانه أعظم من كل ما سواه ، وأنتا في جو القرآن إنما تكون في جو إلهي ، أي أننا - قارئون أو مستمعين - إنما نتاجى الله سبحانه ، أو ننصت إليه ، فالواجب ألا يكون تأثرنا بغيره ، وألا يكون انتباهنا إلى ما سواه ، ولا بأس من أن ينطق الإنسان مختاراً أو مضطراً عندما يمتلي قلبه بمعنى من المعاني في سموه وجلاله ، أو بكيفية من كفيات الأداء التي تناسب المعنى ، لا بأس بأن ينطق متفاعلاً مع الجو القرآني بسبحان الله ، أو جلّ جلال الله ، أو سبحان من هذا كلامه ، أو أستغفر الله ، أو تبت إلى الله ، أو اللهم فني عذابك ، أو اللهم أفض على من رحمتك .

وقد كان الرسول ﷺ يفعل ذلك .

ذلك هو موقف المؤمنين عند تلاوة القرآن أو عند سماعه .

في تفسير قول الله تعالى :

(إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) (٨٨)

• • •

فلا ينبغي للمستمع ولا يجوز للمستمعين ارتفاع الأصوات وإحداث الصخب عند تلاوة القرآن ، ولا يتأني لهم إلا الصمت والهدوء والسكينة ليزدادوا إيماناً ، وتخشع قلوبهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم لذكر الله يقول سبحانه :

(الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء) . فإذا ازداد إيمان السامع للقرآن حيناً يتلى ، واقتشر جلده ، ولان قلبه ، واستجابت أعضاؤه لذكر الله ، لا يجد مجالاً للصباح ولا للكلمات الاستحسان ، بل تنهمر دموعه وبحسن الاستماع والاستجابة لكل ما يتلى ، يقول تعالى :

(وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون)

وكما يجب على السامع هذا فإنه يجب على القارئ أيضاً أن يعلم أنه حينما يجلس للقراءة فإنه يناجي الله تعالى بكلامه ، فيحسن الجلوس بين يديه ، ويثلو كتاب الله وعليه السكينة والوقار الذي يناسب جلال الله وعظمته ، فإن ما يثلوه حجة عليه وله ، فلا أقل من أن يفهم من أن يكون عليه ليكون له ، وليكون بحسن أدائه وخشوعه حالة قراءته مع السفرة الكرام البررة . قال صلوات الله وسلامه عليه : « الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة » . وقال ﷺ : « اقرءوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا » .

وسائل النصر في القرآن الكريم رسمها الله سبحانه في عبارة موجزة بقوله تعالى :
(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (٨٩) .

• • •

وهذه الآية الكريمة صريحة في القوة المادية ، إنها تعني أعدوا لهم القوة المادية البحرية من مدرعات ومدمرات .

وأعدوا لهم القوة البرية من مدافع ودبابات .

وأعدوا لهم القوة الجوية بكل ما تستطيعون من قوة ، هذا من الناحية المادية ، والآية الكريمة صريحة أيضاً في الإعداد المعنوي ، وقد كان رسول الله ﷺ يقوم في هذا الإعداد المعنوي بأمرين :

الأول : بثث الثقة بالتناؤل في نفوس المؤمنين .

والثاني : رعاية وتدبير يفتان في عضد الأعداء ونجزلانهم ما أمكن ذلك .
فوسائل النصر هي : الإعداد المادي ، والإعداد المعنوي ، والتدبير المحكم لتوهين الأعداء .

في تفسير قول الله تعالى :

(يأياها النبي حرض المؤمنين على القتال ، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون) (٩٠)

• • •

يروى الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزلت : (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة ، فجاء التخفيف فقال (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً ، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين) قال : فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر ما خفف عنهم ، أي أن ترتيب الحكم سار على ترتيب الآيتين .

وكان المسلمون في أول أمرهم قليل العدد ، والمشركون كثيرون العدد ، فكان على المسلم أن يصمد لعشرة من الكفار - ثم كثر عدد المسلمين وتعددت تبعاتهم وخفف الله عنهم هذه المشولية الشديدة في الجهاد . فأصبح الفرض على المسلم أن يصمد لاثنتين من الكفار ولو صمد لأكثر زاد ثوابه . . . وهكذا .

وذلك ليتأتى الجهاد الأكبر عدد ممكن من المسلمين وتوزع تبعاته عليهم . وفي الآيات الأمر بالحض على القتال والتعبئة الروحية والنفسية للمقاتلين ، ليكون قتالهم عن عقيدة ، وبيان أثر الدعاية والتعبئة في الحروب .

وفيها : التذكير بصمود السابقين حيث كان الفرض عليهم أن يصمد الواحد منهم لعشرة من الكفار . . وقد قاموا بذلك الفرض ، فصمد الواحد منهم لأكثر من عشرة كما في غزوة مؤتة وغيرها من الغزوات .

وفيها : أن الصبر أساس النصر ، الصبر على أعباء القتال ، وعلى ما يستج عنه من خسائر ، والصبر في مواجهة دعايات الأعداء .

في سورة براءة والبسملة

تسمى هذه السورة الكريمة سورة العذاب ، لأن العذاب - عقاباً للمنافقين والمشركين - قد ذكر فيها كثيراً ، وتسمى المبعثرة ، لأنها بعثرت ، أى أظهرت وكشفت أسرار المنافقين وعوراتهم . وتسمى المدمومة ، أى المهلكة للمنافقين ومن لف لفهم ، وفي القرآن الكريم يقول الله تعالى عن الجاحدين المنكرين من ثمود حينما كذبوا صالحا وكفروا برسالته :

(فدمدم عليهم ربهم بذنبهم) . . أى أهلكهم بسبب ذنوبهم ، وتسمى أيضاً المخزية لأنها يكشف أسرار المنافقين قد أخزتهم ، ولها أسماء أخرى تنحو هذا النحو من بيان أمر المنافقين حتى لقد فضحهم في سفور لا لبس فيه .

وموضوعها إذن لا يتناسب هو والرحمة أو الرأفة ، ومن أجل ذلك لم يبدأها الله سبحانه :
بسم الله الرحمن الرحيم . .

وهل يرى المفسرون هذا التعليق ؟

لقد عبر عن ذلك أسلافنا رضوان الله عليهم خير تعبير .

يروى صاحب محاسن التأويل ، وروى الحاكم في المستدرک عن ابن عباس قال : سألت على

ابن أبي طالب : لِمَ لَمْ تكتب في براءة البسملة ؟

قال : لأنها أمان وبراءة نزلت بالسيف ، أى فتزولها لرفع الأمان الذى يأبى مقامه التصدير بما

يشعر ببقائه من ذكر اسمه تعالى مشفوعاً بوصف الرحمة . ولذا قال ابن عيينة :

اسم الله سلام وأمان ، فلا يكتب في النبذ والمحاربة . قال الله تعالى : (ولا تقولوا لمن أتى

إليكم السلام لست مؤمناً) ، قيل له فإن النبي ﷺ : قد كتب إلى أهل الحرب البسملة . .

قال : إنما ذلك ابتداء منه يدعوهم ولم ينبذ إليهم . ألا تراه يقول : « سلام على من اتبع الهدى »

فمن دعا إلى الله عز وجل ودعى إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى فظهر الفرق .

وكذا قال اليهود : إن التسمية افتتاح للخير ، وأول هذه السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم

تفتح بالتسمية .

في تفسير أول سورة التوبة

إن رسول الله ﷺ لم يأمر بكتابة البسملة في أول سورة التوبة ، لأنه لم ينزل عليه وحى بذلك .

والحكمة في أن الله سبحانه وتعالى لم ينزل الوحي بكتابة البسملة هي كما رواه الحاكم عن رسول الله ﷺ بما أن البسملة أمان ، وسورة التوبة نزلت لرفع الأمان ، وقد نزلت سورة التوبة ، لنقض عهد الكفار ، وفضيحة المنافقين الذين هم أخطر على الإسلام من الكفار الظاهر كفرهم ، فهي سورة عذاب .

وبالبسملة رحمة ولا تجتمع رحمة مع عذاب ، وسورة التوبة تسمى : السورة الفاضحة لفضيحة المنافقين بها .

وسورة العذاب وكل ذلك يتنافى مع ما تشعره البسملة من الرحمة ولذلك لم تكتب في أولها .

في حكم التشاؤم

نهى القرآن الكريم عن التشاؤم ، وبين أن الشؤم من التشاؤم ، حيث حكى عن رسل المسيح عليه السلام في سورة (يس) ردًا على المشائمين : (قالوا طائركم معكم) وقال ﷺ : لا عدوى ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر .

فقد كان الناس يتطيرون وينشأمون إذ كانوا يخرجون الطير فإن طار إلى الشمال تشاءموا وإن طار إلى اليمين تيامنوا وكانوا يتشاءمون من شهر صفر ، فعقد القران في أى شهر وفى أى يوم جائر لا كراهة فيه ولا حرمة ، فهذا الاعتقاد لا أصل له في الدين ، بل هو من قبيل الخرافات التي يجب أن محارب .

لأن من حرم ما أحل الله أو أحل ما حرم الله خرج عن الدين ، لأن التحريم والتحليل المرجع فيه إلى الكتاب والسنة ، وعلى الأئمة العلماء البيان فقط .

ولقد ضرب الله مثلا لنا في ذلك عن أعمال الكفار حيث كانوا يحلون ويحرمون بعض الشهور حيث قال الله تعالى يحذرنا من الوقوع فيها وقعوا فيه :

(إنما النسيء زيادة في الكفر ، يُضِلُّ به الذين كفروا يحلون عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة

ما حرم الله فيحثلوا ما حرم الله . زُيِّنَ لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين) . (٩١)

في تفسير قول الله تعالى :

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) (٩٢)

• • •

الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ذكرت فضل الجهاد في سبيل الله وبينت فضل الشهداء ومآلهم من المنازل والدرجات عند ربهم ، لم تفرق بين شهيد في عصر النبوة وشهيد متأخر عن ذلك العصر .

والآية الكريمة التي تقرر تلك الصفة الإلهية الراجعة التي عقدها الله تعالى مع المقاتلين في سبيل الله الذين يَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ فاشترى منهم ربهم عز وجل أنفسهم وأموالهم وباعهم الجنة ، لم تفرق بين شهيد مع رسول الله وشهيد لم ينل شرف الصحبة لرسول الله ﷺ . يقول تعالى :

(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَاسْتَبْشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم) .

وآيات سورة آل عمران التي تبين أن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وأنهم فَرِحُونَ بما حباهم به ربهم من النعم عامة شاملة لشهداء عصر النبوة وما بعده من عصور ، فقال تعالى : (ولا تحسبن الذين قُتِلُوا في سبيل الله أمواتاً ، بل أحياء عند ربهم يُرزقون ، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) .

وقد يكون في سبب نزول هذه الآيات الكريمة ما يؤكد أن هذا الفضل عام بالشهداء في كل العصور ، وليبقى الحافظ على الدفاع عن الدين والاستشهاد في سبيل عزة الإسلام ودفع العدوان عن أرضه وحياه .

فإن المجاهد في سبيل الله يبذل دمه وماله ويصد العدوان عن أرضه ودينه لعلمه بأن ما عند الله للشهيد خير وأبقى .

وبما ذكره القرطبي في سبب نزول هذه الآيات قوله : وفي مصنف أبي داود بإسناد صحيح :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ ، لما أصيب إخوانهم بأحد : جعل الله

(٩١) سورة التوبة - آية (٣٧) .

(٩٢) سورة التوبة - آية (١١١) .

أرواحهم في جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوى إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا : من يبلغ إخواننا هنا أنا أحياء في الجنة نرزق لثلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب ، فقال الله سبحانه : أنا أبلغهم عنكم قال : فأنزل الله : (ولا تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً) . . إلخ وروى بقي بن مخلد عن جابر قال : لقيني رسول الله ﷺ فقال : « يا جابر ما لي أراك منكساً مهتما ؟ قلت يا رسول الله استشهد أبي وترك عيالا وعليه دين ، فقال ألا أبشرك بما لقي الله عز وجل به أباك ، قلت بلى يا رسول الله ، قال : إن الله أحيا أباك وكلمه كفاحاً أى مواجهة لبس بينها حجاب ولا رسول ، وما كلم أحد قط إلا من وراء حجاب فقال : له يا عبدى تمن أعطتك قال : يارب ردى إلى الدنيا فأقتل فيك ثانية ، فقال الرب تبارك وتعالى : إنه قد سبق منى أنهم إليها لا يرجعون ، قال : يارب فأبلغ من ورأى فأنزل الله عز وجل : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله . . .) الآية . فقولهم من يبلغ إخواننا عنا إنا أحياء في الجنة نرزق لثلا يزهدوا في الجهاد . وفي رواية أخرى ليزدادوا في الجهاد رغبة ولا ينكلوا عند الحرب ، وقول الله سبحانه أنا أبلغهم عنكم ونزول هذه الآيات بهذه الصيغة يرجح القول بأنها عامة في جميع الشهداء .

وأما العمل الذى يجب أن يقوم به المقاتل في سبيل الله حتى ينال الشهادة فهو أن يكون خروجه للجهاد في سبيل الله مع صدق العزم وإخلاص النية لله سبحانه ، فإنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى . والرسول ﷺ يقول : لا يكلم أحد في سبيل الله - والله أعلم بمن في سبيله - إلا جاء يوم القيامة وجرحه يشخب اللون لون دم والريح ريح مسك ، وألا ينزى ، ولا يتفهقر وأن يظل يقاتل حتى يُقتل في سبيل الله صابراً محتسباً ، مُقبلاً غير مُدبر .

فأله تعالى يقول : (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) .

روى مسلم عن عبد الله بن أبي قتادة أنه سمعه يحدث رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال ، فقام رجل فقال : يا رسول الله إن قُلت في سبيل الله تكفر عني خطاياى ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، إن قُلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر .

ثم قال رسول الله ﷺ : كيف قلت ؟ قال : أرأيت إن قُلت في سبيل الله أتكفر عن

خطاباى ؟ فقال رسول الله ﷺ نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدين فإن جبريل عليه السلام قال لى ذلك .

وبين فضل الله سبحانه على المجاهد فى سبيله الذى يخلص النية ويصدق فى عزمه فى طلب الشهادة له أنه يعطيه درجة الشهيد وإن مات على فراشه .
فمن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من طلب الشهادة صادقا أعطيا ولو لم تصبه .

وعن سهل بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف حدثه عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال : من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ، وإن مات على فراشه ، أما من يخرج مع المجاهدين مقاتلا فى صفوفهم رياء وسمعة أو لغرض دنيوى فلاحظ له فى نيل فضل الشهيد وإن قُتل .

فقد جاء فى صحيح مسلم عن أبى موسى الأشعرى أن رجلا أعرايا أتى النبى ﷺ ، فقال يا رسول الله : الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليدكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن فى سبيل الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو فى سبيل الله .
وعن أبى موسى قال : سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حجة ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله ؟

فقال رسول الله ﷺ : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله ، وقال ﷺ : « مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ عِرْضِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأوتى به فعرفه نعمه فعرفها فقال : فيم عملت فيها ؟ قال : قاتلت فىك حتى استشهدت ، قال : كذبت ولكنك قاتلت لأن يُقال جرىء فقد قيل فأمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار ، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فيم عملت فيها قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فىك القرآن ، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرأت القرآن ليقال هو قارئ ، فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال : فيم عملت فيها ؟ قال ما تركت من سبيل نحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي فى النار .

ومن هنا يتضح أن الكرامة التي أعدها الله للشهيد والفضل الذي خصه الله به متوقف على صدق النية والإخلاص لله ، والهدف الذي قاتل وقُتل من أجله ، يستوى في ذلك الشهيد في عصر النبوة والشهيد بعد ذلك العصر .

أما فضل الصحبة لرسول الله ﷺ فتلك درجة لم ينلها إلا من شرف بصحبته لرسول الله ﷺ وحمل معه العبء الأكبر في نشر الدعوة والدود عنها ، والتكئين لها فجر مطلعها ، فقد كانوا رضى الله عنهم رهبان الليل فرسان النهار ، وحسبهم ما قاله القرآن الكريم في شأنهم : (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيأثم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا) .

وقال فيهم رسول الله ﷺ : « أصحابي كالجود بأبهم اقتديتم اهتديتم » .
صلى الله وسلم وبارك على رسول الله ورضى عن صحابته ومتبعيهم إلى يوم الدين .

في تفسير قول الله تعالى :

(وعلى الثلاثة الذين خَلَفُوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم) (٩٣)

• • •

نزلت هذه الآية في المتخلفين عن الرسول ﷺ في غزوة تبوك ، وهي غزوة ندب الرسول ﷺ إليها كل قادر ، وبذل فيها الصادقون ما يستطيعون ولم يتخلف منها أحد ممن يستطيع الجهاد إلا قليلون .

قال ابن كثير (ج ٤ ص ٥) كان للمتخلفون من غزوة تبوك أربعة أقسام :
مأمورون - مأجورون : كعلي بن أبي طالب ، ومحمد بن مسلمة ، وابن أم كلثوم .
ومعذورون : وهم الضعفاء المرضى ، والمقلون الدين لم يجد الرسول ما يحملهم عليه فرجعوا باكين لعدم الخروج .
وعصاة مدنيون : وهم الثلاثة : أي كعب بن مالك وصاحبيه . وأبولبابة وأصحابه وكانوا عشرة .

وهذه الآية نزلت في أبي لبابة وأصحابه فيما قاله المفسرون وما رواه أصحاب السير ، لقد ربطوا أنفسهم بسوارى (أعمدة) المسجد وقالوا لن نترك مكاننا حتى يطلقنا رسول الله ﷺ ، فلما علم الرسول بذلك قال : وأنا والله لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله عز وجل هو الذى يطلقهم ، رغبوا عني وتخلفوا عن المسلمين ، فأنزل الله تعالى : (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم) وعسى من الله لتحقق الوقوع فأطلق الرسول ﷺ سراحهم وعذرهم فجاءوا بأموالهم فقالوا يا رسول الله هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا فقال ، ما أمرت أن آخذ أموالكم فأنزل الله تعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها . .) إلخ فقبل منهم بعض أموالهم ، ومن المعلوم أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فالمتصدق عند التوبة من الذنب لقبول التوبة وسيلة للتطهير من الآثام والذنوب . .

في تفسير الآية :

(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) (٩١)

. . .

الخطاب في الآية للعالم كله - فيكون المراد بقوله تعالى : من أنفسكم أى من جنسكم وأصلكم بشراً مثلكم تفهمون عنه وهو ما يتناسب وعموم الدين وشمول الرسالة . ويتضح هذا الرأي في قراءة عبد الله بن قسبط المكي ، « من أنفسهم ، أى من أشرفكم نسباً وأكرمكم حسباً ، وهو ما قامت عليه الأدلة وشهدت به الوقائع . والآية مدنية بلا خلاف وهى من أواخر آيات القرآن نزلت ، وتفسير الآية على العموم : هو أن الله من على العالم عامة وعلى العرب خاصة - بإرساله إليهم رسولا منهم يعرفونه ويرون من ملامح حياته الخاصة والعامة ما يقطع بصدقه ، ومن أهم صفاته وأظهر خصائصه رغبته الشديدة في تخليص العالم من المشقة والعت والهلاك بإخراجهم من ظلمات الكفر وشروره إلى صفاء الإسلام ونوره ، وحرصه الحريص على الوصول بالبشرية إلى بر الأمان في رضا الله وطاعته وعبادته حتى عبادة .

وهذا الحرص على إسعاد الآخرين ، والأسى الشديد عليهم إذا لم يخرجوا عن غيهم وما هم عليه من ضلال فإنما يدل على رحمة شاملة ورأفة متصلة تزداد عمقاً وتقوى وأصالاً بالنسبة

للمؤمنين حيث يغذيها الحب ويغمرها الإخاء .

وفي الآية تشریف للرسول ﷺ ، وتكريم للمؤمنين ، ونكيت للكافرين .
ولقد كان الرسول ﷺ حريصاً على هداية الإنسانية ، حزناً لما سيصيب الكافرين نتيجة
البغي والعناد ، ويمثل لنا ذلك قوله تعالى : (فلعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين) (فلعلك
باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) .
(إن عليك إلا البلاغ) (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) .

في تفسير قوله تعالى :

(آلر ، كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)
وقوله تعالى : (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر
منشآت . . .) (٩٥)

• • •

ذلك أن المعنى في الآية الأولى أن القرآن الكريم كتاب محكم في نفسه كما تتحدث آية أخرى :
(لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)
إنه محكم في نفسه ، وهو محكم عند الله سبحانه ، وهو محكم عند الراسخين في العلم .
ومعنى محكم هنا : أنه حق واضح مترابط ، بين الدلالة صادق الحجة ، فكل آياته محكمة
إحكاماً إلهياً كاملاً .

أما بالنسبة : لعامة الناس فإن القرآن ينقسم إلى قسمين : قسم مفهوم واضح هو ما يتعلق
بالدين بمعناه العام : عقيدة ، وأخلاقاً ، وتشريعاً .
وعبر عن هذا القسم . بأنه محكم لوضوحه . وقسم يتعلق بذات الله وصفاته لا يعلم تأويله
وتفسيره إلا الله والراسخون في العلم .

أما العامة فإن مستواهم الروحي لا يرق إلى فهمه .
وعبر عن هذا القسم بالمشابهة : أي أنه غير واضح بالنسبة للعامة من الناس ، وهو من ذلك
محكم في نفسه ، محكم عند الله ، ومحكم عند الراسخين في العلم .

(٩٥) الآية الأولى من سورة هود أما الأخرى فن سورة آل عمران آية (٧) .

في تفسير قول الله تعالى :

(وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها ، كل في كتاب مبين^(٩٦)) .

• • •

يقول الله تعالى : (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) ويقول سبحانه : (وفي السماء رزقكم وما توعدون) ويقسم سبحانه على ذلك نظراً لضعف الإنسان وقلقه فيما يتعلق بالرزق فيقول تعالى . (فو رب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) .
هذا ومن المبادئ الدينية المقررة أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق من كل ذلك نبيّن الإجابة على هذا السؤال فيما يتعلق بالأحير وفيما يتعلق بالكتاب وهو : وجوب أداء الصلاة برغم كل الظروف في أول الوقت أو في منتصفه أو قرب نهايته إذا لم يكن بد من هذا ، ولتكن النتيجة ما تكون ، ومن اتجه إلى الله فإن الله لا يضيعه .

أما السيدة التي عليها أيام من رمضان فإنها أدري بحالتها الصحية هذا من جانب ، ومن حانت آخر فإن الفاصل بينها وبين زوجها إنما هو رأى الطبيب : وليس لزوجها أن يجمعها فإذا تأكدت من نفسها أو من رأى الطبيب تأكداً تاماً أن حالتها تسمح فعليها القضاء . ودير الله أسمى من أن يخضع لتروات زوج وأعلى من أن ينحرف مع انحراف الطبائع .

في قول الله تعالى :

(وأما الذين سُئِلُوا في الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ^(٩٧)) .

• • •

هذه الآية واردة في مقابلة الآية التي وردت في عذاب من كذبوا بالله تعالى وكذبوا برسله وهي قوله تعالى : (فأما الذين شقوا في النار هم فيها رهير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد) .

وهي تنصص على أن الذين آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، هم السعداء عدد

(٩٦) سورة هود - آية (٦)

(٩٧) سورة هود - آية (١٠٨) .

الله عز وجل وأنهم ما كثون في الجنة خالدون فيها . لا تنقطع سعادتهم ولا يفنىعيمهم .
أما قوله تعالى : (ما دامت السموات والأرض) فإنه مثل أريد به تأييد خلود المؤمنين في
الجنة ، وأنهم لن يفوتهم وقت من الأوقات إلا وهم مستمتعون فيه ، بنعيم الله في جنته . وليس
المراد به الاستثناء وذلك كقول العربي مثلاً : سأفعل كذا ما لاح كوكب أو ما أضاء فجر ومعناه أنه
لن يترك فعل ذلك الشيء أبداً وليس معناه يفعله كلما لاح كوكب أو أضاء فجر وأنه يترك فعله في
غير ذلك كلا .

وأن قوله تعالى : (عطاء غير مجذوذ) يؤيد هذا التفسير ، فإن معناه عطاء من الله تعالى ،
لا يفنى ولا يببىد ، والآيات في القرآن كثيرة مستفيضة في تأييد هذا المعنى وفي إثباته .

في إن فعل الخبرات يذهب السيئات بدليل قول الله سبحانه وتعالى :
(وأقم الصلاة طرفي النهار ورُلفاً من الليل ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، ذلك ذكرى
للذاكرين) (٩٨) .

• • •

إن الطريق الشرعى الذى رسمه الله سبحانه وتعالى ، هو أنه إذا انجى الإنسان إلى الله سبحانه
وتعالى ، فإن الخطوة الأولى إنما هى التوبة الخالصة النصوح ، وكيفية التوبة الخالصة النصوح يبينها
الإمام النووي فيقول :

فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمى فلها ثلاثة شروط ، أحدها :
أن يقطع عن المعصية . والثانى أن يندم على فعلها ، والثالث : أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً ، فإن
فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته .

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروطها أربعة : هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها ،
فإن كانت مالا أو نحوه ردّه إليه وإن كان حد قذف ونحوه مكنته منه أو طلب عفوه وإن كان غيبة
استحلها منها .

وقد فتح الله باب التوبة على مصراعيه ، وفتح أبواب رحمته لكل من يتجه إليه ، بقول
سبحانه :

(قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب
جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) (٩٩) .

ويقول سبحانه في حديث قدسي : وفي دقة دقيقة داعياً إليه عباده . يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم .
فالتوبة هي الخطوة الأولى لمن أتى من المعاصي ، ويأتي معها وبعدها فعل الخيرات فيكون إن شاء الله العفو والمغفرة والرحمة . ويقول الله تعالى :
(إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً) .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه :
إن الله ييسر يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، وييسر يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها .
هذا وإن ارتكاب كثير من المعاصي ، فإن فعل الخيرات مكفر لها بشرط : الإقلاع عن الذنب والندم على ما فات ، والعزم على أن لا يعود إليه أبداً فإن تحقق منه ذلك فلا شك أن فعل الخيرات يكفر ما ارتكبه من معاصي وصدق الله العظيم إذ يقول :
(إن الحسنات يذهبن السيئات) .
فالتوبة الصادقة والعمل الصالح يبدل الله بذلك سيئاتهم حسنات ويغفر ما تقدم من ذنب .
ومما لا شك فيه أن باب الله مفتوح للتائبين والله يحب التوابين . . .

في قصة يوسف عليه السلام

إن الآيات القرآنية الخاصة بهذا الموضوع تتسلسل في معناها على الوضع التالي :
لقد عبر يوسف عليه السلام رؤيا الملك ، واقنع الملك بأن هذا التعبير هو الصواب فقال :
اتتوني به ، فلما جاءه رسول الملك يدعوه لمقابله أحب يوسف أن يلقي الملك وهو برىء من كل شبهة فحمل الرسول رسالة الملك قائلا :
(ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن علم) ورجع الرسول إلى الملك وبلغه الرسالة فجمع الملك النسوة وسألهن :
ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه .
فرد النسوة قائلات :
حاش لله ما علمنا عليه من سوء .

وكانت امرأة العزيز حاضرة حينئذ فقالت : (الآن حصحص الحق) - أى تبين الحق وظهر وبرز - ثم اعترفت قائلة : (أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين) .
وهذا الاعتراف منها علته بقولها : (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) أى ليعلم زوجها الحقيقة وهى أن المسألة لم تكن إلا مراودة وأن الجريمة الكبرى لم تقع .
ثم استمرت تقول : وما أبرئ نفسي فإنها قد تمنت وأحبت وأرادت والنفس دائماً أمارة بالسوء إلا من عصم الله (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم)

كل هذا كان بحضرة الملك ولم يكن يوسف إذ ذاك حاضراً وإنما أحضره الملك بعد ذلك أمراً من جديد (اتئوني به أستخلصه لنفسي) وكلمة : أستخلصه لنفسي تدل دلالة واضحة على أن الملك اقتنع اقتناعاً تاماً ببراءة يوسف عليه السلام .
فالأيات المستول عنها من كلام امرأة العزيز ، وليست من كلام يوسف عليه السلام كما أوضحنا .

في تفسير قوله تعالى :

(وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم)^(١٠٠) .

• • •

وهذه الآية نص صريح في أن كتاب كل رسول الذي نزل عليه كان بلسان قومه . . . فالتوراة والإنجيل والزيور كانت بلسان من نزلت إليهم . . . وكان هذا اللسان هو اللسان العبرى . . . أو اللغة العبرية .

ولقد كانت تكتب تلك الكتب كالقرآن . وقد وردت النصوص التى تثبت ذلك . . . لموسى عليه السلام يقول الله تعالى عنه .

(وكتبنا له فى الألواح من كل شىء موعظة وتفصيلاً لكل شىء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوها بأحسنها)^(١٠١) .

وعن التوراة يقول تعالى :

(وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين . . .) إلخ

(١٠٠) سورة إبراهيم - آية (٤)

(١٠١) سورة الأعراف - آية (٤٥) .

وعن الإنجيل يقول تعالى :

(وقفنا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونوراً ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين) .

وعن الزبور يقول تعالى :

(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) فالتوراة والإنجيل والزبور كانت تكتب كالقرآن ونزلت بلغات أهلها وهى العبرية . .
ومن المعلوم أن اللغة العبرية لغة بنى إسرائيل تخالف اللغة العربية فى حروفها وتختلف عنها فى طريقة كتابتها .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا ما يقوله تعالى مخاطباً رسول الله ﷺ :
(وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) .

فى تفسير قوله تعالى :

(والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرائيل تقيكم الحرّ وسرايل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون^(١٠١)) .

. . .

هذه آية من سورة النحل ذكرها الله تعالى فى تعداد نعمه على عباده ، ونذكر أولاً مفرداتها التى هى فى حاجة إلى بيان :

الظلال : جمع ظل وهو ما بقى الإنسان من حر الشمس .

والأكنان : جمع كِنَ وهو وقاء كل شيء وسره .

والسرايل : جمع سرايل وهو ما يستر الإنسان .

والبأس : شدة الحرب .

والمعنى والله سبحانه وتعالى جعل من النعم التى أسبغها على عباده ما يستظلون به من شدة الحر من الغمام والجبال والأشجار والبيوت وغيرها مما يستظل به من حر الشمس ولفحها لولا ذلك لأهلكتم الشمس الآدميين .

وكذلك من نعم الله سبحانه أن جعل لهم من الجبال أماناً يسهلون فيها ويستكنون ويستريحون

كالكهوف والمغاور والأسراب والحصون والمعازل التي يسترون فيها الأعداء ويعتصمون بها من كل ما يقصدهم بشرٌ أو يريدهم بسوء .

ومن نعمه أيضاً أن جعل لهم مما خلق ثياباً من القطن والصوف والكتان والحرير ونحو ذلك يحفظهم من الحر اللافتح وتدفع عنهم البرد القارس الذي يضر بأجسامهم ويقلل من إنتاجهم . وكذلك جعل لهم مما خلق دروعاً يلبسونها ويسترون بها فتدفع عنهم قذائف العدو ورماحه عند شدة الحرب والتحام الجيش . مثل هذا الإنباع الكبير الذي أنعم الله به عليكم أيها الآدميون إنما جعله لكم ليتم نعمته عليكم فتشكروه عليها وتسلموا وجوهكم له وتبتعدون عن الشرك وعبادة غيره . لأن من أنعم بهذا النعم الكبرى حقيق بأن يعبد وحده ولا يشرك بعبادته مع غيره .

في تفسير قول الله تعالى :

(ومنكم من يُردُّ إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً^(١٠٣)) .

• • •

كان الرسول ﷺ يستعذ بالله ويقول : وأعوذ بك من أرذل العمر فإ معنى هذا وما ضرر العمر الطويل ؟

أرذل العمر : أردؤه وهو الهرم والخرف ومعنى قوله تعالى : ومنكم من يُردُّ إلى أرذل العمر ، أى منكم من يبلغ من السن ما يتغير به عقله فلا يعقل شيئاً فيصير كما كان في أول طفولته ضعيف النية ساذج العقل قليل الفهم .

وهذه الحالة هي التي استعاذ منها رسول الله ﷺ . فالعمر الطويل بركة للمصالحين وتكثير لثوابهم ، والعمر الذي انتهى بالإنسان إلى حالة يحتاج فيها إلى من يرشده ويهديه ويسوسه ويرعاه يصبح مفرغاً من المشقة الكبيرة التي يسأل الإنسان ربه أن ينجيه منها .

على أن منصب النبوة الشريف كما نعلم ومسئولياتها تتطلب من النبي ﷺ أن يكون قادراً على إدارة شئون الدنيا وتحقيق مطالب الآخرة وذلك يحتاج إلى القوة البدنية والعقلية . والهرم المزدول يمنع من ذلك ويجعل المرء عاجزاً حتى عن قيادة نفسه ، ومن هنا استعاذ منه الرسول ﷺ . وإن تقييد العمر بالأرذل يدل على أن من العمر الطويل ما هو خير وبركة ، ولا ينتهى بالإنسان إلى هذه الحالة المزدولة وهذا ما لم يستعذ منه رسول الله ﷺ .

ثم إن أرذل العمر قد يحصل لمن هو صغير السن إذا ساء خلقه وفسد عمله أو صار كما يقول الفقهاء سفيهاً ولو كان في ريعان الشباب .

ومن هنا فإن هذه الاستعاذة ليست استعاذة من طول العمر وإنما هي استعاذة من العمر الذي لا يكون فيه عمل صالح أو قدرة على أداء ما يجب وترك ما ينبغي أن يترك .

في تفسير قول الله تعالى :

(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون^(١٠٤)) .

. . .

كل ما هو عدل وإحسان وخير يأمر الله تعالى به . وكل ما هو فاحشة ومنكر وإفساد ينهى عنه سبحانه .

ومعاشرة الرجل لرجل مثله من الفواحش المنكرة التي لا يرتكبها إلا من انتكست فطرته وكان أخس من الحيوان في طبعه ، لأن الحيوان لا يفعل ذلك ولا يأتيه ، ولقد انتشرت هذه الفاحشة في قوم فأرسل الله إليهم لوطاً ، عليه السلام ليحوّلهم عن هذه الفاحشة المنكرة ولكنهم أصروا على ارتكابهم لها فكان جزاؤهم أن أهلكهم الله بذنوبهم ونكس بيوتهم عليهم وذكر قصتهم في كثير من سور القرآن لتكون عظة وعبرة لأمثالهم . قال تعالى في سورة الأعراف .

(ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين . إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون ، وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قربتكم إنهم أناس يتطهرون . فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين . وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) .

وقد ذهب الإمام أبو حنيفة رحمه الله إلى أن اللاتط يلق من شاقق ويتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط ، وذهب آخرون من العلماء إلى أنه يرمم سواء كان محصناً أو غير محصن وهو أحد قول الشافعي رحمه الله والحجة ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به . وقال بعض الأئمة وهو قول آخر للشافعي رضي الله عنه إن حكمه حكم الزاني ، فإن كان محصناً رجم وإن لم يكن محصناً جلد مائة جلدة وعلى الجملة فإن هذه الفاحشة من الكبائر التي

يجب على مرتكبها أن يبادر إلى الإقلاع عنها والتوبة والرجوع إلى ربه والتكفير عن سيئاته قبل أن يأخذه الله كما أخذ قوم لوط بالعذاب الأليم فهو كافر لأنه أحل ما حرمه الله ، وأصبح معلوماً من الدين بالضرورة ونعوذ بالله من هذه الفاحشة التي تؤدي إلى العذاب الأليم .

في تفسير قوله سبحانه :

(من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيثه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون^(١٠٥)) .

• • •

هذه الآية ترغيب للمؤمنين في الإتيان بالأعمال الصالحة وبكل ما حث عليه الشرع من بر وإحسان وتشمل الذكر والأنثى وفي هذا دليل على مسئولية كل فرد من الرجل والمرأة عن عمله ومجازاة كل منها بالجزاء الحسن على العمل الصالح بالمساواة ، والمراد بالحياة الطيبة هو الحياة التي ينعم فيها صاحبها بطيب العيش والهدوء والطمأنينة ، والاستقرار وعدم المخاوف والأحزان . وهذه الحياة يرى جمهور المفسرين أنها في الدنيا ، والدنيا وإن كانت لا تخلو من بعض المنغصات إلا أن المؤمن يرزقه الله القناعة بما قسم الله له ، والرضا بما قرره وقضاه فيكون راضياً في حياته سعيداً بها منعماً فيها ، وذلك شأن كامل الإيمان . والله سبحانه وتعالى يبين لنا أن التقوى سبب في إخراج الإنسان من كل مأزق ومن كل هم ومن كل ضيق ، وهي سبب في توافر الرزق وحصول الإنسان عليه من حيث لا يحتسب .

فيقول سبحانه (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ، والعمل الصالح مع الإيمان سبب في السعادة في الدنيا والسعادة في الآخرة ، والسعادة في الدنيا هي ما عبر الله سبحانه وتعالى عنها بالحياة الطيبة .

في سبيل الدعاة :

يقول الله تعالى في كتابه الكريم مبيناً سبيل الدعاة وطريقهم :

(ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن^(١٠٦)) .

• • •

(١٠٥) سورة النحل - آية (٩٧)

(١٠٦) سورة النحل - آية (١٢٥) .

وسبيل الداعي إلى الله سبحانه أن يكون عالماً بأمر الدعوة عقيدة وأخلاقاً وتشريعاً يقول الله تعالى في القرآن الكريم على لسان رسوله الكريم :

(قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) .

والبصيرة في هذه الآية الكريمة تشمل الدعوة وأسلوب الدعوة وسبيل البصيرة في الدعوة العلم بها وسبيل البصيرة في أسلوب الدعوة الرفق والاتزان وأخذ الأمور مأخذ الروية والتعقل ، وهذه هي الحكمة .

ثم الحديث الواعظ بأحسن الطرق والأساليب التي تأخذ بالقلوب وتتعلق بها الأسماع وهذه هي الموعظة الحسنة .

وإذا اقتضت الظروف الجدل والنقاش واضطرت إليه اضطراراً ، فليكن بالحسنى ، والجدل والنقاش إنما هي المرتبة الثالثة في الدعوة إلى الله ، وهي مرتبة لا يأتيها الإنسان إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك ، وهل في القرآن الكريم نهى صريح عن اتخاذ الأسلوب العنيف .

يقول الله تعالى للمؤمنين : (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم) . وهذا نهى لهم عن اتخاذ الأسلوب العنيف في الدعوة .

ويقول الله تعالى لرسوله : (ولر كنت فظاً غليظ القلب لا نفصوا من حولك) . وكل من خالف أوامر القرآن وأسلوب الرسول عليه والصلاة والسلام في الدعوة فهو آثم . لأن كل دعوة في الإسلام على غير الوجه الذي أرشدنا الله ورسوله إليه تسيء إلى الإسلام أكثر مما تنفعه فهي دعوة ضارة بالإسلام ، ثم يأتي صاحبها ويمنع من الاستمرار فيها .

في معنى قول الله تعالى :

(سبحانه الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير^(١٠٧))

• • •

فالمسجد الأقصى موجود بنص تلك الآية الكريمة ، وكان مسرى رسول الله ﷺ إليه ، وقد تناولته أيدي الأمراء بعد الفتح الإسلامي بالتجديد تارة ، والزخرفة تارة أخرى . وما ورد من أن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان هو الذي بنى المسجد الأقصى وأكمله من بعده الوليد صحيح .

ولعل بناءه له كان نتيجة حتمية لتجديده وتجديداً يناسب ما للمسجد من مكانة سامية في نفوس المسلمين وغيرهم من الدول التي تتجه إليه وتستقبله في صلاتها ودعائها كاليهود والمسيحيين. ولما لم يتم لللك بناءه أتمه من بعده ولده . وما نشر في الصحف من أن بعض الدول الإسلامية دول علمانية لا يغير من جوهر المسجد الأقصى شيئاً .

في قوله تعالى :

(وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علواً كبيراً^(١٠٨)) .

• • •

المراد بالكتاب في الآية الكريمة هو التوراة التي أنزلها الله تعالى على سيدنا موسى عليه السلام ، والمعنى كما يقول العلامة ابن كثير في تفسيره ، يخبر الله تعالى أنه قضى إلى بني إسرائيل في الكتاب أى أخبرهم في الكتاب الذى أنزله عليهم أنهم سيفسدون في الأرض مرتين ويعلمون علواً كبيراً : أى يتجبرون ويطيعون ويفجرون على الناس كقوله تعالى : (وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) . أى أخبرناه بذلك وأعلمناه به .

وقد اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء الذين سلطهم الله على اليهود من هم ؟ وقد وردت في ذلك روايات كثيرة ، يقول ابن كثير : وفيما قص الله علينا في كتابه غنية عما سواه من بقية الكتب قبله ، ولم يحوجنا الله ولا رسوله إليهم ، وقد أخبر الله عنهم أنهم لما طغوا وبغوا سلط الله عليهم عدوهم فاستباح بيضتهم وسلك خلال بيوتهم وأذلهم وقهرهم جزاءً وفاقاً (وما ريك بظلام للعبيد) ، إنهم كانوا تمردوا وقتلوا حلفاء من الأنبياء والعلماء وسواء أحدثت المرتان اللتان تشير إليهما الآية الكريمة أم حدثت أولاهما وبقيت الآخرة فإن الآية الكريمة تحدد وعيد الله لهم بأنهم إذا عادوا إلى الإفساد في الأرض عاد الله إلى التنكيل بهم على يد بعض عباده قال تعالى : محتملاً هذه الآيات : (عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً) .

ومن المؤكد تاريخياً أنهم عادوا إلى الإفساد في الأرض فسلط الله عليهم من نكل بهم وشردهم وأدأقهم وبال أمرهم ، ولا ينبغي عن الأذهان ما حدث بهم في النصف الأول من هذا القرن وما يحدث من طرد العالم كله لهم ليستريح من شرهم وأخيراً وليس - بإذن الله آخر - ما حدث بهم

به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجراً الذى أنفقته على أهلك ، وقال صلوات الله عليه « كفى المرء إثماً أن يضيع من يقوت » فالتفتير على الأسرة بحجة نهى الله سبحانه عن التبذير ليس طريق المهتدين بهدى الله الذى هو التوسط والقصد والاعتدال ، وليس من الدين فى شىء .

فى قول الله تعالى :

(وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريماً ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل : رب ارحمهما كما ربياني صغيراً^(١١٠)) .

• • •

فى هذه الآيات الكريمة أمر الله بالإحسان إلى الوالدين بجميع أنواع الإحسان التى لا إثم فيها ، وشدد سبحانه فى هذا الأمر بحيث أدخله مع لزوم توحيده فى العبادة تحت أمر واحد ، فإذا شعر الإنسان بأنه قد أهمل شأن والديه وكان بعيداً عنها فعليه أن يسافر إليهما إذا استطاع وعليه أن يكتب إليهما مستسمحاً مستغفراً إذا لم يستطع ويوسط بعض معارفه إذا كان له معارف بالقرب منها فى أن يعفوا عنه .

وتأتى التوبة من قبل كل ذلك ، وفى أثناءه ومن بعده توبة نصوحاً إلى الله سبحانه معترفاً بذنبه ، مستغفراً منه شاعراً بالندم على أنه قابل إحسانها إليه جنيئاً ورضيعاً وطفلاً ويافعاً بما لا يليق بإحسانها إليه .

ويعزم عزماً مؤكداً أنه إذا التقى بهما يكون مثالا للابن البار ، وعسى الله سبحانه بذلك أن يغفر له ويقبل توبته هذا ما لم تكن التوبة فى لحظة الاحتضار أى ما لم يفرغر ، فإن التوبة فى حالة الاحتضار لا تفيد .

فى قوله تعالى :

(أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ، إن عذاب ربك كان محذوراً^(١١١)) .

• • •

(١١٠) سورة الإسراء - آيتا (٢٣ - ٢٤) .

(١١١) سورة الإسراء - آية (٥٧) .

إن الوسيلة في هذه الآية بمعنى القرية التي يتغنى بها مطلوب ، وهو الفلاح الوارد في آخر الآية مترتباً على التقوى والجهاد في سبيل الله وطلب الوسيلة إليه سبحانه . وتقوى الله طريقها معروف وهو الإيمان والعمل الصالح والقربات مبينة في الكتاب والسنة ، والجهاد أمره واضح فلا إشكال في معرفة معنى الوسيلة ولا في معرفة ظواهرها .

وجاءت الوسيلة بهذا المعنى في قوله تعالى : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) أى يطلبون من الله الزلفى والقرية ويتضرعون إليه في طلب الجنة .

وجاءت الوسيلة في السنة بمعنى قول النبي ﷺ إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول : ثم صلوا على فإنه من صلى صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون هو ، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت له الشفاعة . . رواه عن عبد الله ابن عمرو بن العاص . والوسيلة صيغة على وزن فعيلة ، مأخوذ من توصلت إليه أى تقربت قال عنترة : إن الرجال لهم وسيلة ولعلك تقصدين من سؤالك أيتها الطالبة ما تعارف عليه بعض الناس من قولهم توصلت بفلان إلى الله أو توصلت بجاء محمد أوجاه بعض الأولياء إلى الله فاعلمى أن التوصل إلى الله لا يكون إلا بالإيمان به وطاعته ، ولا يشفع لأحد إلا بإذنه سبحانه . وإذا توصل إنسان إلى الله بدعاء رجل صالح ليكون هو الداعى دليل على حب وتقدير لهذا الصالح وتقدير الصالحين وحبهم لون من ألوان الطاعة لله .

أما قول بعضهم : أسألك بحق أنبيائك فقد منعه بعض الفقهاء ، كما قال القدورى : المسألة بحقه لا مجوز ، لأنه لا حق للخلق على الخالق .

ومها يكن من شيء ، فإن الواجب على المسلم أن يجتهد في عمل الطاعات فهي وسيلته إلى الله ، وأن يدعو ، فإن الدعاء بالعبادة رابطة العبد بالله ولا بأس من سؤال أحد الصالحين أن يدعو له ربه ، فإن الطلب كله من الله ، وقد سأل الصحابة بعضهم بعضاً . .

ويجب تحسين الألفاظ وتحديدتها عند الدعاء حتى لا يكون هناك اعتراض يثير الجدل ويرمى به بعض الناس بالكفر . وأخيراً أقول (إنما الأعمال بالنيات) وما دام المقصود بالطلب هو الله وحده ، فإنه لا إشراك في ذلك ، وليكن تعليم الجهال من العامة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتفصيل موضوع الوسيلة بين المجيزين والممانعين ليس محله هنا .

في تفسير قول الله تعالى :

(قل لن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً^(١١٢)) .

• • •

أنزل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بلسان عربي مبين كما قال تعالى : (قرآنا عربياً غير ذي عوج) وتحدى به العرب وهم أرباب الفصاحة والبلاغة على أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا عن معارضته ، قال تعالى : (قل لن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) .

ولقد افتتح الله سبحانه وتعالى بعض سور القرآن بحروف مثل : ألم ، المر ، حم ، حم عسق . وذكر العلماء لهذه الحروف معاني متعددة ، فمنهم من قال : إنها أسماء للسور التي افتتحت بها . ومنهم من قال : إن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسماء تعالى والعرب تنطق بالحرف الواحد تدل به على الكلمة التي هو منها .

ومنهم من فوض أمر علم معانيها إلى الله سبحانه وتعالى كما ذكره الجلال السيوطي في الإتيان قال : إنها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الله .

والراجع كما ذكره الرازي والمحققون : أنها إنما ذكرت هذه الحروف في مفتاح السور بياناً لإعجاز القرآن ، وأنه كلمات مركبة من حروف الهجاء التي تتألف منها الكلمات التي ينطق العرب بها ، وقد عجز الخلق عن معارضتها فلو لم يكن وحياً من الله تعالى لم تتساقط مقدرتهم دون معارضته .

في تفسير قول الله تعالى :

(ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً . قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والأرض أبصر به وأسمع ، ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه أحداً^(١١٣)) .

• • •

(١١٢) سورة الإسراء - آية (٨٨) .

(١١٣) سورة الكهف - آية (٢٥ - ٢٦) .

جاء ذكر أصحاب الكهف في القرآن الكريم في سورة (الكهف) وقال الله تعالى لنبيه :
(نحن نقص عليك نبأهم بالحق إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) وهي على ما وردت به
الروايات :

أنه كان بمدينة أفسوس أو طرسوس - بآسيا الصغرى - ملك اسمه دقيانوس ، وكان يدعو أهل
مملكته إلى عبادة غير الله ، ويظلمهم ، ويعذبهم إن هم خالفوا أمره ، وكان في البلدة فتية آمنوا
بربهم وقرروا فيما بينهم الفرار بدينهم من ظلم ذلك الملك وعسفه ، فخرجوا وآووا إلى كهف في
الجليل واتخذوه مأوى لهم يعبدون الله فيه ، ولم يذكر في الروايات أنهم نبهوا أهلهم أو لم ينههم ،
وأغلب الظن أنهم أسرّوا إلى المقربين إليهم من أقاربهم بسفرهم حتى لا يكون في غيابهم هم أو غم
لأهلهم وخاصة الآباء والأمهات ، وأهل الله يحبون دائماً أن لا يكونوا مصدر قلق وحزن لغيرهم
وخصوصاً إذا كانوا أقرب المقربين إليهم وأغلب الظن أيضاً أنهم وإن كانوا أخبروهم بالسفر فإنهم
لم يخبروهم بالمكان .

ولقد ذكر القرآن الكريم أنهم لبثوا في الكهف ثلثمائة وتسع سنين ضرب الله على آذانهم في
الكهف هذه المدة الطويلة ، ثم بعثهم وأخذوا يتساءلون بينهم عن المدة التي لبثوها كما قص
القرآن : (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم .
قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أنهم لبثوا في كهفهم هذه المدة الطويلة قال
تعالى : (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنة وازدادوا تسعاً قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات
والأرض) .

ولقد حاول كثير من المفسرين أن يحدد مكان الكهف وأخذ يذكر البلد الذي به الكهف ،
ولكن هذه المحاولات إنما هي ضرب من التخمين وليس في القرآن ولا في السنة ما يحدده ، وعلينا
أن نكتفي بما ذكره القرآن الكريم وإنما ذكر القصة للعبارة والعظة وهي في هذا المجال مليئة بالمعاني
ككل قصص القرآن .

في معنى الكهف :

قبل إن هذا الكهف بشرق الأردن ، وقيل بفلسطين وقيل بالضفة الشرقية من جهة نهر
الأردن .

والذين بالكهف لم ينهوا أهلهم قبل الذهاب إليه لأن كل من كانوا بالبلد الذي هم فيه كانوا

كفاراً ، فخشية أن يمنحوا من الذهاب إلى الكهف ، وخشية التعذيب لم يخبروا أحداً بمقصدهم
بدليل قول الله سبحانه وتعالى :

(فاجثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً ، فليأتكم برزق منه ،
وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً ، إنهم إن يظهروا عليكم يرموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن
تفلحوا إذا أبداً) .

وهؤلاء هم المعروفون في التاريخ بأنهم أهل الكهف .

في تفسير قوله تعالى :

(قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن
تجعل بيننا وبينهم سداً^(١١٤)) .

• • •

يختلف المؤرخون في أمر يأجوج ومأجوج وأمر السد الذي بناه ذو القرنين ، لما رأى الدين في
ذلك ؟ يروى الإمام ابن حزم أن أمر يأجوج ومأجوج قد ذكر في كتب اليهود التي يؤمنون بها والتي
يؤمن بها النصارى ، ويروى أن أرسطو ذكر يأجوج ومأجوج ، وذكر السد في كتابه (الحيوان)
وبذكر ابن حزم أيضاً أن بطليموس : ذكر في كتابه المسمى (جغرافيا) سد يأجوج ومأجوج ثم
يقول ابن حزم .

« واعلموا أن ما كان في عنصر الإمكان فأدخله مُدخلٌ في عنصر الامتناع بلا برهان فهو كاذب
مبطل ، جاهل أو مجاهر ، لاسيما إذا أخبر به من قد قام البرهان على صدق خبره » .

ويقول السيد محمد جمال الدين القاسمي في تفسيره قال بعض المحققين اعلم أنه كثيراً ما يحدث
في الثورات البركانية أن تنخسف بعض البلاد أو ترتفع بعض الأراضي حتى تصبح كالجبال وهذا أمر
مشاهد حتى زمننا هذا . فإذا سلم أن سد ذي القرنين المذكور في هذه الآية غير موجود الآن ، فربما
كان ذلك ناشئاً من ثورة بركانية خسفت به وأزالت آثاره ولا يوجد في القرآن ما يدل على بقاءه إلى
يوم القيامة ومعنى قوله تعالى :

(هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء)

معناه : أن هذا السد رحمة من الله بالأمم القريبة منه ، لمنع غارات يأجوج ومأجوج عنهم ولكن يجب عليهم أن يفهموا أن متانته وصلابته لا يمكن أن تقاوم مشيئة الله القوي القدير ، فإن بقاءه إنما هو بفضل الله ، ولكن أجل السد له في المشيئة الإلهية حد ينتهي إليه فإذا حان الموعد المضروب في المشيئة الإلهية فإن هذا السد لا يقف لحظة واحدة أمام قدرة الله .

بل يدكه دكاً في ملح البصر ١ هـ . .

والذى يفهم من القرآن : أن يأجوج ومأجوج أمتان أو قبيلتان كبيرتان تفسدان في الأرض بالتهب والسلب والإغارة المستمرة على من جاورهما من الأمم ، وليس في هذا الأمر غرابة ، فهو موجود في كثير من القبائل أو الأمم الموجودة في عصرنا الراهن ولما وصل ذو القرنين إلى من يجاور القبيلتين ورأوا منه القوة والحكمة والعلم والاستعداد لعمل الخير وجهوا إليه الرجاء في أن يقيم بينهم وبين يأجوج ومأجوج سداً منيعاً في مقابل أجر يعطونه له ، فامتنع عن أخذ الأجر وقال : (ما مكنى فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً) .

في تفسير قول الله سبحانه :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١١٥)) .

• • •

فالآية تفيد أن دخول الجنة غاية للإيمان والعمل الصالح ، والإيمان هو التصديق بوحداية الله وبصفاته وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه .

والعمل الصالح هو العمل بشرائع الإسلام وأداء أركانه واتباع ما جاء به الرسول ﷺ واجتناب المنهيات لقوله تعالى : (إِنْ تَحْتَبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخِلَ كَرِيمٍ) .

لمن أتى بذلك المذكور من الإيمان والعمل الصالح واجتناب المنهيات دخل الجنة ، وأول ما يبدأ به مرضاة الله تعالى ، ودخوله الجنة إنما هو بالتوبة الخالصة النصوح ، التوبة الخارجة من أعماق القلب المؤمن ، والتوبة هي أولى الخطوات للمساكين إلى الرشاد والهداية ، ومن أجل ذلك حث الله عليها كثيراً فقال سبحانه في حديث قدسي :

« يا عبادى إنكم تحطثون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفرونى أغفر لكم » وأمر سبحانه وتعالى بها فى القرآن الكريم قائلا :

(وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) .

وبعد التوبة يكون العمل الصالح ، وذلك أن التوبة تضع الإنسان فى مرتبة البراءة فتكون صحيفة أعماله بيضاء ويأتى بعد ذلك العمل الصالح ، ولقد رسم الله الطريق لدخول الجنة فى أسلوب محكم فيه مجال للرجاء ، وفيه وعد ووعد ، وفيه بشرى النجاة للذين اتقوا فقال :

(قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتىكم العذاب ثم لا تنصرون) إلى قوله تعالى : (ولا هم يحزنون)^(١١٦) .

معنى قوله تعالى :

(وإن منكم إلا واردها ، كان على ربك حتماً مقضياً)^(١١٧) .

• • •

روى ابن جرير بإسناده عن عبد الله قوله : (وإن منكم إلا واردها) قال : الصراط على جهنم ، مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق ، والثانية كالريح ، والثالثة ، كأجود الخيل ، والرابعة كأجود البهائم ، ثم يَمْرُونَ والملائكة يقولون « اللهم سلم سلم » .

يقول ابن كثير : ولهذا شوهذ فى الصحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبى سعيد ، وأبى هريرة وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم .

ويكون إذن معنى الورود فى الآية الكريمة : هو المرور على الصراط والصراط على جهنم ، وليس المراد دخول النار بالفعل .

ولقد روى الإمام أحمد ، رضى الله عنه ، بسنده عن حفصة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :

إنى لأرجو ألا يدخل النار أحد شهد بداراً والحديبية ، قالت حفصة : أليس الله يقول :

(١١٦) سورة الزمر - الآيات من (٥٣ - ٦١) .

(١١٧) سورة مريم - آية (٧١) .

(وإن منكم إلا واردها) ؟ فقال رسول الله ﷺ .

(ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً) .

وهذا هو رأى قتادة أيضاً : يقول قوله : (وإن منكم إلا واردها) : قال هو المر عليها .
أما قوله تعالى : (كان على ربك حتماً مقضياً) فقد فسرهما ابن مسعود بقوله : قسماً واجباً
وفسرهما مجاهد بأنها قضاء حتم .

في تفسير قوله تعالى :

(قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدوٌ فأما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى^(١١٨)) .

• • •

في هذه الآيات مقارنة بين من اتبع الهدى ومن أعرض عنه ، إن من اتبع الهدى فلا يضل عن طريق الحق ومتابعة الشرع ولا يشقى مهما نزل به في الدنيا ، إنه راض قانع ، في نضاله وكفاحه ، مستسلم لله سبحانه وتعالى ، شرح الله صدره بالإيمان وطمأنه بالتقوى والذكر :
(ألا بذكر الله تطمئن القلوب) .

أما من أعرض عن نداء الحق وتجاهل أوامر الشرع وسار في حياته بلا مرشد من الدين ولا دليل من الهدى فإنه - مهما كان غناه - سخط ، متبرم ، قلق غاضب ، حسود ، حقود . وقد يكون كسبه حراماً وهو لا يهتم .

ويعاقبه الله تعالى في الآخرة على ذلك بالعمى فلا يبصر طريقه ، ويسير على غير هدى ، إنه لا يبصر حجة ولا يستطيع دفاعاً عن نفسه .

ويتساءل كأنه لا يعرف أولاً لأنه نسي من هول ما حصل له : (رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً) . ويكون الجواب بما يفيد : لقد كانت الآيات الإلهية أمامك فهل أبصرتها ؟ وهل سرت على هداها أو تعاميت عنها ؟ إن الجزء من جنس العمل ، والعمى في القيامة هو عمى البصيرة ، هو الخيرة والتخبط وعدم الاهتداء إلى سبيل النجاة .

وهذا الجزء ليس خاصاً بفرد دون فرد . إنه لكل مسرف ينسى الدين وينغمس في الدنيا إنه لكل من لا يهتم إلا بالمادة ويتناسى القيم والأخلاق .

إن المادة وحدها لا تحقق إلا الشقاء في الدنيا والقلق والاضطرابات ، وفي الآخرة عذاب أشد وقلق عظيم واضطراب أكبر ، حيث لا نهاية لما يكون فيه الإنسان والآيات بعد ذلك وقبله إنذار وتحذير لكل من يعرض آيات الله في الآفاق وفي الأنفس ، في الكتاب والسنة ، وفي كل ما يحيط بالإنسان ، فيكفر أو يغش .

(قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون قليلاً) .

في تفسير قوله تعالى :

(قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون^(١١٩)) .

. . .

يقول الله تعالى (قد أفلح المؤمنون . الذين هم في صلاتهم خاشعون) وقد رأى رسول الله ﷺ رجلاً يحرك يده ويضعها على لحيته وهو في الصلاة فقال : لو خشع قلبه لخشعت جوارحه ، وأنه لمن البديهي أن الصلاة فترة من الصلة بالله ينبغي أن تكون في جوها هادئاً وأن تبتعد عن كل ما يشغل عن المناجاة مع الله سبحانه . فإذا عرض للمصل شيء بعد أخذ الاحتياط الواجب فليقل : سبحان الله . ويكررها إذا احتاج الأمر إلى زيادة التنبيه ، وذلك إذا كان المصل رجلاً ، فإذا كان المصل امرأة صفقت . وذلك لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « التسبيح للرجل والتصفيق للنساء في الصلاة ، ومع ذلك فإنه لو رفع المصل صوته بالقراءة أو ببعض أذكارها لإسكات الأولاد أو التنبيه على أمر من الأمور فصلاته صحيحة . ولكن الأفضل اتباع تعلم الرسول ﷺ .

في شرح قوله تعالى :

(إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون^(١٢٠)) .

. . .

(١١٩) سورة المؤمنون - آية (١) .

(١٢٠) سورة النور - آية (١٩) .

إن الذى يساعد على أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا إنما هو محب لذلك ، فهو داخل فىمن توعدهم الله سبحانه بالعذاب الأليم فى الدنيا والآخرة لأنه أعان على الزنى ومهد سبله واتخذ من الإغاة عليه حرفة ووسيلة إلى الكسب .

وفى الصحيح أن النبى ﷺ نهى عن مهر البنى ، أى أخذ الأجرة على الزنى أو استخدام النساء لإدراار الربح عن هذا الطريق المشين ، وصاحب المتزل ممن يعيشون فى الأرض فساداً ومن الواجب على أهل الحى مضايقته ومقاومته ، ومن الواجب رده عن هذا الفعل المشين . وأما من جعل فندقه حانة لشرب الخمر فهو أيضاً آثم وعامل ومعين على الفساد ، وهو أيضاً ممن لعنهم الرسول ﷺ ، ومن الواجب رده ومقاومته ، وهو داخل فىمن لعنهم الله ورسوله بسبب الخمر .

فى تفسير قول الله تعالى :

(الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة . . (١٢١)) إلخ .

. . .

شبه الله تبارك وتعالى نوره فى السموات والأرض كمشكاة فيها مصباح ، المصباح فى زجاجة ، الزجاج لفرط صفائها وصفاء ما بها كأنها كوكب درى مضيء بإضاءة قوية . فإذا اجتمع نوران : نور المصباح ، ونور الزجاج التى تشبه الكوكب الدرى فى مكان يحصره ، كالمشكاة التى تكون مدورة لوضع المصباح بها ، كان النور أشد ما يكون ، وهو مثل ورد للتقريب فقط ، وإلا فنور الله عز وجل فى السموات والأرض لا يشبه نور .

فى تفسير قول الله تعالى :

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هؤنًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا) (١٢٢)

. . .

إن هذه الآية الكريمة من سورة الفرقان هى أول الآيات المتتالية التى يعرف الله سبحانه وتعالى فيها أوصاف عباد الرحمن .

(١٢١) سورة النور - آية (٣٥) .

(١٢٢) سورة الفرقان - آية (٦٣) .

والجاهلون في الآية الكريمة لا يقصد بهم غير المثقفين ، كلا ، وإنما يقصد بهم السفهاء . .
والجهل يطلق أحياناً ويقصد به عدم العلم ، وهذا المعنى هو الشائع لكلمة الجهل ولكلمة
الجهلاء .

وقد تطلق ويراد بها السُّفَه ، وهذا هو ما أراده الشاعر في قوله :
ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا
وهذا المعنى هو المعنى المراد من كلمة « الجاهلون » التي وردت في الآية الكريمة فهم السفهاء
وقليلو الأدب .

وهؤلاء لما في فطرهم من إفساد ، ولما في نفوسهم من انحراف يتعرضون للفضلاء بالأذى غير
مبالين بالألفاظ ينطقون بها ، أو الأفعال التي تصدر عنهم ، وموقف عباد الرحمن منهم ليس هو
موقف السُّفَه أو قلة الأدب وإنما هو موقف الرجل المهذب الذي يحاول أن يوجد دائماً السلام من
الاجتماع الذي يعمل فيه ، وعلى إيجاده في النفوس بقوله وفعله ، فإذا تعرض له سفيه قابله
بالحسن ، فعنى (قالوا سلاماً) أى قالوا خيراً ، فيقابلون السُّفَه بالخير ، ولقد كان من صفات
رسول الله ﷺ أن لا تزيد شدة الجاهل عليه إلا حلمًا ، وموقف عباد الرحمن بعد ذلك إنما هو
كما قال سبحانه : (وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه) .

في تفسير قول الله تعالى :

(إذ قال موسى لأهله إني آنست نارا سآتيكم منها بخير أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم
تصطلون) .

وفي تفسير قول الله تعالى :

(فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنسَ من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني آنست
نارا لعلى آتيكم منها بخير أو جدوة من النار لعلكم تصطلون) (١٢٤)

قال تعالى : (إني آنست نارا سآتيكم منها بخير) . . إلخ .
وقال تعالى : (إني آنست نارا لعلى آتيكم منها بخير) . . إلخ .

(١٢٣) سورة المل - آية (٧) .

(١٢٤) سورة القصص - آية (٢٩) .

في الآية الأولى الإخبار بأنه سيأتي منها بخير أو بقطعة ليستدفتوا بها . وفي الآية الثانية : يرجو أن يقف على خبر هذه النار ، أو أن يحصل على قطعة ليستدفتوا بها ويقضوا منها وطهرهم . والخبر والرجاء يختلفان منطوقاً ومفهوماً ، ويتفقان غاية ، ولاتعارض بين منطوق الآيتين ومفهوم كل منهما ، لأن موسى عليه السلام لما رأى النار قال سأتيكم منها بخير ، وهو يرجو في نفسه أن يوفقه الله لما يريد .

« وهكذا شأن الأنبياء ومن أعدوا في سابق الأزل للرسالات ، بل شأن العقلاء ليعولون على أنفسهم في أي أمر يقصدون إليه ، بل يعولون على الله في كل مطلوب »
فأحدي الآيات تعبر عما في قلبه من رجاء معونة الله ، والأخرى تعبر عن حديثه لأهله مطمئناً .

في تفسير قوله تعالى :

(إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (١٢٥)

• • •

عدها البعض آية مستقلة من سورة الفاتحة ، وعلى ذلك فلا بد من الإتيان بها في الصلاة ، كما ذهب إلى ذلك الشافعي رضي الله عنه ، حسب روايته في تلاوة كتاب الله تعالى .
كما ورد في العدد المكي والكوفي ، وحجته في ذلك مع الرواية وجود البسملة أول كل سورة ماعدا براءة مع اجتهاد الصحابة في تحلية كتاب الله تعالى عما ليس منه . فلو لم تكن البسملة من الفاتحة ما أثبتوها .

وذهب بعض الأئمة إلى أن البسملة ليست آية من الفاتحة ، وعلى ذلك لا تبطل الصلاة بتركها ، مادام قد اختلف فيها ، فبأي الرأيين أخذت فصلاتك صحيحة ، غير أن الأخذ بتلاوة البسملة في كل فاتحة في الصلاة أولى للحبطة .

في تفسير قوله تعالى :

(ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ، ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) (١٢٦) .

• • •

(١٢٥) سورة المل - آية (٣٠) .

(١٢٦) سورة السجدة - آية (١٣) .

حيثما طرد الله سبحانه وتعالى إبليس من الجنة أقسم إبليس أن يكرس حياته لإغواء المخلوقات من الإنس والجن قائلا : فبعزتك لأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين .
وقد وضع الله سبحانه وتعالى أن عباده المخلصين لا يتأتى أن يكون للشيطان عليهم من سبيل قائلا :

« فالحق والحق أقول : لأملان جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين » وفي هذه الآيات التي ذكرناها بيان للمقصود من الآية التي نحدث عنها السائل الفاضل والجنة : هم الجن . وسموا جنّا لاستارهم عن الأنظار من الجنّ وهو السر :

قال تعالى : (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم)
وكلمة الجن ، وكلمة العفاريت ، وكلمة الشياطين كلها بمعنى واحد ، ولا يدخل النار إلا الكفار والعصاة من الجن والإنس .

أما المؤمنون والطائعون ، فيدخلون الجنة ، سواء كانوا من الجن : أو من الناس ، لأن الجن منهم المؤمنون ومنهم غير المؤمنين ، قال تعالى في سورة الجن :
(وأنا من المسلمين ومنا القاسطون ، فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) .

في هل وضع القرآن الكريم قواعد إذا اتبعها الأثرياء أرضوا الله ورسوله ؟
« نعم وضع القرآن هذه القواعد وحث عليها بشق الوسائل ، وقد جمعت هذه القواعد في ألفاظ قليلة في قصة قارون) .

• • •

لقد كان قارون من قوم موسى آتاه الله ثراء عريضا ورزق من المال مالا يكاد يحصى ، واتخذ قارون المال سبيلا إلى الملاذ والشهوات ، شهوات الجاه وشهوات الترف ، وشهوات النعيم الحسى بكل أنواعه ، لقد أسرف قارون في انغماسه في الملذات ، وكان يخرج على قومه في زيتته وفي كبريائه وغروره لا يعطف على ضعيف ولا يساعد فقيرا ولا يعين ذا حاجة ، وليس للرحمة إلى قلبه من سبيل .

ولما رأى قومه ذلك اجتمعوا وتشاوروا فيما بينهم وانفقوا على أن يسدوا إليه النصيحة ، فلما اجتمعوا به تلفظوا في القول ما استطاعوا وأجملوا النصيحة في خمس قواعد هي في الواقع القانون

العام لما ينبغي أن يكون عليه الأثرياء . وهى الطابع الذى يجب أن يكون عليه أهل الغنى قالوا له :

إنك مباه بثروتك فخور بها ، فرح بالمال لذاته ، وما ينبغي أن يكون الفرح بالمال إلا لأنه وسيلة إلى النفع ، فلا تفرح بكثرة المال فرح بطر وكبرياء وفخر ، إن الله لا يحب الفرحين الذين يتمثل فيهم ذلك .

وقد آتاك الله الكثير فابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة . واجعل زكاة مالك مساعدة الفقير ، وزكاة قوتك نصر الضعيف ، وزكاة جاهك نصرة المظلوم .

والدنيا مزرعة الآخرة وطريقها فلا تنس نصيبك من الخطوات فى هذا الطريق بالعمل الصالح واكتساب رضا الله قبل القدوم عليه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . وأحسن كما أحسن الله إليك : أحسن إلى نفسك بأن تتق الله فى كل ما نأى وما تدع . وأحسن إلى الآخرين وما الإحسان إلى الآخرين إلا إحسان إلى النفس لأنه تركية لها ، والصدقة تظهر النفس وتركيها .

(ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين) فإذا كان وقع هذه النصائح عند قارون ؟ هذه المبادئ السامية ، التى إذا عممتها كانت الدستور لكل صاحب جاه أو نعمة . لم تلق أذنا مضعبة لدى قارون الذى ألهمه التكاثر فقال ساخراً متحدياً لا يبالي : (إنما أوتيته على علم حدى) فإذا كان الجزاء الإلهى على ذلك ؟ كان ما عبر الله عنه بقوله :

(فخشفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين) .

فى تفسير قول الله تعالى :

(إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سُجُودًا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) (١٢٧) .

• • •

إن من المظاهر الصادقة للإيمان بآيات الله التى عبر عنها الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز أنه حينما يسمعها المؤمن على لسان قارئ أو على لسان واعظ ، حينما يذكر بها على أى وضع من

الأوضاع ، فإنها تلمس في نفسه سر الله فيه وتؤثر على مركز النور والصفاء في روحه . وذلك لما بينها وبين الإيمان الصادق من صلة ، فإنها تعبر عنه وتشرحه موضحة ومرشدة وموجهة . (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) .

ومقياس الإيمان الصادق إذن إنما هو الاستجابة الكاملة لآيات الله ، الاستجابة المقرونة بتعظيم الله سبحانه عن طريق حمده والثناء عليه ، الاستجابة التي يعبر عنها المعنى العميق للخضوع لما أمر الله سبحانه والانهاء عما نهى عنه . وهذا هو المعنى الحقيقي للسجود . وهذا هو ما يراد من وراء هذه الكيفية المخصوصة من وضع الجبهة على الأرض خضوعاً وتواضعاً وخشية . والسجود يعبر عن منتهى الخضوع والخشية . ومن أجل ذلك يقول رسول الله ﷺ : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد .

ومن أجل هذا القرب بحث رسول الله ﷺ على الدعاء في أثناء السجود ، لأن القرب مظنة الاستجابة ويقول الله سبحانه وتعالى : (واسجد واقترب) . أى اقترب من الله عن طريق السجود إليه .

وجوهر السجود في حديث رسول الله ﷺ وفي الآية الكريمة إنما هو : الاستجابة في كل أمر بما يناسبه ويتفق والأوضاع والشروط المطلوبة . والله سبحانه حين أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام كانت استجابتهم فورية ولم يستجب إبليس ويفسر عدم استجابته بالكبرياء المتغفل في نفسه ، ومن أجل ذلك وصف الله المؤمنين في الآية التي نحن بصددتها بأنهم لا يستكبرون .

إن التواضع لله سبحانه وخشيته والاستجابة إليه مقياس الإيمان الصادق ، وليس ذلك كلاماً يقال ولا ألفاظاً تتمق ، وإنما يظهر في صور محددة منها : أن المؤمنين الصادقين (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) ، إنهم المتجهدون بالليل ، (يدعون ربهم خوفاً وطمعاً) ، ومن صفاتهم أنهم يشكرون الله بالإتيان بما رزقهم ، إنهم يشكرونه على القوة بالإتيان منها في مساعدة الضعفاء . وعلى الجاه بالإتيان منه في مساعدة من لاجاه لهم . وعلى الثراء بالتصدق ، والصدقة برهان . ويشكرونه على العلم بتعليم الآخرين ، إنهم يخرجون زكاة كل نعمة أنعم الله تعالى عليهم ، والله سبحانه وتعالى يتحدث عن عاقبة أمرهم وعما ادخره لهم فيقول سبحانه : (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) .

في فضل سورة (يس) :

روى الإمام أحمد والحاكم وصححه معقل بن يسار رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
 قلب القرآن (يس) لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له . اقرءوها على موتاكم .
 وكلمة اقرءوها على موتاكم « كلمة مطلقة فهي تفيد اقرءوها على من كان في حالة
 الاحتضار ، وتفيد اقرءوها على موتاكم في المقابر ، ويساند هذا ما ذكره الثعلبي عن أبي هريرة
 رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من دخل المقابر وقرأ سورة يس خفف الله عنهم يومئذ .
 وكان له بعدد من فيها حسنات .

ومذهب الجمهور من أهل السنة أن ثواب قراءة القرآن يصل إلى المتوفى ، بل لقد ذكر
 ابن قدامة في كتابه (المغنى) أن الإمام الجليل أحمد بن حنبل قال :
 الميت يصل إليه كل شيء من الخير ، للنصوص الواردة في ذلك . ولأن المسلمين يجتمعون في
 كل عصر ويقرءون ويهدون لموتاهم من غير نكير ، فكان إجماع .
 فإذا ما قرأ إنسان القرآن بنية إهداء الثواب إلى الميت فإنه يقول : بعد الفراغ من القراءة « اللهم
 أوصل ثواب ما قرأته إلى فلان »

على أن الجمهور من أهل السنة يعلن في صراحة أن القراءة التي يصل ثوابها إلى الميت إنما هي
 القراءة التي ليست مأجورة ، ويعلن في صراحة أيضاً أنه لا بد من النية التي تتقدم القراءة .
 وقراءة القرآن على الميت لا تتقدر بزمان بعد الوفاة . فلا تتقيد بمرور سبعة أيام أو أكثر
 أو أقل ، وما من شك في أنه من الخير أن يُقرأ القرآن عند الميت في حالة الاحتضار ، وأن يُقرأ بعد
 وفاته مباشرة ، وأن يُقرأ له بعد ذلك كلما تباح الفرصة . وليس في الإسلام مطلقاً ما يدل على أن
 القراءة تكون بعد سبعة أيام .

في قوله تعالى :

(لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون . إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان
 فهم مُّقَصَّحُونَ) (١٢٨)

• • •

الأغلال جمع غُلٍّ بضم الغين ، وهو ما انحاط بالعنق ومع العنق اليدان ، واليد الواحدة
 للتعذيب .

مقمحون: رافعو رموسهم غاضو أبصارهم لا يتمكنون من تحريك رموسهم إلى اليمين أو الشمال .

ومعنى الآية : إن هؤلاء المعرضين عن الدعوة الذين صموا آذانهم عن سماعها ، وحجزوا عقولهم عن التدبر فيها ، أو محاولة فهم ما ترمى إليه ، مثلهم كمثل من قيدت يده إلى عنقه بغل ثقل يمنعه من التحرك يبصره إلى ما فيه نفعه .

فتصيبهم على الكفر يشبه الأغلال ، واستكبارهم عن قبول الحق وعن الخضوع والتواضع لاستماعه يشبه الإقحاح . إذ إنهم لا يتمكنون من خفض رموسهم وهم مقمحون ، وكذلك لا يتمكنون من التواضع لاستماع الدعوة وهم مستكبرون .

وهذا التشبيه في الدنيا يتحول في الآخرة إلى حقيقة واقعة . . . فتظهر الأغلال الثقيلة ، ويتعذب المعرضون على هذه الصورة المرهقة من العذاب .

في قول الله تعالى :

(أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) (١٢٩)

۔ ۔ ۔

ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة علامتين للأخيار تتضمن كل علامة منها الكثير من الصفات .

أما العلامة الأولى - وهي الإيمان - فهي أن يؤمن الإنسان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وكل شخص لا إيمان له فإنه لا يتأق أن يكون من الأخيار . فأساس صفة الخير في الرجل إنما هي الإيمان ، ولكن الإيمان بدون العمل الصالح لا يجعل الإنسان خيراً ، بل إنه يكون بلا إيمان ، لا بد إذن ليكون الإنسان خيراً بالعمل الصالح .

والصورة الثانية الصادقة للعمل الصالح هي أن يسلم الإنسان وجهه لله إسلاماً تاماً ، أي أن يحقق الإنسان معنى كلمة إسلام . . . وتحقيق معنى كلمة إسلام يبدأ أول ما يبدأ بالتوبة الخالصة الصادقة النصوح ، ثم الأمانة الشاملة العامة .

ولقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه لا إيمان لمن لا أمانة له . والأمانة الشاملة هي أمانة الإنسان على نفسه ، فلا يدنسها برجس ، وأمانته بالنسبة لوطنه فلا يغش ولا يخون ، وأمانته بالنسبة لله

سبحانه وتعالى . . ياتر بما أمر وينتهى بما نهى ، ولن يكون إسلام الوجه لله كاملاً إلا إذا تخلق الإنسان بالرحمة التي هي طابع الدين الإسلامي وغايته التي يقول الله سبحانه وتعالى عنها لرسوله ﷺ : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

هذه هي الخطوط الكبرى لصفات الأخيار . . أما المفسدون فإنهم الذين لا إيمان لهم ولم يعملوا الصالحات ، إنهم الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً ، أعداء الوطن ، وأعداء الله ، ولن يجعلهم الله في الدنيا ولا في الآخرة كالذين آمنوا وعملوا الصالحات .

في معنى قوله تعالى :

(إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ، ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) (١٣٠) .

• • •

هاتان آيتان من سورة الزمر . ومعناهما كما حكاها المفسرون : أن الله سبحانه وتعالى يخاطب نبيه ﷺ بعد أن دعا قومه إلى التوحيد واستفرغ جهده في دعوتهم .

أنكم ستتقلون من هذه الدار لآخرة ، فليست بدار بقاء لأنها فانية كما قال الله تعالى : (كل من عليها فان) فأنت يا محمد وهم ستموتون وستجتمعون عند الله في الدار الآخرة ، وتختصمون فيما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله تعالى فيفصل بينكم ، ويفتح بالحق وهو الفتح العليم ، فينجي المخلصين المؤمنين الموحددين الذين عبدوه وحده ، ولم يشركوا في عبادته غيره ، وعملوا الصالحات التي تنفعهم .

وأما الكافرون فإنهم يجازون على كفرهم وشركهم وعدم إيمانهم بالعذاب الأليم ، وهذه الآية وإن كان سياقها في المؤمنين والكافرين ، وذكر الخصومة بينهم في الدار الآخرة ، فإنها شاملة لكل متنازعين في الدنيا ، وإنه ستعاد الخصومة بينهم في الدار الآخرة ويقضى بينهم الحكم بالعدل ، وهم أحكم الحاكمين ، ويجازى كل بما يستحق . روى الترمذي : عن الزبير رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية قال أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا يا رسول الله ؟ قال ﷺ « نعم ليكررن عليكم حتى يؤدي إلى كل ذي حق حقه » . وقال الزبير : والله إن الأمر لشديد .

في تفسير قول الله تعالى :

(قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم . وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له . .) (١٣١)

• • •

فهذه الآية الكريمة تدعو كل مذنّب إلى التوبة ، إنها لا تستثنى أحداً وتأمّر أن لا يقنط المسلم من رحمة الله ولو أسرف على نفسه بكثرة الذنوب وبكثرة المعاصي .
على أن الكتاب والسنة وإجماع الأمة كل ذلك قد تضافر على وجوب التسوية ، يقول الله تعالى : (وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام مسلم « إن الله تعالى ييسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل » .

ومن المعروف في الجو الإسلامي أن التوبة الخالصة النصوح تُجِبُّ ماقبلها ، وأنها تعطى الإنسان شهادة البراءة .

والتوبة التي من هذا النمط ليست كلمة تقال فحسب ، أو لفظة تنتهي بانتهاء اللسان من قولها ، ولكن التوبة ، إذا كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي ، لها ثلاثة شروط .

الأول : أن يقلع المذنّب عن المعصية .

والثاني : أن يتدم على فعلها .

والثالث : أن يعزم ألا يعود إليها أبداً ، وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شرط رابع ، وهو أن يرد التائب الحقوق بقدر الاستطاعة ، فإذا فقد شرط من هذه الشروط فلا تصح التوبة والأمر فيمن جمع مالا كثيراً عن طريق غير شرعي وأراد أن يكفر الله عن سيئاته واضح ، فلا بد من التوبة الخالصة النصوح ، والمحقة للشروط التي سبق أن ذكرناها .

في تفسير قوله تعالى :

(ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين) (١٣٢) .

(١٣١) سورة الزمر - آيتا (٥٣ ، ٥٤) .

(١٣٢) سورة فصلت - آية (٣٣) .

وقال ﷺ : نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها فأذاها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه . ورب حامل فقه ليس بفقيه . وقال : بلغوا عني ولو آية . والدعوة إلى الله عن أى طريق مطلوبة ومثاب عليها ، ففيها تعليم وإرشاد لمن لا يعلم . . وفيها تذكير لمن يعلم ، قال تعالى : (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) ولما اتسع المجال للدعوة وتحققت لها وسائل الانتشار في أوسع حيز ممكن كان الثواب أجزل والخير أوفر . . إذ كل من يسمع صوت الدعوة الصالحة والإرشاد السليم يشهد لصاحبها بالعمل الصالح يوم القيامة . . وله ثواب كل من استفاد فائدة أو عمل عملاً صالحاً .

قال ﷺ : من دعا إلى هدى كان له مثل أجر من عمل به من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه إثم من عمل بها من غير أن ينقص من آثامهم شيئاً . ولا يضر الدعوة إلى الله بالراديو أو غيره من وسائل الإعلام ، أن تذيب هذه الوسائل حكايات أو قصصاً غرامية .

إن هذه الوسائل الإعلامية تصوير للحياة بكل ألوانها . ومن الممكن للمستمع أن يختار منها ما يشاء وعليه تقع مسئولية هذا الاختيار .

أما عن التزام هذه الوسائل الإعلامية لطريق الجادة باعتبارها مراكز توصية ومنازل هدى فهذا ما ينبغي أن يكون . وعلى المسلم أن يتخير منها ما يتفق وتعاليم دينه وهدى (من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد) .

في تفسير قوله تعالى :

(لا تسجدوا للشمس ولللقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون)
(فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) (١٣٣) .

• • •

وبالتالى هل يصح السجود على أيدي المشايخ أو الوالد أو أى شخص بقصد التبرك ؟ قال الله تعالى : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) وقال تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) فعبادة غير الله كفر بالله ، لأنها تأليه للمعبود ، وشرك بالله ، وفي تلك الآية التى تجيب السائل عنها أن العبادة لا تنبغى لغير الله ، وعبر بالسجود عن العبادة لأنه أبرز ما يكون فيها ، والسجود بعض العبادة ، فإن أبى أحد إلا السجود لغير الله وعبادته فالله عز وجل

من تلك النصوص المجتمعة من الكتاب والسنة نفهم أن المسلم لا يتناصر كافرًا على مسلم بالقتال أو غيره ، فإن فعل ذلك فقد باء بإثمه وكان مع صاحبه في النار قال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

بل إن صلة الإسلام أولى بالرعاية والنصرة من صلة الرحم .
ومما أسلفنا نفهم أنه تجب نصرة المسلم على الكافر ما لم يكن في نصرته معصية لله تعالى ، ومناصرة غير المسلم على المسلم معصية لله ولرسوله يجب الكف عنها .

في قول الله سبحانه وتعالى :

(ووصينا الإنسان بوالديه إحسانًا) ثم يعلل سبحانه هذه الوصية فيقول :
(حملته أمه كُرْهًا ووضعته كُرْهًا ، وحمله وفصاله ثلاثون شهرًا) (١٣٥) .

• • •

فإذا كان الابن خيرًا مرضيًا لله ، ومرضيًا عنه من الله ، فإن الله يبين موقفه في الآية نفسها متابعًا كلامه سبحانه فيقول : (حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحًا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين) .

ثم يبين الله سبحانه موقفه من مثل هذا الصالح فيقول :
(أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يُوعدون) .

ومن هذا القبيل قوله سبحانه وتعالى :

(ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنًا على وهنٍ وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير) (١٣٦) ولقد بين الله سبحانه الموقف الكريم ، والآداب التي يجب أن يتحلى بها الابن بالنسبة لوالديه فقال سبحانه : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفٌ ولا تنهرهما ، وقل لهما قولًا كريمًا ، وانخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرًا) .

ولقد روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال سألت النبي ﷺ : أى العمل

(١٣٥) سورة الأحقاف - آية (١٥) .

(١٣٦) سورة لقمان - آية (١٤) .

هذا أدب ثان أدب الله تعالى به المؤمنون ألا يرفعوا أصواتهم بين يدي النبي ﷺ فوق صوته . .

وقال البخاري : حدثنا علي بن عبد الله ، حدثنا أزهر بن سعد ، أخبرنا ابن عون ، أنبأني موسى بن أنس ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ - افتقد ثابت بن قيس رضي الله عنه ، فقال رجل : يا رسول الله ، أنا أعلم لك علمه ، فأتاه فوجده في بيته منكساً رأسه ، فقال : له : ما شأنك ؟ فقال : شر ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ ، فقد حبط عمله ، فهو من أهل النار فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال كذا وكذا قال موسى : فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال : اذهب إليه فقل له . . إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة .

وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ) إلى قوله (وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) . وكان ثابت بن قيس بن شماس رافع الصوت فقال : أنا الذي كنت أرفع صوتي على رسول الله ﷺ ، أنا من أهل النار حبط عملي ، وجلس في أهله حزيناً ، ففقد رسول الله ﷺ ، فانطلق بعض القوم إليه فقالوا له : تفقدك رسول الله ﷺ ، مالك ؟ قال : أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي ﷺ وأجهر له بالقول ، حبط عملي ، أنا من أهل النار فأتوا النبي ﷺ فأخبروه بما قال ، فقال النبي ﷺ : لا ، بل هو من أهل الجنة ، قال أنس رضي الله عنه ، فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة ، فلما كان يوم اليمامة كان فينا بعض الانكشاف فجاء ثابت بن قيس بن شماس وقد تحنط ولبس كفيه فقال بشما تعودون أقرانكم فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه .

وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي ﷺ ، قد ارتفعت أصواتهما ، فجاء فقال أتدريان أين أنتما ؟ ثم قال من أين أنتما قالا : من أهل الطائف . . فقال لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً - وقال العلماء يكره رفع الصوت عند قبره ﷺ كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حياً وفي قبره ﷺ دائماً . .

إلى صراط مستقيم) فكتاب الله سبحانه هو الذى يرسم السلام ويرسم سبل السلام ، وهو سبحانه إذا فعل ذلك فإنما يفعله على علم ويفعله على حكمة ، والله سبحانه بأمر المؤمنين جميعاً أن يدخلوا فى الإسلام كافة (يأيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) وعدم الدخول فى السلم إنما هو اتباع خطوات الشيطان .

فى معنى قوله تعالى :

(إنه لقرآن كريم ، فى كتاب مكنون ، لا يمسه إلا المطهرون) (١٣٩)

• • •

القرآن نور أنار الله به طريق السير للمؤمنين ومئة آمن بها عليهم . وطالبهم باحترامه والقيام بحقوقه ، وحذرهم من التفريط فى احترامه فضلاً عن امتنانه .
والذى يبيع بعض الحاجات فى ورقة بها آية أو آيات قرآنية مرتكب لمنكر ، والذى يبيع من الورق ما فيه آية قرآنية لمن يبيع فيه ويمتنه مرتكب لمنكر وهكذا .
ولا يعتبر الامتنان غير مقصود إلا إذا غفل المسلم عنه ، أو ظن أن ما فى الورق ليس بقرآن .
فإذا ماتمزت أوراق مصحف أو بعض أوراقه بادر الإنسان بحرقها إذا لم يتيسر له حفظها فى مكان آخر أو إلقائها فى البحر ، لأن الماء سيزيل آثار الكتاب وتتحول حينئذ إلى أوراق عادية سرعان ماتاكل .

والمقصود من هذا كله ، المحافظة على القرآن الكريم والقيام بما يجب نحوه من احترام .
وإذا كان الله تعالى قد منع غير المتطهر من مس المصحف أو شئ من القرآن فإن امتنان القرآن من أكبر المحرمات . وقد كان سبب الويال لبعض الأمراء الذين استهانوا بحرمته فزقههم الله شر ممزق .

فى معنى هذه الآية :

(قد سمع الله قول التى تجادلنك فى زوجها وتشكنكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير) (١٤٠) .

• • •

(١٣٩) سورة الواقعة - الآيات (٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩)

(١٤٠) أول سورة المجادلة

أولاً : سبب نزولها :

روى أن خولة بنت ثعلبة ظَاهرَ عنها زوجها أوس بن الصامت فاستفتت رسول الله ﷺ فقال : حُرِّمَتْ عليه ، فقالت : ما طلقني ، فقال : حرمت عليه .
فاغتمت لصغر أولادها ، وشكت إلى الله تعالى ، فنزلت هذه الآيات الأربع من سورة المجادلة وقد تشعر بأن الرسول عليه الصلاة والسلام يتوقع أن يسمع الله مجادلتها وشكواها ويفرج كربها .

ثانياً : المعنى :

قد سمع الله أى سمع الله شكوى المرأة التى تجادل وتكثر الأسئلة على الله عز وجل وكذلك الشكوى إلى الله ، والله يسمع محاوركم أى تراجعكم الكلام وهو على تغليب الخطاب (إن الله سميع بصير) سامع للأقوال ، عارف مرماها ونتيجتها ومغزاها ، بصير بأحوالها وخبير . (من تفسير البيضاوى) .

في قوله سبحانه في سورة المنتحة :

(لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبوههم وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) (١٤١) .

• • •

وقد نزلت هذه الآيات الكريمة في مناسبات تشبه مايسأل عنه السائل ، فقد أسلم كثير من القرشيين ولهم أقارب تختلف درجة قرابتهم قريباً وبعداً ، ونشأت ظروف تساءل فيها المسلمون عما إذا كان يباح الاتصال بأبائهم أو أمهاتهم ، وعما إذا كان يباح لهم أن يبروا الأقارب بمختلف أنواع البر أو يتقبلوا برهم وهداياهم ، فنزلت الآيات الكريمة بالقانون الإلهي توضح الموقف : نسالم من سالمنا ونحارب من حاربنا وهو قانون طبيعي إنساني . والإسلام يقف من المعادين لنا موقفاً حاسماً ؟ (لا تحذقوا قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم

جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله . ألا إن حزب الله هم المفلحون (١١٢) .

من ذلك نتبين أن المسلم يؤكل غير المسلم ويصافحه ويتعامل معه في المباحثات من أنواع التعامل مادام السلام موجوداً بينهم ، أما في حالة الحرب فلا يصح من ذلك إلا ما تقتضيه ضرورة الحرب .

في معنى قول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَعْمَلُونَ كَبِيرٌ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) (١١٣) .
في هذه الآية الكريمة يسأل الله المؤمنين سؤالاً استنكارياً مؤنباً لهم ، طالباً منهم السبب في أنهم يقولون بالسنتهم ما لا يفعلونه بخوارحهم ، ويتحدثون إلى الناس عن الخير ولا يفعلونه ، ثم يعرفهم منزلة هذا الذي يدعو إلى الخير ولا يعمل به ، فيقول لهم كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ، فكل من يدعو إلى خير ولا يعمل به ، ممقوت عند الله وملائكته والناس أجمعين .

خصوصاً هذا الذي يتكبر ولا يصلي ، ذلك أن التكبر لا يحبه الله (إن الله لا يحب كل مختال فخور) أما ترك الصلاة فإنه يصل بالإنسان إلى النفاق وإلى الكفر والعباد بالله ، يقول أحد الصحابة « ... ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها - أي عن الصلاة - إلا منافق . ولقد كان يؤتى بالرجل بهادي به - أي يستنه الآخرون لمرضه حتى يقف في الصف » .

والداعي إلى الإسلام دون أن يعيش إنما هو مثل سبيى إلى الدعوة الإسلامية ، وأن الدين الإسلامى إنما هو دين إخلاص وصفاء . لا يعتد بمظاهر الخير مالم تكن صادرة من قلب طاهر (ألا لله الدين الخالص) .

في تفسير قول الله تعالى :

(يقولون لن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، والله العزة والرسول والمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) (١١٤) .

• • •

(١٤٢) سورة المجادلة - آية (٢٢) .

(١٤٣) سورة الصف - آيتا (٢ ، ٣) .

(١٤٤) سورة المنافقون - آية (٨) .

العزة هي حالة مانعة للكائن الذي يتصف بها أن يغلب أو يقهر العزيز هو الذي يُقهر ولا يُقهر . . . العزيز على وجه الإطلاق هو الله سبحانه ، إنه القهار الغالب لا يجرى في السماوات والأرض إلا ما يريد .

إن العزة المطلقة له سبحانه ، وهذه العزة يفيض الله منها على المؤمنين به حسب درجة إيمانهم إنه سبحانه يمنحها لكل من سار على هداة سبحانه ملتزمًا تعاليمه بوحديته مؤتمراً بما أمر ، منتبهاً بما نهى .

وأقوى المؤمنين إيماناً إنما هم الرسول عليهم الصلاة والسلام ، ويتلوهم من آمن بهم على تفاوت في الدرجة . والمثل الذي نريد أن نقدمه بياناً وتوضيحاً هو مثل المسلمين الأول ، لقد آمنوا بالله إيماناً وقر في صدورهم وصدق العمل ، فكانت لهم العزة والغلبة ، وإنها لقاعدة عامة للمسلمين لا تخصص بمكان ولا زمان بأنهم كلما كانوا أقوى إيماناً كانوا أعز جانباً (ولينصرون الله من ينصروه) .

أما هذا الذي ينصرف عن الله مستسلماً لشهوته فإن الله سبحانه يجعل منه بين الناس شيئاً تافهاً لا يبالي به أحد ، إن الله سبحانه يهينه ياتزال درجته في المجتمع بما كسبت يده ومن يتزل الله مكانته لا يتأق لكان من كان أن يرفعها ، ولن ترفع إلا إذا رجع الشخص إلى الله مغيراً سلوكه معه سبحانه ، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . .

في فضل من قرأ سورة الملك :

يقول رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول (ألم) حرف ، ولكن : ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » .
ولسورة الملك ثواب خاص بها ، فضلاً عن ثواب تلاوة القرآن الكريم ، وقد ورد أن من داوم على قراءة هذه السورة كل ليلة كانت شافعة له في قبره ومؤنة لديه .
وقد ورد أن رسول الله ﷺ كان لا ينام كل ليلة حتى يقرأ سورتي السجدة ، وتبارك الذي بيده الملك ، وهذا يشمر بميزة هاتين السورتين وعظم فضلها .

وفي سورة الملك بالذات ورد الحديثان التاليان :

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن سورة في القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غُفر له وهي : (تبارك الذي بيده الملك) رواه أبو داود والترمذي وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« ووددت أنها في قلب كل مؤمن - يعني تبارك الذى بيده الملك » .

رواه الحاكم .

في تفسير قوله تعالى :

(قل إن أدرى أقرب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً ، عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً) (١٤٥) .

• • •

رأى بعض العلماء في هذه الآية أنه لا يطلع على بعض الأمور الغيبية إلا من اصطفاه الله لرسالته ، وأن غير الرسل لا يطلعون على شيء من الغيب ، ورأى البعض الآخر أن المراد بالإظهار على الغيب وتعريفه انكشافه انكشافاً تاماً لا لبس فيه ، وذلك يختص بالرسل إما على وجه المعجزة أو على وجه بيان تفاصيل الشريعة التي أمروا بتبليغها .

ويرى هؤلاء العلماء أن اختصاص الرسل بالاطلاع على بعض الأمور الغيبية على ما هي عليه وفي أعلى مراتب الإدراك والمعرفة لا يبنى اطلاع غيرهم على شيء من الغيب على صورة أدنى من الصورة التي يدرك بها الرسل الأمور الغيبية ، فالغيب يتكشف للرسل بالوحي الصريح ، ولا ينكشف لولى شيء عن هذا الطريق .

قال النسفي : والولى إذا أخبر بشيء فظهر ، فهو غير جازم عليه ، ولكنه خبر بناء على رؤياه أو بالفراسة على أن كل كرامة للولى هي معجزة للرسل .

وقد روى ابن جرير والترمذى وغيرهما في تفسير قوله تعالى : (إن في ذلك لآيات للمتوسمين) أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » .

ويرى بعض العلماء أن المراد بالغيب الذى اختص الله بعلمه ولا يُطلع عليه أحداً من خلقه إنما يتمثل في مثل قوله تعالى (إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام . وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت) أى الأمور التي تتعلق بالرزق أو الأجل أو قيام الساعة ونحوها وما يتصل بتنظيم الله تعالى .

وعلى كل فلم يرد ما يمنع صراحة من اطلاع بعض الصالحين على أمور من الغيب تثبتاً لهم ، وتقوية ليقينهم ، ومعجزة لنبيهم لأن كل كرامة لولى معجزة للنبي الذى ينبعه .

في قوله تعالى : (عبس وتولى . .) إلخ .

• • •

أى شعر بالهرج والضيق حينما دخل عليه الأعمى وهو يدعو بعض رؤساء الكفر إلى الإسلام ، فخاف أن يقطع دخول هذا الأعمى حديث الدعوة إلى الله تعالى ويضيع ما يمكن أن يكون قد علق بقلب هذا الكافر منه .

ولم يكن إعراضه ﷺ عن الأعمى أو ضيقه به تحقيراً له أو توهيناً لشأنه وإنما كان تقديماً للأهم على المهم ، فجلوس رئيس من رؤساء الشرك لسماع الدعوة وتقبله لما يلقى عليه فرصة قد لا تعوض ، وقد يسلم فيسلم بإسلامه كثيرون ، أما هذا الأعمى فالفرص أمامه كثيرة ولقاء الرسول ﷺ متيسر له متى شاء .

قال ابن حزم : أما قوله تعالى : (عبس وتولى . .) الآيات . . فإنه كان عليه السلام قد جلس إليه عظيم من عظماء قريش ورجا إسلامه ، وعلم عليه السلام أنه لو أسلم لأسلم بإسلامه ناس كثير ، وأظهر الدين ، وعلم أن هذا الأعمى الذى يسأله عن أشياء من أمور الدين لا يفوته وهو حاضر معه ، فاشتغل عنه عليه السلام بما يخاف فوته من عظيم الخير عما لا يخاف فوته ، وهذا غاية النظر في الدين والاجتهاد في نصرة القرآن ، في ظاهرها الأمر ونهاية التقرب إلى الله الذى لو فعله اليوم بنا فاعل لأجر لعاقبه الله عز وجل على ذلك ، إذ كان الأولى عند الله تعالى أن يقبل على ذلك الأعمى الفاضل التقي .

وكان الله سبحانه وتعالى بهذا يوجه إلى فضل المؤمن على غيره من الكفار مهما كانت الفروق الدنيوية من المال والجاه ونحوهما ، والآية الكريمة تبين شدة حرص الرسول ﷺ على الدعوة إلى الله سبحانه ، ونبين من جانب آخر قيمة المؤمن عند الله وفضله على غيره من أهل الشرك والضلال .

في قصة أصحاب الأخدود المذكورة من سورة البروج :

إن هذه الآيات الكريمة من سورة البروج وقد نزلت هذه السورة الكريمة لتبين أن المؤمن يؤدي رسالة ، وأن مثله في هذه الحياة الدنيا مثل أصحاب الرسالات الذين يجاهدون في سبيل الله ، فيصادفون في ذلك مصادفة المعارضين وكيدهم ومكرهم وتعذيبهم ، ومادام الإيمان يملأ القلب فإن المؤمن يصير على كل ذلك مجاهداً إلى النهاية فينال النصر أو الشهادة ويضرب الله مثلاً للمؤمنين

بأصحاب الأخدود ، والأخدود الحفرة المستطيلة في الأرض ، وأصحاب الأخدود هم الذين حفروا هذه الحفرة المستطيلة وأوقدوا فيها النار مشتعلة متأججة وأنوا بالمؤمنين الذين لم يفعلوا جريمة ولم يرتكبوا أى ذنب إنما كان كل ما يأخذونه عليهم إنما هو أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد . ولقد عذبوهم بسبب إيمانهم وألقوا بهم في النار بسبب إيمانهم ، وقد استمسك هؤلاء المؤمنون بإيمانهم لم يحيدوا عنه قيد شعرة . وجلس الطغاة على حافة النار ينظرون في نوع من التسلية إلى هؤلاء المؤمنين الذين يقذف بهم في النار واحد بعد واحد دون أن تنبض قلوب الطغاة برأفة أو برحمة . وهذه القصة كانت بين اليهود ونصارى نجران ، فقد تأمر اليهود على نصارى نجران ودبروا المكيدة لهم فاستولوا على المدينة ، وحفروا الأخدود وألقوا النصارى واحداً بعد الآخر في الحفرة التي حفروها ، وكانت جريمة بشعة تضاف إلى جرائم اليهود التي لا حصر لها عبر التاريخ ، قاتلهم الله . إن لهم أثراً سيئاً في كل مكان يحلون به وإن لهم لجريمة في كل أرض يمسون نرابها ، ولكن الله سبحانه وتعالى لم يمهلهم كثيراً في نشوة انتصارهم ، وعبر عن ذلك بقوله تعالى : (قُتِلَ أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ) أى أن الله سبحانه وتعالى أهلك هؤلاء اليهود ودمرهم بجرمتهم ، ولقد كان هذا الشأن شأن الله سبحانه وتعالى دائماً معهم ، فإنهم بنص القرآن كلما أوقدوا ناراً للحرب متمشين في ذلك مع طبيعتهم - أطفأها الله وخنلهم شرَّ خذلان . .

في تفسير قول الله تعالى :

(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) (١٤٦) .

وكل إنسان مجزى يوم القيامة بعمله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر هذه هي القاعدة الإسلامية ، قاعدة العدالة والجزاء على ما قدم الإنسان من عمل ، والصالحون دائماً بين الخوف والرجاء ، وهما شعار المؤمن النقي ، ولقد قال سيدنا أبو بكر رضى الله عنه ، وهو من هو فضلاً وتقوى ، وصلاحاً ، إنابة إلى الله ورجوعاً إليه ، لقد قال : « والله لا آمن من مكر الله ولو كانت إحدى قلبي في الجنة » .

يبد أن فضل الله وكرمه ورحمته لا يحدها حد ولا يقيدتها قيد ، مشيئة مطلقة ، فإذا ما شاء عفا وغفر وهو الغفور الرحيم ، ومن أجل ذلك وردت نصوص تبعث في النفس الرجاء وتذهب اليأس والقنوط ، منها الحديث التالي ، وهو حديث صحيح ، قال رسول الله ﷺ :

« إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رهوس الخلاق » ومنها قوله ﷺ : « من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه دخل الجنة » وكان أبو ذر رضي الله عنه يسمع هذا الحديث من فم رسول الله ﷺ فقال سائلاً رسول الله ﷺ : وإن زني ، وإن سرق يا رسول الله ؟ فأجاب ﷺ : وإن زني وإن سرق ، وكرر أبو ذر السؤال فكرر رسول الله ﷺ الإجابة وقال : في المرة الأخيرة برغم أنف أبي ذر . على أن هذا الحديث نفسه حينما يلاحظ الإنسان قوله ﷺ : (خالصاً من قلبه) يعلم أن من قال لا إله إلا الله وتحقق إخلاص القلب بهذه الكلمة التي ترن الأرض والسماء فترجع فإنه لا يزني ولا يسرق ولو فرضنا أنه أئيم ، فإنه يرجع إلى الله مباشرة بالتوبة الخالصة النصوح . والتوبة الخالصة النصوح تجب ما قبلها . .

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فِي السُّنَنَةِ النَّبَوِيَّةِ الْقَرِيفَةِ

منهج الإيمان والرحمة في رحلة الحياة

أخرج الإمام أحمد والشيخان عن أنس بن مالك بن صعصعة ، أن النبي ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به ، وكان مما قال في هذا الحديث الصحيح : إن جبريل عليه السلام شقّ عن صدره واستخرج قلبه الشريف ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً وحكمة ، فغسل قلبي ، ثم حشي ثم أعيد .

وأخرج الشيخان من طريق يونس عن الزهري عن أنس قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال : فرج سقف بيتي وأنا في مكة ، فترل جبرائيل ففرج صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست ممتلئ حكمة وإيماناً فأفرغه في صدرى وأطبقه .

ثم بدأت الرحلة .

وكان أول مشهد شهده رسول الله ﷺ هو مشهد قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان . فقال النبي ﷺ : يا جبرائيل ما هذا : قال : هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمئة ضعف وما أنفقوا من شيء فهو يخلفه .

وأول مشهد إذن بعد امتلاء القلب حكمة وإيماناً هو مشهد الجهاد ، وما من شك في أن القلب إذا امتلأ إيماناً وحكمة فإن الجهاد يصبح في أوائل ما يحافظ عليه من شعارات جهاد النفس لتزكي ، وتركبة النفس لا حد لها ، والصفاء لا نهاية تحده ، وكلما سما الإنسان في الصفاء درجة قرب من الله أكثر ، والقرب من الله لا نهاية له ، وهذا القرب هو غاية المؤمنين ، ومن وقف منه عند حد معتقداً أن هذا هو نهاية المطاف فإن هذا يكون دليلاً على أن همته بهمة السابقين السابقين .

وجهاد الأسرة حتى تستقيم والله سبحانه وتعالى يقول : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ، وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ . .) ووقاية الأهل من النار هو جهادهم حتى يستقيموا ويمتنعوا عن الوقوع في المعصية فذلك هو وقايتهم .

وجهاد المجتمع ليكون مجتمعاً مؤمناً وهذا الجهاد عنصر هام من عناصر خيرية الأمة الإسلامية والله سبحانه وتعالى يقول :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله) .

ويقول سبحانه :

(لمن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم . .) ورسول الله ﷺ يقول فيها رواه الترمذى وأبو داود :

والذى نفسى بيده لتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم .

ومن أسمى أنواع الجهاد هو جهاد العدو بالسلاح واللسان والمال ، والله سبحانه وتعالى يقول :
(إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون) .

ويقول : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم . . . العظيم) . هذا هو الجهاد الذى رأى رسول الله ﷺ مشهده أول ما رأى من مشاهد بعد أن ملئ قلبه الشريف حكمة وإيماناً . ولقد وصل الأمر فى عقاب التاركين للجهاد أن بندرهم رسول الله ﷺ إنذاراً شديداً . فعن أبى بكر رضى الله عنه -- فيما رواه الطبرانى بإسناد حسن -- قال : قال رسول الله ﷺ : « ما ترك قوم الجهاد إلا عهم الله بالعذاب » .

فى حبة الرسول

يقول الله تعالى فى حديث قدسى :

(من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب . وما تقرب إلى عبدى بشئ أحب إلى مما افترضت عليه . وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه . فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى أعطيته . ولن استعاذنى لأعيدنه) .

وفى هذا الحديث الشريف يبدأ الله سبحانه بالتوجيه فى قوة إلى صفاء القلب وطهارة النية لأوليائه .

وأوليأؤه هم :

(الذين آمنوا وكانوا يتقون) .

ومن عاداهم فإنما يغادى المؤمن التقى .

ونتيجة هذه العداوة ما يقوله الله تعالى :

« آذنته بالحرب » .

ثم يرسم الله سبحانه الطريق إلى حبه : وأول خطوة في هذا الطريق أداء ما فرضته عليه . ولن يتأتى حب الله سبحانه دون الشرط الأول : شرط القرب منه سبحانه ، وهو أداء الفرائض . والحب دون أداء الفرائض زيف وكذب . بل إن أداء الفرائض شرط لحسن الظن بالله . لقد ترك قوم العمل وقالوا : نحن نحسن الظن بالله ، وكذبوا ، كما يقول رسول الله ﷺ ، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل .

لا بد من أداء الفرائض وإلا لما كان لمهمليها إلى القرب من الله تعالى من سبيل ، ومع أداء الفرائض في جو القرب - الإكثار من النوافل ، فإذا أكثر من النوافل أحبه الله تعالى . ويترتب على حب الله تعالى للعبد هذا الخير الكثير الذي ذكره الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي .

ويربط أسلافنا - رضوان الله عليهم - ربطاً محكماً بين محبة الله سبحانه واتباع رسول الله ﷺ متناسقين في ذلك مع توجيه الله سبحانه .

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) .

وهذا الربط معناه الربط بين محبة الله تعالى والعمل .

ومقدمات محبة الله تعالى هي العمل ، ونتيجة محبة الله هي العمل ، يقول الإمام أبو سعيد الخراز : وبلغنا عن الحسن البصري رضي الله عنها أن أناساً قالوا على عهد رسول الله ﷺ : يا رسول الله ، إنا نحب ربنا حباً شديداً فجعل الله تعالى لمحبة علماً وأنزل عز وجل : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) .

لئن صدق المحبة اتباع الرسول ﷺ في هديه وزهده وأخلاقه ، والتأسي به في الأمور ، والإعراض عن الدنيا وزهرتها وبهجتها ، فإن الله عز وجل جعل محمداً ﷺ علماً ودليلاً وحجة على أمته .

ومن صدق المحبة لله تعالى إثبات محبة الله عز وجل في جميع الأمور على نفسك وهواك ، وأن تبدأ في الأمور كلها بأمره قبل أمر نفسك ويقول :

فعلامة الحب الموافقة للمحبوب ، والتجاري مع طرقاته في كل الأمور ، والتقرب إليه بكل حيلة ، والهرب من كل ما لا يعينه على مذهبه .

أما عن صلة المحبة بالإيمان فإن الإمام الغزالي يقول : وقد جعل رسول الله ﷺ الحب لله من شرط الإيمان في أخبار كثيرة ، إذ قال أبو رزين العقيلي : يا رسول الله ، ما الإيمان ؟ قال : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

وفي حديث آخر :

« لا يؤمن العبد حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين » .

وفي رواية : ومن نفسه .

كيف وقد قال الله تعالى :

(قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة
تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فزبصوا حتى
يأتى الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين) .
وإنما أجرى ذلك في معرض التهديد والإنكار .

ومن أجمل تعبيرات المحبين عن شعورهم ما يقوله يحيى بن معاذ . إلهى إلى مقيم بفنائك ،
مشغول بشنائك . صغيراً أخذتني إليك ، وسريلتني بمعرفتك ، وأمكتني من لطفك ، ونقلتني في
الأحوال ، وقلبتني في الأعمال : سترأ وتوبة وزهداً وشوقاً ، ورضاً وحجاً ، تسقيني من حياضك ،
ونعملي في رياضك ملازماً لأمرك ، ومشغوفاً بقولك . . ولما طرَّ شاري . ولاح طائري ،
فكيف أنصرف اليوم عنك كثيراً ، وقد اعتدت هذا منك صغيراً ، فلي ما بقيت حولك ذندنة
وبالضراعة إليك هممة ، لأنى محب وكل محب بحبيبه مشغوف ، وعن غير حبيبه مصروف .
وبعد : فإن ثمرة محبة الله تعالى هي ما قاله سبحانه عن أوليائه : (لهم البشري في الحياة الدنيا وفي
الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم) .

وهي أيضاً أن يجد حلاوة الإيمان . يقول رسول الله ﷺ : ثلاث من كن فيه وجد حلاوة
الإيمان :

١ - أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

٢ - وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله .

٣ - وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقى في النار .

والآن نتحدث إن شاء الله عن المحبة عند الشبلي أما عن أسبابها فإنها فيما يرى نتيجة (الهمة)
والهمة عند الصوفية هي التشمير والجد في العبادة ويقول الشبلي : إن من قلت همته ضعفت محبته
فع الهمة إذن صعوداً وهبوطاً تكون المحبة صعوداً وهبوطاً .

كفى حزناً بالواله الصب أن يرى منازل من يهوى معطلة فقرا

وسئل مرة عن أعجب شيء فقال : من عرف الله ثم عصاه .

في الاقتداء برسول الله ﷺ

ورسول الله ﷺ هو القدوة الحسنة إنه الأسوة الحسنة في أقواله وأفعاله وأحواله : يقول الله تعالى :

(لقد كان لكم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً) ويقول الشيخ الصاوي في شرحه على تفسير الجلالين « الاقتداء برسول الله ﷺ واجب في الأقوال والأفعال والأحوال لأنه لا ينطق عن هوى ، ولا يفعل عن هوى بل جميع أفعاله وأقواله وأحواله عن ربه ، لذا قال العارف :

وحصل بالهدى في كل أمر فليس تشاء إلا ما يشاء » ا. هـ .

والله سبحانه وتعالى يقول في سورة النجم : (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى) .

وإذا كان الاقتداء برسول الله ﷺ واجباً فإن له شروطاً لا يتأتى الاقتداء الصحيح إلا بتحقيقها ، وقد ذكرت الآية الكريمة هذه الشروط .

والشرط الأول منها : أن يرجو الإنسان الله سبحانه وتعالى : ورجاء الله تعالى قد حدده الله سبحانه في القرآن الكريم بقوله :

(لمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) .

فالمعمل الصالح وعدم الشرك في العبادة أمران لازمان لمن كان يرجو لقاء الله في صدق . ويقول الإمام ابن كثير في ذلك :

وهذان ركنا العمل المتقبل : لا بد أن يكون خالصاً لله ، صواباً على شريعة رسول الله ﷺ . وعن طاوس قال :

قال رجل : يا رسول الله إني أقف الموقف أريد وجه الله ، وأحب أن يرى موطنى . فلم يرد عليه رسول الله ﷺ شيئاً حتى نزلت هذه الآية .

(لمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) .

ورجاء اليوم الآخر هو الشرط الثاني والتاسي برسول الله ﷺ إنما يتمثل في العمل لهذا اليوم حتى يلقى الله فيه وهو عنه راض .

ويصف الله سبحانه الذين لا يرجون لقاءه ، ولا يرجون اليوم الآخر فيقول : (إن الذين

لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، والذين هم عن آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) .

وبعد ، فإن الشرط الأخير في الوصول إلى التأسي برسول الله ﷺ هو الذكر الكثير . ولقد سأل رجل رسول الله ﷺ قائلاً :

إن شرائع الإسلام كثرت عليّ ، فأخبرني بشيء أتشبث به ، فقال له ﷺ لا يزال فوك رطباً من ذكر الله .

الله سبحانه وتعالى يقول : (واذكروا الله كثيراً لعلكم تتقون) .

كان أصحاب رسول الله ﷺ يقتدون به في كل شيء . . . أخرج البخاري ومسلم ومالك والترمذي والنسائي وابن ماجه عن سعيد بن يسار قال : كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما في طريق مكة ، فلما خشيت الصبح نزلت فأوترت ، فقال ابن عمر رضي الله عنهما : أليس لك في رسول الله أسوة حسنة ؟ قلت : بلى . قال : فإنه كان يؤثر على البعير .

وأخرج البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه مثل عن رجل معتمر طاف بالبيت أيقع على امرأته قبل أن يطوف بالصفة والمروة ؟ فقال : قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت وصلى خلف المقام ركعتين ، وسعى بين الصفا والمروة ثم قرأ : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) .

أخرج أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر رضي الله عنه أكب على الركن فقال : إني لأعلم أنك حجر ولو لم أر رسول الله ﷺ قبلك واستلمت ما استلمت وما قبلتك . لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .

في سيادة الرسول في التشهد وغيره

كان رسول الله ﷺ متواضعاً لا يرى إلا جانب العبودية لله سبحانه وتعالى وينأى عن كل ما يمكنه أن يظهر فيه بعد ذلك .

فلما سأله الصحابة كيف نصلى عليك قال : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد .

فلم يذكر اسمه ﷺ بأوصاف السيادة في هذا المجال . ولكن الرسول ﷺ في معرض الحديث عما أنعم الله به عليه يقول فيما رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة ، أنا سيد ولد آدم يوم القيامة

ولا فخر . . ويبدى لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ - آدم لمن سواه - إلا تحت لوائى وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر ، فنحن أمام موقفين : موقف الوقوف عند حد تعليم الرسول ﷺ للصحابة ، فلا تذكره ﷺ بوصف من أوصاف السيادة . وموقف الوقوف مع ما يستحقه ﷺ من أوصاف السيادة مما تحدث ﷺ عنها في موطن آخر ، ويحمل تركه هذا الوصف في جواب الصحابة على أنه ، تواضع منه ﷺ حيث ترك ذلك التبجيل والاحترام ليدكره بالفاظ السيادة من أراد وهو ما نراه ، والأمر مع ذلك متروك لرغبة المسلم ولكل وجهة وكلتا الوجهتين سليمة لا غبار عليها ، ببق أن نقول إن بعض الناس غالى في ترك النبي ﷺ بالفاظ السيادة ، فحرم ذلك ، ولما لم يجد له مستنداً من الشرع اخترع من الأحاديث ما يوافق هواه ألا وهو حديث : (لا تسيدونى فى الصلاة) إنه ليس بحديث إنه كما يقول السخاوى وغيره من علماء الحديث . لا أصل له .

ومما له مغزاه في هذا الموطن أن الرسول ﷺ قال : لبعض الصحابة وقد حضر سعد رضى الله عنه . قوموا لسيدكم ، ويقول سيدنا عمر رضى الله عنه فيما رواه البخارى : أبو بكر سيدنا وأعنت سيدنا - يعنى بلالا ، وإذا كان بلال سيدنا وأبو بكر سيدنا فمن باب أولى الرسول ﷺ صلى الله عليك يا سيدى يا رسول الله .

في صفة خاتم النبي ﷺ

وردت الأحاديث الصحيحة في صفة خاتم النبي ﷺ وما عليه من النقوش ، روى الترمذى بسنده عن ابن عمر رضى الله عنه أن النبي ﷺ صنع خاتماً من ذهب فتختم به في بيته ، ثم جلس على المنبر فقال : « إني كنت اتخذت هذا الخاتم في يميني » ، ثم نبذه ونبذ الناس خواتيمهم . وبذلك بين حرمة اتخاذ الخواتم من الذهب .

وكان ﷺ يلبس الخاتم في يده اليمنى قال الترمذى : وهذا أصح شيء روى عن النبي ﷺ في هذا الباب وكان لخاتمته من الفضة نقش به وكان هذا النقش كما تبينه رواية الترمذى عن أنس ثلاثة أسطر : محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر .

ولقد كان النبي ﷺ يراعى حرمة اسم الله على الخاتم فكان إذا دخل الخلاء لقضاء الحاجة نزع خاتمته .

أما عن سبب وجود اسم الله على هذا الخاتم فلأن الرسول ﷺ كان يختم به الخطابات التي يرسلها إلى رؤساء العالم وملوكه ، فكان شعاراً للدولة الإسلامية ، أو خاتماً تختم به الخطابات الرسمية ليبر عن صفة مرسله ومكانته .

ومما لا يخفى أن هذا النقش كان خاصاً به ﷺ ، لا يجوز لأحد تقليده فيه . . . لأنه لا رسول بعده ، ولا يصح لأحد أن يتحل شخصيته .

وكان خاتم رسول الله ﷺ من فضة فصفه منه .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ صنع خاتماً من ورق فنقش فيه (محمد رسول الله) ثم قال : « لا تنفشوا عليه » . . قال الترمذى : وما معنى قوله : « لا تنفشوا عليه » نهى أن ينقش أحد على خاتمه محمد رسول الله .

في صيام الاثنين والخميس

كان ﷺ ، يصوم يوم الاثنين من كل أسبوع ، ولما سئل عن صيامه قال : يوم ولدت فيه : وأرسل إلى فيه وهو يوم ترفع فيه الأعمال إلى الله عز وجل ، وأحب أن يرفع عني وأنا صائم .

وبهذا نرى أن رسول الله ﷺ : فضلا عن قيامه بواجب شكر الله عز وجل على ما تفضل عليه به من نعمة إخراجهم للوجود وإرساله إلى الناس ، في هذا اليوم العظيم ، يأمر أصحابه بصيامه شكراً لله على تلك النعمة ، التي أسبغها الله عليهم وليس أدل على احتفالهم بمولد النبي ﷺ من صيامهم لذلك اليوم .

ولاشك أن صيام الرسول ﷺ لهذا اليوم العظيم يوم الاثنين وسن صيامه للمسلمين من بعده يعتبر إحياء لذكر مولده ﷺ بعمل يثاب عليه فاعله .

وقد كانت الموالد كلها فيما مضى من نشأتها طاعة لله عز وجل القصد منها إعطاء الطعام وذكر الله عز وجل ، وتعريف المسلمين بفضائل نبيهم ﷺ ، وحثهم على متابعتهم .

أما ما يحدث في الموالد اليوم ، من هو صارف عن طاعة الله وطاعة رسوله ، ومقارفة للمعاصي إلا قليلا من المحافظين على حرمت دينهم ، فلم يكن له وجود فيما مضى ، والموالد بحاجة إلى رعاية وتقويم وفرض عقوبات على كل مستهتر بدينه لا يراعى لله ولا لرسوله حرمة .

لماذا لم يكن الصحابة والتابعون يحفلون بمولده نبينا محمد ﷺ ونحن نحفل بمولده ﷺ ؟

كان ﷺ بصوم يوم الاثنين من كل أسبوع . . ولما سئل عن صيامه قال : يوم وُلدت فيه .
وأُرسِلَ إليَّ فيه . . وهو يوم ترفع فيه الأعمال إلى الله عز وجل .
وأحب أن يرفع عمل وأنا صائم .

وبهذا نرى أن رسول الله ﷺ فضلاً عن قيامه بواجب الشكر لله عز وجل على ما تفضل عليه
به من نعمة إخراجهِ للوجود ، وإرساله إلى الناس في هذا اليوم العظيم يسناً لأصحابه صيامه شكراً
لله على تلك النعمة التي أسبغها الله عليهم ، وليس أدل على احتفالهم بمولد النبي ﷺ من صيامهم
لذلك اليوم .

ولاشك أن صيام الرسول ﷺ لهذا اليوم العظيم يوم الاثنين ومن صيامه للمسلمين من بعده
يعتبر إحياء لذكر مولده ﷺ بعمل يثاب عليه فاعله .

وقد كانت الموالد كلها فيما مضى من نشأتها طاعة لله عز وجل القصد منها إطعام الطعام وذكر
الله عز وجل .

وتعريف المسلمين بفضائل نبيهم ﷺ وحثهم على متابعته ، أما ما يحدث في الموالد اليوم من
لهو صرف عن طاعة الله وطاعة رسوله ومقارفة للمعاصي إلا قليلاً من المحافظين على حرمت
دينهم ، فلم يكن له وجود فيما مضى .
والمولد بحاجة إلى رعاية وتقويم وفرض عقوبات على كل مستهتر بدينه لا يرعى الله ولا لرسوله
حرمة . .

في كيفية الصلاة على النبي

كان الرسول ﷺ متواضعاً لا يرى إلا جانب العبودية لله سبحانه وتعالى وينأى عن كل
ما يمكن أن يظهر فيه بعد ذلك .

فلما سأله الصحابة كيف تصلّ عليك قال : قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى أزواجه وذريته
كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد
مجيد . .

فلم يذكر اسمه ﷺ بأوصاف السيادة في هذا المجال ولكن الرسول ﷺ في معرض الحديث عما أنعم الله به عليه يقول : فيما رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة قال : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مُشَفَّع .

وفي رواية أخرى : « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر . . . سيد لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ - آدم فمن سواه - إلا تحت لوائى وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر » .

فتحن أمام موقف الوقوف عند حد تعليم الرسول ﷺ للصحابة ، فلا تذكره ﷺ بوصف من أوصاف السيادة . وموقف الوقوف مع ما يستحسنه ﷺ من أوصاف السيادة مما تحدث ﷺ عنها في مواطن أخر . ويحمل تركه هذا الوصف في جواب الصحابة على أنه تواضع منه ﷺ حيث ترك ذلك التبجيل والاحترام بذكره بألفاظ السيادة لمن أراد وهو ما نراه .

والأمر مع ذلك متروك لرغبة المسلم ولكل وجهة وكلتا الوجهتين سليمة لا غبار عليها بقى أن نقول : إن بعض الناس غالى في ترك ذكره ﷺ بألفاظ السيادة فحرم ذلك ، ولما لم يجد له مستنداً من الشرع اخترع من الأحاديث ما يوافق ميوله ألا هو حديث : لا تسيدوني في الصلاة . إنه ليس حديثاً - إنه كما يقول السخاوى وغيره من علماء الحديث . . لا أصل له .

وعلى ذلك فلا مانع يمنع من ذكر الرسول ﷺ بألفاظ السيادة في التشهد وغيره امتثالاً لقوله تعالى : (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلاً) .

ومما له مغزاه في هذا الموطن أن الرسول ﷺ قال لبعض الصحابة وقد حضر سعد رضى الله عنه .

قوموا لسيدكم .

ويقول سيدنا عمر رضى الله عنه فيما رواه البخارى :

أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا يعنى بلالا .

وإذا كان بلال سيدنا وأبو بكر سيدنا فمن باب أولى الرسول ﷺ ، عليك يا سيدى يا رسول

الله .

في دلائل الخيرات

إن دلائل الخيرات إنما هي صلوات على رسول الله ﷺ . ولا تمنع طريقة من الطرق الصلوات على رسول الله وذلك لأن الله أمرنا بالصلاة عليه فقال سبحانه : (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) ، ورجال الطريقة التيجانية

ومشايخها يقرءون دلائل الخبرات ، وكان الشيخ عمر غمبو خليفة التيجانية بالسودان يقرأ دلائل الخبرات هو وتلاميذه وتابع أبناؤه قراءتها من بعده ، بل إنه توجد نسخة من دلائل الخبرات بخط العارف بالله الشيخ أحمد التيجاني الكبير ، شيخ الطريقة ، ويقول فضيلة الشيخ الحافظ التيجاني خليفة الطريقة بمصر : إن الأوراد اللازمة في الطريقة يصح أداؤها بأية صيغة للصلاة على النبي ، وأنه يجوز لقارئ ورد التيجاني أن يقرأ دلائل الخبرات بل إن في الطريقة التيجانية أحزاباً من الطريقة الشاذلية وضرب النووى ولا حرج على السالك أو المريد مادام يلتزم طريقة واحدة لأن من انقطع لشيء أحسنه .

في الرسول ﷺ ، وستة الشريعة .

يقول الله تعالى لرسوله الكريم ، ﷺ : (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) ، وما كانت هذه الرسالة العامة لأحد من الرسل من قبله ، فوسى عليه السلام أرسل لبني إسرائيل خاصة ، لقد اقتضت دعوته على بني إسرائيل ، لدرجة أنه حينما ذهب هو وهارون ، عليهما السلام ، إلى فرعون ، قال له : (إنا رسول ربك ، فأرسل معنا بني إسرائيل) .

فوسى ذهب إلى فرعون ليرسل معه بني إسرائيل ، ولم يكافح سيدنا موسى الشعوب أو الأمم في سبيل دعوته ، وعيسى عليه السلام : إنما أرسل إلى . . « خراف بني إسرائيل الضالة » على حد تعبيرهم القديم ، ولم يحاول سيدنا عيسى أن يشرب دعوته خارج فلسطين ، ولم يحاول أن يجاهد من أجلها .

أما رسول الله ﷺ : فإنه أرسل إلى الناس جميعاً : إنه أرسل إلى الناس جميعاً من حيث المكان ، وأرسل إليهم جميعاً من حيث الزمان ، فهو الرسول الدائم زماناً ومكاناً . (قل يا أيها الناس إني رسول الله عليكم جميعاً) .

وقد تكفل الله تعالى بحفظ الكتاب الذي أنزله على رسوله ﷺ ، ضماناً لهذا العموم في الزمان وفي المكان ، وتحقيقاً له (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

ومن أجل هذا الوعد يحفظ الوحي كاملاً غير منقوص ، صحيحاً غير مزيف ، إن الحكمة الإلهية في الإنسانية لا تحتاج إلى رسول بعد الرسول ، ولا إلى نبي بعد النبي ، إنه صلوات الله وسلامه عليه ، خاتم الرسل ، وخاتم الأنبياء .

ولقد امتزج رسول الله ﷺ برسالته الخالدة ، فكان هو هي شرحاً وتفصيلاً .
وكانت هي هو بياناً لمعدنه وجوهره ، وخلافة له ونيابة عنه .

نقول السيدة عائشة ، رضى الله عنها : لقد كان خلقه القرآن ، وهذه الكلمة من السيدة عائشة : رضوان الله عليها : تحتاج إلى تحديد وبيان : ذلك أن القرآن يحدد الخلق الكريم في حده الأدنى ، ثم لا يقتصر على ذلك ، وإنما يرسم القمم من مكارم الأخلاق ، ويوجه إلى السامع منها . ويقود إلى المشارف العليا من درجات المقربين .

فهل تريد السيدة عائشة « رضوان الله عليها » حينما تصفه ﷺ بأن خلقه القرآن ، هل تريد الخلق الكريم في حده الأدنى ؟ أو تريده في حده الأوسط ؟ أو تريده في حده الأقصى ؟
إن القرآن يحدد الدرجة التي وصل إليها الرسول ﷺ من الخلق القرآني : فيقول : سبحانه رسوله ﷺ (وإنك لعل خلق عظيم)
هذه الآية القرآنية وصل إليها الرسول ﷺ ، إنها ذروتها وسنامها .

أول المسلمين :

ولقد قال صلوات الله وسلامه عليه : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .
إنه ﷺ بعث ليتمم المكارم الأخلاقية ، ليتممها بذاته ، بسلوكه ، وليتممها بقوله ، برسالته ، إنه لم يبعث لينشر الأخلاق الكريمة فحسب ، وإنما بعث ليتمم مكارمها .
ومكارم الأخلاق : لم تكن - قبل الرسول صلوات الله وسلامه عليه - قد تمت ، إن أول المسلمين لم يكن قد وجد بعد ، وكانت بذلك مكارم الأخلاق ناقصة ، كان ينقصها أكمل صفة لمكارم الأخلاق ، وهي إسلام الوجه لله إسلاماً تاماً : إن الكائنات لم تكن قد وصلت - لافي نبى مرسل ، ولا في ملك مقرب - إلى الذروة من إسلام الوجه لله .
والذروة من إسلام الوجه لله ، أو أول المسلمين ، والتعبيران سواء - إنما هو الذروة من مكارم الأخلاق ، إن الكائن الرباني : إنه أول المسلمين ، أولهم بإطلاق أولهم بالنسبة للملائكة . وأولهم بالنسبة لبنى آدم ، أولهم قديماً وأولهم إلى الأبد . . إن أول المسلمين لم يكن قد وجد بعد .
وكانت الإنسانية بذلك ناقصة ، وكانت الكائنات كلها بذلك ناقصة .
كان الكون ناقصاً مادة ومعنى ، كان ناقصه أن تعطر أرضه بأزكى الأجساد وأن يتعطر جوه بأزكى الأرواح ، وكان لابد من وجود كائن بهذه المثابة يكمل الله به الدين ويتم به النعمة ، ويرضى رسالته ديناً عاماً خالداً للإنسانية جمعاء : هو إسلام الوجه لله .

ويتزل القرآن محمداً إسلام الوجه لله وسائل ، ومحمداً إسلام الوجه لله غايات ، ومحمداً إسلام الوجه لله طرقاً وأساليب ، ومحمداً له بواعث وأهدافاً ، ومن هنا كان من ينبئ غير الإسلام ديناً لا يقبل منه ، يقول الله تعالى : (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) ، وكيف يقبل منه ما يتنافى مع إسلام الوجه لله .

إن إسلام الوجه لله هو الذروة من مكارم الأخلاق ، وهو جوهر الدين ، إنه الدين القيم ، إنه الدين الخالد ، والنص الوحيد ، النص الإلهي الفريد في العالم كله الذي يبين كيفية إسلام الوجه لله ، إنما هو القرآن . وإذا ما وصل الإنسان إلى إسلام الوجه لله كان بذلك في ذروة الإنسانية ، وفي الذروة من مكارم الأخلاق .

ويتفاوت الناس في إسلام وجوههم لله ، ولا بد من أن يكون أحدهم أول المسلمين . فكان رسول الله ﷺ ، أولهم بإطلاق مطلق :

(قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) . ولم يصف القرآن بأول المسلمين شخصاً آخر غير الرسول ﷺ .

ومكارم الأخلاق لا يحدها - من حيث التبشير بها - مكان ، ولا يحدها زمان ، بل لا يحدها عالم من عوالم الله في الأرض أو السماء . . من أجل ذلك كانت رسالته صلوات الله عليه وسلامه رحمة للعالمين .

يقول تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) .

من مكانة الرسول ﷺ

ورسول الله ﷺ - لأنه يمثل الأخلاق القرآنية في ذروتها - جعل الله سبحانه وتعالى له مكانة خاصة بين المسلمين ، فهو صلوات الله وسلامه عليه - لأنه تمثل القرآن وحقيقته ، وأصبح قرآناً ، أصبح بذلك يمثل الحق بقوله ، ويمثل الحق فلا ينطق عن الهوى ولا يعمل بالهوى .

يقول تعالى لرسوله ﷺ : (قل إني هادي ربي إلى صراط مستقيم ديناً قيماً) ، بل إن طريق الدعوة نفسه ، كان صلوات الله وسلامه عليه ، يسير فيه معصوماً ، وكل من يسير في الدعوة على نسقه إنما يسير معصوماً بمعصمة الرسول ﷺ التي منحها الله تعالى إياه ، قل : « هذه سبيل أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » .

ودعوته إذن وطريق دعوته يسير فيها على هدى ، وعلى نور من ربه ، ولذلك فإن (من يطمع الرسول فقد أطاع الله) .

ويعمم الله سبحانه ، الحكم تعميراً ، ويطلقه إطلاقاً فيقول سبحانه : (وما أناكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) . ويقول تعالى : (إن تطيعوه تهتدوا) .

واتباع الرسول ﷺ علامة على محبة الله تعالى لمن يتبعه وسبب في حبه تعالى له .
قل : (إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) . إن حب العبد لله لا يفيد ما لم يتخذ العبد الوسيلة الناجمة لذلك ، وهذه الوسيلة هي اتباع رسول الله ﷺ .

ولقد قال الله سبحانه وتعالى في حديث قدسي رواه الإمام البخاري : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب . وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشى بها ، وإن سألني أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه .

وهذه النوافل التي ذكرت في الحديث الشريف ، والتي إذا أكثر الإنسان منها بعد أداء الفرائض ، أحبه الله : إنما هي سلوك رسول الله ﷺ ، إنها طريق رسمه ، صلوات الله عليه وسلامه بقوله : وبعمله ، إنها سنته صلوات الله وسلامه عليه التي سنّها ، لينال الإنسان بها محبة الله سبحانه .

من مكانة رسول الله ﷺ عند ربه أيضاً

وأحب الله سبحانه رسوله ﷺ ، وكان هذا الرسول بعبوديته لله سبحانه حبيب الله ، وبلغ الرسول ، صلوات الله عليه وسلامه ، بعبوديته التامة درجة أول المسلمين ، كما سبق أن ذكرنا . ولما كان أول المسلمين ، وكان حبيب الله ، ونيه ورسوله : ميزه الله سبحانه وتعالى على بقية البشر بكونه خيرهم وهذا التمييز لا يخرجهم صلوات الله عليه وسلامه عن البشرية ، فهو خير البشر ، ومنتهى القول فيه أنه بشر ، وأنه خير خلق الله كلهم ، ولأنه خير البشر يقول الله تعالى مخاطباً المؤمنين : (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً) .

إن الإنسان الذي خصه الله بالوحي ، واجتباة لرسالته واصطفاه ليكون - باسمه سبحانه - بشيراً ونذيراً ، إن هذا الإنسان الذي فضله الله على العالمين : يجب أن نعرف له مكانته ونزله في الشرف الذي أنزله الله فيه ، إن هذا السراج المنير إن هذا الزهوف الرحيم ، ينبغي ألا يدعى كما

يدعى زيد وعمرو ، بمعنى لا تنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ، ولا بكنيته فتقولوا : يا أبا القاسم ، بل نادوه وخاطبوه بالتعظيم والتكريم والتوقير بأن تقولوا يا رسول الله ، يا نبي الله ، يا إمام المسلمين ، يا رسول رب العالمين يا خاتم النبيين وغير ذلك .

ونستفيد من هذه الآية - كما يقول الشيخ الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين إنه لا يجوز نداء النبي بغير ما يفيد التعظيم ، لا في حياته ، ولا بعد وفاته ، فهذا يعلم أن من استخف بجنابه ﷺ ، فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة .

ويقول الله سبحانه في أوائل سورة الحجرات : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) . أى لا تتقدموا بأمر من الأمور قولاً كان أو فعلاً ، إلا إذا أذن الله ورسوله ، وكل أمر - قولاً كان أو فعلاً -- أتاه الإنسان بدون إذن الله ورسوله فإنه لا يقع على السنن المستقيمة ، يقول الضحّاك عن ذلك : هو عام في القتال وشرائع الدين . أى لا تقطعوا أمراً دون الله ورسوله ، واتقوا الله إن الله سميع عليم .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ، وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ) ، واحذروا إن فعلتم ذلك : (أَنْ تَحْبِطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) ، إن الذين يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ . أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) .

أما هؤلاء الذين أساءوا الأدب دون أن يقصدوا فأخذوا ينادونك من وراء الحجرات مناداة الأعراب الأجلاف . فإن عقولهم -- في الأغلب الأعم - ناقصة (إن الدين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم) . على أن مجرد الرغبة في الحديث إلى رسول الله ﷺ يحتاج تنفيذها إلى تقديم صدقة . يقول الله تعالى في سورة المجادلة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَأَطْهَرُ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) .

وتدل الآية الكريمة على أن ترك تقديم الصدقة إثم . لأن من لم يجد الصدقة فإن موقف الله سبحانه منه -- لعدم قدرته -- المغفرة والرحمة ، ولا تكون المغفرة والرحمة إلا على إثم ما آتاه الإنسان .

وعدم توفر الاستطاعة سبب مغفرة الله سبحانه .

وإذا حملكم خوف الفقر على ألا تفعلوا ، وإذا قادكم الضعف الإنساني إلى ألا تنفذوا ذلك ، ثم تدمتم واستغفرتم ، فتداركوه حتى يتوب الله عليكم ، وأثبتوا حسن نيتكم وصفاء

سريرتكم ، بأن تقيموا الصلاة على الوجه الأكمل . وتؤنوا الزكاة طيبة بها نفوسكم ، ونطيعوا الله ورسوله في الصغير والكبير ، وما من ريب في أن الله سبحانه خبير بكل ما تعملون .
 يقول الله تعالى : (أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات ، فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأطيعوا الله ورسوله ، والله خبير بما تعملون) .
 وبعد فيقول رسول الله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » .
 ويقول الله تعالى :

(يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . وداعياً إلى الله بإذنه وصراجاً منيراً . وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً) . هذا جانب من مكانة الرسول ﷺ التي أحباها الله له ، والتي نبه عليها سبحانه في كتابه العزيز .

في طاعة رسول الله من طاعة الله

وجانب آخر أحبه الله تعالى لرسوله نريد أن نبينه وهو أن الله سبحانه وتعالى قد فرض طاعة رسوله ﷺ ، مقرونة بطاعته ، بل لقد ذكرها الله سبحانه وتعالى وحدها باعتبارها فرضاً .
 ويقول الله تعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله ، فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) .
 ويقول تعالى : (يأيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحبيكم) . ويقول سبحانه : (قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) .

وفي هذه الآية الكريمة : إشارة إلى أن الإعراض عن طاعة الله أو عن الرسول كفر ، وما من شك في أنه كفر ، ذلك أن الإيمان من أركانه الإيمان برسول الله ﷺ ، وبأن كل ما أتى به صدق ، فالتولي عنه استخفافاً أو جحوداً وإنكاراً أو عناداً وممارسة ذلك كله كفر ، يخرج به المعرض عن دائرة الإسلام .

يقول الله تعالى في طاعة الرسول صلوات الله وسلامه عليه حينما يفرد بالحديث :
 (فلا وربك لا يؤمنون حتى نحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يعدلوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً) .

ويقول تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم)

ويجعل سبحانه وتعالى طاعة الرسول ﷺ من طاعته فيقول سبحانه : (من يطع الرسول فقد أطاع الله) .

ويجعل بيعته صلوات الله وسلامه عليه بيعة لله ، فيقول سبحانه : (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يدُ الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً) .

وطاعة رسول الله ﷺ إنما هي فيما افترضه الله سبحانه أو سنه ، وفيما افترضه رسوله صلوات الله وسلامه عليه أو سنه .

وقد تابع الرسول ﷺ ، القرآن الكريم في بيانه لمنزلة السنة ، ووجوب اتباعه ﷺ فيما سنه ، فلقد حث رسول الله ﷺ على تبليغ السنة ونشرها فقال فيما رواه أبو داود والترمذي عن زيد بن ثابت : « نصر الله وجه امرئ سمع مقالتي فحفظها ووعاها ، فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

وروى في معناه من طريق آخر : « رحم الله امرأ سمع مقالتي فادأها كما سمعها ، فرب مبلغ أوعى من سامع » .

فكان رسول الله ﷺ يأمر الصحابة أن يبلغ الشاهد منهم الغائب فيقول فيما رواه أبو بكر : « ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

ولقد روى الحاكم والبيهقي أن رسول الله ﷺ قال : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله ، وسنتي .

ويقول رسول الله ﷺ في خطبة الوداع : « إن الشيطان قد بشس أن يعبد بأرضكم ، ولكن رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروا . إني تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبداً : كتاب الله ، وسنتي » .

وبين رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري عن أبي هريرة أن المسلمين سيدخلون الجنة إلا من لا يرغب منهم في ذلك .

يقول ﷺ : كل أمتي بدخل الجنة إلا من أبى . قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى .

في مكانة السنة من القرآن

وسنة رسول الله ﷺ : لها مكانتها بالنسبة إلى القرآن ولها مكانتها بالنسبة إلى التشريع ، إنها المصدر الثاني بعد القرآن - للإسلام - إنها المصدر الثاني للإسلام باعتباره عقيدة ، والمصدر الثاني للإسلام باعتباره تشريعاً ، والمصدر الثاني للإسلام باعتباره أخلاقاً .
أما منزلتها بالنسبة إلى القرآن فإنها حسبما يقول الإمام الشافعي : « وسن رسول الله ﷺ مع كتاب الله وجهان :

أحدهما : نص كتابي ، فاتبعه رسول الله كما أنزل الله .

والآخر : جملة بين رسول الله فيها عن الله معنى ما أراد به بالجملة ، وأوضح كيف فرضها عاماً ، أو خاصاً وكيف أراد أن يأتي به العباد وكلامهما اتبع فيه كتاب الله .
وفي كلمة أخرى يبين الإمام الشافعي الوجهين فيقول : « أحدهما ما أنزل الله فيه نص كتاب ، فبين رسول الله مثل ما نص الكتاب . والآخر مما أنزل الله فيه جملة كتاب ، فبين رسول الله معنى ما أراد » . وهذان الوجهان لم يختلف فيهما أحد من الفقهاء ولا من المحدثين ، يقول الإمام الشافعي : « هذان الوجهان اللذان لم يختلف فيهما » .

والوجه الأول : بين بنفسه أنه من الواضح أن رسول الله ﷺ كان يبين القرآن عقيدة وشرعة وأخلاقاً على وجوه شتى وعلى أنحاء مختلفة ، وعلى أساليب تختلف في الإيجاز والإسهاب بحسب حالة المخاطب . يقول الله تعالى : (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) .

والرسول ﷺ كان يبين للناس ما نزل إليهم ، بسلوكه وبقوله وبإقراره بقول صلوات الله عليه وسلامه : « ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به ، ولا تركت شيئاً مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه » .

ولكن بيان رسول الله ﷺ ، كان يشتمل أيضاً على بيان ما أجمل في كتاب الله وهذا الوجه كثير في السنة .

يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه : قال تبارك وتعالى : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) .

وقال : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) .

وقال : (وأنعموا بالحج ، والمعرة لله) .

ثم يبين على لسان رسوله عدد ما فرض من الصلوات ، ومواقيتها ، وسننها ، وعدد ركعاتها ، والزكاة ومواقيتها ، وكيفية عمل الحج والعمرة ، وحيث يزول هذا ويثبت وتختلف سنته وتتفق ، ولهذا أشباه كثيرة في القرآن والسنة . ١ . هـ .

وقد كان رسول الله ﷺ ، يبين كيفية الصلاة بقوله وعمله ، كأن يبين أوقاتها ، وأركانها وعدد ركعاتها ، واختلاجها ، وترتيب حركاتها بعد الافتتاح . ويقول ﷺ : « صلُّوا كما رأيتموني أصلي » .

ويبين رسول الله ﷺ ، مناسك الحج : أركانه ، وواجباته ، وسنته ويقول : خذوا عني مناسككم .

وفرض الله سبحانه وتعالى الزكاة ، ولم يبين مقاديرها ، ولم يذكر بالتفصيل الزروع والثمار والأموال التي تجب فيها الزكاة ، فبين رسول الله ﷺ ذلك كله وطبقه .

ولقد بينت السنة أن القاتل لا يرث ، وأن الوصية لا تكون في أكثر من الثلث ، وأن الدين يقدم على الوصية هذا وكثير غيره مما بيته السنة .

عن عمران بن حصين : رضى الله عنه ، أنه قال لرجل يريد أن يقتصر على القرآن دون السنة : إنك امرؤ أحمق ، أئجد في كتاب الله الظهور أربعاً لا يجهر فيها بالقراءة ؟ ثم عدد عليه الصلاة والسلام الزكاة ونحو هذا ، ثم قال : أئجد ذلك في كتاب الله مفسراً ؟ إن كتاب الله أبهم هذا ، قال : والسنة تفسر ذلك .

ولقد قيل لمطرف بن عبد الله بن الشخير : لا تحدثونا إلا بالقرآن ، فقال : والله ما نبغى بالقرآن بدلاً ، ولكن نريد من هو أعلم منا بالقرآن .

ويقول الإمام الشافعي رضى الله عنه ، ومن قبل عن رسول الله ، فعن الله قبل : لما افترض الله من طاعته .

في مكانة السنة من التشريع

ورسول الله ﷺ : يشرع عن الله تعالى : فيما لا نص فيه من كتاب الله .
 إن رسول الله ﷺ ، بعث معاذ بن جبل رضى الله عنه . إلى اليمن فقال له :
 « كيف تقضى إذا عرض لك قضاء »
 قال : أقضى بكتاب الله .

قال : فإن لم يكن في كتاب الله .

قال : فبسة رسول الله .

قال : فإن لم يكن في سنة رسول الله .

قال : أجتهد برأى ولا آلو .

فضرب رسول الله ﷺ على صدره وقال : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله .

وسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه في رسالته في القضاء إلى أبى موسى الأشعرى ، رضى الله عنه التى بدأها بقوله « سلام عليك » أما بعد فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة . يقول سيدنا عمر في هذه الرسالة ، الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة .

فجعل سيدنا عمر السنة مصدراً من مصادر التشريع .

ولقد سئل سيدنا أبو بكر رضى الله عنه عن ميراث الجدة فقال : مالك في كتاب الله من شيء ولكن أسأل الناس ، فسألهم ، فقام المغيرة بن شعبة ومحمد بن مسلمة فشهدا : أن النبي ﷺ أعطاهما السدس .

ولم يكن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعلم سنة الاستئذان حتى أخبره بها أبو موسى رضى الله عنه . (١٤٧) .

ولم يكن يعلم أن المرأة ترث من دية زوجها حتى كتب إليه الضحاک بن سفيان ، أمير رسول الله ﷺ على بعض البوادي ، يخبره أن رسول الله ﷺ ورث امرأة أشيم الضبائي من دية زوجها . ولم يعلم حكم الجوز في الجزية حتى أخبره عبد الرحمن بن عوف : أن رسول الله ﷺ قال : « منوا بهم سنة أهل الكتاب » .

ولما قدم « سرغ » وبلغه أن الطاعون بالشام استشار المهاجرين الأولين الذين معه ثم الأنصار ، ثم مسلمة الفتح فأشار كل عليه بما رأى ، ولم يخبره أحد بسنة ، حتى قدم عبد الرحمن بن عوف ، فأخبره بسنة رسول الله ﷺ في الطاعون وأنه قال : إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه .

وهذا عثمان رضى الله عنه لم يكن عنده علم بأن المتوفى عنها زوجها تعتد في بيت زوجها حتى

حدثته الفريفة بنت مالك أخت أبي سعيد الخدري بقضيتها لما توفي زوجها ، وأن النبي ﷺ قال لها :

« امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله ، فأخذ به عثمان . »
ولقد روى الحاكم ما يلي :

« حرم رسول الله ﷺ أشياء يوم خير منها الحمار الأهلي وغيره . فقال رسول الله ﷺ : « يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته فيحدث بحديثي فيقول : بيني وبينكم كتاب الله » فما وجدنا فيه حلالا استحللناه ، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه ، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله . »

ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمرى مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول : لا أدري ، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه .

روى أن أبو داود والترمذي وابن ماجه عن المقدم ابن معد يكرب قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه ، ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله . »

وعن حسان بن عطية أنه قال : كان جبريل عليه السلام ، يتزل على رسول الله ﷺ بالسنّة كما يتزل عليه بالقرآن ، ويعطيه إياها كما يعلمه القرآن .
وعن مكحول قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاكم الله القرآن ومن الحكمة مثله » أخرجها أبو داود في مراسليه .

وقيل لمطرف بن عبد الله : لا نحدثونا إلا بالقرآن - فقال ، والله ما نبغى بالقرآن ولكن نريد من هو أعلم منا بالقرآن .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : « لعن الله الواشيات والمستوشيات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله » فبلغ ذلك امرأة من بني أسد فقالت يا أبا عبد الرحمن بلغني أنك لعنت كيت وكيت فقال : « وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ ، وهو في كتاب الله ، فقالت المرأة لقد قرأت ما بين لוחي المصحف فما وجدته ، فقال لن كنت قرأته فقد وجدته أما قرأت (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت : بلى : قال : فإنه قد نهى عنه رسول الله ﷺ . »

وبعد أن يذكر الإمام الشافعي الوجوه الثلاثة :

١ - بيان السنة للكتاب على ما في الكتاب .

٢ - بيان السنة لمجمل الكتاب .

٣ - ما بين رسول الله فيما ليس فيه نص كتاب .

يقول : وذلك ما نريد أن ننتهي إليه ، وهو بين في وضوح من كل ما ذكرنا - وأى هذا كان ، فقد بين الله أنه فرض فيه طاعة رسوله ، ولم يجعل لأحد من خلقه عذراً بخلاف أمر عرفه من أمر رسول الله ، وإن جعل الله بالناس كلهم الحاجة إليه في دينهم ، وأقام عليهم حجته بما دلهم عليه من سنن رسول الله معاني ما أراد الله بفرائضه في كتابه ليعلم من عرف منها ما وصفنا : إن سنته ﷺ ، إذ كانت سنة مبينة عن الله معنى ما أراد من مفروضه فيما فيه كتاب يتلونه ، وفيما ليس فيه نص كتاب آخر .

فهى كذلك أين كانت لا يختلف حكم الله ثم حكم رسوله ، بل هو لازم بكل حال .

في تدوين السنة

بدأ رسول الله ﷺ في العهد المكي يبشر بالقرآن الكريم ورسالة التوحيد سرّاً ثم جهراً ، وكان الرسول ﷺ يلقي بالأضواء كلها على القرآن .

١ - ذلك أن القرآن كلام الله سبحانه وتعالى ، وهو بأسلوبه معجز ، وهو بمعناه يأخذ بالأفئدة وهو بعظاته يملك القلوب ، وهو بمنطقه يسيطر على العقول .

٢ - ثم إن موضوع القرآن في هذه الفترة كان موضوعاً محدداً : لقد كان جملة من القضايا تتصل بالغيب ، الغيب الإلهي . أو بتعبير آخر - توضيح العقيدة .
توحيداً - ورسالة - وبعثاً .

وكان أسلوب القرآن في ذلك واضحاً لا لبس فيه ، بيناً بياناً سافراً .

٣ - ونحشى رسول الله ﷺ ، أن يضيف الناس شيئاً من كلامه إلى القرآن ويخلطوه به . وربما أسرفوا في هذه الإضافة : فلا يستبين الناس الفواصل والفروق بين الأسلوب القرآني الإلهي ، والأسلوب النبوي حينما يتلونهما في أول العهد بالإسلام ممتزجين لا تميز بينهما .
إن معالم الأسلوب القرآني واضحة ، وكلام الله سبحانه أينا كان يتميز بصفات تجعله بمجزل عن غيره .

ولكن لابد من إيجاد الفرصة الكافية لترسم هذه المعالم في النفوس . أى لابد من تقديم القرآن خالصاً صافياً لا يمتزج به غيره .

لابد من تقديمه كما أنزل في ثوبه الإلهي البحت حتى تصبح المعالم معالم الإعجاز المعجز بينة سافرة .

من أجل ذلك نهى رسول الله ﷺ عن كتابة حديثه صلوات الله وسلامه عليه .
٤ - على أن هذه الآيات القرآنية ، في العهد المكي . وهي تشرح التوحيد توحيد الله في الصفات إنها وهي تشرح الهيمنة الإلهية على الكون ، على العوالم . جميع العوالم ، ليست في حاجة إلى بيان أوضح أو إلى تعبير أقوى .

بل إنه لا يتأتى أن يكون هناك بيان أوضح أو تعبير أقوى .

إنها وهي تهدم الشرك ، وتلك حصونه فتقول مثلاً :

(قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أمّا يشركون ؟ أمّن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، إله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون . أمّن جعل الأرض قراراً ، وجعل خلالها أنهاراً ، وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً ؟ إله مع الله ؟ بل أكثرهم لا يعلمون . أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويحكمكم خلفاء الأرض إله مع الله ؟ قليلاً ما تذكرون . أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته ، إله مع الله تعالى الله عما يشركون . أمّن يبدو الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض إله مع الله . . قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) . .

إنها حينما تقول ذلك ، لا تحتاج إلى شرح أو تفسير وهي : حينما تتحدث عن البعث تقول :
(ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون ، وأشرقَت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون . وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وهو أعلم بما يفعلون) .
ليست بحاجة إلى شرح أو تفسير .

وهي : حينما تتحدث عن الرسول ﷺ ونزول القرآن عليه تقول : (نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين) . ليست بحاجة إلى شرح أو تفسير .
ثم هي ، حينما تقول ترغياً وتبشيراً .

(إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم وأزواجهم في ظلال الأرائك

منكثون ، لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون . سلام قولاً من رب رحيم) ، فليست بحاجة إلى شرح أو تفسير .

وحينما تقول موعظة وإنذاراً : (ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون . حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟ قالوا : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ، وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون . وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ، فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين) ، فليست بحاجة إلى شرح أو تفسير .

٥ - ثم إن الموضوعات التي تتحدث فيها هذه الآيات المكية : موضوعات غيبية ، والموضوعات الغيبية دقيقة وغاية في الدقة ، فهل إذا تحدث الرسول ﷺ في هذه الموضوعات ، ونقل عنه هؤلاء شفوياً ، وهم حديثو عهد بالإسلام وقريبو عهد بالجاهلية الوثنية . . . هل سيحسنون التعبير ، عنها أو يقولونها كما تحدث بها الرسول ﷺ ، في دقته الدقيقة ، وفهمه الواعي عن الله سبحانه وتعالى ؟

من أجل ذلك ، أمر الرسول ﷺ ألا يكتب عنه غير القرآن ، وحكمة هذا الأمر وتعليله واضح كل الوضوح مما ذكرنا . ولكن في فترة العهد المدني تغير الوضع .
ها هو ذا الإسلام ينتشر انتشاراً واسعاً وسريعاً وما هي ذى الأمة الإسلامية الناشئة المؤمنة القوية : تبعث الأمل واسعاً في أن دين الله سيتشر في الآفاق وسيم نوره الأقطار وستحطم كلمة الحق صروح الباطل ، وسيم الله نوره ولو كره المشركون وسيم لألاؤه برغم أنوف الكافرين . ومن أجل هذه الأمة بدأ الوحي ينزل أرسالا أرسالا بالتشريع في جميع ألوانه تشريع دول وتشريع جنائي وتشريع مدني ، وتشريع للعبادة ، وتشريع للأحوال الشخصية .
لقد بدأ التشريع الإلهي بنظم حياة الفرد : عبادة ومعاملة : حياته مع نفسه ، وحياته مع أمته ، وحياته مع الله تعالى :

لقد أخذ بنظم حياة الإنسان منذ أن يستيقظ في الصباح إلى أن ينتهي به الأمر إلى الصحون جديد في صباح تال .

وينظم حياته من أسبوع إلى أسبوع ، ومن شهر إلى شهر ، ومن عام إلى عام . وينظم حياته في ذاته ، وينظم حياته في أسرته . وينظم حياته في مجتمعه . وينظم حياة المجتمع الإسلامي كله في الكون كله . وما كان يتأق أن يتعرض الوحي في ذلك للتفصيلات المفصلة ، ولا للجزئيات الجزئية

التي لا تعد ولا تحصى ، ولكنه كان يفصل تفصيلاً يشبه أن يكون تاماً في الأمور التي تكون عادة مثار النزاع وخصوصاً - الماليات كالميراث ، وكتابة الدين مثلاً .

ويضع قواعد عامة شاملة تتضمن الجزئيات المتعددة ، في موضوعات أخرى وكان لا بد من أن يستفيض الرسول ﷺ في البيان والشرح والتفسير .

وكان المسلمون قد ألفوا الجو الإسلامي ، وألفوا الأسلوب القرآني ، عرفوا مفهوم الشرك ومفهوم التوحيد ، وتبينت لهم الفروق الفاصلة بين العلم والجهل ، وبين الإسلام والجاهلية . وبين توجيه الوجه للذي فطر السموات والأرض وتوجيهه للأصنام أو الشهوات أو اللهو ، ولم يكن هناك من خوف على خلط أسلوب القرآن الكريم بغيره .

وكان لا بد من تقييد شروح الرسول ﷺ ، وتفسيراته . لم تكن هناك ظروف توجب عدم كتابة الحديث ، وكانت هناك ظروف توجب كتابته .

ومن أجل ذلك أباح الرسول ﷺ كتابته بعد أن كان قد نهى عنها .
وبدأ الصحابة - رضوان الله عليهم يكتبون .

روى الإمام البخاري في كتاب العلم ، باب كتابة العلم قال : « حدثنا محمد بن سلام قال : أخبرنا وكيع عن سفيان عن مطرف ، عن الشعبي ، عن أبي حنيفة قال : قلت لعل هل عندكم كتاب .

قال : لا ، إلا كتاب الله ، أوفهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة .
قلت : فما في هذه الصحيفة .

قال : العقل ، وفكاك الأسير ، ولا يقتل مسلم بكافر . ويروى الإمام البخاري : حدثنا أبو نعيم : الفضل بن دكين ، قال : حدثنا شيان ، عن يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، أن خزاعة قتلوا رجلاً من بني ليث ، عام فتح مكة بقتل منهم قتلوه فأخبر بذلك النبي ﷺ فركب راحلته ، فخطب فقال :

إن الله حبس عن مكة القتلى ، أو الغيل : شك أبو عبد الله وسلط عليهم رسول الله ﷺ والمؤمنين ، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي ولم تحل لأحد بعدي . ألا وإنها حلت لي ساعة من نهار ، ألا وإنها ساعتي هذه حرام ، لا يحنل شوكتها ولا يعضد شجرها ، ولا تلتقط ساقطها إلا لمنشد ، فمن قتل فهو بخير النظرين إما أن يعقل وإما أن يقاد أهل القتل .

فجاء رجل من أهل اليمن ، فقال : اكتب لي يا رسول الله .

فقال : اكتبوا لأبي فلان .

فقال : رجل من قريش : إلا الإذخر ، يا رسول الله ، فإننا نجعله في بيوتنا وقبورنا .
 فقال النبي ﷺ : إلا الإذخر إلا الإذخر .
 قال : أبو عبيد الله : يقال : يقاد ، بالقاف .
 فقيل : لأبي عبيد الله : أى شيء كتب له .
 قال : كتب له هذه الخطبة .

ويقول البخارى :

حدثنا على بن عبد الله . قال حدثنا سفيان ، قال حدثنا عمرو ، قال أخبرني وهب بن منبه ،
 عن أخيه قال سمعت أبا هريرة يقول : ما من أصحاب النبي ﷺ ، أحد أكثر حديثاً عنه منى إلا
 ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب . تابعه معمر ، عن همام عن أبي هريرة
 « انتهى البخارى » . ولقد اشتهرت كتابة عبد الله بن عمرو لكل ما يصدر عن رسول الله ﷺ
 حتى لقد نوقش في ذلك من بعض القرشيين . يقول حسبما يروى في سنن الدارمي وغيره : كنت
 أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر ، يتكلم في الغضب والرضا ،
 فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأوماً بأصبعه إلى فيه ، وقال :
 اكتب ، فوالذي نفسى بيده ما خرج منه إلا حق .

وروى عن أبي هريرة - كما يذكر الترمذى - أن رجلاً من الأنصار كان يشهد حديث رسول
 الله ﷺ فلا يحفظه فيسأل أبا هريرة فيحدثه ، ثم شكاً قلة حفظه إلى الرسول ﷺ ، فقال له
 النبي ﷺ : استعن على حفظك بيمينك . أى بالكتابة .

وروى عن رافع بن خديج ، كما يذكر في كتاب « تقييد العلم » أنه قال : قلنا يا رسول الله
 « إنا نسمع منك أشياء ، أفنكتبها ؟ » قال : « اكتبوا ولا حرج » .

على أنه قد روى عن رسول الله ﷺ أنه كتب كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن .
 لعمر بن حزم وغيره ، كما يروى ذلك صاحب كتاب « جامع بيان العلم وفضله » .

هذا ما كان من بعض الصحابة في عهد الرسول ﷺ ، وتكثر الروايات فيما كان من كتابة
 الصحابة بعد انتقاله صلوات الله وسلامه عليه إلى الرفيق الأعلى . ففي مسند الإمام أحمد عن
 أبي عثمان النهدي قال :

كنا مع عتبة بن فرقد . فكتب إليه عمر بأشياء يحدثه عن النبي ﷺ ، فكان فيما كتب إليه .
 إن رسول الله ﷺ قال : لا يلبس الحرير في الدنيا إلا من ليس له في الآخرة منه شيء إلا
 هكذا .

وقال بأصبعيه السبابة والوسطى ، قال أبو عثمان : فرأيت أنها أزرار الطيالة . ولقد كان بعض الصحابة ينقل عن بعض ، فعروة بن الزبير رضى الله عنه ، ينقل عن خالته السيدة عائشة رضوان الله عليها فتقول له : يا بنى ، بلغنى أنك تكتب عنى الحديث ثم تعود فتكتبه . فقال لها : أسمعك منك على شىء ، ثم أعود فأسمعه على غيره ، فقالت : هل تسمع فى المعنى خلافاً ؟ .

قال لا : قالت : لا بأس بذلك .

وبشير بن نهيك يكتب عن أبى هريرة ، ويحيزه أبو هريرة بالرواية عنه . يقول بشير : كما يذكر كتاب « السنة قبل التدوين » نقلاً عن كتاب « المحدث الفاضل » وغيره - أتيت أبا هريرة بكتايب الذى كتبه ، فقرأته عليه ، فقلت : هذا سمعته منك ؟ قال نعم . وكان لابن عباس رضى الله عنه ألواح يكتب فيها عن الصحابة ، مثل أبى رافع صاحب رسول الله ﷺ . بل لقد وصل الأمر بأنس رضى الله عنه الذى لازم رسول الله ﷺ ملازمة تكاد تكون تامة طيلة عشر سنوات ، إنه كان يمل الحديث على جموع من الطالبين ، فإذا أكثر الناس واحتاجوا إلى صحف يكتبون فيها ، جاء إليهم بها من عنده فألقاها إليهم ثم قال : هذه أحاديث سمعتها وكتبها عن رسول الله ﷺ وعرضتها عليه .

وكان يقول : رضى الله عنه ، لبنى : يا بنى قبدوا العلم بالكتاب .

وكان الصحابة يتراسلون فى الأحاديث ، يستفسرون ويتذاكرون ، لمعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه ، يكتب للمغيرة بن شعبة رضوان الله عليه عدة مرات يستفسر عن بعض ما يرويه المغيرة عن رسول الله ﷺ .

فيجيبه المغيرة بن شعبة مرة عما كان رسول الله ﷺ مثلاً : يقول فى ختام كل صلاة : (اللهم لا مانع لما أعطيت ، ولا معطى لما منعت ، ولا راد لما قضيت ، ولا ينفع ذا الجلد منك الجلد) . ويجيبه مرة أخرى بأن رسول الله ﷺ . نهى عن : قيل وقال وكثرة السؤال ، وإضاعة المال . ويكتب زياد بن أبى سفيان إلى السيدة عائشة رضوان الله عليها ، يسألها عن مسائل تتعلق بالحج ، ويذكر لها فتوى ابن عباس رضى الله عنه ، فتكتب له بما كان ﷺ . يفعله فى الحج . ويصف المرحوم الأستاذ مصطفى السباعى بعض الجهود التى قام بها الصحابة لجمع الحديث فيقول فى نهاية حديثه عن تلك الجهود .

فلما كان عهد عثمان سمح للصحابة أن ينفروا فى الأمصار واحتاج الناس إلى الصحابة . وخاصة صفارهم ، بعد أن أخذ الكبار يتناقصون يوماً بعد يوم ، فاجتهد صفار الصحابة بجمع

الحديث من كبارهم فكانوا يأخذونه عنهم .

كما كان يرسل بعضهم إلى بعض من أجل طلب الحديث ، فقد أخرج البخارى فى الأدب المفرد ، وأحمد ، والطبرانى ، والبيهقى ، واللفظ له ، عن جابر بن عبد الله قال : بلغنى حديث عن رجل من أصحاب النبى ، ﷺ عن رسول الله ﷺ ، لم أسمع فابتعت بعيراً فشددت عليه رجلى ، ثم سرت إليه شهراً حتى قدمت الشام . فإذا هو عبد الله بن أنيس الأنصارى ، فأتيته ، فقلت له ، حديث بلغنى عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ فى المظالم لم أسمع فخشيت أن أموت أو تموت قبل أن أسمع .

فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر الناس غُرلاً بُهْمًا . قلنا وما لهم ؟ قال : ليس معهم شيء ، فيناديهم نداء يسمعه من بُعد كما يسمعه من قرب ، أنا الذى لا ينهى لأحد من أهل النار أن يدخل النار واحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى أقتصها منه . ولا ينهى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة واحد من أهل النار يطلبه بمظلة حتى أقتصها منه حتى اللطمة .

قلنا : كيف ؟ وإنما نأتى عراة غُرلاً بُهْمًا ؟ قال : بالحسنات والسيئات .

وأخرج البيهقى وابن عبد البر عن عطاء بن أبى رباح أن أبى أيوب الأنصارى رسل إلى عتبة ابن عامر يسأله عن حديث سمعه من رسول الله ﷺ ، لم يبق أحد سمعه منه غيره فلما قدم إلى منزل مسلمة بن مخلد الأنصارى - وهو أمير مصر - فخرج إليه فعانقه - ثم قال ما جاء بك يا أبى أيوب ؟ قال حديث سمعته من رسول الله ﷺ فى ستر المؤمن .

فقال : نعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : من ستر مؤمناً فى الدنيا على كبريته ، ستره الله يوم القيامة .

ثم انصرف أبو أيوب إلى راحلته ، فركبها راجعاً إلى المدينة فما أدركته جائرة مسلمة إلا بعريش مصر .

ولقد وقر فى أذهان الناس ، بصورة راسخة أن السنة لم تُدَوَّنْ إلا فى القرن الثانى ، ومن أجل اقتلاع هذه الفكرة الخاطئة أطلنا فى نقل بعض النصوص التى تثبت الحقيقة وهى أن السنة دونت فى القرن الأول : فى عهد الرسول ﷺ ، وفى عهد الصحابة الأجلاء .

ومن أجل زيادة الأمر وضوحاً ، ومن أجل تأكيد الحقيقة فى الأذهان ، ننقل هنا أيضاً رأى الأستاذ الجليل ، السيد سليمان الندوى ، كبير علماء مسلمى القارة الهندية فى هذا العصر ، نقله عن كتابه النفيس « الرسالة المحمدية » وهو محاضرات ألقاها فى جامعة مئذراس

يقول : وإني أكشف القناع ، لأول مرة في ناديكم هذا ، بأن من زعم بأن الأحاديث النبوية لم تدون إلى مائة سنة أو تسعين سنة قد أخطأ والتاريخ يعارضه .
والسبب في هذا الخطأ ظنهم أن أول كتاب في الحديث النبوي : « كتاب الموطأ » لمالك ابن أنس ، وأول كتاب في السيرة كتاب المغازي لابن إسحاق ، وهذان الإمامان الجليلان كانا معاصرين ، وتوفي الأول ١٧٩ هـ ، والثاني سنة ١٥١ هـ ، فاعتبروا العقود الأولى من القرن الثاني بداية تدوين الأخبار والسير .

والأمر ليس كذلك ، فإن بواكير التدوين ابتدأت قبل ذلك بكثير ، وقد كان أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز للتوفي سنة ١٠١ علماً جليلاً ، ولي إمارة المدينة ثم استخلف سنة ٩٩ ، وقد عهد إلى القاضي : أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم ، الذي كان إماماً في الحديث والخبر أن يبدأ في تدوين سنن النبي ﷺ وأخباره ، لأنه خاف على العلم أن يرفع شيئاً فشيئاً .
وخاف دروس العلم وعفائه ، وقد ذكر هذا في تعليقات البخاري ، والموطأ لمالك ، والمستند للدارمي ، فقام بذلك أبو بكر بن حزم ، وكتب الأحاديث والأخبار والسنن في القراطيس وأرسلت إلى دار الخلافة بدمشق ، ونسخت في الصحف والكتب ، وبعث بها إلى البلاد الإسلامية وكبريات المدن يومئذ (مختصر جامع بيان العلم للحافظ بن عبد البر من ١٣٨) .
فأبو بكر هذا الذي علمتم مكانته من العلم والفضل وكان قاضياً بالمدينة المنورة ، هو الذي اختاره عمر بن عبد العزيز لهذا العمل الجليل لعلمه وفضله ولأن حالته عمرة كانت من كبريات تعليمات أم المؤمنين عائشة ، وكان ما روته حالته عمرة عن أم المؤمنين عائشة محفوظاً عنده ، فأوعز إليه عمر بن عبد العزيز بتدوين مرويات حالته ، وقد اختصها بالذكر في كتابه إليه .
ويتابع السيد سليمان الندوي حديثه فيقول :

وأمر ، ﷺ ، فكتب أحكام الزكاة وما تجب فيه ، ومقادير ذلك ، فكتب مشروحة مفصلة في صفحتين ، وبعث بصورة ذلك إلى أمراء البلاد وولاها ، وبقيت محفوظة في بيت أبي بكر الصديق ، وأبي بكر بن عمرو بن حزم . « الدار قطنى في كتاب الزكاة ص ٢٠٩ » ، وكان عند عمال الزكاة رسائل فيها أحكام الزكاة .

وكان لمرويات عبد الله بن عباس كرايس عدة وجاءه قوم من أهل الطائف بكراسة منها ليرويها عنه (العلل للترمذى ص ٦٩١) .

وكان سعيد بن جبير يكتب روايات عبد الله بن عباس (الدارمي ٦٩) وبقيت صحيفة عبد الله بن عمرو (الصادقة) موجودة عند حفيدة . عمرو بن شعيب « سنن الترمذى ٢٩٣ ص ٦١ » ،

١١٣ « وكانوا يضعفون عمرو بن شعيب ، لأنه يروى من الصحيفة وكان ينبغي له أن يروى من حفظه .

وجمع وهب التابعى روايات جابر بن عبد الله وكانت عند إسماعيل بن عبد الكريم ، وضعفه لأجل ذلك (تهذيب التهذيب لابن حجر ٣١٦) .

ويروى سليمان بن سمرة بن جندب أنه كان عند أبيه صحيفة فيها أحاديث ، وكذلك روى ابنه حبيب بن سليمان - (تهذيب التهذيب) : ١٩٨ .

وجمع همام بن منبه روايات أبي هريرة وهو أكثر الصحابة رواية ، وأوعاهم حفظاً لأحاديث الرسول ﷺ ، فصارت تعرف صحيفته بين المحدثين بصحيفة همام ، وقد أوردها الإمام أحمد ابن حنبل في الجزء الثانى من مسنده (ص ٣١٢ - ٣١٨ الطبعة الأولى) .

وكذلك بشير بن نهيك : كتب مروياته عن أبي هريرة في كتاب وقرأه عليه .

(كتاب العلل للترمذى ص ٦٩١ ، والدارمى ص ٦٨ والسنن الكبرى للبيهقى ١٠ : ٢٨٠) . وذكر ابن حجر في كتابه فتح البارى : أن أبا هريرة جاء برجل إلى بيته وأراه أوراقاً وقال : هذه رواياتى ، وقال الذى روى ذلك : إنها لم تكن مكتوبة بيده . (فتح البارى ١ : ١٧٤ - ١٨٥) . وكان أنس بن مالك - وهو معروف بكثرة الروايات يقول لأولاده يا بني اكتبوا العلم وقيدوه بالكتابة (الدارمى ص ٦٨) .

وكان تلميذه « أبان » يكتب رواياته بين يديه (الدارمى ص ٦٨) .

وروى عن سلمى قالت : رأيت عبد الله بن عباس يستملى أبا رافع خادماً رسول الله ﷺ ما كان عليه ، يفعل أو يقول (طبقات ابن سعد ١٢٣/٢/٢) .

والواقدي وهو من متقدمى المصنفين فى السيرة النبوية يقول : رأيت عند عبد الله بن عباس الكتاب الذى أرسله رسول الله ﷺ إلى المنذر بن ساوى سيد عمان مع كتب أخرى (زاد المعاد ٥٧ : ٢) .

وفى تاريخ الطبرى : أن عروة بن الزبير كتب جميع ما كان فى غزوة بدر مفصلاً إلى عبد الملك الخليفة الأموى (الطبرى ١٢٨٥) .

ويقول سعيد بن جبير التابعى : كنت أكتب على الأفتاب ما أسمع فى الليل من عبد الله ابن عمر وعبد الله بن عباس ، فإذا أصبحت كتبه واضحاً (الدارمى ص ٦٩) .

وكان أصحاب البراء بن عازب يكتبون عنه رواياته (الدارمى ص ٦٩) وكان نافع - وقد صاحب ابن عمر ثلاثين سنة - يلى على الناس (الدارمى ص ٦٩) .

وعن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود أنه أخرج كتاباً وقال : وإيم الله ، هذا ما كتبه يد ابن مسعود (جامع العلم لابن عبد البر ص ١٧) .

وتابع الحديث في الموضوع على الرغم من أن الأمر أصبح واضحاً فتضيف إلى ما سبق ، أن مروان قد خطب في الناس فذكر مكة وحرمتها فقال رافع بن خديج بصوت يسمعه الناس : والمدينة حرم حرمها رسول الله ﷺ وهو مكتوب عندنا في أدبم خولاني إن شئت أن نقرنكه فعلنا .

فناداه مروان : أجل قد بلغنا ذلك ، (مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤ : ١٤١) . وأرسل الضحاك بن قيس كتاباً إلى النعمان بن بشير يسأله فيه عن السورة التي كان رسول الله ﷺ يقرأها في صلاة الجمعة غير سورة الجمعة .

فكتب إليه يقول : كان يقرأ (هل أتاك) (صحيح مسلم) وكتب عمر بن الخطاب إلى عتبة ابن فرقد كتاباً ذكر فيه : أن رسول الله ﷺ ، نهى عن لبس الحرير (صحيح مسلم) . « ويقول مجاهد : رأيت عند عبد الله بن عمرو كتاباً فسألته : ما هذا ؟ فقال : هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله ﷺ ليس في ذلك بيني وبينه أحد » .

ولما ولي رسول الله ﷺ ، عمرو بن حزم اليمن وبعثه إليها أعطاه أحكاماً مكتوبة في الفرائض والصدقات والديبات (كتر المال ٣ : ١٨٦) .

وتلقى عبد الله بن حكيم كتاباً من رسول الله ﷺ ، فيه أحكام الحيوانات الميتة (المعجم الصغير للطبراني ص ٢١٧) .

ولما أراد وائل بن حجر أن يرجع إلى بلاده حضرموت ناوله رسول الله ﷺ كتاباً فيه أحكام الصلاة والصوم والزبا والخمر وغير ذلك (الطبراني ٢٤٢) ولما وجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب السؤال إلى أصحاب رسول الله ﷺ في نصيب المرأة من دية زوجها قام الضحاك بن سفيان : فقال :

نعم عندنا كتاب من رسول الله ﷺ ، يبين فيه ذلك (الدار قطنى ٢ : ٤٨٥) (١٤٨) وقد بلغ عدد الصحابة رضى الله عنهم في آخر حياة النبي ﷺ - عندما حج حجة الوداع مائة ألف ، ومن هؤلاء عشرة آلاف صحابي مذكورة أسماءهم وأحوالهم في كتب التاريخ التي أفردت تدوين أحوالهم خاصة . وأن التاريخ لم يهتم بتدوين أحوالهم ، ولم يحفظ لنا شئونهم إلا لأن كل واحد منهم حفظ شيئاً من أقوال النبي ﷺ ، وأفعاله ونصرفاته وهديه وسيرته .

لقد توفى رسول الله ﷺ ، سنة ١١ من الهجرة النبوية ، وبقى فريق من كبار الصحابة بعده إلى سنة أربعين ، وبقى بعد ذلك من الصحابة ، الذين كانوا أحياناً في حياة النبي ﷺ ، عدد غير قليل ، فلما انقضى ذلك الجيل لم يبق من الصحابة أحد ، وانطفأ كل سراج أوقد بنور النبوة . وإليك أسماء آخر من مات من الصحابة ، والبلاد التي ماتوا فيها وسنوات وفاتهم .

آخر الصحابة موتاً	المدن التي توفوا فيها	سنة الوفاة
١ - أبو أمامة	الشام	٨٦
٢ - عبد الله بن الحارث بن جزء	مصر	٨٦
٣ - عبد الله بن أبي أوفى	الكوفة	٨٧
٤ - السائب بن زيد	المدينة	٩١
٥ - أنس بن مالك	البصرة	٩٣

وأنس بن مالك هذا الذي كان آخر من بقى من الصحابة كان الخادم لرسول الله ﷺ ، واستمر في خدمته عشر سنوات متوالية .

ومعظم هذه الثروة الحديثية كما يقول الأستاذ الجليل أبو الحسن الندوى قد كتب ودون بأقلام رواة في العصر الأول . وقد يزيد ما حفظ في الكتب والدفاتر كتابة وتحريراً في العصر النبوي وفي عصر الصحابة ، رضى الله عنهم ، على عشرة آلاف حديث ، إذا جمعت صحف ومجاميع أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وأنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، وعلى ، وابن عباس ، رضى الله عنهم ، فيمكن أن يقال : إن ما ثبت من الأحاديث الصحاح واحتوت عليه مجاميعها ومسانيدها قد كتب ودون في عصر النبوة وفي عصر الصحابة قبل أن يدون الموطأ والصحاح بكثير .

جمعت السنة إذن - جميعها تقريباً - في عهد الرسول ﷺ وعهد الصحابة . جمعت دون ترتيب ولا تنسيق .

جمعت متفرقة متناثرة ، يكتب هذا الحديث والحديثين ويكتب الآخر المائة والمائتين ويزيد الثالث عن ذلك ، ويملى الرابع من حفظه على الآخرين ، وهكذا ، وفي ذلك لم يكن لأحد اهتمام بالتنفيذ أو التنسيق .

يقول الأستاذ العالم الورع المثبت أبو الحسن الندوى في كتابه « رجال الفكر والدعوة » ما يلى :

وإذا جمعت هذه الصحف والمجاميع ، وما احتوت عليه من الأحاديث كونت العدد الأكبر من الأحاديث التى جمعت فى الجوامع والمسانيد والسنى فى القرن الثالث :

وهكذا يتحقق أن المجموع الكبير الأكبر من الأحاديث سبق تدوينه وتسجيله - من غير نظام وترتيب - فى عهد الرسول ﷺ ، وفى عصر الصحابة رضى الله عنهم .

ويتحدث الأستاذ أبو الحسن الندوى عن الوهم الشائع بين الناس من أن السنة لم تدون إلا فى القرن الثالث : وبطل هذا الوهم تعليلًا منطقيًا فيقول :

وقد شاع فى الناس - حتى المثقفين والمؤلفين - أن الحديث لم يكتب ولم يسجل إلا فى القرن الثالث الهجرى ، وأحسنهم حالًا من يرى أنه قد كتب فى القرن الثانى وما نشأ ذلك الغلط إلا عن طريقتين .

الأولى : أن عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر مدونى الحديث فى القرن الثانى ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التى كتبت فى القرن الأول ، لأن عامتها فقدت وضاعت مع أنها اندمجت وذابت فى المؤلفات المتأخرة .

الثانية : أن المحدثين يذكرون عدد الأحاديث الضخم المائل الذى لا يتصور أن يكون قد جاء فى هذه المجاميع الصغيرة التى كتبت فى القرن الأول : مع أن عدد الأحاديث الصحاح غير المتكررة المنجردة من المتابعات والشواهد لا يزال قليلًا .

وقد نبه على ذلك العلامة مناظر أحسن الكيلانى ، رئيس القسم الدينى سابقًا فى الجامعة بحيدر آباد فى كتابه العظيم « تدوين الحديث » يقول رحمه الله : وقد يتعجب الإنسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية فيقال : إن أحمد بن حنبل كان يحفظ أكثر من سبعمائة ألف حديث . وكذلك يقال عن أبى زرعة .

ويروى الإمام البخارى أنه كان يحفظ مائتى ألف من الأحاديث الضعيفة ومائة ألف من الأحاديث الصحيحة .

ويروى عن مسلم أنه قال : جمعت كتابى من ثلاثمائة ألف حديث ، ولا يعرف كثير من المتعلمين - فضلًا عن العامة أن الذى يكون هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد التى عنى بها المحدثون .

فحديث « إنما الأعمال بالنيات » مثلاً يروى من سبعمائة طريق .

فلو جردنا مجاميع الحديث من هذه المتابعات والشواهد لبقى عدد قليل من الأحاديث .

فالجامع الصحيح للبخارى لا تزيد الأحاديث التي رويت بالسند الصحيح فيه على ألفين وستائة وحديثين .

وأحاديث مسلم يبلغ عددها أربعة آلاف حديث .

وهكذا لا يبلغ عدد الأحاديث المروية في كتب الصحاح الستة ومسد أحمد وكتب أخرى خمسين ألف حديث منها الصحيح ، ومنها السقيم ، ومنها المتفق عليه ، ومنها المتكلم فيه . وقد صرح الحاكم أبو عبد الله - الذي يعد من المتساهلين المتوسعين - أن الأحاديث التي في الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف (توجيه النظر ص ٩٣) ويقول الأستاذ :

ولم يتصف القرن الثاني حتى كانت حركة الجمع والتدوين أنشط وأقوى ، وكان ممن سبق إليها من رجال هذا القرن . .

ابن شهاب الزهري وابن جريج المكي وابن إسحاق - معمر اليمني - سعيد بن أبي عروبة المدني - ربيع بن صبيح - سفيان الثوري - مالك بن أنس - الليث بن سعد - وابن المبارك - ثم تتابع الناس .

في موافقة السنة للقرآن

أن تكون موافقة لما جاء في القرآن فتكون واردة حيثئذ مورد التأكيد ومن أمثلة ذلك .

- ١ - قوله ﷺ : « لا يحمل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه » ، رواه الديلمي فإنه يوافق قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) .
- ٢ - قوله ﷺ : « اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحلتم فروجهن بكلمة الله » فإنه يوافق قوله تعالى : (وعاشروهن بالمعروف) .
- ٣ - قوله ﷺ : « إن الله يملئ للظالم فإذا أخذه لم يفلته » يوافق قوله تعالى : (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة) .

أن تكون دالة على حكم سكت عنه القرآن ومن أمثلة هذا النوع . .

- ١ - قوله ﷺ في البحر : « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » .
- ٢ - قوله ﷺ في الجنين الخارج ميتاً من بطن أمه الذكاة « وذكاة الجنين ذكاة أمة » .
- ٣ - الأحاديث الواردة في تحريم ربا الفضل .

٤ - الأحاديث الواردة في تحريم كل ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطيور وتحريم لحوم الحمر.

في أقسام الحديث النبوى

لقد اعتمد أسلافنا منهج الرواية أولاً ، ثم بينوا عن طريق هذا المنهج نفسه : الصحيح ، والحسن ، والضعيف ، والموضوع .

وكتبوا في كل ذلك . ولقد ساهم الإمام السيوطى رضى الله عنه بقسط وافر في هذا المجال وكتابه اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية أشهر من أن يتحدث عنه ، ولم يكتف أسلافنا ببيان الموضوع والضعيف والحسن والصحيح ، وإنما اتخذوا قواعد عامة منها - مثلاً - أن القرآن الكريم وعمل الرسول ﷺ وعمل الصحابة كل ذلك مهيمن كمقياس للصحة والبطلان . وقواعد الدين العامة وأصوله الصحيحة ومبادئه بل فروعه . . . إن كل ذلك واضح لدى المسلمين منذ . . .

(اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) اعتمد أسلافنا منهج الرواية ، والتزموه ، ونقدوا المتقدم منه ، وأثبتوا ما ثبت وزينوا ما زان ، وسجلوا كل ذلك ، فحققوا بهذا ما هو جدير بهم من سعة الأفق ، ومن هذه النهضة العلمية الأصيلة أبانوا أنهم أفهم الناس للروح العلمية الأصيلة وآفاق البحث في أدق صوره . فجزاهم الله عن العلم وأهله خيراً .

في رواية الحديث عن المتخصصين

مثل من الإمام مالك بن أنس

. . .

وكان يتحرى التخصص ويروى عنه - فيما يتعلق بناحية التخصص أنه قال :
« لقد أدركت بالمدينة أقواماً لو استئق بهم القطر لسقوا . أى أنهم من الصلاح بحيث لو دعوا الله أن يترل المطر لاستجاب لهم » وقد سمعوا من العلم ، والحديث شيئاً كثيراً وما أخذت عن واحد منهم ، وذلك أنهم كانوا قد ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد .

ويقول هذه الكلمة البالغة العمق :

إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه ، لقد أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله ﷺ عند هذه الأساطين - وأشار إلى المسجد - فما أخذت عنهم شيئاً ، وإن أحدهم لو أؤتمن على بيت مال لكان أميناً ، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن .

ويريد أن يقول في هؤلاء وأولئك إنهم ليسوا من أهل الحديث . ومن الجائر ، وهم غير متخصصين في هذا الشأن ، أن يقرر بهم أو أن يرووا حديثاً ضعيفاً ، ويريد أيضاً أن يقول : إن الصلاح غير العلم ، وإنه لا يلزم من وجود الزهد أو الأمانة أن يكون الزاهد أو الأمين نقادة مثبته .

ومع هذا التحرى ومع هذا الجهد في التثبت فإنه ما كان يروى كل ما يسمع ويقول : إن عندي لأحاديث ما حدثت بها قط ، ولا سمعت مني ، ولا أحدثت بها حتى أموت ، وقال مالك يوماً : سمعت من ابن شهاب أحاديث لم أحدثت بها إلى اليوم .

فقال له قائل : لِمَ يا أبا عبد الله . فقال : لم يكن العمل عليها فتركها .

ورد مالك على السائل هو المفتاح الذي نفسره هذا الموضوع الذي يتساءل عنه الناس كثيراً ، وذلك أن مالكا رضى الله عنه كان قد اتخذ مبادئ نقدية محددة لقبول الحديث منها :

١ - أن يكون المُحدث من رجال الحديث متخصصاً فيه .

٢ - وأن يكون صاحب ذاكرة قوية .

٣ - وألا يكون من أصحاب الأهواء .

٤ - وألا يخالف الحديث أصلاً من أصول الدين .

٥ - وألا يتعارض في وضوح مع عمل أهل المدينة .

فإذا فقد شرط من هذه الشروط في الحديث فإن مالكا لا يرويه ، ومع أن ابن شهاب ثقة ، ومع أنه من شيوخ الإمام مالك فإنه لما تعارضت بعض أحاديثه مع عمل أهل المدينة لم يرو الإمام عنه ما تعارض عنها وهكذا فيما روى لما لم يستكمل شروط الصحة .

في شرح قول رسول الله ﷺ

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نرى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

بدلنا هذا الحديث الشريف على أن صحة الأعمال الصالحة ، إنما هي بالنية الخالصة لله ورسوله .

والواقع أنه ليس الأمر أمر النية فحسب ، وإنما الأمر أيضاً خلوص النية في أعمال الخير كلها ، ومعنى خلوص النية أن يريد الإنسان بالعمل الصالح وجه الله وحده عن الضحك بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ : إن الله تبارك وتعالى يقول : أنا خير شريك ، فمن أشرك معي شريكاً فهو لشريكى ، ثم يقول رسول الله ﷺ : يأبىها الناس أخلصوا أعمالكم ، فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له ولا تقولوا هذه لله وللرحمة فإنها للرحم وليس لله منها شيء . ولا تقولوا هذه لله ولوجهكم ، فإنها لوجهكم وليس لله منها شيء .

في حديث

« الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا »

• • •

ظاهر المعنى أن كل امرئ يتصرف بما طبع عليه ، فأهل الخير والبر والإحسان إذا لَبِنَ الله قلوبهم بالإيمان الكامل وعمرها بالعلم النافع كانوا خير الناس لتوافر الدافعين :
أولها : العلم المبين للخير والمميز للأصلح .
وثانيها : حسن المعدن وكرم الأصل في التزام المروءة وتحري الخير .

في بر الوالدين

روى أبو داود عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال :
يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شيء أبرهما به بعد موتها ؟ قال : نعم : الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقها .

ومن المستحب للأموات قراءة القرآن في البيوت بعيداً عن المقابر - مع عدم إهمال الدعاء والاستغفار وفاء بحقها قياماً بحق برهما (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً) .

أما إذا تركها المسلم فيكفيه منها الدعاء والاستغفار وإلا كان مقصراً في حق والديه ناكراً
لجميلها عليه ، ومن سمات المؤمنين الوفاء وسبقاقب بقدر تفريطه وإهماله .

في معنى علماء أمى كآنباء بنى إسرائيل

لم يعتبر المحدثون الكلمة القائلة : علماء أمى كآنباء بنى إسرائيل لم يعتبروها حديثاً ، ولم تثبت
عندهم ، وإن كان معناها في ذاته صحيحاً فإن آنباء بنى إسرائيل كانوا قائمين بالوحى المتابع على
حفظ دين الله . ولما ختمت النبوة بسيدنا محمد ﷺ قام على الدين - جيلاً بعد جيل - العلماء
الأبائ والحفظة والثقات .

في حديث

« الميت يبعث في ثيابه التى يموت فيها »

رواه أبو داود والحاكم وابن ماجه وأبو سعيد الخدرى

• • •

ومعناه التوجه إلى دوام تطهير الثياب من النجاسة وهذا ما فهمه أبو سعيد الخدرى حينما طلب
ثياباً جديدة يستعد بها لاستقبال الموت ، وقيل إن المراد بالثياب العمل أى يبعث على عمله الذى
مات عليه حسناً أو قبيحاً ، والذي نراه أن المراد الثياب الملبوسة وأن الحديث يفيد وقوع البعث
للأجساد بأوضح بيان حيث إن البعث سيشمل الثياب التى مات الإنسان فيها فضلاً عن الجسد .

في حديث

« ارحموا اليتامى وأكرموا الغرباء . . الخ »

ليس بالقوى ، فقد قال ابن الدبغ الشيبانى وردت أحاديث في إكرام الغرباء وكلها ضعيفة
ومن المعروف أن الإسلام يحث على إكرام اليتيم ، ويجعل أكل أموال اليتامى أكلاً للنار في البطون .
والله تعالى يقول لرسوله ﷺ يحث على إكرام اليتيم ويجعل أكل أموال اليتامى أكلاً للنار في
البطون : (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً ، وَسَيَصْلُونَ
سَعيراً) . والله تعالى يقول لرسوله ﷺ : (وَوَجَدَكَ يَتِيماً فَآوَى) وأما المراد بالغريب هنا فلعلة
غريب الدين ، إن الذى يتمسك بدينه حال الفتن وانتشار الضلال كالغريب كما في حديث بدأ
الإسلام غريباً . فطلوبى للغرباء قيل ومن الغرباء قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس .

في شرح حديث

روى البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر ، والبر يهدى إلى الجنة ، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » .
وقد تحدث رسول الله صلوات الله عليه عن علامات المنافق ، فكانت العلامة الأولى من علاماته حسبما رواه البخارى ومسلم أنه « إذا حدث كذب » .

فالكذب إذن مجانب للإيمان ، وهو كما يروى عن رسول الله صلوات الله عليه يسود الوجه ، من كل ذلك نتبين : أن الكذب حرام . وأن الكاذب آثم ، ومما له مغزاه : إن بعض الفرق الإسلامية تجعل حرمة الكذب أشد من حرمة الزنى والسرقة والله سبحانه وتعالى يقول : (إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) .

شرح حديث

عن أبي هريرة رضى الله عنه فيما رواه مسلم قال : قال رسول الله ﷺ « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت المائلة . لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » .

• • •

إن هذا الحديث الشريف يساند الآيات القرآنية التي تحدد موقف الإسلام من تبرج المرأة تحديداً لا لبس فيه

يقول سبحانه : (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) .

بأمر الله تعالى المسلمات ألا يبدین من زینتھن إلا ما ظهر منها ، وهو الوجه والكفان ، وأن الإيمان السليم ، والإسلام الصحيح ، والخلق الكريم ، كل ذلك يريد للمرأة إجلالاً لها واحتراماً -- أن تنأى بنفسها ونمو بكرامتها عن أن تعتبر نفسها سلعة تعرض نفسها شبه عارية في الشوارع والمجتمعات على أنظار المارة والمجتمعين .

وما من ريب في أن المرأة العاقلة تأبى عليها عزتها ، ويأبى عليها دينها ، أن تضع نفسها متعمدة موضع الخسة بكشفها ما حرم الله أن يكشف ، وأن تعرض نفسها في غير كرامة إلى أن تصب عليها لعنة الله والملائكة وصالح المؤمنين .

ومما لا شك فيه أن الشبان فضلاً عن الرجال يحترقون ويزدرون هذه السلع من الفتيات والنساء اللاتي يعرضن أجسادهن رخيصة مهينة وأن الملاحظة العابرة عن الملاحظة المتروية ترشد في صورة واضحة إلى أن احترام الشبان والرجال إنما هو للمحتشمات في الطرقات والمواصلات . يقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ) .

في شرح حديث

« المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً »

• • •

فما هو التطبيق الواجب لهذا الحديث بالنسبة للاعتداءات الإسرائيلية على الأماكن المقدسة وأرض العرب .

التطبيق الواجب لهذا الحديث هو أن على المسلمين أن يعلموا أن الجهاد واجب مقدس على كل مؤمن ومؤمنة كل فيما يخصه ، وللجهاد مقدمات تحرز له النصر وتناهى بالمجاهدين عن الهزيمة . تلك المقدمات هي قيام كل مؤمن ومؤمنة بواجب السمع والطاعة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) سورة الأنفال آية ٢٤ .

والنصر الذي يريده كل مجاهد من الله لا يأتي إلا بمعونه ومدده وهما لا يكونان لمن انخرع عن صراط الله الذي أمرنا به قال تعالى : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ، سورة الأنعام .

ولأنه جل جلاله جعل نصره للمؤمنين مترتباً على نصر المؤمنين لدينه قال تعالى : (إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصَرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) . سورة محمد .

وقال تعالى : (وَلِيَنْصَرِنَا اللَّهُ مِنْ بِنَصَرِهِ) ، والانحراف بعض المحاربين في جيش رسول الله يوم حنين حلت الهزيمة بالمسلمين أولاً ، ولما تابوا إلى رشدهم أنزل الله عليهم سكينته وأمدهم بمجنده وتوَّجهم بنصره .

قال تعالى : (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً) . . إلى قوله (جزاء الكافرين) . سورة التوبة .

لها استعداد المسلمون بالسلاح والرجال فإنهم لن يحرزوا نصراً ، ولن يأتيهم مدد الله عز وجل بالملائكة وغيرهم إلا إذا استمسكوا بأيديهم وجعلوه شعار لهم في كل شيء فحسبنا في هذا قول الله تعالى : (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب) . . . إلى (شديد العقاب) : سورة الأنفال . ويقول النبي ﷺ ليس الإيمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) . سورة الأنفال .

وذكر الله فيه الصلوات وغيرها من الفرائض ويتنظم الذكر المعروف الذي هو تزييه الله وتهليله وحمده وهذا النوع من الذكر لا يستعصى على المجاهد في سبيل الله ، بل إن الصلاة نفسها يستطيع أن يؤديها المجاهد وهو يقود الطائرة والدبابة والسيارة ، وبصوب المدفع إلى صدر عدوه ، ويستطيع أن يؤديها وهو يمشي على رجله ، وذلك بأن يشير برأسه إلى الركوع والسجود وغيرهما من أركان الصلاة قال تعالى : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين . فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً فإذا أنتم فاذكروا الله) . سورة البقرة .

وإسرائيل التي نعاني منها لا تستطيع الصمود أمام قوم أبرهم فأمدهم يحنده وأيدهم بنصره وعليهم أن يستكملوا عدة الجهاد من أنواع السلاح كافة ، ثم ينطلقوا بمحافلهم إلى تلك البقاع المقدسة غير مستجيبين لنداءات مجلس الأمن وهيئة الأمم فإنها لم تنشأ لخدمة الإسلام بقدر ما أنشئت لخدمة المطامع الاستعمارية .

إن هذا الحديث الشريف يسائر القرآن الكريم والروح الإسلامية كلها ، ويشرح ما يجب أن يكون عليه المسلمون في حياتهم من الاجتماع على الإيمان واتخاذهم أساساً للوحدة والأخوة ، فالحديث الشريف يبدأ بقوله « المؤمن للمؤمن » ومعنى ذلك أن الانطلاق نحو الأخوة والمحبة والوحدة وجمع الشمل إنما يكون قائماً على الإيمان فإذا كان الإيمان أساساً أقي حتماً ما يترتب عليه من أن يشد المؤمن أزر المؤمن وأن يكون معه كالبنيان المتماثل الذي تكون كل لبنة فيه مستندة إلى أخرى وساندة لها .

وإذا اتخذ الإيمان أساساً انتهى التفرق والخلاف ، وتحقق في العصر الحاضر ما تحقق في الماضي الذي عبر الله عنه بقوله تعالى : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) .

ولا بد من هذه الوحدة ، لا بد منها لمصلحة العرب أنفسهم من أجل أوطانهم ، ولا بد منها دينياً فالله سبحانه وتعالى يقول :

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) .

ويقول سبحانه : (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين) .

والواقع أن الصهيونيين يعملون جاهدين بكل الوسائل على التفرقة بين المسلمين في كل مكان ، كان هذا وما يزال دأبهم وديبنتهم وحادثة شامس بن قيس مشهورة .

لقد مر على نفر من الأوس والخزرج في مجلس جمعهم ففاظله صلاح ذات بينهم وقال في نفسه ، قد اجتمع فلان وفلان قبله في هذه البلاد ونالنا معهم إذا اجتمع ملأؤهم بها من قرار ، وأمر شاباً من اليهود كان معهم أن ينتهز فرصة يذكروهم فيها بيوم بعث ، ذلك اليوم الذي انتصر فيه الأوس على الخزرج .

وتكلم الغلام وأنشدهم ما قيل في ذلك اليومين من أشعار ، فذكر القوم ذلك اليوم وتنازعوا وتفاخروا واختصموا ، وقال بعضهم لبعض إن شتم عدنا إلى مثلها ، وبلغ رسول الله ﷺ ذلك الأمر فخرج إليهم فيمن معه من الأنصار والمهاجرين ، فذكروهم بما أَلَفَ الإسلام بين قلوبهم وجعلهم إخواناً متحابين وكان مما قال « أدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية » وما زال بهم حتى بكى القوم وعانق بعضهم بعضاً واستغفروا الله جميعاً ، لما رى يوم أقيح أولاً وأحسن آخراً من ذلك اليوم ، وما كانت هذه المؤامرة الأولى أو الأخيرة من مؤامرات اليهود ضد الأخوة العربية ولقد تغلب عليها العرب بمبدأ الأخوة التي غرسها الإسلام منهم .

وإذا كان هذا المبدأ قد نجح في الماضي فهو لا محالة ناجح في العصر الحاضر . ومما لاشك فيه أن الصهيونية تعمل جاهدة على غرس بذور العداوة بين الدول العربية حتى يفشلوا وتذهب ريحهم ولكن السلام الوحيد الذي يجب أن تحصن به دائماً لرد باطلهم الخبيث إنما هو التفكك بالأخوة .

في شرح الحديث

«كنت نهيكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإنها تذكركم بالآخرة» .

• • •

فأباح ﷺ بذلك زيارة القبور ، وعلل السبب في ذلك وهي تذكروا أمور الآخرة ، وما يتصل بها من الموت وعذاب القبر .

وبماثل هذا الحديث ما رواه أحمد ومسلم وغيرهما عن زيارة النبي ﷺ ، لقبر أمه وقوله فزوروا القبور ، فإنها تذكركم بالموت .

هذا بالنسبة للرجال :

أما بالنسبة للنساء : فإن كثرة زيارة القبور بالنسبة لهن ممنوعة ، لما روى من أنه ﷺ لعن زائرات القبور . .

قال القرطبي : هذا اللعن إنما هو للمكثرات من الزيارة ، لما تقتضيه الصيغة من المبالغة . . ولعل السبب ما يفضى إليه ذلك من تضييع حق الزوج . وما ينشأ منهن من الصياح ونحوه . فإذا خفت زيارتهن . . ولم تقترن بسوء من كشف عورة أو قول قبيح ونحو ذلك فلا حرج منها لما روى من أن عائشة سألت رسول الله ﷺ عما تقول إذا زارت القبور فقال :

قول : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين . . يرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين . . وإنا إن شاء الله بكم لاحقون .

وعلى ذلك فزيارة القبور مندوبة للرجال جائزة للنساء وبشرط ألا يقترن بها ما يتنافى مع الغرض منها وهو التذكير بالموت والتذكير بالآخرة .

في الشرك الخفي

الشرك الخفي مرادف للنفاق ، وذلك لأن النفاق أن يظهر المرء خلاف ما يبطن ، فيبدو المناق في صورة المؤمن وهو في حقيقته من الكافرين ، أنه يستر شركه ويخفيه ولكن الله تعالى يكشفه بعلاماته ، ويبرز أهم صفاته في كثير من الآيات القرآنية التي تحدد منابع الإيذاء في هذا الشرك ، وأسباب التنفير منه ، ومواطن الخطر الناجمة عنه ، يقول تعالى : (ومن الناس من يقول آمنا بالله

وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون .
 في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) .

وتتابع الآيات في كشف صفاتهم وتمثيل حالهم بأظهر صورة ، وأبلغ تعبير . ويتج عن هذا
 الشرك الخفي أو النفاق شرور كثيرة تلفح المؤمنين بأذاها ، وتلسمهم بشروها ، ومن هذه الشرور
 المؤذية الرياء ، ويتحدث القرآن عن ذلك فيقول : (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا
 قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً) .

ويتج عن الرياء أن يعطى المسلم ثقة للحرالى ، فيستغل هذه الثقة في إيذائه وإيصال الشرور
 إليه ، ومن هنا قال الرسول ﷺ .

« إياكم وشرك السرائر ، قالوا : وما شرك السرائر يا رسول الله ؟ قال الرياء » . ومن الشرور
 المؤذية للشرك الخفي الحسد ، لقد كان المنافقون يفرحون لمصيبة المسلمين ويحزنون لما يسرهم ، يقول
 تعالى : (إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مَصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَيتولوا وهم
 فرحون) .

وأظهر هذه الشرور المؤذية تخطيط الحسم ، والعمل بالقول والفعل على إطفاء نور الإسلام
 والقضاء على المسلمين ، ويتمثل ذلك في وضوح فيما حدث في غزوة الأحزاب ، لقد كان الرسول
 ﷺ ، يبشر بالفتح وكان المنافقون يقولون : هذا محمد يعدنا بكنوز كسرى وقيصر ، وأخذنا
 لا يأمن على بيته بالمدينة ، ويصور القرآن ذلك فيقول :

(وإذا يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً) . ويجمع
 صفات المنافقين في وضوح ، وشركهم الخفي المانع للخير الجالب للشر ، قوله سبحانه :
 (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصلنَّ ولنكوننَّ من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله
 بخلوا به وتولَّوا وهم معرضون ، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه ،
 وبما كانوا يكذبون) .

أما الطريقة للثلى للتخلص من هذا الشرك وآثاره ، فتتمثل في العمل بقول الله سبحانه :
 (لئن لم يتنه المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
 فيها إلا قليلاً ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً . ستن الله في الذين خلَّوا من قبل ولن تجد
 لسنة الله تبديلاً) .

في شرح الحديث

« من لم تنه صلاته »

• • •

للعمل المقبول علامات ودلائل تدل عليه ، وترشد إلى بلوغ القصد به ومنه ، وقد حدد القرآن وحددت السنة كثيراً من هذه العلاقات والدلائل ، يقول تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقاً) . ويقول : (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) . ويقول ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار » .

ومن هذا الباب قوله تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ولا يعني ذلك أن المخطئ لا تقبل له صلاة ، لأن الإنسان في حرب مع الشيطان ومها كان تسليحه وتيقظه ، فقد تعذبه غفلة أوفرة فيتمكن الشيطان منه فيقع في المعصية . . ولكن إيمانه القوى وعمله الصالح سرعان ما يعود به إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن ويحذ من عفو الله ومغفرته ما يتيح له السير من جديد في طريق الخير والصلاح . . وقد يقف المرء على حافة المعصية فيؤذن المؤذن فيدخل إلى الصلاة ، وما يكاد يفرغ منها حتى يجد نفسه وقد هدأت ، وغرائره وقد استسلمت ، وبقينه وقد استيقظ . فيحس بأثر الصلاة إحساساً في غابة القوة والظهور . وحديث : « من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعداً » رجع الحافظ ابن كثير أنه من كلام بعض الصحابة لا من كلام الرسول ﷺ .

وليس من شك في أن الصلاة التي يداوم عليها المؤمن فلا تؤثر في سلوكه وقوله وعمله هي صلاة غير كاملة ، لأنها غير مؤثرة ، وعلى المؤمن إذا ما واجه المنكر ، أو قابل الفحشاء أن يتذكر موقفه بين يدي الله في الصلاة ليرتدع عن ذلك .

في محاربة اكتناز الأموال وحبسها

قال رسول الله ﷺ : « يهرم ابن آدم وتشب معه اثنتان : الحرص على المال ، والحرص على العمر .

ما يجب شرحه :

١ - اثنتان : خصلتان سيئتان .

٢ - لماذا كان الحرص على المال والحرص على العمر ؟

ما يراعى عند الحديث :

١ - كثر المال وعدم استثماره وحرمان المجتمع من الانتفاع به منهي عنه شرعاً في سبيل الحد من ضخامة الأموال أوجب الإسلام الصدقات ، وفرض الزكاة ، وجعلها ركناً من أركان الدين ، وأوجب المساهمة في نفقات ما يعرض للأمة وما يجب لها من عدة الدفاع لحفظ الأمن والنظام أو المساهمة في أعمال البر .

٢ - الآيات التي تتعرض للموضوع .

(ليس البر) البقرة آية ١٧٧

(وأنفقوا في سبيل الله) البقرة آية ١٩٥

(والذين يكتزون الذهب والفضة) التوبة آية ٣٤

٣ - آفة الحرص على العمر .

٤ - الإسلام يدعو إلى بذل الروح رخيصة في سبيل الله والوطن .

في عدد الرسل من السنة

لم يرد في عدد الأنبياء والمرسلين أثر صحيح إلا ما روى عن أبي ذر رضي الله عنه ، وبسند قيل إنه مقبول ، وفيه . قلت يا رسول الله : كم الأنبياء ؟ . . قال ، مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، قلت : يا رسول الله كم الرسل من ذلك ؟ - قال ثلثائة وثلاثة عشر جم غفير كثير طيب . قلت : فمن كان أولهم ؟ - قال : آدم قلت : أنبي مرسل . . قال : نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وسواه قبلاً ثم قال : يا أبا ذر . . أربعة سريانيون « آدم وشيث وخنوخ وهو إدريس وهو أول من خط بقلم ، ونوح . . وأربعة من العرب ، هود وشعيب وصالح ونيك يا أبا ذر . . وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى . وأول الرسل آدم وآخرهم محمد . فالذين كلفوا برسالة من الأنبياء بحسب هذا الحديث الذي قيل إنه مقبول ثلثائة وثلاثة عشر ، والأنبياء الذين لهم

علاقة بمكة من حيث بناؤها أو النشأة فيها الذين ذكرهم القرآن الكريم هم إبراهيم وإسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام . والرسول الذين يتمون إلى العرب من هؤلاء كما في الحديث : هود وشعيب وصالح ومحمد عليه الصلاة والسلام .
أما الرسول والأنبياء الآخرون الذين لهم علاقة بمكة والأنبياء الآخرون الذين يتمون إلى العرب فلا يعلم عددهم إلا الله سبحانه .
وهذا الذي ذكرناه هو أقرب الآراء إلى الصحة .

في حرمة العود في الهبة

قال عليه السلام فيما روى البخارى : (العائد في هبته كالكلب بقيء ثم يعود في قبته) .
أى لا ينبغي لنا معشر المؤمنين أن نتصف بصفة ذميمة يشابهنا فيها أخس الحيوانات في أخس أحوالها .

قال تعالى : (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى) . ومن هنا حرم الإسلام على المرء الرجوع في هبته ولم يحز له هذا الرجوع ولو دفع ثمن هبته لمن وهبها له في سبيل الحصول عليها .

روى البخارى بسنده عن زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : « حملت على فرس في سبيل الله فأضاعه الذى كان عنده ، فأردت أن أشتريه منه وظننت أنه بائعه برخص ، فسألت عن ذلك النبي ﷺ فقال : لا تشتريه وإن أعطاكه بدرهم واحد ، فإن العائد في صدقته كالكلب يعود في قبته » .

لقد أعطى عمر رضى الله عنه رجلاً فرساً ليحارب عليه فأهمل الرجل العناية بالفرس أو رغب في بيعه بثمن بسيط وأراد عمر شراءه فتنعه النبي ﷺ من ذلك لأنه لا يحل .
لمن أسدى إلى شخص معروفاً يحرم عليه الرجوع فيه ، وإذا تصرف المهدى إليه في هذا المعروف فلا رجوع لصاحب المعروف عليه . وحجه بهذا المعروف نافذ ، ورجوع صاحب المعروف فيه لا يبطل الحجج .

وثواب صاحب المعروف على ذلك مستمر حيث لم يحصل على ما رغب الرجوع فيه من المعروف وإن قل عن الثواب قبل الرغبة في الرجوع ، حيث دلت تلك الرغبة على ضعف عاطفة الخير عنده .

في السُّنةِ الحسنةِ والسُّنةِ السيئةِ

« مَنْ سَنَّ سُنَّةَ خَيْرٍ فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا فَلَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ اتَّبَعَهُ غَيْرُ مَنْقُوصٍ مِنْ أَجْرِهِمْ شَيْئاً وَمَنْ سَنَّ سُنَّةَ شَرٍّ فَاتَّبَعَ عَلَيْهَا كَانَ عَلَيْهِ وَزْرُهُ وَمِثْلُ أَوْزَارِ مَنْ اتَّبَعَهُ غَيْرُ مَنْقُوصٍ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئاً » .

• • •

إن أعمال الخير يُثاب عليها مَنْ فعلها ومن اقتدى به في فعلها ، وإن ثواب المبتدئ بفعلها يزيد بزيادة عدد من اقتدى به فيها ، إذ له مثل أجر من اقتدى به ، ولكن هذه الزيادة بسبب اقتداء الناس به لا تؤثر في أجر المقتدى ، فلا يتوهم إنسان أن زيادة أجر الداعي إلى الخير أو من ابتداء العمل الصالح تكون بالتقيص من أجر التابع وضمه إلى أجر الداعي .

إن الأمر ليس كذلك بل للتابع أجره كاملاً وللمتسبب الأصل أجر دعوته إلى الخير بفعله أو بقوله فضلاً عن أجر عمله للخير إذا فعله ولهذا عظم شأن الفقيه الداعي المنذر حتى فضل على العدد الكثير من العباد ، لأن نفعه بعم الأشخاص والعصور .

وإذا كان هذا العمل الصالح فالأمر في العمل غير الصالح على العكس ، إن من دعا إلى ما يخالف الدين يحمل وزر عمله ، وإذا اقتدى به غيره فيه تحمل المقتدى وزر عمله ، وتحمل المتسبب وزر التسبب في هذا العمل .

وما ينبغي أن يفهم أن قوله ﷺ : « وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ اتَّبَعَهُ » ، لا يستلزم المساواة في قيمة الأجر بل المثلية تتحقق بمجرد حصول الأجر لكل منها وإن اختلفت قيمة الأجر على العمل عنها عن التسبب في العمل ، والأمر بالعكس في العمل السيئ .

ومن هنا يمكننا أن نفهم قيمة القدوة وأهمية الوظائف العليا أو مراكز التوجيه والتأثير وما يتحمل أصحابها من مسئوليات تجلب لهم الخير إن أصلحوا وتوقعهم في الشر المستمر إذا أساءوا أو انحرفوا .

والأمثلة كثيرة ، ففرق بين من يدعو إلى الله على بصيرة ومن يدعو إلى طريق الشيطان والهوى على أساس من العمى والضلال ، وفرق بين من تربي أبناءها على الدين ومن تربيهم على الاستهتار بتعاليمه ومبادئه في الزنى والخلق والسلوك : (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) .

عن صفيان بن عبد الله الثقفى رضى الله عنه قال :
 « قلت يا رسول الله ، قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك قال : « قل آمنت بالله
 ثم استقم » ما معنى هذا الحديث ؟ .

الإسلام يقوم على دعائتين أساسيتين : الإيمان والعمل الصالح ، فعبر الرسول ﷺ فى هذا
 الحديث عن الإيمان بقوله : قل آمنت بالله ، فإذا كان المرء مؤمناً فإن المراد بقوله ﷺ : قل
 آمنت بالله ، جدد شعورك بها وردد كلمة التوحيد بلسانك ، وعاشها بكيانك .

ثم عبر عن العمل الصالح بقوله ثم استقم ، أى الزم الطاعات واجتنب المحالفات ، ولازم
 الأعمال الصالحات ، قال تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا
 تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة
 ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ، نزلاً من غفور رحيم) . والاستقامة عرفها
 بعضهم بأنها المتابعة للسنن المحمدية ، ومع التخلق بالأخلاق المرضية وهى كما قال القشبرى .
 درجة بها كمال الأمور وتتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها .

وهى تستلزم مراقبة الأعمال ومتابعة الشرع وعدم الخروج على حدوده بحال .
 ومن هنا كان دعاء المؤمنين فى كل صلاة عدة مرات : (اهدنا الصراط المستقيم) فعلى المسلم
 أن يتبين طريقه على أساس من الدين ، وأن يتجنب الانحراف ، فالخير فى الاتباع ، والشر فى كل
 ابتداع .

فى إنما بعث لأتمم مكارم الأخلاق

ولقد كان رسول الله ﷺ ، أحسن الناس خلقاً ، لقد ربط حسن الخلق بالإيمان ، فقال فى
 حديث صحيح رواه الترمذى .

« أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً »

وفى حديث آخر رواه أبو داود ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : سمعت النبي ﷺ
 يقول : « إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » والخلق الإسلامى الأول الذى من
 أجله كانت الرسالة الإسلامية نفسها إنما هو خلق الرحمة ، ولقد روت الأحاديث أن أعراباً دخل
 على رسول الله ﷺ ، فوجده يقبل أحد حَقَدته فاستغرب الأعرابي وقال : « أتقبلون أبناءكم ؟

أضعفهم كنت لما سواهم أضعف ، حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين .
 لقد كان كبار الصحابة رضى الله عنهم ، يعملون ، ويكتسبون ، وكانوا مع ذلك من كبار المتوكلين ، وما ينبغي التنبيه له أن أنبياء الله ورسوله لم يلقوا الدعوة وهم في مساكنهم آمنين مطمئنين ، وإنما جاهدوا في سبيلها جهاداً مستمبئاً وكانوا في جهادهم مثلاً كريماً للمتوكلين يقول الله تعالى على لسان سيدنا هود عليه السلام :
 (إني توكلت على الله ربي وربكم ، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم) .
 أخذ هود عليه السلام بعمل على نشر الحق الموحى إليه ، الحق الذى دعا إليه كل نبي ورسول ، والذى يتلخص فيما قال هود عليه السلام .

في شرح حديث زيارة المريض وتشيع الجنازة

عن أبي سعيد رضى الله عنه - فيما رواه الإمام أحمد : أن النبي ﷺ قال : « عودوا المريض وامشوا مع الجنازة ، تذكركم الآخرة » . وقول رسول الله ﷺ : « مع الجنازة » لا يوجب تقدماً ولا تأخراً وإنما في معنى الإباحة في المشى في المقدمة أو خلف الجنازة .
 ومن أجل ذلك يقول أنس بن مالك رضى الله عنه .
 « الراكب يسير خلف الجنازة ، والماشى يمشى خلفها وأمامها ، ومن يمينها وعن يسارها ، قريباً منها .
 وكان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يمشيان أمام الجنازة ، وكان على رضى الله عنه يمشى خلفها ، ويقول رسول الله ﷺ : الراكب يمشى خلفها .
 والواضح من كل ذلك أن الماشى بالخيار في سيره مع الجنازة أما الراكب فإنه لا يسير إلا خلفها .

وسواء أكان الماشى مع الجنازة أمامها أم خلفها فإن من السنة ألا يرفع صوته بقراءة أو بذكر وعليه أن يتدبر الموت ويعتبر به ، فإن أراد ذكراً فليذكر في نفسه .
 ومن السنة ألا يقعد مشيع الجنازة حتى توضع ، فقد روى أبو سعيد الخدرى عن النبي ﷺ قال : إذا رأيتم الجنازة فقوموا ، فمن تبعها فلا يقعد حتى توضع ، ومن السنة ألا يتبع الجنازة نساء ، فقد روى ابن ماجه وروى الحاكم عن علي رضى الله عنه قال : خرج النبي ﷺ ، فإذا

نسوة جلوس فقال : ما يجلسكن ؟ قلن : نتظر الجنائز قال : هل تغسلن ؟ قلن : لا : قال هل تحملن ؟ قلن : لا : قال : هل تدلين فيمن يدل ؟ قلن : لا قال : فارجعن مأزورات غير مأجورات .

في شرح حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله

السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله ورد ذكرهم في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخارى ومسلم بسندهما عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» :

إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه .

وأما بدوؤه ﷺ بالإمام العادل : فلأن العدل من جوهر شريعة الله سبحانه وتعالى : إذ به يرتفع الجور والظلم من الأرض ، وبه يتشر الأمن والطمأنينة بين الناس ، يأمنون على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، فلا قتل ولا اغتيال للأنفس ، ولا سلب ولا اختلاس ولا اغتصاب للأموال ، ولا تعدى ولا انتهاك للأعراض والحرمات .

ويطمئنون على أرزاقهم - في اليوم والغد والمستقبل - جادين في السعى لتحصيلها مما أحله الله لهم في أرضه الواسعة ، وكفله لعباده من النعم في الدنيا إن هم أقاموا ما أمرهم الله وانتهوا عما نهاهم عنه سبحانه ، وكل ذلك لا يتحقق ولا يتم إلا بإقامة العدل في الأرض ، ولا يتأتى هذا إلا أن يقوم به رجل موفق يرجو الآخرة ويرجو رحمة ربه ويعمل على الخير على تحقيق الخلافة في أرض الله بإقامة شرائعه .

ذلكم هو الإمام العادل الذي ائتمر بأمر ربه : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان . .) والقاتل : (وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) لذلك كانت له البشرية في الحديث بأن يكون في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله ، وبأن يكون مقدماً في الذكر .

وقد توالى عليه البشريات في الدنيا والآخرة (إن الله يحب المقسطين) . والرسول ﷺ يقول : «خياركم أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم . . وشراركم أئمتكم الذين تبغضونهم

ويفضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم . كما يقول ﷺ أهل الجنة ثلاثة : ذو سلطان مقسط موفى ، ورجل رحم رقيق القلب لكل ذى قرى مسلم وعفيف متعفف ذو مال . وهذا وغيره كثير يوجب على أئمة المسلمين أن يحققوا العدل فى الأرض ويحكموا بين الناس بما أنزل الله .

وذكر هؤلاء السبعة : لا يعنى أن الأمر مقصور عليهم ، إذ العمل بأمر الله فرائض ونوافل وقربات . . . والانتفاء عما نهى عنه مع الإخلاص وصدق النية فى كل عمل يجعل من الإنسان ولياً يحظى بالقرب والحب الإلهى : ومن حظى بالقرب والحب لم يقتصر الأمر معه على أن يكون فى ظل الله يوم لا ظل إلا ظله وحسب ، بل له فى الدنيا البشرى وله فى الآخرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر .

وانظر إلى قوله تعالى : فى وضوح واضح عن أوليائه الذين اتسموا بأمره وانتهوا عما نهاهم عنه (ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون . لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، لا تبدل لكلمات الله ، ذلك هو الفوز العظيم .) وقوله تعالى : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما توعدون . نزلنا من غفور رحيم) .

فى وعظ الرجال والنساء يوم العيد

عن جابر بن عبد الله قال :

قام النبى ﷺ يوم الفطر ، فصلى ، فبدأ بالصلاة ، ثم خطب فلما فرغ نزل ، فأتى النساء ، فذكرهن ، وهو يتوكأ على يد بلال ، وبلال باسط ثوبه ، يلقى فيه النساء الصدقات . . . قال ابن جريج : قلت لعطاء : : زكاة يوم الفطر ؟ قال : لا : ولكن صدقة تصدق حيث تلى فيها (١٤٩) ويلقين . قلت : أترى حقاً على الإمام ذلك ، ويذكرهن قال : إنه لحق عليهم ، وما لهم لا يفعلونه .

وفى الحديث من الفوائد :

استحباب وعظ النساء وتعليمهن أحكام الإسلام ، وتذكيرهن بما يحب عليهن ويستحب

(١٤٩) القبح : اللائم العظيم يلبس فى الرجل أو اللائم العظيم بلا نص

حُثِنَ عَلَى الصَّدَقَةِ ، وَتُخَصِّصُهُنَ بِذَلِكَ فِي مَجْلِسٍ مُنْفَرِدٍ - وَمَعْلُومٌ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ إِذَا أَمِنَ الْفِتْنَةُ وَالْمُفْسَدَةُ .

وفيه خروج النساء إلى المصلى .

عن أم عطية قالت : قال رسول الله ﷺ « لِيُخْرِجَ الْعَوَاتِقَ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ ، وَالْحَيْضُ ، وَتَعْتَزِلَ الْحَيْضُ الْمَصْلَى ، وَلِيَشْهَدَنَّ الْخَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُؤْمِنِينَ » . .

قال ابن حجر : وفيه استحباب خروج النساء إلى شهود العيدين ، سواء كن شواب أم لا . . ذوات هيات أم لا .

وعن أم عطية قالت : أمرنا أن نخرج العواتق وذوات الخدور .

وعنها قالت : أمرنا أن نخرج ، فتخرج الحيض والعواتق وذوات الخدور .

في السيدة سارة زوجة الخليل إبراهيم عليه السلام

السيدة سارة زوجة الخليل إبراهيم كانت مصاحبة له حين قدم إلى مصر ، وكان ملكها وقت ذاك من الطغاة الذين يحلو لهم أن يستحذوا على ما يعجبهم من زوجات الآخرين فأوصاها سيدنا إبراهيم أن تخبر هذا الطاغية حين يسألها عن صلتها بإبراهيم بأنها أخته ويقصد بذلك أنها أخت في الدين ، فليست سارة أختاً لإبراهيم من النسب بل هي زوجته وأخته في الإسلام .

روى عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات . اثنتين في ذات الله قوله : (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وواحدة في شأن سارة ، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة ، وكانت أحسن الناس فقال لها : إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتى يغلبنى عليك ، فإن سألك فأخبريه أنك أختى في الإسلام فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيرك وغيرى - فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه فقال له لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك ، فأرسل إليها فأتى بها ، فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة ، فلما دخلت عليه لم يتألك أن بسط يده إليها فقبضت يده قبضة شديدة ، فقال لها ادعى الله أن يطلق يدي ولا أضرك ففعلت فعاد فقبضت أشد من القبضتين الأوليين ، فقال ادعى الله أن يطلق يدي فلك الله لا أضرك ففعلت فأطلقت يده ودعا الذي جاء بها فقال إنك إنما آتيتني بشيطان ولم تأتى بإنسان فأخرجها من الأرض وأعطاهما هاجر . . إلخ »

الحديث الذي أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء وأخرجه مسلم في الفضائل وورد مثل ذلك

في حديث الشفاعة في فصل القضاء يوم القيامة وفيه أنهم جميعاً يأتون إبراهيم عليه السلام يطلبون منه الشفاعة ، يقول لست لها إني كذبت ثلاث كذبات . . (قوله إني سقيم ، وقوله بل فعله كبيرهم هذا ، وقوله لامراته أخبريه أفي أخوك) .

فالصحيح أن السيدة سارة زوجة سيدنا إبراهيم لم تكن أخته من النسب بل هي أخته في الإسلام ، والكذب المنسوب لسيدنا إبراهيم لا يقدر في النبوة لأنه ليس كذباً على سبيل الحقيقة بل هو من قبيل المعارض وإبراهيم عليه السلام قد صرح بذلك ، إذ قال إنك أخى في الإسلام وحيث أنه ليس فيه نسبة الكذب حقيقة إليه وامتناعه في الشفاعة عن الشفاعة لأنه يرى أنه وإن لم يرتكب خطأ فقد ارتكب ما هو في صورة الخطأ .

في الحديث رجعتنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد
فقد روى الخطيب جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : قدمتم خير مقدم ، وقدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر .

إن الظروف التي قيل فيها هذا الحديث الشريف تلقى بالضوء على المعنى الذي أراده الرسول ﷺ : وذلك أنه بينما كان الرسول ﷺ راجعاً من إحدى الغزوات قال : قدمتم من الجهاد الأصغر : أى من الجهاد الحربي وهو جهاد في سبيل الله قد يشوبه عند بعض الناس ما يشوب النفس التي لم تخلص بعد إخلاصاً كاملاً لله سبحانه وتعالى ، ومثل ذلك ما رواه أبو داود بإسناد جيد عن أبي أمامة قال :

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ، ما له ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لا شيء له » فأعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله ﷺ « لا شيء له » ثم قال ﷺ « إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه » .
ومعنى الذكر في الحديث الشريف أن هذا الرجل يلتمس مع الأجر والثواب أن يتحدث الناس على شجاعته وأن يماحوه ، وأن يكون من أصحاب الشهرة والثناء فيما بينهم ، ومثل هذا لم تخلص نيته لله وحده .

أما الجهاد الأكبر فإنه جهاد النفس حتى تتزكى وتطهر ، فإذا ما تزكت النفس وتطهرت ، فإن

صاحبها يهب نفسه خالصة في سبيل الله فهو يجاهد الجهاد الحربي بروح لا تبالي على أى جنب كان في الله مصرعها ، ويجاهد الجهاد الحربي بإيمان قد وضع في عناصره أن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، ويجاهد الجهاد الحربي وقد تشيع بالمبادئ الإسلامية في الحرب وفي قوله تعالى مخاطباً المؤمنين مبيناً لهم ما يجب عليهم عند اللقاء والتحام الصفوف .

(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين . ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط) . سورة الأنفال الآيات ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ومن ذلك نتبين أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر لأنه الأساس لكل خير ، فهو الأساس للأمن في المجتمع وهو الأساس للثبات والصبر والنصر على الأعداء في الجهاد الحربي .

يقول الله سبحانه : (قد أفلح من زكاها) (سورة الشمس) .

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
فِي الْبَزْرِ وَالزُّعَاءِ

في الذكر

لقد حث الله سبحانه وتعالى على الذكر في كثير من آيات القرآن وأمر به ورغب فيه ، وأعد للذاكرين الله كثيراً مغفرة لذنوبهم ، وأجرأ عظيماً في آخرتهم ، فضلاً عن الاطمئنان النفسي الذي يصاحبهم دائماً في حياتهم ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً . وسبحوه بكرة وأصيلاً) . وقال : (واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) .

وقال : (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب) . ولقد ذكر الرسول ﷺ من السبعة الذين يظلمهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله ، رجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه .

وروى البيهقي في الشعب من حديث عمر بن الخطاب : قال الله عز وجل : من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين .

وروى البخاري ومسلم وغيرهما بإسناد صحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : « أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة » .

وذكر الله هو حياة النفوس والقلوب كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكر الله مثل الحى والميت » إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الكثيرة التي تشير إلى فضل الذكر وأجر الذاكرين ، وليس الذكر محصوراً في عدد معين بل هو متروك يأتى منه كل حب للاستزادة من الخير بقدر الوسع والطاقة ولا يغفل أى لحظة من لحظاته عن ذكر الله واستشعار عظيمته ، كما ورد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ أن قلت : أى الأعمال أحب إلى الله قال : أن نموت ولسانك رطب من ذكر الله .

وكما روى الترمذي أيضاً : عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه ، أن رجلاً قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به قال : لا يزل لسانك رطباً من ذكر الله .

وما زاد على السبعين يعد في العرف من الذكر الكثير .

عن أبي موسى الأشعري قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة فجعلنا نصعد شرفاً - مكاناً عالياً - ولا نعلو شرفاً ولا نهبط وادياً إلا رفعنا أصواتنا بالتكبير قال : فدنا منا فقال : يا أيها الناس أربعوا على أنفسكم (اشفقوا بأنفسكم) فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً ، إن الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته .

أخرجه الإمام أحمد والإمامان : البخاري ومسلم .

وفي هذا الحديث نلمح المراد من الآية الكريمة . . أنها دعوة إلى التأدب في الدعاء وترك الجهر الزائد بالصوت فيه لقوله تعالى : (ادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحب المعتدين) . والآية تبين السبب في ذلك ، إن الله تعالى قريب قريباً معنوياً من الداعين ، إنه أقرب إلى الإنسان من كل ما يتصور ، يقول تعالى : (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) . فعلى الإنسان أن يستشعر قرب الله تعالى وأن يتوجه إليه بكل جوارحه ومشاعره وأن يتزل به حاجاته فهذا هو السبيل الوحيد للنجاح .

والآية بعد هذا وقبله تدعو المؤمنين إلى الدعاء ، وتحمل رحمة ربانية مباركة من الله إلى عباده حيث ندبهم إلى عبادته ودعائه ، ووعدهم بالثواب العظيم والإجابة وذلك وحده طريق الرجاء .

وهذه الآية الكريمة تتوسط آيات الصيام ، وذلك أن الله سبحانه جمع آيات الصيام في مكان واحد من سورة البقرة ويتلو الإنسان هذه الآيات فيفاجأ بهذه الآية الكريمة : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب . .) تتوسط آيات الصيام والله سبحانه وتعالى حكمة في ذلك ، إنه سبحانه يشير بذلك إلى أن استجابة الدعاء تتحقق بتقوى الداعي ، وأنه لا بد للاستجابة من التقوى ، وذلك أن حكمة الصوم هي أن يفقد الصوم الإنسان إلى التقوى (يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم إلى (تتقون)) .

فالصيام إذاً من وسائل استجابة الدعاء ، وإذا قاد الصيام الإنسان إلى التقوى تحقق ما قاله الله تعالى في آية الدعاء كشرط من شروط استجابته .
(فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) .

في الدعاء بالأسماء الحسنى

يقول الله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) ويقول تعالى : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى) في هذه الآيات الكريمة يبين الله سبحانه أنه شرع الدعاء بأسمائه الحسنى . ويقول سبحانه : (وإذا سألك عبادى عنى فأنى قريب أجيب دعوة الدّاع إذا دعان ، فليستجيبوا لى ، وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون) . وقد بين سبحانه فى هذه الآية وفى غيرها أنه يجيب دعوة الدّاعى ، وأنه يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، ولقد بين الله سبحانه - بما لا لبس فيه ، أن الاستغفار من أسباب السعة فى الرزق ومن أسباب زيادة القوة فضلاً عن فوائده فيما يتعلق بالمغفرة والرحمة ، وقد ورد فى الأخبار الصحيحة قراءة الفاتحة من أجل شفاء المريض ، وورد فى الأخبار الصحيحة نصيحة رسول الله ﷺ لبعض المرضى باستشارة الأطباء ونصح بعضهم الآخر بشرب عسل النحل . ولكن لم يرد فى الأخبار الصحيحة كتابة أسماء الله الحسنى فى لوح ثم غسله بالماء وشرب الماء طلباً للرزق أو كشفاً عن الأمراض ، ولم يرد ذلك عن رسول الله ﷺ من طريق صحيح .

ومع ذلك فإنه لم يرد ما ينهى عن ذلك فى القرآن ولا فى السنة الصحيحة ، وقد ورد قوله تعالى : (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً) فالقرآن شفاء بأوسع معانى الشفاء ، ورحمة بأوسع ما فى الرحمة ، فإذا كتب بحبر طاهر غير مضر بالبدن وغسل بماء نقى غير مضر بالبدن وشرب فإن ذلك غير محرم ، ولا يأثم فاعله ولم يرد ما يحرمه ، ولعل حالة المريض النفسية تتأثر بذلك فيكون مساعداً على الشفاء كما هو معروف عند علماء النفس من أن للحالات النفسية صلة مؤكدة بالأمراض .

في الشكر فى الجو الإسلامى

معنى الشكر فى الجو الإسلامى يتكون من جملة عناصر :
أولها : معرفة النعمة ، وأنها من الله سبحانه (وما بكم من نعمة فمن الله) .
ثانيها : استعمال النعم فيها أحبه الله وقصده بها .
ثالثاً : حمد الله سبحانه وتعالى عليها باللسان .

فإذا ما تمت هذه العناصر كان الشكر ، وما من شك في أن الإنسان مغمور بنعم الله تعالى ، يقول سبحانه : (وأسبح عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) ، وأن هذه النعم إنما أتت للإنسان عن طريق وسائل مسخرة لله تعالى .

وأفضل الشاكرين هو رسول الله ﷺ .

وإذا كانت حقيقة الشكر هي استعمال النعم فيما أحب الله سبحانه فإن الحمد هو التعبير اللساني عن الشكر ، والحمد كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق .
والإنسان يأزاء النعمة على أنواع :

ومن هذه الأنواع : أن يتلقى النعمة فيفرح بها لذاتها ، كما يفرح التاجر بالمكسب ، لأنه مال أتاه ولأنه زيادة في ثروته ولأن تجارته ستصبح بهذا المكسب أوسع ، ولا ينظر في كل ذلك إلى مصدر النعمة ولا إلى مانحها وموهبها الذي لو شاء لأمسك ولو شاء لمنع ، وهذا ليس له في الشكر نصيب ، حتى ولو لم يستعمل هذا المكسب في المعاصي ، لأن نظره لم يتعد النعمة ويتجاوزها إلى المنعم .

ومن هذه الأنواع أيضاً : أن يتلقى الإنسان النعمة فينظر إليها على أنها دليل رضا من الله سبحانه ، وينظر إليها على هذا الوضع ويشكر الله سبحانه وتعالى عليها وهذا داخل في معنى الشكر . بيد أن الشكر التام الكامل أن يضيف الإنسان إلى فرحه بالنعمة كدليل على رضا الله استعمالها فيما أحب الله وفي القرب منه سبحانه ، فإذا ما نظر الإنسان إلى النعمة على أنها من الله سبحانه وتعالى وحده وإذا ما استعملها فيما يرضى الله ورسوله ويقرب منها فإنه ينطبق عليه المعنى الحقيقي .

في فائدة الشكر بالنسبة للفرد

إن شكر الله سبحانه وتعالى إنما يكون على نعمه وقد وعد الله الشاكرين وعداً مؤكداً أن يزيدهم من نعمه إذا شكروه سبحانه عليها ، يقول سبحانه : (لئن شكرتم لأزيدنكم) . وقد وعد الله سبحانه الشاكرين ، الجزاء الحسن فقال تعالى : (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين) ، أي حراً كبيراً حسناً ، ويقول سبحانه : (وسيجزي الله الشاكرين) :

سيجزيهم سبحانه بالزيادة في الدنيا فيزداد الغنى الشاكر غنىً ويزداد القوى الشاكر قوة وهكذا . . . وسيجزيهم خيراً ورضاً في الآخرة .

فقد روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : ينادى يوم القيامة ليقم الحمدون ، فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة ، قيل ومن الحمدون ؟ قال الذين يشكرون الله على كل حال : ففائدة الشكر بالنسبة للفرد ليست مقصورة على الدنيا دون الآخرة ولا على الآخرة دون الدنيا : وإنما هي في الدنيا والآخرة .

في فائدة الشكر بالنسبة للمجتمع

فائدة الشكر بالنسبة للمجتمع ظاهرة ظهوراً واضحاً من تعريف الشكر : وذلك أن جوهر الشكر هو استعمال نعم الله فيما أحب الله .

فإذا استعمل المنعم عليهم النعم فيما أحب الله فإننا نرى في المجتمع التاجر الصدوق ، والعامل المتقن ، والصانع يراعى الله في صنعه ، والفقير يؤدي حق الله في ماله من زكاة ومن صدقة ، وصاحب الجاه يتفق من جاهه عوناً للمظلومين ينتهي بذلك شكر الله على نعمة الجاه .

ونرى المدرس مريئاً لا مُعلماً فحسب ، والحاكم أباً للجميع لا طاغية متحكماً ، والرئيس أخاً لمرءوسيه ، والمرءوسين متعاونين من رئيسهم لمصلحة العمل والوطن .

ونرى كل راع يتحمل المسؤولية بالنسبة لرعيته شكراً لله على أن استرعاه وجعل له ثواباً على حسن الرعاية .

ثم نرى نتيجة الشكر في المجتمع وهي زيادة النعم : (لئن شكرتم لأزيدنكم) .

في ما هو مفهوم العبارتين : لا حول ولا قوة إلا بالله ولا إله إلا الله

وما أثر مفهومها على الإنسان وتصرفاته ؟

مفهوم لا حول ولا قوة إلا بالله ، أى لا نحول من حال إلى حال ولا انتقل من فعل إلى فعل ولا قدرة لعبد على عمل من الأعمال إلا بالله سبحانه ، فهو سبحانه الذى يعينه وهو الذى يتم له عمله ، ويبلغ به نهاية تمامه ، وهو كثر من كنوز الجنة . قال ﷺ : لا حول ولا قوة إلا بالله كثر من كنوز الجنة ، وإذا ما أكثر الإنسان منها أشعرته عدم الغرور بنفسه ، فلا ينسب إليها شيئاً مما تفضل الله به عليه من توفيق ، فيتواضع ويلجأ إلى الله في كل صغيرة وكبيرة . ولهذا العبارة

أثرها الضخم في الشجاعة الأدبية والشجاعة الحسية ، لأن مَنْ كان شعاره : لا حول ولا قوة إلا بالله لا يخاف ولا يمحِن وهي من غراس الجنة .

ولقد روى الإمام أحمد وغيره ، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ ليلة أسرى به مرَّ على إبراهيم ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، فقال : من معك يا جبرائيل ؟ قال هذا محمد ، فقال له إبراهيم ، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام : يا محمد مرَّ أمتك فليكثرُوا من غراس الجنة ، فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة ، قال : « ما غراس الجنة ؟ » قال : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

وروى الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من قال لا حول ولا قوة إلا بالله كان دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم .

أما لا إله إلا الله فمعناها لا معبود بحق إلا الله ، فكل عبادة لغيره باطلة . ويقول رسول الله ﷺ فيها رواه الترمذي وحسنه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ما قال عبد لا إله إلا الله قطُّ مُخلصاً إلا فتحت له أبواب السماء حتى يفضى إلى العرش .

في الإذن بالذكر

بعض أنواع الذكر لا يحتاج إلى تلقين أو إذن من ذلك الاستغفار لقوله تعالى : (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك) وقوله تعالى (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً) . ومن ذلك ، الذكر بلا إله إلا الله ، لقوله صلوات الله عليه : أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبل « لا إله إلا الله » .

ومن ذلك الصلاة على النبي صلوات الله تعالى وسلامه لقوله تعالى (إنَّ الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) .

ومن ذلك نعلم أن دلائل الخيرات لا تحتاج إلى تلقين ولا إلى إذن ، إذا كان الإنسان يجيد القراءة ، لأنها صلوات على رسول الله ﷺ ، وقد أمرنا الله تعالى في كتابه الكريم بالصلاة عليه والسلام .

في الذكر بصوت مرتفع

إن عادة قيام الناس بالذكر بصوت مرتفع فوق مساجد القاهرة يوم الجمعة وليلتها كما يقول السائل عادة غير شائعة . ولو وجد ذلك لكان جائزاً ، بل أمراً محبوباً ماداموا يذكرون الله تعالى ، قاله تعالى بأمر بالذكر في قرآنه الكريم فإذا كان ذلك في بيوته وفوق بيوته الطاهرة لكان حسناً ، وإذا كان في ليلة عيد المسلمين يوم الجمعة لكان أكثر حسناً . فالذاكرون هم أولو الألباب الذين قال تعالى فيهم : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذاب النار) .

هذا إذا لم يؤذ الذكر أحداً من الناس . ولم يكن سبباً في مضرة بعض المجاورين للمسجد ، أما إذا كان فيه ضرر لبعض الناس الذين يكسحون مثلاً طيلة النهار فيؤرقهم الذكر ويمنعهم من النوم والراحة فإنه يتحتم أن يكون الذكر في هذه الحالة بصوت منخفض ، والله سبحانه وتعالى يسمع الذاكرين على أى وضع كانوا ، ويشيهم على قدر إخلاصهم ونياتهم .

في الذكر بلفظ «أه» ولفظ «هو»

في هذا الموضوع كبسٌ هو سبب الجدل ، فإذا ما أزيل هذا اللبس انتهى - فيما أظن - النقاش فيه والجدل :

إن لفظ «أه» ولفظ «هو» من أسماء الله تعالى الواردة في صراحة صريحة . والمتعبد إنما يردد اللفظ الأول باعتباره معبراً عن الندم والحزن على مافات من أيام مضت ليست على ما يحب ، وهو في أثناء هذا الترداد : متذكر لله ، خائف منه ، مستغيث برحمته ، وهذه الحالة التي يجتمع فيها التأوه الحزين مع تذكر الله إنما هي نوع من التوبة ، وهي على هذا الوضع عبادة ، وهي على هذا الوضع ذكر ، لما الذكر إلا التذكر وهو حاصل في هذه الحالة ، وهذه الحالة لا ينبغي للإنسان أن يقول عنها إنها محرمة .

أما المتعبد الذي يردد اللفظ الثاني فتصوير حاله على ما ينبغي أن يكون هو أنه يقدر عظمة الله وجلاله ، ويقف موقف المستشعر الرهبة منه سبحانه فلا يجرؤ على النطق باسمه وإنما يعبر عنه بلفظ

(هو) أى بالضمير الذى يشير ولا يصرح ، فلفظ هو وإن لم يكن من أسماء الله سبحانه فإنه فى ذهن العابد وفى ضميره يراد منه الله سبحانه ، وهذه الحالة من الخشية التى تغمر العابد فترة من الزمن فتجعله لا يجرؤ على النطق باسم الله الصريح . إنما هى من أسس الشعور الدينى ، ولا ينبغى لأحد أن يحرمها .

والواقع أن الجهل الذى يسود جو المتخاصمين فى هذه المسائل مثبتين كانوا أو منكرين هو الأساس فى إثارة الجدل ، وهو الأساس فى استمرار التراع .
والبيان الذى يبناه فى هذا الموضوع كفيل برد الأمر إلى نصابه ، وكفيل إذا حسنت النوايا برفع الجدل فى هذا الموضوع .

فى صيغ الصلاة على الرسول ﷺ

إن الله سبحانه وتعالى وضع مقاييس للنجاة فى الآخرة ، ولرضائه فى الدنيا والآخرة . وهذه المقاييس ذكرها فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة الشريفة ذكرها موجزة أحياناً ومطولة مستفيضة أحياناً أخرى .

من ذلك مثلاً قول الله تعالى : (من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى) الآية . ومن ذلك قوله : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً)

وقد اشترط الله سبحانه وتعالى دائماً الإيمان والعمل الصالح أو الإيمان والتقوى .
وتبتدى التقوى بالتوبة الخالصة النصوح ، والإخلاص الكامل لله فى الأعمال وفى النية ، وحديث النية مشهور (إنما الأعمال بالنيات . . . إلخ) . . . ومع التوبة الخالصة النصوح الأعمال :

والأعمال فروض وواجبات ومن مستحبة وأوامر الله سبحانه وتعالى ليست فروضاً فحسب ، وإنما هى نواو أيضاً ، إن الإسلام حدد الفضيلة والمعصية ، والتقوى التى اشترطها الله سبحانه وتعالى للنجاة هى بعد الإيمان ، العمل بالفضيلة واجتناب الرذيلة ، فمن اتبع ذلك نجا ، ومن انحرف عن ذلك وخالفه دخل النار بنسبة انغماسه فى الرذائل وتركه الفضائل .

ولو كانت صيغة واحدة فى الصلاة على الرسول ﷺ تكفى فى النجاة مهما عمل الإنسان فإن ذلك يكون هدفاً لجميع قوانين الله سبحانه وتعالى وشرائعه .

وكل من يقول بمثل هذه المزاعم التى تلغى الشرع وتبطل الأعمال التى حددها الدين فإنه يكون

أثماً ، وعلى ذلك فإن من قال صيغة من صيغ الصلاة على رسول الله مَنْ قالها مرة في عمره لم تحسه النار ، هذا الكلام غير صحيح ومن يقوله يكون مرتكباً للمعصية وللإثم .
ومامن شك في أن الصلاة على الرسول ﷺ لها ثوابها الحسن وفوائدها الكثيرة ولكنها على أى صيغة لانلغى الفروض والواجبات التى هى سبب النجاة .

فى دعاء الرسول ﷺ

استفتاح الدعاء واسم الله الأعظم :

عن عبيد الله بن بريده عن أبيه رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول :
اللهم إني أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله ، لا إله إلا أنت الأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، فقال :

لقد سألت الله بالاسم الأعظم الذى إذا سُئِلَ به أعطى ، وإذا دُعِيَ به أجاب رواه الترمذى وحسنه ، وقال الحافظ أبو الحسن المقدسى : إسناده لامطعن فيه ، ولم يرد فى هذا الباب حديث أجود إسناداً منه .

عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : سمع النبی ﷺ رجلاً وهو يقول : « ياذا الجلال والإكرام » .

فقال : « قد استجيب لك فسل » رواه الترمذى .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : مرَّ النبی ﷺ بأبى عباس زيد بن الصامت الزرقى ، وهو يصلى ويقول .

اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت ، باحثان ، يامنان ، يابديع السموات والأرض ، ياذا الجلال والإكرام ، يا حي يا قيوم .

فقال رسول الله ﷺ :

لقد سألت الله باسمه الأعظم الذى إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئِلَ به أعطى رواه الحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم .

وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ : « دعوة ذى النون إذ دعاه وهو فى بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك ، إني كنت من الظالمين ، فإنه لم يدع بها مسلم فى شيء قط إلا استجاب الله له . . رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد . هـ

في قول الله تعالى

(وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أُجيب دعوة الدّاع إذا دعان)
وقوله تعالى : (ادعونى أستجب لكم) .

• • •

هذه الآيات وغيرها فى القرآن الكريم لم تحدد وقتاً معيناً للدعاء أو مكاناً ، له وإنما أطلقت إطلاقاً ، والواقع أن الدعاء مستحب فى كل الأوقات ، لأنه تضرع إلى الله ورجوع إليه فى الاستعانة وتحققاً بقوله تعالى : (إِنَّاكَ نَسْتَعِين) ، والأوقات التى بعد الصلاة من الأوقات الشريفة التى يُرجى استجابة الدعاء فيها . عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : قيل يارسول الله أى الدعاء أسمع ؟ قال جوف الليل الآخر ودبر الصلوات المكتوبات ، وهذا الحديث الشريف الذى رواه الإمام الترمذى يبحث على انتهاء الدعاء بعد الصلوات المفروضة ، لأنه أرجى فيها يتعلق بالإجابة فعلى المسلم أن يدعو الله كلما شرح الله صدره للدعاء ، وخصوصاً فى أجوف الليل وفى دبر الصلوات المكتوبات .

في ظروف وأمكنة الدعاء

يقول الله تعالى : (وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب ، أُجيب دعوة الدّاع إذا دعان) ، وقوله سبحانه : (ادعونى أستجب لكم) .

ولإجابة المطالب ظروف ، وأمكنة تُهيأ لها ، فرحمة الله قريب من المحسنين ، والإحسان إذاً من الحالات التى تكون أرجى لقبول الدعاء والله تعالى إنما يتقبل من المتقين ، والتقوى من هذه الحالات التى تكون أرجى لإجابة الدعاء ويقول الرسول صلوات الله عليه : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثرُوا من الدعاء فقمّن (أى جدبر) أن يُستجاب لكم . . وقد ورد أن الأزمنة التى يكون الدعاء فيها أقرب إلى أن يُستجاب هى : ما بين الأذان والإقامة ، وفى السفر ، وعند نزول المطر ، وعند الإفطار من الصيام ، أما الأمكنة التى تيسر للاستجابة أيضاً فهى الأمكنة الظاهرة كالمسجد الحرام ، والحرم النبوى ، وفى رحاب الصالحين أحياء كانوا أم أمواتا .
أما فيما يتعلق بالنذور فالإنسان فى هذه الحالة الظاهرة يستشفع إلى الله بإحسانه ويتقواه ويعمله

الصالح على وجه العموم ، ويقدم النور لله سبحانه وتعالى : فالنور لغيره لا تجزئ ، وهذه النور التي توضع في صناديق الأضرحة إنها صدقة للفقراء والمساكين ، يجب أن تصرف إليهم ، وهي أساس قوى لإزالة كثير من البلاء ولإجابة الله سبحانه وتعالى مطالب الخير : يقول صلوات الله عليه ، حصنوا أموالكم بالزكاة وداؤوا مرضاكم بالصدقة ، ودافعوا أمواج البلاء بالدعاء والتضرع .

في صيغ الدعاء من السنة الشريفة

عن أبي هريرة رضي الله عنه - فيما أخرجه الحاكم ، والإمام أحمد ، والترمذي - عن النبي ﷺ قال :

« ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدعاء سلاح المؤمن وعِماد الدين ، ونور السموات والأرض » وعن النعمان بن بشير رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال « الدعاء هو العبادة » ثم قرأ :

(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) .

وروى عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي : وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله تعالى إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ، ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم » . فقال رجل من القوم :

« إذن نكثر ! » فقال : الله أكثر ، رواه الترمذي والحاكم وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم ينصب وجهه لله عز وجل في مسألة إلا أعطاه الله إياه ، إما أن يعجلها له ، وإما أن يدخرها له في الآخر » رواه أحمد رضي الله عنه وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « عبدى إني أمرتك أن تدعوني ووعدتك أن أستجيب لك فهل كنت تدعوني - فيقول نعم يا رب ! ! » .

فيقول : أما إنك لم تدعني بدعوة إلا استجبت لك ، أليس دعوتى يوم كذا وكذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك ؟ فيقول نعم يا رب . فيقول : إني عجلتها لك في الدنيا .

ودعوتى يوم كذا وكذا لغمّ نزل بك أن أفرج عنك فلم تفرجاً ؟ قال : نعم يارب : فيقول :
إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا ، ودعوتى في حاجة أن أقضيها لك في يوم كذا وكذا
فقضيتها فيقول : نعم يارب .

فيقول : إني عجلتها لك في الدنيا :

ودعوتى يوم كذا وكذا في حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها ، فيقول نعم يارب :
فيقول إني ادخرت لك بها في الجنة كذا وكذا ، قال رسول الله ﷺ :
« فلا يدع الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلّا يّين له : إما أن يكون عمل له في الدنيا وإما أن
يكون ادّخر له في الآخرة ، قال : فيقول المؤمن في ذلك المقام :

« يا ليتني لم يكن عجل له شيء من دعائه :

وإذا أردت استجابة الدعاء فابدأ :

١ - بالتوبة الخالصة النصوح .

٢ - ونحرّ الحلال .

فعن ابن عباس رضى الله عنهما فيما أخرجه الحافظ بن مردويه ، تليت هذه الآية عند النبي
ﷺ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) .

فقام سعد بن أبي وقاص فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة .
فقال : « يا سعد أطلب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده إن الرجل
ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه عمل أربعين يوماً ، وأما عبد نبت لحمه من السحت
والزّبا فالتار أولى به » .

ومن صيغ الدعاء المباركة التي دعا بها رسول الله ﷺ ما نقلته كتب السنة الشريفة :
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ « اللهم مصرف
القلوب صرف قلوبنا على طاعتك » رواه مسلم .

وعن بن حوشب قال : قلت لأم سلمة رضى الله عنها ، يا أم المؤمنين ما كان أكثر دعاء رسول
الله ﷺ إذا كان عندك ؟

قالت : كان أكثر دعائه .

يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .

وعن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله :
علمني شيئاً أسأل الله تعالى : قال : سلوا الله العافية فكثت أياماً ثم جئت فقلت يا رسول

الله : علمني شيئاً أسأله الله تعالى قال لي : عباس يا عم رسول الله سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة .

رواه الترمذی .

في الذكر والدعاء بغير المأثور

ويصح الذكر والدعاء بغير المأثور والأحاديث التالية دليل على ذلك في جانبي الذكر والدعاء ، عن أنس رضي الله عنه قال : كنت مع رسول الله ﷺ جالساً في الحلقة ، إذ جاء رجل فسلم على رسول الله ﷺ والقوم ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد الرسول ﷺ . وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

فلما جلس الرجل قال : « الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما يحب ربنا أن يُحمد وينبئني له » . فقال رسول الله ﷺ ، كيف قلت ؟ فرد عليه كما قال . فقال : النبي ﷺ : « والذي نفسي بيده ، لقد ابتدرها عشرة أملاك ، كلهم حريص على أن يكتبها فما دروا كيف يكتبونها حتى رفعوها إلى ذي العزة ، فقال اكتبوها كما قال عبدی » رواه أحمد ورواته ثقات ، والنسائي ، وابن حبان في صحيحه إلا أنها قالوا : كما يحب ربنا ويرضى (١٥٠)

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيما رواه الإمام أحمد وابن ماجه ، أن رسول الله ﷺ : « حدثهم أن عبداً من عباد الله قال : يارب لك الحمد كما ينبئني لجلال وجهك وعظيم سلطانك »

لم يدرياً كيف يكتبونها ، فصعدا إلى السماء ، فقالا : ياربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها ؟

قال الله ، وهو أعلم بما قال عبده ، ماذا قال عبدی ؟

قالا : يارب إنه قال : « يارب لك الحمد كما ينبئني لجلال وجهك ، وعظيم سلطانك » فقال الله لهما : اكتبها كما قال عبدی حتى يلقاني فأجزيه بها .

في آداب الدعاء

يذكر الإمام الغزالي آداباً للدعاء منها : أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة : كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الأشهر ، ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل ، قال تعالى : (وبالأسحار هم يستغفرون) .

وقال ﷺ :

« يتزل الله تعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول عز وجل : من يدعوني فأستجيب له ؟ : من يسألني فأعطيه ؟ » من يستغفرني فأغفر له » ومنها أن يقتنم الأحوال الشريفة . قال أبو هريرة رضي الله عنه : إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله ، وعند نزول الغيث ، وعند إقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها .

وقال مجاهد : إن الصلاة جعلت في خير الساعات ، فعليكم بالدعاء خلف الصلوات . وقال ﷺ الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُردَّ وقال ﷺ أيضاً : (الصائم لا ترد دعوته) ويتابع الإمام الغزالي حديثه فيقول .

وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً ، إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه ، ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتماذى القلوب على استدراار رحمة الله عز وجل .

فهذا أحد أسباب شرف الأوقات ، سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها ، وحالة السجود أيضاً ، أجدر بالإجابة قال أبو هريرة رضي الله عنه : قال النبي ﷺ :

أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد ، فأكثرُوا فيه من الدعاء ، وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال :

« إني نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً وساجداً ، فأما الركوع فعظموا فيه الرب ، وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فحين أن يُستجاب لكم » .

في كيف يدعو الإنسان ربه لأنه تعالى يقول

(وإذا سألك عبادى عني فإني قريب ، أجيب دعوة الدّاع إذا دعان)
أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالدعاء والابتهال والتضرع إليه في كل وقت وحين ، ووعدهم على ذلك بالإجابة فقال : (وإذا سألك عبادى عني فإني قريب ، أجيب دعوة الدّاع إذا دعان) وقال : (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : الدعاء مخ العبادة ، ومن لم يسأل الله يفضب عليه ، والدعاء له آداب ينبغى على الدّاعى أن يراعيا ليكون دعاؤه أرجى للقبول ، ومن هذه الآداب :
١ - أن يتحرى الحلال في مأكله ومشربه ، لقول سعد بن أبي وقاص : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مستجاب الدعوة ، فقال : يا سعد أطلب مطعمك تكن مستجاب الدعوة .

٢ - استقبال القبلة إن أمكن .

٣ - تحرى الأوقات الفاضلة كيوم عرفة ، وشهر رمضان ، ويوم الجمعة والثلاث الأخير من الليل ، والسجود ، وبين الأذان والإقامة ، وعقب الصلوات ، فإن هذه أوقات يستجاب فيها الدعاء .

٤ - رفع اليدين إلى الله سبحانه وتعالى ، فإن الله لا يردها خائبتين .

٥ - حضور القلب وإظهار الخشوع والضراعة والتذلل إلى الله عز وجل ، مع خفض الصوت

كما قال تعالى : (ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين)

٦ - البدء بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ، لقول النبي ﷺ إذا صلى - أى

دعا - أحذكم فليبدأ بتحميد ربه عز وجل والثناء عليه ثم يصلى على النبي ﷺ ثم يدعو بما شاء .

٧ - أن يدعو الإنسان بغير إثم أو قطيعة رحم وألا يستبطئ الإجابة ، وأن يختار المأثور من

القرآن والسنة النبوية الشريفة ، مثل قوله تعالى :

(ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) .

وقوله ﷺ : اللهم إني أسلك الغفو والعافية في الدنيا والآخرة .

في هل يجب أن يُقرأ الدعاء بعد صلاتي الفجر والمغرب ؟

مذهب الشافعية أن القنوت في صلاة الصبح بعد الركوع من الركعة الثانية سنة رواه الجماعة إلا الترمذي عن ابن سيرين ، أن أنس بن مالك سئل :

هل قنت النبي ﷺ في صلاة الصبح فقال : نعم . . فقيل له : قبل الركوع أو بعده ؟ قال : بعد الركوع . ولما رواه أحمد والبخاري والدارقطني والبيهقي والحاكم وصححه عنه قال : مازال رسول الله ﷺ يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا . أما في صلاة للمغرب فلا قنوت فيها إلا عند النوازل ، فإنه شرع القنوت فيها وفي غيرها من الصلوات .

روى أبو داود وأحمد عن ابن عباس قال : قنت الرسول ﷺ شهراً متتابعاً في الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح في دبر كل صلاة إذا قال : سمع الله لمن حمده ، من الركعة الأخيرة يدعو عليهم ، على حى من بنى سليم : على رعل وذكوان وعصبه ويؤمن من خلفه ، وكان قد أرسل إليهم جماعة من الصحابة يدعونهم إلى الإسلام فقتلوه .

أما الأحناف فإنهم يقتنون في الوتر في الركعة الثالثة قبل الركوع لما رواه الإمام أحمد وغيره بإسنادهم عن الحسن بن علي رضي الله عنه قال . علمني رسول الله ﷺ ، كلمات أقولهن في الوتر .

« اللهم اهْدني فيمن هديت ، وعافني فيمن عافيت ، وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت ، وقني شر ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك ، وإنه لا يذلُّ من واليت ، ولا يُعزُّ من عاديت ، تباركت ربنا وتعاليت ، وصلى الله على النبي محمد .

في دعاء الوالدين

دعاء الوالدين مستجاب إذا صدر بسبب عقوق من الولد أو إساءة أدب أو ما إلى ذلك ، فإذا أذى الولد حق أبيه ، فلا شيء عليه بعد ذلك ، دعا الوالد له أو دعا عليه ، لأن الله سبحانه وتعالى : قد وضع لنا مقاييس الخير ومقاييس الشر ، وعلى أساس هذه المقاييس يكون الحساب . وقد يخطئ بعض الناس في استغلال حقه فيسيء إلى من أحسن إليه أو لا يقنع بما يقدم إليه . . . ومثل هذا لا يستجيب الله له دعاء على من أحسن إليه ، بل قد يتحول دعاؤه على غيره إلى دعاء عليه ، يصيبه شره ولا يتحقق له عن طريقه أى خير .

والدعاء على « الغير » لا يقبل إلا إذا كان صادراً عن إحساس بظلم صادر منه ، لأن الله تعالى عدلٌ لا يقبل الظلم ، وقد أُنذِرَ الظالمين وفتح للمظلومين باب الانتصار بالقول والفعل وبالدعاء ، وفي الحديث الصحيح : ثلاثة لا تردُّ دعوتهم . وذكر الرسول ﷺ منهم دعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويقول : وعزنى لأنصرتك ولو بعد حين ، والسائلة تعلم من نفسها إذا كان دعاء والدها له سبب مقبول أم لا : فإن كانت تسيء إلى حقه أو تقصر فيها يجب عليها نحوه فعليها أن تتوب إلى الله من ذلك ، وأن تستسمح والدها ، وأن تسرى عنه وتطلب منه الدعاء لها . وإن لم يكن منها شيء من ذلك استمرت في أداء واجبها نحوه ولا عليها بعد ذلك دعا أم لم يدعُ . لأنها أدت حق الله عليها . .

وحق الوالدين معلوم من الدين بالضرورة ، ولها الحق أحياء وأمواتاً . . ومن الممكن بوسائل المقدرة تفريج همومها والوصول إلى حبيها ، والابتعاد عن كل ما يسبب غضبها . وعلى كل فالمدار على حسن المعاملة والوفاء بالحق والواجب ، والسير على أساس من الخوف من الله ، والرغبة في الوصول إلى رضاه .

في التوبة هل تمحو الذنوب كلها

نعم فإن رحمة الله بعباده التائبين واسعة والله تعالى يقول : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) ويقول سبحانه : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) .

غير أن التوبة لا بد أن تكون نصوحاً ، عسى الله أن يقبلها فيكفر الذنوب ويعفو عن السيئات . قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توباً نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا ، إنك على كل شيء قدير) . ومن شروط التوبة النصوح الندم ، والإقلاع عن المعاصي كلها ، ورد الحقوق لأصحابها وعدم العودة بما يغضب الله سبحانه ، والإكثار من الأعمال الصالحة صلاة وذكرًا وصومًا وصدقة ، وأداء الفرائض كلها ، وتقرباً إلى الله بالتواضع والابتناء إلى الله حيث نهاه ، وأن يفقده حيث أمره ، فعسى الله أن يقبله ويبدل سيئاته حسنات ، والله تعالى يقول : (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) ويقول سبحانه : (إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً

فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيمًا . ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متابًا . . .)

في التوبة والشباب

إذا خلصت منه النية وصح منه العزم وكانت توبته الأخيرة توبة نصوحاً وذلك بالندم على ما فعل وعدم العودة إليه والإكثار من طاعة الله ، والإقلاع عن جميع المعاصي صغيرها وكبيرها والإخلاص لله في العبادة ، ومراقبته في السر والعلن فإننا نرجو أن يقبل توبته وأن يعفو عن سيئاته ، قال تعالى : (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) ، وقال تعالى : (إن الحسنات يذهبن السيئات) وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ، عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ، يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير) .

هذا ونكرر النصح لشبابنا ، ونهيب بهم أن يقلعوا عن ممارسة « العادة السرية » فإنها مقيتة تودي بالصحة ، وتضعف الدين ، وتعقب الندامة ، وهي كما قررنا في مقالة سابقة يشملها التحريم المأخوذ من قوله تعالى : (والذين هم لفروجهم حافظون ، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين ، فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) . وعلى الشباب الذين لا يستطيعون الزواج أن يصرفوا ما عندهم من الطاقة في طاعة الله سبحانه وتعالى - صلاة وصياماً وذكر الله وتسييحاً ، وعليهم أن يتساموا بغرائزهم فيصرفوها فيما يعود عليهم وعلى وطنهم بالنافع المفيد .

في ماذا يفعل الإنسان الذي يتلبه الله بمصائب ومتاعب مع أن سلوكه طيب ويفعل الخير

الحياة الدنيا دار ابتلاء بالمتاعب والمصائب ، ولم يسلم من ابتلائها أحد حتى الأنبياء ، وليس ذلك دليلاً على غضب الله أو عدم رضاه عن العبد ، لأن الله جعل المصائب اختباراً أو امتحاناً ، قال تعالى (ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصّابرين ونبلو أخباركم) وعلى الإنسان الذي

يُبتلى في حياته أن يصبر لينال أجر الصابرين ، قال تعالى : (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)

ومن كان يفعل الخير ويؤدى الطاعات وهو مُبتلى - مع ذلك - بالمصائب قد يكون ذلك على محبة الله تعالى له ورضائه عنه كما روى في الحديث : « إذا أحب الله عبداً ابتلاه حتى يسمع تضرعه » .

ولقد مدح الله أيوب على صبره على ابتلاء الله ، وقال فيه :
(إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) وقال عليه السلام : أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل :

وليس هناك من باب للفرج وإزالة البلاء إلا باب الله سبحانه ، وإلا الالتجاء إليه والدعاء ، وقد ذكر رسول الله ﷺ أن الدعاء يرفع البلاء ، وأنه ينفع فيما نزل من البلاء ، وفيما لم ينزل ، والتضرع إلى الله سبحانه باب عظيم من أبواب الفرج .

في هل الصدقة والدعاء والقراءة تنفع الميت ؟

إن الصدقة والدعاء والاستغفار للميت ينفعه ، وكذلك العلم الذي تركه بالإجماع ، وأما تلاوة القرآن فالأحسن فيها الدعاء للميت والترحم عليه والاستغفار له .
قال ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية ، وعلم يتنفع به وولد صالح يدعو له » رواه مسلم .

في ما حكم الدعاء للميت بعد الصلاة عليه وقبل دخوله إلى القبر ؟

إن الدعاء للميت قبل الصلاة عليه وقبل دخوله القبر وبعد دخوله القبر جائز ، بل مستحب ، لأن الميت إن كان مُذنباً وهو من المسلمين فهو محتاج إلى الدعاء ليغفر الله له ذنوبه ، ويعامله بلطفه ، ويسبغ عليه من رحمته ، وقد دعا الأنبياء للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات - أحياء وأمواتاً - وقال تعالى في سورة نوح :

(رب اغفرلى ولمن دخل بى مؤمناً ، وللمؤمنين والمؤمنات) بل إن الله سبحانه وتعالى ، أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالاستغفار للمؤمنين أحياء وأمواتاً فقال تعالى : (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم) . سورة محمد : ١٩

وهذه الآية الكريمة تعليم للأمة وتوجيه لها إلى الدعاء لموتها المؤمنين تأسيًا برسول الله ﷺ .
فالدعاء للميت - مطلقاً وفي أى وقت كان - جائز بل مستحب .

في أدعية تفريج الكرب وجلب الرزق وسداد الديون

هناك أدعية لتفريج الكرب وجلب الرزق وتسديد الديون وما إلى ذلك . وفيما أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول : اللهم إني أسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى .

وكان ﷺ يقول : « اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجأة نعمتك ، وجميع سخطك » .

وصفات عباد الرحمن في القرآن الكريم يعبر عنها قول الله سبحانه : (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً) ويرى بعض الناس أن هذه الأدعية الصحيحة وما يماثلها يمكن للإنسان أن يجعلها في حرز مانع من القماش أو الجلد ، وأن يعلقها على جسمه فيقوم تعليقها مقام الدعاء بها .

وقد روى أحمد والحاكم والطبراني - رجاله ثقات - أن رسول الله ﷺ قال : من علق ودعة فلا ودع الله له ، ومن علق تيممة فلا تيم الله له ، والودعة شيء يخرج من البحر يشبه الصدف يتقون به العين ، والتيممة خرزات تعلق على الأولاد بحمايتهم من ضرر العين . قال ابن حجر : محل ما ذكر من الخير وما قبله تعليق ما ليس فيه قرآن ونحوه ، أما ما فيه ذكر الله ونحوه فلا نهى عنه ، فإنه إنما جعل للتبرك والتعوذ بأسمائه . وعلى ذلك فلا شيء في تعليق ما فيه ذكر وقرآن إذا كان في حرز مانع من قماش أو جلد بقصد استجلاب الرزق ، وأما إن كان فيه شيء غير الذكر فلا يجوز تعليقه وسيكون سبباً في تحصيل ما يخالف الغرض المقصود منه .

في الدعاء على « الغير » دون حق

إن الدعاء على « الغير » - دون حق ولا سبب - غير مقبول ، ولا يستجاب لفاعله ، بل إن فاعله بفعله هذا اكتسب خطيئة ومعصية واحتمل بذلك بهتاناً وإثماً . يقول الله سبحانه : (ومن يكسب خطيئةً أو إثماً ثم يرم به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً) فالدعاء على « الغير » دون

سبب - إثم وقطيعة رحم كما أخبرنا بذلك الشارع المعصوم صلوات الله وسلامه عليه . فمن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « لا يزال يُستجاب للعبد ما لم يدع يائماً أوقطيعة رحم » .

وحسب الداعي على غيره دون سبب من الشر والأيذاء رجوع الدعاء إليه واستعجال نزول العقوبة به ، فمن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 إن العبد إذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها . ثم تأخذ يميناً وشمالاً ، فإذا لم تجد مساعاً رجعت إلى الذي لعن ، فإن كان أهلاً لذلك ، وإلا رجعت إلى قائلها ، رواه أبو داود .

وكما أنه كان من محض عدل الله سبحانه أنه لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها فإن من محض عدله تعالى أيضاً أن يجعل ظهيراً وعوناً للمظلوم .

فمن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رجلاً قال يا رسول الله : إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني ، وأحسن إليهم ويسيئون إليّ ، وأحلم عنهم ويجهلون عليّ ، فقال : لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك . رواه مسلم .

في سؤال يقول : يقول الله سبحانه

(وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الدّاع إذا دعان) وأنا أدعو الله ولا يستجاب لي فكيف ذلك ؟

يقول الله سبحانه وتعالى : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الدّاع إذا دعان) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ليس شيء أكرم على الله من الدعاء ، بل إن للدعاء دخلاً في تلطيف القضاء أو تخفيفه ، أو عفو الله سبحانه ، فلقد روى الترمذی عن سيدنا سلمان الفارسی : أن رسول الله ﷺ قال : لا يرذ القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البرّ .

إذن فالدعاء مطلوب وعلى كل مسلم أن يضرع إلى الله سبحانه ويتوجه إليه وحده .

فهو الذي يعطى ويمنع ويحبب المضطر إذا دعاه .

ولأجل أن يكون الدعاء مقبولا ومستجاباً لابد من :

- ١ - التوبة الخالصة النصوح .
 - ٢ - ولا بد من تحرّى الحلال .
 - ٣ - عدم الدعاء بما فيه إثم أو قطيعة رحم .
 - ٤ - والشرط الأساسى هو أن يحقق الإنسان العبودية لله سبحانه ، فإذا تحققت هذه الشروط من الداعى فلا ريب أن الدعاء يستجاب منه ويعطى سؤاله .
- علينا أن نتدبر الحديث التالى : عن ابن عباس - قيل أخرج ابن مردويه - ثلث هذه الآية عند النبي ﷺ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا) ، فقام سعد بن أبى وقاص فقال : يا رسول الله ادع الله أن يعطينى مستجاب الدعوة فقال : يا سعد : أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يوماً ، وأما عبد نبت لحمه من السُّحْتِ والرِّبَا فالنار أولى به .
- ولقد بين رسول الله ﷺ : فيما يرويه عن ربه الشروط التى إذا تحققت كانت استجابة الدعاء مضمونة ، وكانت مؤكدة ، فعل من يريد استجابة دعائه أن يحققها فيضمن الاستجابة .

فى عدم اهتمام بعض الأئمة والعلماء بالدعاء

الدعاء ليس له وقت من الأوقات وإنما يكون فى أى ساعة من النهار أو الليل ، مثل قبل الصلاة وبعدها .

وليس له صيغة معروفة وإنما أى لفظ يودى إلى المعنى المراد به الدعاء على شرط أن يكون مستوفياً للشروط التى تشترط فى الدعاء ، من الأكل الحلال ، والمطعم الحلال ، والملبس الحلال ، فالله سبحانه وتعالى يستجيب هذا الدعاء بقول الله تعالى فى محكم كتابه : (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) وقال تعالى : (قل ما يعبا بكم ربى لولا دعاؤكم) .

ويقول : (والله الأسماء الحسنى فادعوه بها) وقال تعالى (واسألوا الله من فضله) وإن الذين يقولون عليك بالدعاء وحدك فى بيتك محطنون .

والدعاء يكون بالجماعة والواحد سواء والجماعة أفضل ليعلم الجاهل رأى الدين الإسلامى فى ذلك أن الدعاء عام للجميع ، فى البيت ، والمصنع ، والمزرعة ، والعمل ، وفى كل شيء ، فالدعاء مطلوب ويستحب وهو مخ العباداة .

في هل تقبل توبة المذنب وهو على فراش الموت ؟

نعم تقبل التوبة عن المذنب وهو على فراش الموت ما لم يُعْرِضْ ، إذا كانت توبته نصوحاً اجتمع فيها الأمر برد المظالم إلى أهلها ، والندم على ما فرط منه ، والعزم على ألا يعود إلى معصيته أبداً إن كان ذنبه بسبب اغتصاب حق لآدمي ، أما إن كان ذنبه يتعلق بحق من حقوق الله فشرط توبته الإقلاع عن معصيته ، والندم على ما فرط منه ، والعزم على ألا يعود إلى ما ارتكبه من الذنوب أبداً . قال تعالى (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تنفثوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ، وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) وقال رسول الله ﷺ : « من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة » .

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْفَقْه

في الاجتهاد والثبات في الشريعة الإسلامية

في الدين هاد للعقل

القضية أن الدين نزل هاديًا للعقل ، إننا - جميعًا نؤمن بهذه القضية ، الدين نزل هاديًا للعقل ، لكن حينًا نقول : الدين نزل هاديًا للعقل ، يتساءل كثير من الناس ، في أى المجالات ؟ ونحن لا نريد أن نقول نزل هاديًا للعقل في مجال الماديات فالدين أطلق للعقل الحرية الكاملة فيما يتعلق بالبحث والكشف في مجال الماديات في السماء وفي الأرض ، وفيما بين السماء والأرض ، وفقط قيده بأن يكون ذلك في خير الإنسانية ، إنه مادام الأمر ، فيما يتعلق بمجال الماديات والبحث والكشف فيها - في خير الإنسانية - فللعقل الحرية الكاملة في هذا ، بل إن أسلافنا رضوان الله عليهم - كانوا يسمون هذه العلوم المادية الطبيعة ، والكيمياء ، والفلك ، والأحياء - كانوا يسمونها علوم الكشف عن سنن الله الكونية ، ومادامت ، كشفًا عن سنن الله الكونية فهي كشف عن بعض صفات الله سبحانه وتعالى ، مادام الأمر كذلك فهي عبادة من هذا الجانب - العلم بالماديات - الكشف عن سنن الله الكونية في الماديات زيادة إيضاح لصفات الله تعالى ، وهو عبادة ، لكن الأمر فيما يتعلق به نزل الدين هاديًا للعقل ، إنما هو في أمور المجتمع ومجالاته . العقيدة : نزل الدين هاديًا فيها ، الأخلاق نزل الدين هاديًا فيها ، نظام المجتمع نزل الدين هاديًا فيه ، التشريع نزل الدين هاديًا فيه أيضًا .

هذه الهداية - فيما يتعلق بالتشريع أحيانًا تكون مفصلة تفصيلًا دقيقًا ، كالميراث مثلاً وكتابة الدين ، وأحيانًا تكون كلييات تضم تحتها جزئيات كثيرة ، ولاريب في أنه نزل الدين هاديًا للعقل في جميع مبادئ التشريع ، لكن في وسائل التشريع - أحيانًا - يكون مفصلاً لها ، إن رسائل المبادئ أحيانًا يكون الدين مفصلاً لها ، وأحيانًا يتركها للعقل الإنساني يتصرف فيها بحسب الظروف ، مثلاً الشورى : مبدأ من المبادئ التي أقرها الإسلام وسيلة الشورى : تركها الإسلام للعقل الإنساني . يحددها بحسب ظروفه وبحسب أمكنته ، وأزمته أما مبدأ الشورى فهو مبدأ لا يتغير

وحينما نقول نزل الدين هاديًا للعقل ، فإنما نعني بذلك أن العقل لا يتحكم في الدين إنما يهتدى به .

ومعنى أيضًا نزل الدين هاديًا للعقل : أن العقل يفهمه وينقله ، ولا يتناقض أو يتعارض هو والعقل ، لأنه نزل هاديًا له .

ولأنه نزل هاديًا له ، ولأننا نؤمن بأن الدين من قِبَلِ الله سبحانه وتعالى ، فهناك القضية التي تتلو ذلك وهي : أن هذه الهداية معصومة ، لأنها من قبل الله ، ومادامت معصومة لأنها من قبل الله فلا بد من اتباعها ، لامتناع من اتباعها .

من أجل ذلك كانت الآيات التي تدل على وجوب الاتباع في غاية الصرامة أو في غاية القوة . قال تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ويقول سبحانه : (وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) . ويقول أيضًا : (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ، حَتَّىٰ يَحْكُمَوكَ فِيمَا شَجَرِيبِهِمْ ، ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُمُوا تَسْلِيمًا) .

هذه الصرامة لماذا ؟

لماذا هذا التحديد ؟ وهذه الدقة فيما يتعلق بضرورة وجوب اتباع هذه المبادئ التي نزلت من السماء .

في تناقض الفكر البشري

أما عن ضرورة ذلك ، فإن كل من درس تاريخ الفكر البشري - منذ أن كتب هذا الفكر في الأزمنة القديمة إلى الآن - كل من درسه ، تبين له قضية في غاية السهولة هي : أن هذا الفكر البشري على تنابع الأزمنة ، بل في العصر الواحد وفي القرن الواحد ، وفي الأمة الواحدة هذا الفكر البشري متعارض ، متضارب متناقض مختلف .

أين هو الحق فيما يتعلق بهذا التضارب ، وهذا التعارض وهذا الاختلاف والتعارض ، والتضارب في جميع المجالات الفكرية البحتة ؟

لسنا بصدد المجالات المادية لأن المجالات المادية تحكمها التجربة . فالتجربة فيصّل ، ولكننا بصدد المجالات النظرية ، التشريع ، الأخلاق ، العقيدة ، نظام المجتمع أين هو الحق ، وأين هو الباطل في الآراء البشرية الخاصة بهذه الموضوعات .

ليس هناك مقياس للحق والباطل ، كل المقاييس التي حاولت الإنسانية أن تخرعها منذ الأزمنة القديمة ، كل هذه المقاييس أثبتت فشلها وبطلانها .

من أوائل هذه المقاييس مثلاً في الفصل بين الحق والباطل ، فيما يتعلق بالآراء النظرية ، ومنها التشريع بطبيعة الحال ، من أوائل هذه المقاييس (منطق أرسطو) لقد أخفق إخفاقاً كاملاً ، في تمييز الحق عن الباطل .

ومنها مقياس (ديكرات) إنه أخفق إخفاقاً كاملاً أيضاً ، فيما يتعلق بالتمييز بين الحق والباطل هذا من جانب ، ومن جانب آخر ، مادام لاسبيل إلى القطع بأن هذا الرأي حق ، وهذا الرأي باطل ، كان هناك المجال المتسع الكبير لتريف الآراء أو صناعة الآراء وفي علم الاجتماع وفي علم النفس كثير من المباحث التي تتحدث عن صناعة الرأي العام .

الرأي العام يُصنع عن طريق الصحف ، ويُصنع عن طريق الإذاعة ، ويُصنع عن طريق التكرار ، يُصنع بوسائل مختلفة ، ويصنع تزييفاً أو إحقاقاً - الرأي العام ومادام الرأي العام يُصنع فهناك هذه الوسائل التي تصنع الرأي العام .

هذه هي الوسائل التي تصنع الرأي العام ، هناك كثير من الناس استخدموها ، ولكن الذين استخدموها في قوة ، هم اليهود استخدموا صناعة الرأي العام في قوة بالنسبة لأغراضهم ، وهم يقولون مثلاً في تكييفهم الرأي العام بالنسبة لشخصيات معينة ونحن الذين رتبنا نجاح (كارل ماركس) يقولون هذا في كتبهم ، ويقولون هذا في كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » لقد رتبوا نجاحه ونجاح آخرين ، لماذا رتبوا نجاحهم ؟ لأنه هُذْمٌ ، لكل الأفكار الروحية ، وهم يريدون ألا تسود الأفكار الروحية في الإنسانية ويقولون أيضاً عن (البروتوكولات) : نحن الذين رتبنا نجاح (دارون) صاحب نظرية (التطور) ، ونحن الذين رتبنا نجاح (نيتشه) صاحب نظرية الأخلاق .

إنه يرى أن ليس هناك فضيلة ولا شجاعة . أو عفة أو كرم أو ما شاكل ذلك ، كل هذه الألفاظ اخترعتها الإنسانية . من أجل حماية الضعفاء ، وتشبثوا بها من أجل حماية أنفسهم . أراد اليهود أن تسود هذه الفكرة في العالم لتحلل الأخلاق ، ولينتهوا من تحلل الأخلاق إلى السيادة في العالم .

نعود فنقول : هناك صناعة لآراء . ماهو المقياس الذي نفصل به بين الحق والباطل ؟ ليس هناك هذا المقياس . ولقد حاول - في مواجهة الوحي الإلهي ، وفي مواجهة التشريع الإلهي - حاول بعض الناس عمل نظم اجتماعية . حاول مثلاً (أفلاطون) أن يكون جمهورية على ما ينبغي بأدق ما يمكن أن يكون من تفكير فلسفي ، وألف (أفلاطون) جمهوريته . كتبها ونسقها ودرسها ، وعقد فيها ندوات كثيرة ، ودُعِيَ (أفلاطون) لتحقيق جمهوريته في جمهورية

صغيرة ، وذهب (أفلاطون) إلى هذه الجمهورية وقيل له إنك مفوض تفويضًا مطلقًا في تحقيق جمهوريتك ، وحاول (أفلاطون) أن يحقق جمهوريته فأخفق إخفاقًا كاملاً ، وبعد عشرين سنة بعد فترة من النضج دُعِيَ مرة أخرى لتحقيق جمهوريته بعد التجربة وبعد هذا الإخفاق الذى ناله ، وبعد أن اكتسب معرفة وخبرة فأخفق إخفاقًا كاملاً مرة أخرى . . أما الإسلام فقد طُبِّقَ ، طُبِّقَ في جمهورية ، أوفى دولة أوفى أمة . إن هذه الألفاظ اللفظ المستعمل فيها إسلاميًا - هو كلمة أمة .

(إن هذه أمتكم أمة واحدة) .

طُبِّقَ الإسلام في أمة ، وانتهى هذا التطبيق بأن انتقل الإسلام من النظرية إلى الواقع ، لقد أصبح واقعًا في أمة تمتد من كذا إلى كذا : لا تكاد تغرب الشمس عنها ، طُبِّقَ بالفعل ، وانتقل من النظرية إلى الواقع ، لكن كل الآراء التى قيلت - فيما يتعلق بالأنظمة التى اخترعت ، أو ابتدعتها البشرية كلها - عرضت وأخفقت ووجهت بالنقد الذى أثبت تعارض بعضها مع بعض .

ولتوضيح ذلك نقول : النظام الرأسمالى اختراع بشرى في أمريكا ، يتعارض تعارضًا كاملاً مع النظام الشيوعى الذى هو اختراع بشرى فيما يتعلق بروسيا ، ولكن أى هذين النظامين حق ؟ لاسيلاً مطلقًا إلى أن تثبت أن هذا أحق من هذا نظريًا بالدليل والبرهان ، وكل ما يُقام من أدلة أو براهين في أمريكا ، تنقله روسيا ، وكل ما يُقام من أدلة أو براهين في روسيا تنقله أمريكا . إذن من هذا كانت الصرامة فيما يتعلق بالدعوة إلى اتخاذ الإسلام أساسًا ومن هنا كانت هذه الآيات التى تتحدث عن لا يحكم بما أنزل الله ، بالظلم مرة ، وبالفسق مرة أخرى ، وبالكفر مرة ثالثة .

في هداية الدين للعقل دائمة لاتأثر بزمان ولا مكان

ونزل الدين - كما قلنا هداية للعقل ، هذه الهداية للعقل ليست مقصورة على زمن دون زمن ، ولا على مكان دون مكان ، إنها في الوضع الدينى الإلهى لكل المؤمنين تبلور في قضية ، نتحدث عنها في كل وقت وفي كل آن ، هذه القضية هي أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، وهذا هو منطق الدين ، خصوصًا حينما يكون هذا الدين هو آخر الأديان ، بإعلانه سبحانه وتعالى عن ذلك . (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينًا .) هي إذن صالحة لكل زمان ومكان ، هذه الكلمة أو هذه القضية صالحة لكل

زمان ومكان إذا كانت في معناها السطحي أو الشكلي أو معناها اللغوي - واضحة فإن بعض الناس قد اتخذها أساساً لتفسير منحرف كل الانحراف ، من هؤلاء مثلاً من قال إنها صالحة لكل زمان ومكان ، لأنها تكيف بحسب الزمان والمكان ، ثم انتقل نقلة أخرى فقال : إنها صالحة لكل زمان ومكان لأننا نكيفها بحسب الزمان والمكان .

كيف يكون التكيف ؟

قال بعضهم : وعمل على ذلك جاهداً - نحن الآن في بعض الأقطار نعمل في بناء الدولة ، وبناء الدولة جهاد أكبر ، وإذا كان الجهاد الأصغر يبيع الإفطار في رمضان فالجهاد الأكبر - وهو بناء - أولى أن يبيع الإفطار في رمضان .

وحاول أن يطبق الإفطار في رمضان على الدولة فأخفق ، لأن الناس كان شعورهم إيمانياً دينياً فلم ينصاعوا ، ولكنه حاول وبذل وجند الشرطة وجند كل شيء ، فيما يتعلق بتطبيق الإفطار في رمضان ، فكان يقدم مثلاً للمدارس الثانوية الداخلية ، وللجامعات ، والجيش ، ونحوها الوجبات العادية في شهر رمضان ، بدلاً من الإفطار والسحور ، ولكن في النهاية - برغم كل ما بذله من جهد - أخفق .

ونعود فنقول : نكيفها بحسب الزمان والمكان كيف . . . نمنع تعدد الزوجات مثلاً ! منع تعدد الزوجات وحصلت حادثة أمام سمعه وبصره ، حصلت حادثة : هذه الحادثة تلخص في أن شخصاً من الأشخاص متزوج وعنده أولاد من زوجته ، ثم أصبحت زوجته في وضع غير صالح لاستمرار الزوجية ، من الناحية الجنسية ، فكان هو بين أمرين : إما أن يزني وإما أن يتزوج ، والتعدد ممنوع لماذا يصنع ؟ امرأته الأولى لم تز ، ليست مسئولة عما حدث لها ، هذا قضاء الله بالنسبة لها لماذا تطلق ؟ ولم يطلقها ؟ إنها لم تسيء إليه ، ولم يطلق . وإنما ذهب وعقد عقداً شرعياً ، على امرأة وتزوجها بحسب الشرع ، وأسكنها في مسكن ، وكان يذهب إليها ويبيت عندها . وبلغ عنه أنه تزوج امرأة أخرى ، والقانون في هذه الناحية لا يشاغل ، وذهبت الشرطة وضبطوه متلبساً بالجريمة ، جريمة الزواج بامرأة أخرى ، وأتى به للتحقيق وقالوا له : هل تزوجت امرأة أخرى فقال كلاً . . . فقبل له : ولكنك كنت عندها قال : نعم : وتنفق عليها . . . نعم وقد استأجرت لها هذا المسكن . . . نعم - وتبيت عندها . . . وأبيت عندها . . . ماذا تكون إذن ؟ إنها عشيقه . فقبل له ، تفضل اذهب لأملاكك عليك ، لا لوم عليك ، حرموها زوجة وأباحوها عشيقه بقانونهم ! !

حدث هذا بالفعل والتحقيق . . . تحقيق البوليس . وبأني أيضاً فيما يتعلق بالتعدد أن « اتين

دينبيه « مستشرق فرنسي كان قد ذهب إلى الجزائر في عهد الفرنسيين ، وهو فرنسي أقام في الجزائر في بلدة اسمها « بوسعادة » استراح إلى الجو ، واستراح إلى الناس ، واستراح إلى الخلق ، وكلها أغرته : الجو : الطبيعة الصحراء ، الناس كلها أغرته بأن يقيم في الجزائر ، فأقام ، أقام في عهدين : عهد كان فيه التعدد مسموحاً به .

وعهد حدث فيه عدم التعدد ، أو الدعوة إلى عدم التعدد ، أو الإقلال من التعدد . وبعد ذلك لاحظ ثلاث ملاحظات ، كتبها باللغة الفرنسية في أحد الكتب ، كتب يقول : حينما منع التعدد والطلاق ، وجدت ظواهر ، لم تكن موجودة أيام كانت إباحة التعدد والطلاق . ماهي هذه الظواهر التي وجدت عندما منع التعدد ؟

أولاً : « كثرة العوانس » هذا أمر .

الأمر الثاني : كثرة اللقطاء .

الأمر الثالث : كثرة الأمراض السرية .

هذه المسائل الثلاثة « حدثت بعد أن منع التعدد ، وبعد أن منع الطلاق ، وليس معنى إباحة التعدد أنه مفروض ، وليس معنى ذلك أنه لا بد من التعدد . .

كلا : وأنتم تعلمون أنه مع إباحة التعدد الآن في القاهرة يمكن أن يكون نصف في الألف هم الذين يعددون الزوجات ، وإذا ارتفعت عن أكثر من اثنتين يمكن أن يكون ربع في الألف ، وهكذا الأمر ، نعى يكاد يكون التعدد مع إباحته معدوماً .

ولكن من الوجهة النظرية ، لو فرضنا أن شخصاً من الأشخاص إما أن يتزوج وإما أن يزني ، فيباح له أن يتزوج - هذا رأى الكاتب الفرنسي يقول ويستشهد بالتعداد وبالتجربة ، ماذا حدث . وماذا كان . لكننا نتساءل الآن ما هو إذن المعنى الصحيح للقضية « الشريعة » صالحة لكل زمان ومكان ، أن الشريعة أنزلت للإنسان من حيث هو إنسان ، لا للإنسان من حيث هو مصري ، أو من حيث هو فرنسي ، أو من حيث هو كذا وكذا فيما يتعلق بالوطن .

إنها نزلت للإنسان من حيث هو إنسان . ومادامت قد أنزلت للإنسان من حيث هو إنسان ، فإنها صالحة لكل زمان ومكان ، لا تتغير ، لأن الإنسان هو أينما كان ، الإنسان هو الإنسان في عواطفه . وفي انفعالاته ، وفي سلوكه ، في تصرفه ، في عقله ، في ذكائه ، في إحساسه ، وأنزلت الشريعة إذن للإنسان من حيث هو إنسان ، فهي إذن صالحة لكل زمان ومكان ، صالحة في مبادئها وصالحة في وسائلها إذا حددت ، وكل خروج عليها إنما يكون انحرافاً .

أن يسكت الصالحون المؤمنون وهم يسمعون (ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الظالمون) .
 (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما
 شجر بينهم) يحكموك في حياتك ، ومحكموك بعد مماتك - بستك - فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في
 أنفسهم - في صدورهم - في قلوبهم - حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً : نقول : أين القانون
 الذى تحكم به ؟ وهذا سؤال من أسخف الأسئلة . كيف وأنت مسلم تتحدث اللغة العربية تقول :
 أين القانون ؟ القانون أمامك في الكتب ، موجود في كتب الفقه ، وكتب التشريع الإسلامى .
 هل يتأتى أن يكون شخص تخصص في التشريع ، ثم لا يفهم كتاباً في التشريع باللغة
 العربية ، وليس بلغة لاتينية ، ولا أعجمية ، أو شىء من هذا القبيل إنما هو باللغة العربية ليس في
 ذلك حجة ، ليس في ذلك مطلقاً ، أى مستند للدفاع عن تطبيق التشريع الإسلامى ومع ذلك
 فهناك هذه المقومات الكثيرة التى كتبت فيما يتعلق بالموضوع ، والتى تيسر كثيراً فيما يتعلق
 بالموضوع ، وأحب أن أقول : إن مجمع البحوث الإسلامية وضع القانون المدنى كله ، على
 مذاهب مختلفة ، وقتنه ، وكان في لجانه المختلفة مستشارون من القانون ، وفيه علماء ، وفقهاء في
 كل مذهب من المذاهب ، وهو الآن بصدد تقنين القانون الجنائى ، لكن مع ذلك أعتقد أنه عمل
 ما كان ينبغى أن يكون ، مع أنى أنا شخصياً - الذى بدأت به والذى شرعت فيه ، لكن الآن
 ما كان ينبغى أن يكون ، لأنه مادامت كتب التشريع باللغة العربية ، ومادامت هى في التشريع ،
 ومادامت فيها الفصول والأبواب والفقرات . فعلماء التشريع المشرعون المستشارون ، القضاة ،
 من السهل عليهم جداً أن يستخرجوها من هذه الكتب باللغة العربية .
 نعود فنقول : إن الدين نزل هداية للعقل .
 ونعود فنقول : إن الآيات فيما يتعلق بهذا الموضوع صارمة .

في الاجتهاد وموقعه

قد يتساءل إنسان : ما هو موقع الاجتهاد فيما يتعلق بهذا الموضوع ؟ أليس الاجتهاد فتحاً لباب
 التصرف عقلياً فيما يتعلق بالتشريع ؟ وعن هذه النقطة أتحديث الآن ، فيما يتعلق بالاجتهاد هناك
 فكرة ، في الواقع ، خاطئة عند الكثيرين - حتى كبار المثقفين - أن الاجتهاد إما أن يكون في أمر
 سبق في عهد الرسول ﷺ . وإما أن يكون في أمر استحدث من بعده ، حدث في العصر الحاضر
 مثلاً .

ومعنى الاجتهاد : أن الأمور التي كانت في عصر الرسول عليه الصلاة والسلام ينبغي أن يبذل الإنسان جهده وطاقته في البحث ، ليصل عن طريق المراجع ، والكتب والسيرة والتاريخ ، والأحاديث النبوية ، وتفسير القرآن إلى ما كان عليه الرسول عليه الصلاة والسلام ليس في ذلك ابتداع ولا اختراع ، ولا تصرف عقلي ، ولا شيء من هذا القبيل ، وإنما هو يبحث ليصل إلى الحقيقة ومعنى الحقيقة عنده فيما بحثه أن يصل إلى ما كان عليه الرسول ﷺ ، فإذا ما وصل إلى ما كان عليه الرسول ﷺ فقد انتهى البحث وسلم الأمر ، أما الاجتهاد فيما يتعلق بالمسائل التي لم تكن في عهد الرسول ، وإنما حدثت في العصر الحاضر ، فليس معناه مطلقاً ابتداع ، أو اختراع أيضاً ، وإنما معناه بذل الجهد لوضع هذا النمط الحديث ، أو المشكلة الحديثة أو المسألة الحديثة ، في موضعها ، تحت قاعدة كلية ، من القواعد القرآنية أو النبوية تحريماً أو تحليلاً .

يعنى مثلاً مسألة « الحشيش » لم يكن موجوداً بالحكم فيه ، والمجتهد فيما يتعلق بأمر الحشيش يبذل جهده ، ليضع الحشيش تحت قاعدة كلية من قواعد الدين ، إما تحريماً وإما تحليلاً ، لأنه في المبدأ لا يدري إن كان هذا الأمر محرماً أو حلالاً ، فيبذل جهده ليضع هذا الأمر تحت قاعدة كلية .

(البيرة) مثلاً لم تكن موجودة ، وكل هذه الأنواع من الخمور (ويسكى) وغيره لم تكن موجودة ، ما هو موقف المجتهد ، فيما يتعلق بالحكم في هذه المسألة أو تلك ؟ موقفه هو أن يبذل جهده مع التقوى ، مع الإخلاص ، مع التزامه الكاملة ، يبذل جهده مع عدم التحيز ، يبذل جهده ليضع هذه المسألة أو تلك تحت القاعدة الكلية المحرمة . أو المحللة ، فإذا أدى به اجتهاده إلى أنها توضع في قاعدة كلية تحرم ، يصبح الحكم مُحَرَّمًا ، وإذا أدى به اجتهاده - مع الإخلاص مع التقوى ، مع التزامه - إلى أن هذه المسألة تدخل في قضية محللة تدخل تحت التحليل أو الحل ، هذا هو الاجتهاد .

في مقدمات الاجتهاد ووسائله

لكن هذا الاجتهاد أيضاً له مقدمات ، وله وسائل ، هذه المقدمات بدئية ، ليس فيها شيء من التعقيد .

معرفة اللغة العربية : إن من أوائل الشروط فيما يتعلق بالمجتهد معرفة اللغة العربية معرفة تمكنه أو تصل به إلى مستوى فهم القرآن العربي المبين .

معرفة الأحاديث النبوية : ولا بد من معرفة الأحاديث ومن الإلمام بها إلمامًا يجعله على معرفة فيما يتعلق بجو الأحاديث النبوية ، لأنه يجوز أن يفق ، ويكون هناك حديث من الأحاديث ، معارض أو مخالف لفتواه .

معرفة السيرة النبوية : لمعرفة الواقع الذي كان عليه الرسول ﷺ ، ومادام الدين قد طبق عمليًا وطبق في فترة طويلة من الزمن ، طبقه الرسول ﷺ ، وطبقه الصحابة رضوان الله عليهم في عهد الخلفاء الراشدين ، وتحدث عنه الصحابة ، وتحدث عنه الرسول - مادام قد طبق ، فإننا اختلفنا في أمر من الأمور لاندلجاً إلى التطبيق .

ماهو الواقع الذي كان في عهد الرسول ﷺ ؟ ماذا كان ؟ النتيجة التي أريد أن أنتهى إليها وبها تكون الخاتمة :

ماهو الموقف ؟

الموقف لخصه أحد الصحابة في كلمة تشبه أن نكون إعجازًا ، يقول : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيت » فقد كُفيت هذه برهان كامل على : « اتبعوا » وهى أيضا برهان كامل على « لا تبتدعوا » اتبعوا فقد كُفيت ، ولا تبتدعوا فقد كُفيت . لأن من يتبدع إنما هو الشخص الذى لا يكون عنده الكفاية ، ونحن عندنا الكفاية منذ : (اليوم أكملت لكم دينكم وأنعمت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينًا) .

عندنا الكفاية ، إذن الخاتمة أو النتيجة التي نحب أن ننهى إليها هى « اتبعوا ولا تبتدعوا » فقد كُفيت ، إذا اتبعنا ولم نبتدع ، ماهى النتيجة ؟

النتيجة هى : ما تحدث الله سبحانه وتعالى عنه ، وضمنه لمن اتبع شريعته ، ضمن له السعادة في الدنيا والآخرة ، وضمن له الفوز ، وضمن له النصر ، وضمن له سعة الرزق ، وضمن له كفالاته ، وعنايته سبحانه ورعايته . ضمن له كل هذه النواحي ، ووعد الله سبحانه وتعالى لا يتخلف .

خاتمة

وأريد أن أنختم بواقعة حدثت في الأيام الأخيرة ، حدث في هذه الأيام الأخيرة أن وفدًا من أوروبا ، من كبار علماء أوروبا من فرنسا ، وفيه واحد من إيطاليا ، وواحد من إنجلترا وفدًا على مستوى رفيع جدًا ، ذهب إلى السعودية ، ذهب بالفعل ، وقبل أن يذهب تكاتب وتراسل هو

وزير العدل السعودي ، ووزير العدل السعودي رجل نابه متطور متفتح الأفق ، راسلوه وانفقوا على أن هذا الوفد الأوربي يذهب إلى السعودية ، ليتحدث مع علماء السعودية فيما يتعلق بحقوق الإنسان في الإسلام ، وذهب الوفد ، والتقى هو والوفد العربي : كان وزير العدل وكان مستشار الملك (معروف الدواليبي) وكان (محمد بن مبارك) من سوريا وكان بعض علماء السعودية ، وأخذوا يتحدثون فيما يتعلق بحقوق الإنسان في الإسلام .

وانهز الوفد الأوربي وما كان متصوراً مطلقاً أن هذا الذي يقال هو حقوق الإنسان في الإسلام ، وصل الإسلام بحقوق الإنسان إلى ما لم تصل إليه أوربا ، وفي نهاية الجلسة التي تعددت طبعاً عدة مرات ، وفي نهاية الأبحاث سأل الوفد الأوربي : ولكن ماذا عن قطع يد السارق ؟ وأجاب (معروف الدواليبي) الذي كان رئيس الوزراء سابقاً في سوريا ، وقد كان مستشاراً لجلالة الملك وكانوا في الرياض ، قال له : انظر إلى الصحراء ، يمكن إذا كنت في الوسط واتجهت يمينا تجد ألف كيلو متر ، ويساراً ألف كيلو متر ، وأماماً ألف كيلو متر ، وخلفاً ألف كيلو متر وتصور أن سيارة قامت من الرياض ، وهذه السيارة محملة بالذهب والفضة قامت من الرياض لتذهب إلى مكان على بعد عشرين كيلو متر ، لايتأني مطلقاً أن يتعرض لها متعرض في هذه الصحراء التي لا بلدة فيها ، ولا شرطة ، ولا حرس ، ولا بوليس ، لا شيء من هذا القبيل في هذه الصحراء الشاسعة تقوم سيارة محملة بالذهب والفضة ، لتذهب من الرياض إلى هذه المدينة الأخرى ولا يتعرض لها متعرض لماذا ؟ لأننا نطبق الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بقطع يد السارق ، لكن انظر الآن إلى بلد مثل (نيويورك) التي يقولون عنها إنها وصلت إلى قمة الحضارة ، كم فيها من القتل في ساعة واحدة من أجل السرقة ؟ وكم فيها من القتل في اليوم الواحد ، في أربع وعشرين ساعة بسبب السرقة ؟ قتل وجرحى وقطع أكباد ، وقطع أمعاء بالسكاكين ، وضرب بالنار وبكل شيء ، في أربع وعشرين ساعة ، ثم تعال إلى المملكة العربية السعودية بأكملها كم قطعنا من يد فيها في مدة عشرين سنة ؟ قطعنا أيدي تعد على أصابع اليد الواحدة ، وتقولون بعد ذلك إن الإسلام قاسم فيما يتعلق بقطع يد السارق ، هناك القتل ، والذبح ، والسحل ، وكل ما يتأني أن يكون من أجل السرقة ، وهنا لا شيء قطع يد السارق أو عدد من السارقين في مدى عشرين سنة . وأجمع الوفد الأوربي أن هذا أحكم نظام فيما يتعلق بمنع السرقة ، وقالوا لو طبقناه لكان الأمن على كل حال ، وفي النهاية أهيب بأعضاء مجلس الشعب في جمهورية مصر العربية ، أن يعتصموا بالإيمان ويقرروا العودة إلى تطبيق التشريع الإسلامي ليؤدوا الأمانة ويفوزوا بالسعادة في الدنيا والآخرة ، والله تعالى ولي التوفيق ، وهو الهادي إلى أقوم طريق .

في الاجتهاد

إن باب الاجتهاد لم يخلق ، ولم يخلقه أحد ، ولا يتأتى أن يخلقه أحد ، ولم يقل عالم من العلماء المستنيرين إن باب الاجتهاد قد أغلق ، بيد أن هذا الموضوع يحيط به كثير من اللبس في أذهان الكثيرين من الناس . . وذلك لأن الاجتهاد ينصبُّ على أمرين .

أحدهما : الاجتهاد في المسائل التقليدية المذكورة في كتب الفقه ، من عبادات ومعاملات وهذا معناه أن يبذل المجتهد ما يستطيع ليصل إلى الوضع الحقيقي الذي كان عليه الرسول ﷺ - في هذه المسألة أو تلك ، فهو في بحثه هذا يجب عليه أن يتخلّى من كل فكرة شخصية في الموضوع ، وأن يسير موطناً النفس على أن يستجيب لنتيجة البحث ، فيقرر النتيجة التي وصل إليها في تحقيق ما كان عليه الرسول ﷺ في المسألة التي يبحث عنها .

إن المجتهد في هذا الموضوع لا يتدع ولا يتخترع ، ولا يقول من عنده شيئاً ، وإنما دوره الوحيد هو التثبت مما كان عليه الرسول ﷺ ، فإذا ما وصل إليه انتهى دوره ومن أجل ذلك يقول كل متدين ، كما قال أئمة المذاهب : إذا صح الحديث فهو مذهبي وليس لأحد أن يقول برأى شخص إذا كان للرسول ﷺ في الموضوع حديث من الأحاديث .

والأمر الآخر : من الاجتهاد ، فهو الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص من الأمور المستحدثة التي أحدثها التطور الزمني ، والمجتهد في هذا مهمته محدّدة ، إنها بذل كل ما يستطيع من جهد فكري لربط هذه المسألة بقاعدة عامة من قواعد الدين الكلية تحريماً أو تحليلاً ، وذلك لأن كثيراً من المسائل الجزئية التي تحدث بتطور الزمن تندرج تحت قاعدة كلية من القواعد الموجودة في الدين .
فمثلاً : هذه الأنواع الكثيرة من المسكرات أو الأنواع الكثيرة من المخدرات لم تكن في الصدر الأول ، وعمل المجتهد الحكم بالنسبة لها أن يربطها بقاعدة كل مسكر حرام بالنسبة لأنواع الخمر بقاعدة كل مُفْتَرٍّ حرام بالنسبة لأنواع المخدرات .

ولقد قال أئمة الفقه الذين اجتهدوا في مثل هذه المسائل بالنسبة للمخدرات إن مَنْ شَرِبَ الخشيش مُسْتَحِيلًا له فقد كفر ، لا يصل عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين .

المجتهد في الأمور المستحدثة التي أحدثها التطور الزمني لا يتدع ، إذ هو الآخر لا يأتي بشيء من عنده ، وإنما هو يحتمل في الربط بين الجزئيات المستحدثة والقواعد الكلية ، لأن هذه الجزئيات تندرج تحتها .

وليس هناك نوع ثالث من أنواع الاجتهاد وإذا كان بعض الناس يظن أن الاجتهاد اختراع وابتداع وإتيان بالرأى الشخصى ، ومحاولة تغيير الدين بحسب التطور الزمنى فإنه مخطئ .
والواقع أن الذين يظنون أن الاجتهاد اختراع وابتداع كثيرون حتى في كبار المثقفين من الحقوقيين ، ففي بعض اللجان التي تضم حقوقيين وعلماء دينيين ، يأتي بعض الحقوقيين مكوناً رأياً معيئاً في الطلاق أو تعدد الزوجات أو الميراث ، ويعلق رأيه في اللجنة ، فإذا اعترض على رأيه بعض علماء الدين قائلين إنه غير موافق للشرع ، يقولون لهم : اجتهدوا ، ومعنى هذا بكل بساطة غيروا الدين ليتفق مع رأينا أو افهموا النصوص الدينية في ضوء ما نقول ، ومن يقول اجتهدوا بهذه الكيفية يكفيننا منه هذا القول أنه لا يصح أن يكون في لجنة من اللجان التي تدرس أموراً متعلقة بالدين ، وذلك أنه في مظهره وفي أقواله لا يعبأ بالدين ، ويظن أن رأيه هو الصحيح .

في الدين هاد للعقل

ولقد نزل الدين هادياً للعقل وقضية الدين هاد للعقل يؤمن بها كل متدين ، وذلك أنه لو كان القائد في العقيدة أوفى التشريع هو العقل لما كان من ضرورة للدين .
الدين إذاً من أمور العقائد وفي أمور التشريع هو القائد للعقل ، والله سبحانه تعالى أعلم بالصالح للإنسان ، ورسمه سبحانه في الوحي عقيدة وتشريعات .
ويجب على المؤمن أن يستجيب استجابة كاملة للوحي :
وإذا كان الأمر كذلك فلا يتأتى أن يقول إنسان يزعم أنه مسلم ، اجتهدوا حينما يقال له إن رأيك مخالف للدين ودولة الإيمان لا تخرج عن الوحي في أحوال المسلمين الشخصية المتصلة بالدين ، كالزواج والطلاق ، ونظام الأسرة على وجه العموم ، وإلا أصبحت الأسرة تقوم على أساس محرم ، وأصبحت العلاقات الأسرية تسير على نسق لاديني وهذه هي المعارضة الثامة ، بل هذا مناقض لوجوب تحقيق دولة الإيمان .

وإذا كان الاجتهاد مفتوحاً على النسق الذي قلنا ، فإن للاجتهاد شروطاً يجب أن تتوافر منها ثلاث : معرفة اللغة العربية معرفة دقيقة . لقد كان الإمام الشافعي مثلاً يعتبر أديباً من كبار الأدباء لقد كان يحفظ شعر المهذلين على كثرته ، وأسلوبه نفسه ينبى عن فحولة في الأدب يتندر وجودها . وهكذا كان بقية الأعلام ، وذلك أنهم اتصلوا عن قرب بالقرآن الكريم حفظاً وفهماً ، واتصلوا بآلاف الأحاديث في أسلوبها العالي ، أسلوب النبوة ، أسلوب جوامع الكلم .

إن معرفة اللغة العربية معرفة عميقة شرط مهم من شروط الاجتهاد .
والشرط الثاني : هو حفظ القرآن وفهمه حفظاً وفهماً في الدرجات العليا للحفظ والفهم ،
يمكن معهما من استحضار النصوص القرآنية المتصلة بموضوع البحث ، ومعرفة أسباب النزول ،
وذلك أن آيات القرآن الكريم قد نزل الكثير منها في مناسبات ، ويزيد فهم الإنسان لها حينما يعرف
أسباب النزول ، وقد ألف أسلافنا كتباً كثيرة في أسباب النزول ، وهي متداولة معروفة وحفظ
الأحاديث النبوية الشريفة المتصلة بالأحكام عبادات ومعاملات ، أو يتمكن من الأحاديث
المتصلة بموضوع الاجتهاد .

أما الشرط الأخير للمجتهد ، وهو شرط لا يتوافر للكثيرين ، فهو الذكاء وذلك لأن المجتهد
يربط بين المواضيع مستنبطاً ومستتجاً فإذا لم يكن عنده الذكاء الكافي لذلك فإنه لا يتأق أن
يستتج ويستنبط في إحكام ودقة .

فإذا توافرت هذه الشروط ، فإن لصاحبها أن يجتهد ، وسيكون موفقاً بإذن الله إذا أخلص
النية وإذا أراد بعمله وجه الله

في الغصب والسرقة واللقطة

الغصب هو أخذ شيء له قيمة بغير إذن المالك ورغماً عنه ، وحكمه : على الغاصب رد العين
المغصوبة ما دامت قائمة . لقوله عليه السلام : « على العبد ما أخذ حتى يرد » .

وقال عليه الصلاة والسلام : « لا يجل لأحد أن يأخذ متاع أخيه لاعباً أو جاداً فإن أخذه
فليرده عليه وإن نقص في يده رد ما نقص أورد ثمنه .

أما السرقة فقد قال الله تعالى :

(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم)

وهذا الحكم صريح لا لبس فيه . فمن سرق تقطع يده ، وإذا كان هذا محل اتفاق فإن
الفقهاء اختلفوا في المقدار الذي تقطع فيه اليد .

فذهب الجمهور تقطع يده إذا سرق نصيباً ، إلا أنهم اختلفوا في قدره ، فعند الإمام مالك
النصاب ثلاثة دراهم لحق سرقها أو ما يبلغ ثمنها فما فوقه وجب القطع .

واحتج في ذلك بما رواه عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قطع في مِجَنٍّ ثمنه ثلاثة
دراهم .

وقال مالك رحمه الله : وقطع عثمان رضى الله عنه فى أترجة قومى بثلاثة دراهم .
وقال مالك : وهو أحب ما سمعت فى ذلك . وذهب الشافعى رحمه الله إلى أن الاعتبار فى قطع
يد السارق ربع دينار أو ما يساويه ، والحجة فى ذلك ما أخرجه الشيخان من طريق الزهري عن
عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : تقطع يد السارق فى ربع دينار فصاعداً .
أما اللقطة : فإن نافعاً رضى الله عنه يروى أن رجلاً وجد لقطة فجاء إلى ابن عمر فقال : إني
وجدت لقطة لما تأمرني فيها . فقال ابن عمر عرفها أى أعلن عنها قال قد فعلت قال : زد .
قال : قد فعلت قال : آمرك أن تأكلها لو شئت لم تأخذها وهذه الإجابة من ابن عمر رضى
الله عنه مظهر من مظاهر ورعه وتقواه يقول الإمام محمد بن أبي الحسن :
« من التقط لقطة تساوى عشرة دراهم فصاعداً عرفها حوًلاً ، فإن عرفت وإلا تصدق بها ،
فإن كان محتاجاً أكلها ، فإن جاء صاحبها خبره بين الأجر « أى الثواب من الله » وبين أن يغمها
له « أى يرد قيمتها عند قدرته على ذلك .

فى الزنى

لا يثبت الزنى إلا باعتراف الزانى أو رؤية أربعة شهود عدول ، أو ياتيان المرأة للولد مكتملاً فى
أقل من ستة أشهر .
ويجب فى حالة ثبوت الزنى أن يُرْجَم الزانى إن كان محصناً ، ويُجَلَد إن لم يكن محصناً ،
وليشهد عذابها طائفة من المؤمنين يقول الله تعالى : (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة
جلدة ولا تأخذكم بها رافة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابها طائفة
من المؤمنين) أما الرجم فقد ثبت بالسنة كما فى قصة ماعز والغامدية الذى يقوم بالحد هو الإمام
أو نائبه لا الزوج ، حتى لا يكون المجتمع فوضى إذا اقتصر كل إنسان ممن أساء إليه ، أما فى الحالة
التي ذكرها السائل - فى حالة رؤية الزوج وحده - لا يثبت الزنى من الوجهة القضائية الشرعية ،
ما دام الزانى لم يعترف ، وبذلك لا يصح قتله ، فإن قتله الزوج فقد اعتدى وظلم وخالف الشرع .
وفى هذه الحالة يقدر القاضى العقوبة التي يراها والتي توجبها الظروف والملابسات ، ويجوز أن
تكون هذه العقوبة قتل القاتل إذا رأى القاضى أنه كاذب ، أو الأشغال الشاقة المؤبدة أو السجن
فترة من الزمن تطول أو تقصر بحسب ما يرى القاضى من صدق القاتل أو الريبة فى أمره والحكم
الذى صدر لا يعارضه الدين ما دام قد تبين للقاضى الظروف المخففة .

في حد الزنى

يعمل دين الإسلام على صيانة الأعراض ، وعلى حاية الأسرة مترابطة قوية ، وهو في نفس الوقت يدرأ الحدود بالشبهات كما قال ﷺ ادرءوا الحدود بالشبهات وخاصة فيما يهدم الكرامة إلى الأبد كالزنى وهو لهذا شدد في إثبات جريمة الزنى لخطورة حكمها وسمعتها ويبين أن الزنى لا يثبت إلا بأربعة شهداء رأوا حقيقة الزنى وحد الزنى للمتزوج وللمتزوجة الرجم حتى الموت ولغيرهما الجلد مائة جلدة لا فرق في ذلك بين مسلم وغير مسلم ، وهذا إذا كان برضا الزانى والزانية ، وإذا أكره أحدهما إكراهاً حقيقياً سقط عنه الحد . قال تعالى (الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) وقال : (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون)

على أن الرجم للمحصن - رجلاً كان أو امرأة - والجلد لغير المحصن - رجلاً كان أو امرأة - .
إنما هو شريعة الأديان كلها .

ومن المعروف أن النصارى يتبعون في شريعتهم التوراة ، والتوراة تقول بالرجم ، وكتب السيرة تروى القصة التالية .

زنى يهوديان من خير ، وكانا محصنين ، وكره اليهود رجمها لشرفها فيهم . فبعثوا رهطاً منهم يسألون النبي ﷺ فأمرهم برجمها . فأنكر اليهود حكم الرجم في التوراة ، فبين ابن صوريا - وكان أعلمهم باعترافهم كذبهم ، وأثبت أن حكم الرجم موجود في التوراة ثم أسلم ، يقول سبحانه : (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك ، وما أولئك بالمؤمنين) .

في شروط قبول التوبة رد الحقوق لأصحابها

لما الحكم إذا كان صاحب الحق قد مات ؟

إن الله سبحانه وتعالى أمر بالتوبة وحث عليها الرسول ﷺ وأجمعت الأمة على وجوبها على كل مسلم ومسلمة فقال سبحانه وتعالى : (وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) وعن الأغر بن يسار رضى الله عنه فيما رواه الإمام مسلم قال : قال رسول الله ﷺ : يأبى الناس توبوا إلى الله واستغفروه ، فإني أتوب في اليوم مائة مرة ، وقد استعمل القرآن واستعملت السنة

الشريفة مختلف الأساليب المؤثرة ، وذلك لقيادة النفوس إلى الله بالتوبة مفتاح كل خير وباللينة الأولى في طريق الله .

ولا ريب أن التوبة المتحدث عنها إنما هي التوبة الخالصة النصوح ، التوبة تنبعث من قلب تفجرت فيه يتابع الهداية ، فأنجبه إلى الله في إخلاص مستغفراً مُنيباً .
والتوبة من هذا النوع تستتبع حتماً ردّ الحقوق بقدر الاستطاعة ، إنها تقى أن يبرأ التائب من الحقوق التي عليه .

فإن كانت مالا أو نحوه رده إلى صاحبه ، وإن كانت حد خلاف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوهِ ، وإن كانت غيبة استحلّه منها ، أما إذا استحال رد الحقوق أو كان أشبه بالمستحيل بالنسبة للتائب فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها ، فإذا بذل التائب جهده في رد الحق ثم لم يتمكن من رده فقد أبرأ ذمته أمام الله سبحانه وتعالى ، وفي هذه الحالة نرجو الله سبحانه أن يتقبل توبته ، وأن يتجاوز عما استحال تحقيقه .

في عقد القران بعد زنى العروسين

إن العقد في هذه الحالة صحيح ما دام قد استوفى الشروط من المهر والوكالة والشهود ، أما الحياة التي قبل العقد والزواج فإنها حياة سفاح وإثم ومعصية ، وكلا الشخصين آثم وإثمها - لاشك - وعقابها هو إثم الزاني والزانية .
أما الولد الذي أنجباه ، فهو ولد سفاح والقوانين الوضعية تبيح الاعتراف به ، وتعطيه الحقوق التي يُعطّاها الولد الشرعي .

ولكن الدين لمحافظة دائماً على الطهر والعفاف والحياة الفاضلة لا يقر هذا الاعتراف ، لأنه يكون إقراراً لشرعية المرة التي نتجت عن الزنى ، وهذا مالا يتأتى أن يقره الدين .

في سيدة وضعت يوم الخميس والزوج توفي يوم الجمعة مباشرة فكيف تكون عدّة هذه السيدة ؟

عدة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام . وهذه السيدة التي ذكرت في السؤال توفي عنها زوجها بعد الولادة فينطبق عليها هذا الحكم .

وربما التبس على السائل أن الحامل عدنها وضع الحمل . ولكن هذه لم تكن حاملاً عند الوفاة ، فقد توفى عنها زوجها بعد أن وضعت لا قبل أن تضع :
 قال تعالى : (والذين يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا .
 فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) .
 ولو توفى عنها زوجها قبل أن تلد ثم ولدت بعد وفاته بيومين أو أكثر أو أقل فعدها تنتهى بالوضع ، يقول تعالى : (وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ) .

في نشوز الزوجة

هذا الامتناع إما أن يكون لعذر من مرض ونحوه أولاً ، فإن كان لعذر فعلى الزوج أن يعالجها ما استطاع فإن كان عيباً مانعاً من الجماع أو الاتصال بها مما نصّر الفقهاء على أن يفسخ به النكاح فسخ ، ولها جميع حقوقها الزوجية .

وإن كان العيب مما يرى برؤه عاجلها من مالها أو من ماله وأما إن كان الامتناع نشوزاً أو إباءً منها فقد أرشد القرآن الكريم والسنة الشريفة إلى العلاج ، قال تعالى : (وَاللَّائِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ، وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا ، فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يَرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا) .

قال العلماء : ليس للمرأة التي تمتنع عن زوجها إذا طلبها نفقة ولاحق حتى ترجع عن هذا النشوز ، فإن أطاعت ورجعت إلى الحق وإلا انفصلت عنه بلا حقوق ، ونذكر في هذا المجال قوله ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه ولم تأت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » (متفق عليه) .

وقوله : لو كنت امرأةً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها .

رواه الترمذی وقال : حسن صحيح .

في حكم زيارة القبور

زيارة القبور مطلوبة شرعاً لما رواه الإمام مسلم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن النبي ﷺ قال : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإنها تذكركم الآخرة »

وكان ذلك في بدء الإسلام حيث كان النبي ﷺ قد نهى عنها أولاً ثم أمر بها . وبعد أن اطمأنت القلوب بالإيمان أصبحت الزيارة مطلوبة إلى الآن لأخذ العبرة والعظة منها والاستعداد والتذكر للدار الآخرة .

في حكم من أفقى بغير علم

الإسلام يكره الادعاء والتدخل فيما لا يحسنه الإنسان وليس من شأنه . لأن ذلك فيه إضلال للناس وتضليل لهم .

والإسلام يدعو إلى إسناد الأمور إلى أهلها . قال تعالى : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) .

فمن سئل عن شيء لا يحسنه يجب عليه ألا يتجرأ على الكلام فيه خوفاً من الخطأ والزلل الذي يترتب عليه ضياع الحقوق وفساد الأحكام .

وقد ورد في الأثر أجروكم على الفتيا أجروكم على النار . وجاء أيضاً ، من أفقى بغير علم فقد ضل وأضل .

ويجب على من يريد أن يستفتى عن شيء من الدين أن يتوجه بسؤاله دائماً إلى من يتقن ذلك ، كما ورد في الآية السابقة ، ويبتعد عن الأدعياء الذين لا يحسنون القول في هذه الأمور إن كان يريد الوصول إلى الصواب .

والناس دائماً يستفتون أهل العلم الصادقين ، وليس للفتيا طريق غير هذا .

في الفروق والمميزات بين الرجل والمرأة

هناك فروق ومميزات بين الرجل والمرأة من حيث التكوين الجسمي والنفسي . ومن حيث الخصائص الطبيعية المميزة لكل منهما .

ولقد راعى الإسلام كل هذه الخصائص والمميزات التي يختلف فيها الرجل عن المرأة والذكر عن الأنثى ، وجعل لكل دوره ومجاله مصداقاً لقول الرسول ﷺ « كل ميسر لما خُلق له » .

فجعل التزين ولبس الحرير والتحل بالذهب مما تختص به الأنثى في ملابسها وزينتها لكي تتفق مع رسالة الأنوثة ، التي خلقت من أجلها .

أما الجهاد والنضال والعمل والسعى ومجاهدة الأعداء ومغالبة الشدائد فقد جُعِلَتْ كلُّ هذه الخصائص والخصال للرجال .

وحق لا يتشبه الرجل بالمرأة ولا ينحرف عن مميزاته واختصاصاته حرم الله عليه لبس الحرير واستعمال الذهب عن علي رضي الله تعالى عنه قال : « رأيت رسول الله ﷺ أخذ حريراً فجعله في يمينه ، وذهباً فجعله في شماله ثم قال : « إن هذين حرام على ذكور أمتي » رواه أبو داود بإسناد حسن .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي ، وأحل للنساء » .

وعن علي رضي الله عنه قال : « نهاني رسول الله ﷺ عن التخنم بالذهب » . يحرم الشرع إذن على الرجال لبس الذهب ، وكذلك الفضة .

أما من حيث استعمال الذهب والفضة فإن الإسلام يحرم استعمالها على الرجال والنساء على السواء ، فيحرم اتخاذ الآنية من الذهب والفضة ، فلا يحل لرجل مسلم ولا لامرأة مسلمة أن تأكل في آنية من الذهب أو الفضة . عن أم سلمة زوج النبي ﷺ : قالت : إن رسول الله ﷺ قال « الذي يشرب في آنية الفضة إنما يجر في بطنه نار جهنم » . وما من شك في أن استعمال الذهب والفضة في الأكل والشرب ترف وإسراف يتنافيان مع الوضع الاقتصادي السليم الذي تفره الأديان وتدعو إليه .

في الميراث

إن الله سبحانه وتعالى حينما شرع نظام الميراث فإنما شرعه لحكمة علمها سبحانه ، ولقد أراد من الذين آمنوا بالله ورسوله أن يتبعوا نظامه في الميراث كما يتبعون نظامه في غيره ، والمؤمن الصادق الإيمان هو الذي يستجيب لله ورسوله في الصغير من أمور الدين والكبير منها ، فإذا ما أراد تغيير ذلك بنحو من الأنحاء فإنه يدل بعمله على أنه غير مطمئن القلب للتشريع الإلهي . يقول تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) .

ومن المعروف أن الهبة قبل الوفاة صحيحة شكلاً ، فإن كان الهدف منها حرمان بعض الورثة فإنها حرام من ناحية جوهر الموضع ، فإذا لم يكن هناك ورثة فالهبة لا بأس بها ، أما إذا وجد ورثة فعلى الإنسان أن يتبع الوضع الإسلامي السليم ، وهو ترك الأمر لنظام الميراث الإسلامي .

في الشمن المؤجل

لقد أباح جمهور الفقهاء أن يكون الشمن المؤجل أغلى من الشمن المدفوع فوراً ، وذلك لأن الشمن المدفوع فوراً يمكن الانتفاع به في معاملات تجارية أخرى ، أما الشمن المؤجل فإنه لا يتأتى فيه ذلك .

وهذا النوع من المعاملات ليس داخلًا في نطاق الربا .

ومع ذلك يجب أن يراعى أن تكون المعاملات التي من هذا النوع معاملات سليمة تجارياً وأخلاقياً ، فلا يجوز أن تستغل حاجة المشتري ، فيرفع البائع الشمن كما يريد مُضَاعَفًا المكسب أضعافاً مضاعفة ، فإن ذلك فضلاً عن كونه إثمًا من وجهة النظر الأخلاقية ، لا يجوز شرعاً . وأن التاجر الذي يراعى حق الله ويراعى واجبات الخلق الكريم ينعم بالبشرى التي أعلنها الرسول ﷺ في قوله : التاجر الصدوق يحشر مع النبيين والصدّيقين والشهداء .

في نجاة صاحب الكبيرة

يرى بعض العلماء عدم نجاة صاحب الكبيرة كالزاني ، سبق له الزواج أو لم يسبق ، وكذلك الزانية إذا ماتا بغير توبة ، للأحاديث الواردة في كفر صاحب الكبيرة بحسب الظاهرة ومن ذلك قوله ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .

وجمهور المسلمين على جواز الغفران لهما في الآخرة لقوله تعالى (إن الله لا يغفر أن يُشركَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) .

وقد قرن الله تعالى الزنى بالشرك وقتل النفس ، وبين أن عباد الله حقاً لا يزنون ، وأن الزاني خارج عن نطاق العبودية فقال تعالى في وصف عباد الرحمن : (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلقَ أثاماً ، يُضَاعَفُ له العذاب يوم القيامة ويخلدُ فيه مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ) .

وأمرُ الغفران في غير الشرك موكولٌ إلى الله سبحانه وتعالى : (إن شاء غفر وإن شاء عذب) . ولكن الذي ينبغي أن يُعرف هو أن الاعتماد على الغفران مع ارتكاب المعاصي لا يجوز لقوله تعالى : (فلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) .

والندم على المعصية والخوف من العذاب عليها والعزم على عدم العودة إليها شرط لقبول التوبة منها .

فعلى الزاني والزانية الإقلاع عن غيِّها والمبادرة بالتوبة والتضرع إلى الله تعالى ، واستيفاء شروط التوبة الصحيحة .

فإن حالت ظروف بينهم وبين التوبة مع عزمها عليها وقصدتها إليها كان احتمال للمغفرة أكبر . وإن تهاونا بالتوبة وفرطوا في المبادرة إليها كان احتمال العقاب أشد ، وفي النهاية لا يسعنا إلا أن نذكر قوله تعالى : (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) .

في تولي المرأة القضاء

لا يميز مذهب من مذاهب المسلمين تولي المرأة القضاء ، ويخطئ كثير من الناس الحقيقة أو لا يفهمون الأمر على وجهه الصحيح حينما يقولون : إن مذهب الإمام أبي حنيفة رضى الله عنه يميز تولي المرأة القضاء ذلك أن أبا حنيفة مثله كمثل الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد ابن حنبل لا يميز تولي المرأة القضاء .

وتوضيحاً للأمر نقول : إن مذهب الإمام أبي حنيفة يرى : أن المرأة لا تصلح للقضاء وليست أهلاً له ، ولا يجوز أن يوليها الوالي منصباً من مناصبه ، ولكن لو فرضنا أن الوالي أقدم على المحرم ولم يُبال بالمنوع شرعاً فولأها القضاء آنماً بذلك ومخالفاً للشرع فهل في هذه الحالة ينفذ حكمها وقضاؤها أو لا ينفذ ؟

ويرى الإمام أبو حنيفة أن حكمها : ينفذ فيما عدا الجنابات ، أما المذاهب الأخرى فإنها ترى أن حكمها لا ينفذ لا في الجنابات ولا في غيرها .

ليس الخلاف إذن بين المذاهب في جواز تولية المرأة القضاء ، فذلك ممنوع بالإجماع ، ومن يولها القضاء آثم بالإجماع ومخالف للشرع بالإجماع والخلاف ينحصر في أنه إذا وقعت جريمة توليتها القضاء هل ينفذ حكمها أو لا ينفذ . . هذا هو رأى الشرع وكل متبصر مستنير مخلص في تولي المرأة القضاء .

وفى حكم من يخون الأمانة

يقول الله تعالى فى آية صريحة وفى أمر واضح : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) ولقد بين رسول الله ﷺ وضع خائن الأمانة أنه منافق ، يقول صلوات الله وسلامه عليه : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » . أما الذين يؤدون أماناتهم فإن الله سبحانه وتعالى يذكرهم فيمن أفلح من المؤمنين فيقول : (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) . ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه الإمام أحمد : « أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك » .

والأمانة التى أحب الله سبحانه وتعالى أن تؤدى هى :
أولاً : أمانة الإنسان بالنسبة إلى نفسه هو شخصياً ، فلا يتدنس يائماً ولا يتلوث بمعصية ولا يعمل عملاً يشينه فى المجتمع ولا يسعى مسمى لا يليق بالكرامة الإنسانية .
وثانياً : هى أمانة الرجل بالنسبة لأسرته ، فإن عليه رعايتها والعناية بها من تهذيب وتربية وتعليم ، عليه بالسعى لكفاية رزقها .
والأمانة ثالثاً : هى أمانة حقوق العباد التى اؤتمن عليها كالودائع وصيانة السر ، وذلك أن السر أمانة وإفشاءه خيانة للأمانة .

والأمانة بالنسبة للمجتمع هى ألا يخون الوطن بأى نوع من أنواع الخيانة .
والأمانة من قبل ذلك ومن بعده هى مراعاة ما أمر الله سبحانه وتعالى به ، وذلك بأدائه على وجهه ، وفى الوقت الذى أحب الله سبحانه وتعالى أن يؤدى .
وخيانة الأمانة إنما هى خيانة لله ورسوله ، يقول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) فخائن الأمانة منافق أغضب الله ورسوله إنه آثم فهو فى النار .

في تركة الموقوف

إذا مات إنسان وله تركة فإن أول شيء يؤخذ من التركة إنما هو تكاليف دفن الميت ، ثم يؤخذ منها الذين ثم ينظر بعد ذلك في نصيب كل وارث من التركة فإذا لم يسدد الورثة الذين من التركة فالتبعة عليهم .

ومع ذلك فإن الميت يناله نصيب من المسؤولية إذا كان قد ماطل في سداد الدين ، وإذا عاجله القدر قبل سدادته فالتبعة كلها على الورثة ، وقد بين رسول الله ﷺ في صراحة لا لبس فيها ، عظم جريمة الماطلة في سداد الدين ، والتباين في أمر حقوق الناس حتى لقد ورد في صحيح مسلم عن ابن قتادة - رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قام فيهم فذكر أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال فقام رجل فقال : يا رسول الله أرأيت إن قُتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال : رسول الله ﷺ نعم إن قُتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر . ثم قال رسول الله ﷺ : كيف قلت ؟ قال : أرأيت إن قُتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي ؟ فقال له رسول الله ﷺ : نعم وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الذين فإن جبريل عليه السلام قال لي ذلك - رواه مسلم .

والحديث الذي أشار إليه السؤال حديث وارد ، ولما وضحت خطورة إثم الماطلة في الدين وضوحاً سافراً لا لبس فيه كان رسول الله ﷺ يهتم بمن مات وعليه دين يحاول أن يسد عنه دينه بوصيلة من الوسائل الكريمة .

في العلم بالعبادة

إن العبادة لا بد في صحتها من العلم الصحيح بورودها ولا بد من العلم الصحيح بكيفيتها عن طريق الشرع الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ فلا يعبد الله إلا بما شرع ، على الكيفية التي شرعها ، لأنه وحده العالم بما يليق به ، فهو وحده الذي يرسم طريق الوصول إليه فمن جهل ذلك لا تصح عبادته ، فالعابد الجاهل بالعبادة لا عبادة له ، بل إنه في الوضع الصحيح . ليس بعابد فلا بد إذن من تصحيح العبادة بالعلم بها وبكيفيتها ، وأما العالم الذي لا يعمل بعلمه فإنه من الذين أضلهم الله على علم ، وعلمه حجة عليه ، والذي يعلم ولا يعمل أسوأ حالا من الذي لا يعلم ولا يعمل .

وأما من ناحية المقارنة بينها فقد قيل لأحد الأثرياء - وكان عنده خادمان أي خادميك شر؟ فقال : هذا ثم هذا . وإن العابد الجاهل بالعبادة والعالم الذي لا يعمل بعلمه ، كلاهما شر . والصورة التي يريد بها الإسلام ، إنما هي صورة العالم العامل .
(فلولاً نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) .

في الخلاف بين الأئمة

من المشاهد أن ثمة اختلافاً بين العلماء المجتهدين في كثير من مسائل الأحكام مما لم يرد فيه نص صريح أو واضح الدلالة على المراد ، أو ما ورد فيه بصور مختلفة تبيح جواز العمل على عدة وجوه .

وكل من الأئمة مصيب في اجتهاده ، حيث بذل وسعه وكان مستكلاً لوسائل الاجتهاد ، ولكن المتأخرين تعصبوا لمذاهبهم ، وظنوا أن مذهب إمامهم هو السنة ، وما يخالفه لا أساس له . . . ومنهم من يدفعه إلى ذلك قصر العلم عن إدراك أدلة الأئمة ومكانتهم من العلم والدين ، والسائل هنا يظن أن تكرار الله أكبر في الأذان أربع مرات هو السنة لا غيره وأن أفراد كلمة قد قامت الصلاة في إقامة الصلاة هو السنة لا غير . وكذا ترك قراءة البسملة في الفرض هو السنة دون سواه .

ولكن هذه الأمور التي ظنها مخالفة للأحاديث النبوية ، قد وجدت في كتب الحديث المعتمدة بأسانيد موثوق بها .

ووجودها لا يعنى التضارب بين المذاهب أو التعارض بين نصوص الدين ، إذ هذه الأمور ليست من الأمور التي تتناقض فيها الآراء أو تصادم فيها الأفكار ، والرسول ﷺ لم يحدد لها صيغة معينة لا يجوز غيرها . بل أجاز فيها هذه الوجوه التي وردت في المذاهب ، ورأى بعض الصحابة وجهاً فحمله عنه غيره ، ووصل الأمر إلى هذا الإمام فعمل به ، ورأى بعض الصحابة وجهاً آخر فحمله عنه من بعده حتى وصل إلى إمام آخر فعمل به ، ويجوز لكل مكلف العمل بأي وجه أراد .

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على يسر الدين ورفع الحرج منه ، وعلى عناية المسلمين بكل ما صدر عن النبي ﷺ من أفعال ، وعملهم بالوجوه المتنوعة لكل عمل من الأعمال في عهد

الرسول ﷺ وعلى المسلم ألا يتعصب لمذهب من المذاهب دون سواه إلا بعد تعرف وجوه الأدلة والنظر في كتب الحديث المعتمدة ومعرفة أساس الحكم من النصوص قبل الحكم بمخالفة النصوص .

في إذا دخل اللص المنزل بقصد السرقة وقتله صاحب المنزل لما حكم القتل شرعاً في هذه الحالة ؟

روى البخارى بسنده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنها قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من قُتل دون ماله فهو شهيد .

وقال ابن بطال عن هذا الحديث : إن للإنسان أن يدفع عن نفسه وماله ولا شيء عليه ، فإنه إذا قُتل في ذلك كان شهيداً فلا قود (قصاص) عليه ولا دية إذا كان هو القاتل . وهذا كله كان من قصد أخذ ماله ظلماً له ، ولم يكن سلطاناً أو حاكماً ، روى أبو داود والترمذى أن رسول الله ﷺ قال : « من أريد ماله بغير حق فقاتل فقتل فهو شهيد » وفي رواية لابن ماجه « من أريد ماله ظلماً فقتل فهو شهيد »

إن كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه ، وظلم المسلم حرام .
والدفع عن النفس والمال والعرض واجب قال ابن المنذر والذى عليه أهل العلم : أن للرجل أن يدفع عن ماله إذا أريد ظلماً بغير تفصيل ، إلا أن كان من يحفظ عنه من علماء الحديث كالمجمعين على استثناء السلطان للآثار الواردة بالأمر بالصبر على جوره وترك القيام عليه .
وقد وقع حديث أبي هريرة عند مسلم أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالى ؟ قال فلا تعطه قال : أرأيت إن قاتلتى ؟ قال : فاقته ، قال أرأيت إن قاتلتى ؟ قال : فأنت شهيد . قال : أرأيت إن قتلته قال فهو في النار .

أى وأنت لا شيء عليك لأنه ظالم مفتر ، والله لا يحب الظالمين وهذا هو فصل المقام في الجواب عن هذا السؤال .

في النية

يقول الله تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) ولكن مما يجب التنبيه له أن النية محلها القلب ، وأنه لا ضرورة مطلقاً للنطق بها باللسان ، إنما القصد القلبي للشيء . فإذا قصد الإنسان بقلبه ، ولم ينطق بلسانه كان ذلك كافياً . يقول الإمام ابن القيم عن النية :

النية هي القصد والعزم على الشيء ومحلها القلب لا تعلق لها باللسان أصلاً ، ولذلك لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة في النية لفظ بحال ، وهذه العبارات التي أحدثت عند افتتاح الطهارة ، والصلاة قد جعلها الشيطان معتركاً لأهل الوسواس بحبسهم عندها ويعذبهم فيها . ويوقعهم في طلب تصحيحها فترى أحدهم يكررها ، ويجهد نفسه في التلفظ ، وليست من الصلاة في شيء .

في الرهن

رأى الدين الإسلامي في الرهن أن منفعة العين المرهونة للمالكها الأصل أي الراهن ، لا المرتهن .

وعلى هذا فعمرو الذي يملك عمارة ثم رهنها لزيد ، فإن عمراً المالك الأصلي هو الذي يأخذ بإيجار هذه العمارة كله ، وليس لزيد حق الانتفاع بالعمارة : لا يأخذ بإيجارها ولا يستغلها بأي وجه من الوجوه ، ولا يسكنها .

وليس لأحد أن يقول : ما فائدة الرهن إذن ؟

وذلك أن فائدته إنما هي ضمان وصول الحق إلى صاحبه ، فالرهن ضمان السداد إذا رغب عن قرض الضمان ، هذا فضلاً عن الثواب والأجر العظيم من الله سبحانه وتعالى في فك الكربات فضلاً عن تقوية العلاقات بين المجتمع حيث تكون الألفة والمحبة والمروءة التي يحرص الشرع الكريم على غرسها في النفوس وتعويد الثقة بين الأفراد والجماعات ، وإيجاز المشاريع التي تقام بتلك المبالغ التي يأخذها صاحب العين المرهونة كالمؤسسات والمصانع . . .

فإذا استولى صاحب المال على العين المرهونة بقصد الانتفاع بها في أخذ الإيجار ونحوه كان

ما يأخذه رباً وتنطبق عليه هذه القاعدة ، (وكل قرض جر نفعاً فهو ربا) . وقد حرم الله تعالى الربا حيث قال سبحانه وتعالى : (وأحلّ الله البيع وحرم الربا) .

مع أن الاستيلاء على العين والانتفاع بها مخالف للمروءة ومعتل للمشاريع ومورث للأحقاد التي تملأ القلوب بين الراهن والمرتهن حتى في ذريتهما لأنه كثيراً ما يجبر التضييق على الراهن إلى بيع العين المرهونة فيراها أولاد الراهن وأقاربه ويتحسرون على ضياعها ، ويلعنون من تسبب في هذا الضياع ، وهذا كله فضلاً عن الوزر الذي يرتكبه المرتهن بأخذه الفائدة وأكله الربا . إذن . . يحرم أخذ إيجار العين المرهونة عمارة كانت أو غيرها .

في ثبوت النسب

من المقرر شرعاً أن الولد يثبت نسبه ما دام الفراش بين الزوجين قائماً ، لقوله ﷺ : الولد للفراش وللعاهر الحجر ، كما يثبت النسبة بالبينة الشرعية بالإقرار . وقرر الفقهاء أن أقل مدة الحمل ستة أشهر ، وأكثرها ستان لقوله تعالى : (وحمله وفصاله ثلاثون شهراً) وقوله في آية الرضاع : (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) إلخ قالوا : فإذا كان للفصال أي الفطام ستان فإنه يبقى الحمل ستة أشهر وهي أقل مدة الحمل ، وفرعوا على ذلك ما يأتي : جاء في باب ثبوت النسب من كتاب الهداية وفتح القدير من كتب الحنفية ما نصه . إذا تزوج الرجل امرأة فجاءت بولد أقل من ستة أشهر منذ يوم تزوجها لم يثبت نسبه ، لأن العلق سابق على النكاح ، فلا يكون منه وإن جاء به بعد تسعة أشهر فصاعداً ثبت نسبه منه اعترف به الزوج أو سكت لأن الفراش قائم والمدة تامة .

وفي نفس المصدر ما نصه : « وإن كان لها زوج وزعمت (أي ادعت) أنه ابنها منه وصدقها الزوج فهو ابنها وإن لم تشهد امرأة ، لأنه التزم نسبه فأغنى ذلك عن الحجة » وفي حادثة السؤال : فإن الزوجية كانت قائمة بين الزوجين في المدة التي كانت تنسب الأولاد فيها إلى أبيهم والفراش قام بينها تلك المدة والزوج صدق زوجته فيما كانت تدعيه أو على الأقل سكت ولم ينف نسب أحد من هؤلاء الأولاد إليه ، فيكون مقراً بالنسب .

فنسب الأولاد في هذه الحالة ثابت بالفراش ، وثابت بالإقرار فضلاً عن ثبوته بشهادة الميلاد ، وهي ورقة رسمية وحجة في ثبوت نسب الولد إلى أبيه ما لم يظن عليها بالتزوير - وما دام الأمر كذلك فإن نسب الأولاد - موضوع السؤال - إلى أبيهم صحيح شرعاً ولهم الحق في ميراث أبيهم .

أما مسألة أن ميراثهم ظلم للأولاد الآخرين فليس بظلم ، فذلك مترتب على واقع الأمر وحقيقته ، فإن كان هؤلاء أولاداً للرجل حقيقة فلا ظلم في ميراثهم ، بل هو حق فرضه الله لهم ، وإن لم يكونوا في واقع الأمر وحقيقته أولاداً له كان ميراثهم - عند الله تعالى - أكلاً لأموال الناس بالباطل ، ووزر ذلك واقع على من زعمت نسبتهم إلى هذا الرجل والله سبحانه وحده هو العليم بأسرار الناس وحقائق أمورهم ، وهو سبحانه سيجازيهم عليها .

ورسول الله ﷺ : بحث الناس على تحرى الحق فيما يدعون ، ومراقبة ربهم ودينهم فيما يقدمون من حجج وبراهين ، فيقول ﷺ : « إنكم لتختصمون إليّ ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض ، وإنما أنا بشر أفضى بما أسمع فن قضيته له من مال أخيه شيئاً بغير حقه فإنما أقطع له قطعة من النار » ويقول ﷺ : أنا أفضى بالظاهر والله يتولى السرائر .

في الوصية

الأصل في إجازة الوصية بثلث المال قوله ﷺ : « إن الله تصدق عليكم بثلث أموالكم عند وفاتكم زيادة في حسناتكم ليجعلها لكم زيادة في أعمالكم » .
والحكمة التي يهدف إليها الشارع الحكيم من ذلك هي تدارك ما فات المالك من تقصير في حياته لمن كان يجب عليه رعايته ، ومساعدة بعض ذوى الحاجة - أجنبياً كان أو قريباً - تقريباً إلى سبحانه وتعالى .

ولهذا المعنى أجاز القانون رقم ٧١ لسنة ١٩٤٦ في المادة ٢٢٧ الوصية بثلث المال للوارث وغيره ، وتنفذ من غير حاجة إلى إذن الورثة ، كما أجاز الوصية بأكثر من الثلث ولا تنفذ فيما زاد على الثلث إلا إذا أجازها الورثة بعد وفاة الموصى .

وبناء على ما ذكر فإنه يجوز للسائل أن يوصي بثلث تركته لبنينه ، وتنفذ من غير حاجة إلى إجازة باقي الورثة ، غير أن الوصية التي أباحها الإسلام تقريباً من الموصى إلى الله سبحانه بسد حاجة ذى القربى يجب أن يراعى فيها ألا تكون سبباً في أحقاد أو ضغائن بين الأولاد وأبيهم وبين بعض الإخوة وبعضهم الآخر بسبب تفضيل بعض الورثة أو هضم لحقوق البعض الآخر ، فإن أدت الوصية إلى إثارة الكراهية والبغضاء بين الإخوة وأبنائهم من بعدهم فالأفضل تركها وإبقاء التركة لتوزيعها على الوجه الذي فرضه الله وقدره لكل وارث حسب حكمته السامية في محكم كتابه حفاظاً على صلة الرحم ومنعاً لقطعها .

في فوائد التقسيط

المبالغ التي ستدفع زيادة على ثمن الأرض في صورة فوائد بعد أن تم الاتفاق على دفع الربيع ثم تقسيط المباني بدون فوائد هذه الزيادة ربا ، والربا حرام بصريح القرآن الكريم ، كما أن الفوائد التي تدفع على القروض ربا وأنها حرام كذلك ، وقد قرر المؤتمر الثاني لمجمع البحوث الإسلامية أن فوائد القروض ربا ، والربا حرام كله بنص القرآن الكريم وليس لأحد - فردًا أو هيئة - أن تقرض المال بالربا .

ولا يجوز لأحد أن يقترض بالفائدة إلا للضرورة إذ الضرورات تبيح المحظورات . غير أن الضرورة تقدر بقدرها وكل إنسان موكول لدينه وضميره في تقدير ضرورته وهو المسئول عن ذلك أمام ربه .

في فوائد البنوك

الفوائد على السلف والقروض ربا كما قلنا في الإجابة على السؤال السابق ، سواء كانت هذه الفوائد يأخذها البنك من العملاء على السلف أو يأخذها العملاء على أموالهم المودعة في البنوك . أما المرتبات التي يتقاضاها الموظفون بالبنوك فهي حلال لأنها أجر على الأعمال التي يقومون بها . فالمال الذي يأخذه الموظف نظير عمله بالبنك مال حلال فإن كان للموظف سهم في فوائد السلف والقروض كان هذا المال المأخوذ من هذه الفوائد المحرمة ، أو يتصدق به على الفقراء لأنه مال حرام ، والمال الحرام سبيله الصدقة .

في أسرار العبادات في الإسلام

إن الفقه الإسلامي هو مواد السلوك للمسلم ، إنه يتناول حياته في الصغير منها والكبير . وينظم سلوكه الأخلاقي بأوسع ما تتضمنه كلمة : أخلاق منذ أن يصبح إلى أن يمسي ، ومنذ ميلاده إلى أن تنتهي به الحياة ثم ينظم شئون ميراثه إن كان له ميراث - بعد حياته . إنه ينظم سلوكه مع نفسه ويشرح له من ذلك ما خفي وما ظهر .

وينظم سلوكه مع الله فيبين له ما ينبغي أن يتحل به حتى يصير ربانياً وينظم سلوكه مع إخوانه في المجتمع سلباً وإيجاباً ، قولاً وفعلًا .

إنه القانون الذي يبين أنواع السلوك من حيث كونه جائزاً أو واجباً أو مستحباً ومن حيث كونه حراماً أو مكروهاً وذلك في ميادين الحياة .

لقد تتبع الأحاديث النبوية تتبعاً دقيقاً ونسقها ، فأصبح بذلك صورة واضحة لحياة المسلم وتغلغل بذلك في جميع الميادين ، حتى تلك ما كان الإنسان يظن أنه ينتبه إليها ، أو يتجه نحوها .
خذ مثلاً مسألة الروائح الزكية أو العطرة ، نجده يذكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من عرض عليه طيب فلا يردده فإنه خفيف المحمل طيب الرائحة » .
وعن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال في المسك « هو أطيب طيبكم » .

ويذكر في الفرق بين التزين والكبر :

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ، قال : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ، وغمص الناس » .
ومن هذا الوادي - وادي التزين والروائح الطيبة - عن جابر أن النبي ﷺ قال : « من أكل الثوم والبصل والكراث ، فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم » - متفق عليه .

ويتحدث الفقه عن الذهب والحرير والأقشة المحلاة بالتصايب فيذكر : عن أبي موسى ، أن النبي ﷺ قال « أحل الذهب والحرير للإناث من أمتي ، وحرم على ذكورها » (رواه أحمد) والنسائي والترمذي وعن حذيفة قال : « نهانا النبي ﷺ أن نشرب في آنية من الذهب والفضة ، وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباغ وأن نجلس عليه » - رواه البخاري .

وعن أنس : « أن النبي ﷺ ، رخص لعبد الرحمن بن عوف ، والزبير في لبس الحرير ، لحكمة كانت بهما » .

وعن عائشة أن النبي : ﷺ ، لم يكن يترك في بيته شيئاً فيه تصايب إلا نقضه رواه البخاري .

وأبو داود وأحمد ولفظه : « لم يكن يدع في بيته ثوباً فيه تصليب إلا نقضه » .
ويتحدث الفقه عن نواحي التحفظ الصحي فيذكر : عن جابر عن النبي ﷺ : « أنه نهى

أن يبال في الماء الراكد » رواه أحمد ومسلم والنسائي وابن ماجه .

وعن جابر بن عبد الله في حديث له أن النبي ﷺ قال : « أوك سقاءك واذكر اسم الله وخمر إناءك واذكر اسم الله ، ولو أن تعرض عليه عوداً » متفق عليه ، ولمسلم ، أن رسول الله ﷺ قال : غطوا الإناء وأوكوا السقاء فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس فيه غطاء أوسقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الباء .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « اتقوا اللاعنين ، قالوا : وما اللاعنان يا رسول الله . قال : الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم » أي الذي يقضي حاجته في الطريق الذي يسير فيه الناس أو تحت الأشجار التي يستظلون بها » . رواه أحمد ومسلم وأبو داود .
أما عن التبرج والتخث فإنه يشرح :

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، على رهوسهن أمثال أسنمة البخت المائلة لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها ، ورجال معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس » رواه مسلم وأحمد .
وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ : « لعن الرجل يلبس لبس المرأة والمرأة تلبس لبس الرجل » رواه أحمد وأبو داود .

والحديث عن التبرج والتخث يجر إلى الحديث عن كشف العورة : عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده قال : قلت يا رسول الله ، عوراتنا ما نأقي منها وما نذر ، قال : احفظ عورتك إلا من زوجتك ، أو ما ملكت يمينك ، قلت : فإذا كان القوم بعضهم في بعض قال : إن استطعت ألا يراها أحد فلا يرينها ، قلت إذا كان أحداً خالياً ، قال : فالله تبارك وتعالى أحق أن يستحيا منه .

وعن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تبرز فخذك ولا تنظر إلى فخذ حتى ولا ميت » رواه أبو داود وابن ماجه .

وعن محمد بن جحش قال : مر رسول الله ﷺ على معمر وفخذه مكشوفتان فقال « يا معمر : غط فخذيك فإن الفخذين عورة » رواه أحمد والبخاري في تاريخه .

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : « الفخذ عورة » رواه الترمذي وأحمد ولفظه : « مر رسول الله ﷺ ، على رجل وفخذه خارجة ، فقال غط فخذيك فإن فخذ الرجل من عورته » .
وعن يعلى بن أمية : أن رسول الله ﷺ ، رأى رجلاً يقتسل في فضاء مكشوف ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إن الله عز وجل حيي مستير يحب الحياء والستر ، فإذا اغتسل

أحدكم فليستره - رواه أبو داود والنسائي .

ويأخذ الجانب الأخلاقي شأنًا كبيراً في الفقه نذكر منه على سبيل المثال :
عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ مرّ بقبرين فقال إنها يعذبان وما يعذبان في كبير : أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله ، وأما الآخر فكان يمشي بالئيمة « رواه أصحاب الصحاح ، وفي رواية للبخاري والنسائي ، وما يعذبان في كبير » ثم قال : « بلى كان أحدهما . . . » وذكر الحديث .

وبصل الأمر إلى تنظيم كيفية الأكل والشرب ، وما يقوله الإنسان عند خروجه من البيت وعند دخوله وعند ركوبه وعند نزوله وفي الملابس مثلاً :

عن أبي هريرة قال : « كان رسول الله ﷺ ، إذا لبس قميصاً بدأ بميامنه .
وعن أبي سعد ، قال كان رسول الله ﷺ ، إذا استجد ثوباً سماه باسمه ، عمامة أو قميصاً أو رداء ، ثم يقول : « اللهم لك الحمد ، أنت كسوتني أسألك خيره وخير ما صنع له : وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له » رواهما الترمذي .

وما كان الفقه في يوم من الأيام خاصاً بجانب من الحياة الاجتماعية دون جانب .
لقد كان يتضمن الأخلاق ويتضمن التشريع كان يشمل على العبادات والمعاملات : بيعاً وشرّاً وجهاداً وقتالاً وسلاماً ، نكاحاً وميراثاً ، لقد كان الفقه يشرع للإنسان في جميع أقطاره وزواياه .

وكانت الطريقة المثل للتأليف في الفقه هي الطريقة التي اتبعها السلف الصالح رضي الله عنهم . لقد اعتقدوا اعتقاداً موفّقاً ، هو أن مهمتهم إنما هي : جمع الأحاديث في كل مجال وتنسيقها وتبويبها وتقسيمها إلى فصول وإلى فقرات تنتظم جميعها تحت وحدة متحدة هي الحياة الإسلامية .

والحياة الإسلامية لا تنقسم إلى ميادين لتفصل وتعدد ، إنها وحدة متماسكة ومن هنا كانت هذه الكتب الأولى في « الحياة الإسلامية » تبدأ بالحديث عن الوحي وعن الإيمان وعن العلم . وإذا تصفحت كتاباً مثل الموطأ للإمام مالك ، رضي الله عنه - وهو كتاب فقه - برغم كل ما يمكن أن يقال ، بل هو في نظرنا كتاب الفقه المثالي : فإنك تجد فيه فصلاً عن حسن الخلق وفصلاً يطول عن صفة الرسول ﷺ ، للتأسي به ، ومتابعته في أخلاقه وسلوكه ، وفصلاً عن الرؤيا . وتجد فصلاً عن العلم ، وفصلاً عن أسمائه ﷺ .

كان الفقه الإسلامى صورة كاملة لحياة المسلم على صورتها الصحيحة ، وفى ترابطها الذى لا انفصام له ولا انفكاك .

لقد كان شروحاً للإسلام وتفصيلاً للإيمان ، والإسلام هو تصوير للحياة التى أحبها الله لمن كانوا خير أمة أخرجت للناس ، والإيمان الإسلامى تعبير عن الحياة الإسلامية الخالصة المخلصة . والإيمان فى وحدته التامة شعبٌ كثيرة .

عن أبى هريرة ، رضى الله عنه ، يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، والحياة شعبة من الإيمان » .

وحينما بين سادتنا العلماء المحققون ، الدين أخلصوا الله ورسوله ، تلك الشعب عن طريق الأحاديث الشريفة التى وضحت الإيمان ، وعن طريق الآيات القرآنية الكريمة ، التى تحدثت عن الإيمان قسموا تلك الشعب إلى ما يختص منها بالقلب وما يختص باللسان وما يختص بالبدن أى أن الإيمان يغمر الكيان الإنسانى كله اعتقاداً وقولاً ، وفعلاً .

ومن الأحاديث الشريفة تنبئ أن الحب فى الله . والبغض فى الله من الإيمان وأنه لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . وأن الذى يؤذى جاره ليس بمؤمن من شعب وجاره جائع . وأن الجهاد من الإيمان ، يقول صلوات الله عليه وسلامه : « انتدب الله لمن خرج فى سبيله ، لا يخرج به إلا إيمان به . وتصديق برسلى ، أن أرجعه بما نال من أجر وغنيمة ، أو أدخله الجنة ، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولو ددت أن أقتل فى سبيل الله ثم أحيا . ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل » .

ومنها تنبئ أيضاً أن : قيام ليلة القدر من الإيمان ، والإنصاف من النفس من الإيمان ، وبدل السلام للعالم من الإيمان . والإنفاق - من الاقتدار - من الإيمان ، وتطوع قيام رمضان من الإيمان ، والصلاة من الإيمان ، بل لقد عبر الله تعالى ، عنها بالإيمان فى قوله تعالى :

(وما كان الله ليضيع إيمانكم) ويتغلغل الإيمان فى الحياة الاجتماعية حتى يصل إلى السهل من أمرها والميسور فتكون إمطة الأذى عن الطريق من الإيمان ، ويكون إفشاء السلام - تعارفاً وتودداً : من الإيمان .

وإذا ما تغلغل الإيمان فى النفس وجد المؤمن حلاوة الإيمان وهو لا ينعم بحلاوة الإيمان إلا أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار .

لقد كان الفقه بياناً للحياة الإسلامية حسبما رسمها الرسول ﷺ وكان يلبي حاجات المجتمعات

فما يتعلق بالأحكام الإسلامية كلما أحدثت المجتمعات جديداً من الأمر أو ابتدعت شيئاً من الشئون .

لقد كان الصحابة يلجئون إلى الآيات الكريمة يستلهمونها الصواب ، وإلى الأحاديث النبوية يستمدون منها الرشد .

ما كان الفقه في يوم من الأيام وما كانت هذه المواد التي تنظم الحياة آراء بشرية إنها ليست نتيجة منطق بشرى أو تفكير إنسانى يصدر عن الذات الإنسانية ، فيختلف فيه الناس من فرد إلى فرد ومن بيئة إلى بيئة ومن زمن إلى آخر كما يختلفون بحسب ذلك ، في كل ما هو نتاج بشرى . كلا : إن الفقه الإسلامى إنما هو ميراث النبوة إنه شرح للوحى ، أو بتعبير أدق إنه ترجمة للوحى واستنتاج من قواعده العامة واتباع سلوك الرسول ﷺ باعتباره المسلم الأول ، (أنا أول المسلمين) .

أو باعتباره المطبق الدقيق لما أوحاه تعالى على قلبه رسالة إلى الإنسانية هدايتها إلى الصراط المستقيم .

إن الفقه الإسلامى : اتباع وليس ابتداءً وأنه محاولة جاهدة لكشف الآثار النبوية والزامها وليس اختراعاً يؤلفه بشر .

ولقد كان أئمتنا ، رضى الله عنهم ينبهون بأقوالهم ونزعاتهم وسلوكهم إلى هذا الأمر البدهى عند ذوى الشعور الدينى .

لقد كان شعار أئمتنا جميعاً رضى الله عنهم « إذا صح الحديث فهو مذهبى » .
إنما أنا متبع لا مبتدع ، كل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلا صاحب هذه الروضة الشريفة وصاحب هذه الروضة الشريفة هو وحده الإمام وكان الإمام لأنه الكائن الوحيد الذى اجتبا الله رسولا خائفاً للرسول ونبياً خائفاً للأنبياء .

وكل ما أتى به قرآنًا كان ، أو حديثاً قلمياً أو حديثاً نبوياً شريعياً إنما هو مقدس ، لأنه ما ينطق عن الهوى ، ولأنه يدعو إلى الله على بصيرة ، ولأن من أطلعه فقد أطاع الله ، ومن اتبعه فقد أحبه الله .

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبكم الله) كان سلفنا الصالح يتزعون هذه التزعة . نزعة الخضوع المطلق لما جاء به رسول الله ﷺ لقد كانوا ، يسجدون للنص ، يسجدون له بجوارحهم وقلوبهم وأرواحهم ، وعقولهم ، لقد كانوا يخضعون عقولهم للنص ويعملونه القائد الحكيم المهيمن .

وكانوا يعرفون أن إدخال شخصيتهم في النص ، إنما هو انحراف يعظم أو يقل بحسب مدى التدخل البشرى في النص ، وكانوا يعرفون أن الوحي جاء هادياً للعقل ، قائداً له في الأمور التي لا يتأتى للعقل أن يبلغ ميادينها أو يقتحم حياها ، أو يدلى فيها برأى يتفق عليه الناس .
وهذه الميادين هي الدين وما دام الدين ليس رأياً بشرياً لأنه تتريل من حكيم حميد فإن كل موقف من الشخصية البشرية تجاه النص الإلهي إنما هو موقف لتبديل الدين من أن يكون إلهياً إلى أن يكون بشرياً .

ولو كان يستقيم الأمر على ذلك - أى على التبديل لما كان هناك من حاجة إلى الدين . يروى أبو داود والدارقطني عن سيدنا على رضى الله عنه قال : لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه ، لقد رأيت رسول الله ﷺ ، يمسح على ظاهر خفيه .
إن الدين ليس رأياً وليس بالرأى ، وانظر إلى الحديث التالى : إنه معبر أقوى ما يكون التعبير ، ودقيق في مغزاه دقة بالغة .

عن البراء بن عازب ، رضى الله عنه قال : قال النبي ﷺ « إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم إني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى نزلت ، ونبيك الذى أرسلت فإن مت في ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به » .

يقول البراء بن عازب : فرددتها على النبي ﷺ « أى أخذت في إعادتها عليه ﷺ فلما بلغت : آمنت بكتابك الذى أنزلت قلت : ورسولك ، قال : لا ونبيك الذى أرسلت » رواه الستة .

وزاد البخارى والترمذى : « فإنك إن مت من ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبحت خيراً » .

إن الصحابى الجليل البراء بن عازب رضى الله عنه أبدل كلمة بكلمة نسياناً منه لقد قال : رسولك « بدل أن يقول « نبيك » وكلمة رسول « تتضمن معنى النبوة فهي إذن فيها المعنى وزيادة وبحسب منطقتنا ، وبحسب عقلنا تكون صالحة . . ولكنها في منطق الحق لم تكن صالحة .
إننا لا نرى بعقلنا ومنطقتنا إلا الشكل والظاهر أما بواطن الأمور وأسرار الكلمات وحكمة الأوضاع المحددة واكتناه خفايا التقديرات الإلهية - كل ذلك إذا لم يكشف الله عنه أو عن بعضه - فإننا لا نصل إليه بمنطق البشر .

إنا كل شيء خلقناه بقدر ، بمقدار محدد وتقدير معين . واكتناه سر هذا القدر أو هذا التقدير ، اكتناهاً تاماً لا يصل إليه الإنسان ، بل لا تصل إليه الملائكة .
(وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما عُلِّمنا إنك أنت العليم الحكيم) .
إن العلم الصحيح الصادق في عالم الهداية الإلهية والتربية الربانية إنما هو من الله سبحانه وكل ابتعاد عنه ، أو خروج عليه ، أو تغيير فيه إنما هو ضلال .
وما من شك في أن الإنسان منذ أن وجد على ظهر الأرض يحاول أن يزرع نزعاً بشرية بجته ، ويتصرف في الوحي الإلهي نقصاً وزيادة وبتراً وإضافة وتغييراً وتبدلاً يحاول أن يقيم كل ذلك على قواعد يزعمها صحيحة .

فيقول مثلاً : إن الحكمة في تحريم شرب الخمر إنما هي المفسد التي تنشأ من الشخص الشارب فإذا ما انتفت تلك المفسد ، فلا مانع من شرب الخمر ويقول إن التكاليف الدينية إنما جاءت لإصلاح الضمير ، فإذا كان الضمير صالحاً فلا لزوم للتكاليف الدينية ويقول إن أعمال العبادة إنما هدفها التقرب إلى الله فإذا حصل القرب فلا حاجة إليها ، وهكذا يخرج الإنسان بأهوائه - ولا نقول بعقله - لأن كل ذلك أهواء يصورها الشيطان كأنها منطق معقول - عن الدين - كما خرج إبليس قديماً بأهوائه التي تمثلت لذهنه منطقاً عن الدين .

والإمام الغزالي رضى الله عنه : يمثل لنا ذلك بمثال معبر ، فيذكر قصة رجل بنى له أبوه قصرأ على رأس جبل ، ووضع فيه شجراً من حشيش طيب الرائحة ، وأكد الوصية على ولده مرة بعد أخرى ألا يجلى هذا القصر من هذا الحشيش طول عمره ، وقال : « إياك أن تسكن هذا القصر ساعة من ليل أو نهار إلا وهذا الحشيش فيه ، فزرع الولد حول القصر أنواعاً من الرياحين ، وطلب من البر والبحر أو تاداً من العود والعنبر والمسك ، وجمع في قصره جميع ذلك من شجرات كثيرة من الرياحين الطيبة الرائحة فانغمرت رائحة الحشيش لما فاحت هذه الروائح .
« فقال لا شك أن والدى ما أوصانى بحفظ هذا الحشيش إلا لطيب رائحته ، والآن قد استغنيا بهذه الرياحين عن رائحته ، فلا فائدة فيه الآن إلا أن يضيق على المكان ، فرماه من القصر .

« فلما خلا القصر من الحشيش ظهر من بعض ثقب القصر حية هائلة وضربته ضربة أشرف بها على الهلاك ، فتنبه حيث لم يتفقه التنبه أن الحشيش كان من خاصيته دفع هذه الحية المهلكة ، وكان لأبيه بالوصية بالحشيش غرضان :

أحدهما : انتفاع الولد برائحته وذلك قد أدركه الولد بعقله .

والثاني : اندفاع الحيات المهلكات برائحته ، وذلك مما قصرت عن إدراكه بصيرة الولد ، فاغتر الولد بما عنده من العلم ، وظن أنه لا سر وراء معلومه ، ومعقوله كما قال تعالى : (ذلك مبلغهم من العلم) ، وقال : (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم) . والمغرور من اغتر بعقله ، فظن أن ما هو متتف عن عمله فهو متتف في نفسه ،

وما من شك كما يروى كتاب : إحصاء العلوم - في أن آراء الملل وكل ما فيها من الأوضاع ليس سبيلها أن يمتحن بالآراء والروية والعقول الإنسية ، لأنها أرفع رتبة منها ؛ إذ كانت مأخوذة من وحى إلهي لأن فيها أسراراً إلهية تضعف عن إدراكها العقول الإنسية ولا تبلغها ، وأيضاً : فإن الإنسان سبيله ، أن تفيده الملل بالوحى مما لا يدركه بعقله ، وما يجور عقله عنه ، وإلا فلا معنى للوحى ولا فائدة إذا كان إنما يفيد الإنسان ما يعلمه وما يمكن - إذا تأمله - أن يدركه بعقله . ولو كان كذلك لوكل الناس إلى عقولهم ، ولما كانت بهم حاجة إلى نبوة ولا إلى وحى لكن لم يفعل بهم ذلك فلذلك ينبغي أن يكون ما تفيده الملل من العلوم ما ليس في طاقة عقولنا أن يكون ما تفيده عقولنا إدراكه ثم ليس هذا فقط ، بل ما تستنكره عقولنا أيضاً . . . وذلك أن التي يأتي بها الملك - مما تستنكره العقول وتستبشعها الأوهام - ليست هي بالحقيقة منكورة ولا محالة بل هي صحيحة في العقول الإلهية .

فإن الإنسان وإن بلغ نهاية الكمال في الإنسانية : فإن مترلته - عند ذوى العقول الإلهية ، مترلة الصبي والحدث والغمر عند الإنسان الكامل .

وكما أن كثيراً من الصبيان والأغار . يستنكرون بعقولهم أشياء كثيرة مما ليست في الحقيقة منكورة ولا غير ممكنة ، ويقع هؤلاء أنها غير ممكنة ، فكذلك مترلة من هو في نهاية كمال العقل الإنسي عند العقول الإلهية .

وكما أن الإنسان من قبل أن يتأدب ويتحلى يستنكر أشياء كثيرة ويستبشعها ويخيل إليه فيها ، أنها محالة ، فإذا تأدب بالعلوم واحتك بالتجارب ، زالت عنه تلك الظنون فيها وانقلبت الأشياء التي كانت عنده محالة ، فصارت هي الواجبة ، وصار ما كان يتعجب منه قديماً في حد ما يتعجب من ضده .

كذلك الإنسان الكامل الإنسانية ، لا يمتنع من أن يستنكر أشياء ، ويخيل إليه أنها غير ممكنة ، من غير أن تكون في المحافظة كذلك .

ويشرح الشيخ الجليل أبو سليمان المنطق ، كل ذلك في دقة دقيقة ، وفي أسلوب جميل ،

فيقول : إن الشريعة مأخوذة عن الله عز وجل ، بواسطة السفير بينه وبين الخلق عن طريق الوحي ، وباب المناجاة وشهادة الآيات وظهور المعجزات ، وفي أثنائها ، مالمسبيل إلى البحث عنه ، والغوص فيه ، ولابد من التسليم المدعو إليه والمنبه عليه ، وهناك يسقط « لم » ويبطل « كيف » ويزول « هلا ؟ » وتذهب « لو » ولبت في الريح ، ولو كان العقل يكتفي به ، لم يكن للوحي فائدة ولاغناء على أن منازل الناس ، متفاوتة في العقل ، وأنصباهم مختلفة فيه ، فلو كنا نستغنى عن الوحي بالعقل ، كيف كنا نصنع ، وليس العقل بأسره لواحد منا ؟ فإنما هو لجميع الناس .

ولو استقل إنسان واحد بعقله في جميع حالاته ، في دينه ودنياه ، لاستقل أيضًا بقوته في جميع حاجاته في دينه ودنياه ، ولكان وحده يفي جميع الصناعات والمعارف ، وكان لا يحتاج إلى أحد من نوعه وجنسه ، وهذا قول مردول ورأى مخبول (١) .

يقول هذا الشيخ الجليل : إن منازل الناس متفاوتة في العقل ، وأنصباهم مختلفة فيه ، ومعنى ذلك أن هذا الذي يروق لشخص عقليًا ، ربما لا يروق لغيره عقليًا ، ويجب من أجل ذلك ألا يتدخل العقل في الدين وإلا لاختلف الناس فيه اختلاف عقولهم ، وادعى كل : أن ماعليه إنما هو الحق وما عليه غيره هو الباطل ونتج عن ذلك اتباع كل أهواه (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) فتفرق الأمة ونخرج على ما أحبه الله وأمر به . (واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا) . وإذا تساءلت الآن : ما هو إذن موقف العقل من الدين ، وموقف الدين من العقل فإننا نجمل الموضوع في النقط الآتية .

أنزل الدين هاديًا للعقل في جميع الأمور التي لو ترك العقل وشأنه فيها ضل السبيل ، وعجز عن الوصول إلى الحقيقة وهذه الأمور هي :

(١) العقائد في فيها وراء الطبيعة .

(ب) المبادئ الأخلاقية إجمالاً وتفصيلاً .

(ج) التشريع في قواعده العامة وفي بعض تفصيلاته وقواعده العامة تتضمن الجزئيات على

مر الزمن وعلى اختلاف البيئات .

أما الطبيعة والكون . من سمائه ، وأرضه ، ومن جباله ، وبحاره ، ومن كواكبه ، وأقماره وشمسه . . .

أما المادة والطاقة ، أما أعماق البحار وآفاق السماء ، فإن كل ذلك قد تركه للإنسان يدرسه في مصنعه ومعمله بآلاته وأدواته ، وحته على أن يحول في ذلك ما استطاع إليه سبيلاً - حتى يكشف

سنن الله الكونية ونواميسه الطبيعية ، ويرى صنع الله الذى أتقن كل شيء ، ولم يحجر الدين على الإنسان في هذا المجال ، اللهم إلا الواجب الذى ينبغى أن يكون شعاره دائماً . وهو أن يكون هدفه من كل ذلك الخير .

ونزل الدين ليقود الإنسان نحو الكمال الروحى ، والإنسان إنسان بالجانب الروحى منه ، وكلما سما الإنسان روحياً كان أسمى في معنى الإنسانية .

والمعنى الروحى ووسيلة المعنى الروحى ، لاسبيل إلى تحديدهما من الإنسان نفسه وإنما تحديدهما مرده إلى الله سبحانه ، والقرب من الله ، أو بتعبير أدق ، تقرب الله للإنسان ، إنما مرجعه - هدفاً ووسيلة - هو الله نفسه ، وكل من حاول أن يتخذ طريقاً آخر فإنما يجرى وراء سراب ، والغاية والوسيلة حددهما في كتابه الكريم . إنه حددهما بالأسلوب الإلهى نفسه ، أى أن التعبير عنها - التعبير نفسه إنما كان من الله ، سبحانه ، ومن فضل الله على المسلمين ، وعلى اللغة العربية ، أن كانت وسيلة فهم الإسلام ، كما أنها التعبير الإلهى ، التعبير الإلهى بما فيه من دقة كاملة وجمال معجز ، وكمال غير منقوص ومادام الأمر كذلك فليس للعقل إلا التسليم والخشوع والخضوع ، أو بتعبير أدق السجود . وهو ليس سجوداً نفسياً أو تحكيمياً ، وإنما هو سجود مصدره الإيمان اليقيني بأن هذا من عند الله ، ومادام من عند الله ، فإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لأنه تريل من حكيم حميد ، ولأنه أحكت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير . من ذلك نتبين أن الدين هاد للعقل ، وأن العقل يجب أن يخضع ويسجد للوحى الإلهى . بيد أن ذلك يسلمنا إلى سؤال آخر أو مشكلة أخرى هى أن القرآن يطالب دائماً بالتفكير والتدبر . (فاعتبروا يا أولى الأبصار) .

(إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) . وينبى على المشركين التقليد ، ويتحكم بهم في اتباعهم آباءهم فيتساءل (أولئكَ كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون) وكثيراً ما نجد الآيات نختتم بـ (أفلا تعقلون) (أفلا تفكرون) (أفلا تبصرون) .

وكل ذلك يدل على أن القرآن يدفع الناس إلى استعمال العقل والواقع الذى لا شك فيه هو أن القرآن الكريم لا يستشير الملائكة ولا بنى الإنسان في أية قضية من القضايا التى جاء بها الوحي ، ولا يحتكم إلى الإنسان باعتباره حكماً في أى مبدأ من مبادئه ، ولا يطلب منه مشورة في أية قاعدة من القواعد التى شرعها الله ، بل هذه الأوهام تدور بخلد المتدين فقط . ذلك أن الوحي نزل على أنه رسالة السماء النهائية إلى العالم ، ونزل يبلغ أن هذه الرسالة صدق كلها ، ليس فيها جملة زائفة ولا كلمة لست في غير موضعها . ولا حرف كان يحسن ألا يوجد ، كلا ، إنها الحق الخالص .

ومن اتبعها فقد اهتدى ، ومن حاد عنها انحرف ، ومن ابتغى الهدى في غيرها أضله الله ومن تركها من جبار قصمه الله ، لأنها صراط الله المستقيم ونوره اللأواء وكل مذكروه تعالى من التفكير والنظر والتدبر ، إنما أراد به الاعتبار ، وأراد أن يقول : تفكروا لتروا أن ذلك هو الحق ، انظروا لتعلموا أن ذلك هو الخير ، أما إذا رأيتم غير ذلك فإنما العيب في بصركم ، أوفى بصيرتكم ، أوفى بها معاً ، إذا رأيتم غير ذلك فاعلموا أن فطرتكم فسدت ، وأن قلوبكم ران عليها الإثم فضلت ، وأن عقولكم قد صدأت فأصبحت لا ترى الحق حقاً ولا الخير خيراً ، وأصبحت من الضلال بحيث ترى الخير شراً والشر خيراً ، وأصبح أصحابها كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ، كل ذلك لانحرافكم عن الصراط المستقيم صراط الله . إن الله ، في عظمته وجلاله ، سبحانه ، لا يلقى برسائه ليبحثها الإنسان ويبدى فيها رأيه ، نفيًا وإثباتًا ، سلبًا وإيجابًا ، كلا ، بل كل من توهم ذلك فإنه لا يقدر الله حق قدره ، وتعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا ، وإنما ألغاه سبحانه لتتبع ، ولتتبع في خضوع وسجود ، ولتتبع دون حرج يحبك في الصدر ، أو شك يحول في النفس (فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكّموك فيما شَجَرَ بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليماً) . وكل من وجد في نفسه حرجًا من قضايا الدين ، وكل من لم يسلم تسليمًا كاملاً مطلقًا تامًا ، كل من كان كذلك فإنه يحسن به أن يرجع إلى إيمانه ليصححه ، وليتوب إلى الله توبة نصوحًا ، وباب الله مفتوح للتائبين آناء الليل وأطراف النهار ، وفي كل نفس ، وفي كل لحظة ، يقول أبو عمر ومحمد بن إبراهيم الزجاجي النيسابوري . كان الناس في الجاهلية يتبعون ما تستحسنه عقولهم وطبائعهم ، فجاء النبي ﷺ فردهم إلى الشريعة والاتباع بالعقل الصحيح هو الذي يستحسن محاسن الشريعة ويستقبح ما تستقبحه .

ومسألة أخرى هي مسألة تعليل الأحكام ، وأن الحكم يدور مع العلة وجودًا وعلماً وهي مسألة ترتبط بما قدمنا ارتباطاً وثيقاً ، ذلك أن التعليل ذو صلة وثيقة - عادة - بالمنهج في فهم الدين ، وهذه المسألة لا بد فيها من التفصيل .

أولاً : إذا كان الشارع سبحانه ، قد حدد العلة وحصرها ، فإن لنا أن نقول : إنها الحكمة من القاعدة التي شرعت ، ومادام الشارع هو الذي حددها فإن الحكم يدور معها وجودًا وعلماً .
ثانيًا : إذا كان الشارع قد ذكر علة دون أن يذكر حصرًا ، فإنه ليس لنا أن نقوم نحن بالتحديد والحصر ، وإنما موقف المسلم هو أن يؤمن بالحكمة التي ذكرها الشارع من إيمانه بأنه يجوز أن تكون هناك حكمة أخرى .

ثالثاً : إذا لم يذكر الشارع حكمة للحكم ، فإن لنا أن نلتبس - إذا شئنا - حكمة ، ولكن

يجب علينا ألا نزعّم أنها الحكمة الحقيقية التي أرادها الشارع ، ويجب علينا ألا نزعّم أنها الحكمة الوحيدة .

وكل ذلك أن العقل البشرى لا يحيط بالأسرار الإلهية ، وأن حكمة الشارع في أحكامه أسمى من أن يحيط بها البشر إحاطة تامة .

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْفُسْطَلِ

في صحة الفعل دون النية

يقول رسول الله ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

يدلنا هذا الحديث الشريف على أن صحة الأعمال الصالحة إنما هي بالنية الخالصة لله ورسوله .

والواقع أنه ليس الأمر أمر النية فحسب ، وإنما الأمر أيضاً خلوص النية في أعمال الخير كلها ، ومعنى خلوص النية أن يريد الإنسان بالعمل الصالح وجه الله وحده .

وعن الضحاك بن قيس قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى يقول أنا خير شريك ، فمن أشرك معي شريكاً فهو لشريكي » ثم يقول رسول الله ﷺ : « بأيتها الناس اخلصوا أعمالكم ، فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له ، ولا تقولوا : هذه لله وللرحم ، فإنها للرحم وليس لله منها شيء ، ولا تقولوا هذه لله ولوجوهكم فإنها لوجهكم وليس لله منها شيء » ويقول الله تعالى : (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) .

والفعل بغير نية لا يصح ولكن مما يجب التنبيه له أن النية محلها القلب ، وأنه لا ضرورة مطلقاً للنطق بها باللسان . إنها القصد القلبي للشيء فإذا قصد الإنسان بقلبه ولم ينطق بلسانه كان ذلك كافياً .

يقول الإمام ابن القيم عن النية : النية هي القصد والعزم على الشيء ومحلها القلب ، لا تعلق لها باللسان أصلاً ، ولذلك لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة في النية لفظ بحال ، وهذه العبارات التي أحدثت عند افتتاح الطهارة والصلاة جعلها الشيطان معتكاً لأهل الوسواس يحبسهم عندها ويعذبهم فيها ، ويوقعهم في طلب تصحيحها ، فترى أحدهم يكررها ويجهد نفسه في التلطف وليست من الصلاة في شيء .

في غسل رسول الله ﷺ

روى البخارى بسنده عن أنس بن مالك قال :

« كان النبي ﷺ يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار . وروى مسلم في صحيحه عن أنس أن النبي ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد .

وفي رواية لمسلم عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذ أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ » .

وهذه الأحاديث ظاهرة في أنه يجوز للجُنُب أن يجامع قبل الاغتسال ، وأنه يستحب له أن يتوضأ .

وقد ثبت هذا بقول النبي ﷺ وفعله .

وثبت في بعض روايات أبي داود أن النبي ﷺ طاف على نسائه ذات ليلة يغتسل عند هذه وعند هذه ، فقيل : يا رسول الله - ألا تجعله غسلاً واحداً ؟ . فقال : هذا أزكى وأطيب وأطهر .

وحمل العلماء ذلك على التنب .

وعلى ذلك فيكفى الغسل مرة واحدة من هذه المباشرة ، أما كيفية الاغتسال ، فيبينها ما رواه مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة يبدأ فيغسل يديه ، ثم يفرغ يمينه على شماله ، فيغسل فرجه ، ثم يتوضأ وضوء الصلاة . . ثم يأخذ الماء فيخلل أصابعه في أصول الشعر حتى إذا رأى أن قد استبرأ حفن على رأسه ثلاث حففات ثم أقاض على سائر جسده ثم غسل رجله .

قال العلماء : والمستحب أن يبدأ بناحية اليمين قبل الشمال ، وبأعلى بدنه قبل أسفله ، وأن يقول بعد الفراغ من الغسل وترك مكان الاستحمام ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنشهد أن محمداً رسول الله .

ولا بد من أن ينوى بالغسل التطهر من الجنابة .

في المبيت على طهارة

عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال :
« من بات طاهراً بات في شعاره ملك فلا يستيقظ من ليل إلا قال الملك : اللهم اغفر لعبدك
كما بات طاهراً » (١٥١)

والشعار : الثوب على الجسد . . ومعنى الحديث ، أن من بات على طهارة لأزمه في نومه
ملك يحرسه ويقوم على رعايته ، ويستغفر له كلما تنبه من نومه ، تحقيقاً لبركة الطهارة وتكريماً
للمتطهرين .

وقد ندب سبحانه وتعالى المؤمنين إلى الطهارة وحشم عليها وجعلها شرطاً للصلاة ولا نصح
إلا بها ولا تتم بدونها . يقول تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا
بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ . . وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا ، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ مِنْهُ مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِجَعَلٍ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ) .

وفي حديث جامع يرويه الإمام مسلم بسنده ، عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله
ﷺ : « الطهور شرط الإيمان » . أي تنظيف الأعضاء الحسية بالماء ، وتنظيف السلوك والأفعال
الخارجية للإنسان بما يتفق مع الدين نصف الإيمان .

أما النصف الآخر فهو : النوايا الطيبة والمشاعر الكريمة والطهارة الداخلية التي هي أساس
السلوك .

وعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من مسلم يبيت على طهر
ثم يتعارف من الليل فيذكر الله ويسأل الله خيراً من خير الدنيا والآخرة إلا آتاه الله إياه » (١٥٢) .
وهذه الطهارة : إما طهارة من الجنابة بالاغتسال ، أو طهارة من الحدث الأصغر -
ما يتقضى الوضوء - بالوضوء .

ولكن البرد قد يكون شديداً ، وقد يتكاسل الإنسان عن الطهارة فإذا يكون الجزاء ؟ لقد

(١٥١) رواه البيهقي والطبراني في الكبير .
(١٥٢) أحمد والطبراني في الكبير والأوسط وإسناده حسن مجمع الزوائد ج ١ ص ٢٢٣ .

وردت عدة أحاديث تحذر من البقاء على الجنابة بلا اغتسال أو التباطؤ في تحقيق الطهارة .
 فعن عمار بن ياسر رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إن الملائكة لا تحضر جنازة الكافر بغير - أى منكرو الجميل - ولا المتضمن - أى - المتلطف بزعفران ولا الجنب » .

وروى البزار بسند صحيح عن ابن عباس قال :
 « ثلاثة لا تقرهم الملائكة : الجنب ، والسكران ، والمتضمن بالخلون » أى ما فيه صفة من الطيب وهو مثل الزعفران » .

والسبب فى ذلك : أن الجنابة تمنع من الصلاة كما ذكرنا ، وتمنع من قراءة القرآن وتمنع من إقبال الملائكة حيث تجذبهم الطهارة والروائح الطيبة وتبعدهم النجاسات والأقذار .
 ولكن الدين يسر وما جعل الله على الناس فيه من حرج . . . وربما لا يتيسر الغسل بالليل لتعب أو برد أو نحو ذلك ، لما هو موقف الدين حينئذ ؟
 لقد خفف الله عنا . وأباح لنا النوم على وضوء بدلا من الغسل .

وعن شداد بن أوس الصحابي رضى الله عنه قال :
 إذا أجنب أحدكم من الليل ثم أراد أن ينام فليتوضأ فإنه نصف غسل الجنابة ولكن لا بد للإنسان من التطهر قبل شروق الشمس وذلك من أجل صلاة الصبح .
 ونخلص من ذلك إلى أن غسل الجنابة مطلوب . . ويتأكد طلبه عند حلول وقت الصلاة ويستحب عند النوم . جلباً للملائكة وطرداً لكل المؤذيات والمسلم . إذا صار جنباً لا يصير بذلك نجساً .

لقد قطع الرسول ﷺ هذا الوهم - فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه أن النبي ﷺ لقيه فى بعض طرق المدينة فأنخنس - أى تهرب منه فذهب فاغتسل ثم جاء فقال :
 أين كنت يا أبا هريرة ؟ قال :

كنت جنباً فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة .

فقال ﷺ : سبحان الله . إن المسلم لا ينجس .

إن الطهارة نور لمن أراد النور ، وكمال لمن ينشد الكمال ، وسبب لجلب البركات والخيرات لكل من داوم عليها .

وإذا ما حضر وقت الصلاة . . تأكد الأمر بها وحرم تأخيرها . . إذ إن هذا التأخير سوف يخرج بالصلاة عن وقتها . . وما أدى إلى الحرام فهو حرام .

وبعد ، فلو لم تكن الطهارة ديناً لكانت دنياً ، والتنظف بعد الجوع بالوضوء مما دعا إليه الطب ، وحذر من التكاسل عنه أو التهاون فيه .
وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن عمر استفتى النبي ﷺ : هل ينام أحدنا وهو جنب ؟ قال : نعم ، ليتوضأ ثم لينم حتى يغتسل إذا شاء

في وجوب غسل الجنابة

يجب الغسل من الجنابة لقول الله عز وجل :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ، وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا) .
وقد ورد النهي من رسول الله ﷺ : عن قراءة القرآن من كل من الجنب والحائض والغفساء .
وشأن المؤمن الصادق الإيمان لزوم الطهارة ، فقد صح من رسول الله ﷺ أنه قال :
« الطهور شطر الإيمان »
وقد ورد أنه ﷺ قال لبلال : رضي الله عنه : أخبرني بأرجى عمل عملته منذ دخلت الإسلام ؟
فقال بلال : لما ذا يا رسول الله ؟ قال : لأني سمعت دف نعليك بين يدي في الجنة ، قال : يا رسول الله . . ما أحدثت حدثاً إلا وتطهرت وصليت بذلك الطهور ما شاء الله أن أصلي . وكفى بهذا الشرف باعثاً على الطهارة من الأحداث والأنجاس كلها ، والحفاظة عليها ، ما أمكن

في فرائض الغسل المطلوبة

(١) فرائض الغسل ثلاثة أشياء :
الأول : النية ، لقول النبي ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .
والثاني : إزالة النجاسة إن كانت على شيء من بدنه .

الثالث : تعميم الماء إلى جميع أجزاء الجسم ، ومنبت الشعر

(ب) الوضوء قبل الغسل سنة ، ولقد كان رسول الله ﷺ ، إذا اغتسل من الجنابة توضأ وضوءه للصلاة .. رواه الشيخان .

(ج) ومبطلات الغسل : كل ما أوجب الغسل من خروج المني ، أو الاتصال الجنسي ، أو الحيض والنفاس .

في الميت على جنابة

واضح أن السائل يريد أن يعرف حكم العودة إلى الجماع في الليلة الواحدة ، هل يجوز قبل الاغتسال من الجنابة أو لا بد من الاغتسال بعد كل جماع ؟ وعلى السائل أن يعرف أن الجنابة توجب الاغتسال لقوله تعالى : (وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا) ، وقوله ﷺ إذا التقى المختانان وجب الغسل ، نزل أو لم ينزل - غير أنه لا يحتم عليه الاغتسال فور الجنابة فوقت الوجوب موسع ، أي أنه يغتسل وقتاً يشاء إلا إذا أراد الصلاة أو قراءة القرآن أو مس المصحف أو غير ذلك مما يحرم على الجنب فعله ، فحينئذ يلزمه أن يغتسل حتى لم يبق من الوقت إلا ما يسع للطهارة أو الصلاة ، فيجب عليه أن يتطهر ، أما إذا جامع زوجته وأراد الأكل أو النوم أو العودة إلى الاجتماع بها فلا يلزمه الاغتسال بل يستحب له الوضوء فقط .

فعن ابن عمر أن عمر قال : بارسول الله ، أينا من أحدنا وهو جنب قال : « نعم إذا توضأ » وعن عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ وضوء الصلاة » رواهما الجماعة .

ولأحمد ومسلم « إذا كان جنباً فأراد أن يأكل أو ينام توضأ » وعن عمار بن ياسر أن النبي ﷺ رخص للجنب إذا أراد أن يأكل أو يشرب أو ينام أن يتوضأ وضوء الصلاة . رواه أحمد والترمذي وصححه .

وفي استحباب الوضوء عند إرادة العودة إلى الجماع روى عن ابن سعيد عن النبي ﷺ قال : « إذا أتى أحدكم أهله ثم أراد أن يعود فليتوضأ » رواه الجماعة إلا البخاري ، ورواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وزادوا « فإنه أنشط للعود » .

وهذه الزيادة تصرف الأمر في الحدث (فليتوضأ) من الوجوب إلى الندب - وما ورد في ترك الوضوء ما روى عن عائشة قالت : كان النبي ﷺ يجامع ثم يعود ولا يتوضأ .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : « كان النبي ﷺ إذا أراد أن يأكل أو يشرب وهو جنب يغسل يديه ثم يأكل ويشرب » . رواه أحمد والنسائي .

وعنها أيضاً قالت : « كان النبي ﷺ إذا كان له حاجة إلى أهله أتاهم ، ثم يعود ولا يمس ماء » . رواه أحمد - ولأبي داود والترمذي عنها كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب ولا يمس ماء ، فهذه الروايات الواردة بترك الوضوء للجنب عند الأكل أو الشرب أو النوم أو العود للجماع تدل على أن الأمر بالوضوء في الروايات الأخرى للندب لا للجوب .

أما أن الغسل يكون بالصابون والليفة فالواجب أن يكون بالماء الطاهر المطهر ، ولم يقل أحد بوجوب استعمال الصابون والليفة ، غير أنه لا مانع منها لإزالة الأقدار عن الجسم ، بل إن ذلك مستحب بإزالة الأقدار فقط ، وليس لإزالة الحدث ، فالحدث يزول بالماء الطهور ، وفي حديث ميمونة : المين لصفة غسل النبي ﷺ في الإجابة عن السؤال السابق ثم أفرغ يمينه على شماله فغسل مذاكيره ثم ذلك يده بالأرض « ما يدل على استحباب ما يزيل الأقدار عن الجسم » .

في جواز الصلاة بعد الغسل مباشرة .

نعم يجوز للإنسان أن يصلي بعد الغسل مباشرة بدون وضوء جديد إذا كان الغسل مستوفياً للشروط الشرعية المطلوبة فيه .

ويجمع هذه الشروط كلها أن يزيل المرء النجاسة عن جسده بماء طاهر ثم يتوضأ ، ثم يغسل رأسه فذراعيه فجانبه الأيمن مع الرجل اليمنى فجانبه الأيسر مع الرجل اليسرى ، كل ذلك بماء طاهر ، ويراعى وصول الماء إلى سائر أجزاء الجسم وتحليل أصابع الرجل وتحليل الشعر . فإذا لم ينتقض وضوءه بعد هذا الغسل بأن لم يخرج منه شيء ولم يمس ذكره ونحو ذلك . كفاه هذا الغسل عن إحداث وضوء جديد للصلاة .

في الطهارة هل هي شرط من شروط صحة العقد

هذا الذي حدث لهذا الرجل لا يبطل عقد القران حتى لو كان هذا السائل لزجاً وكانت له رائحة ، فليست الطهارة شرطاً من شروط صحة العقد ، وليس عقد الزواج من الأمور المحرمة على المحدث حدثاً أصغر أو أكبر ، ماذا يفعل فإن الواضح من السؤال أن هذا الخارج (مذى) وليس (منياً) فإن كان كذلك فلا شيء عليه إلا أن يغسل عضوه وموضع إصابة المذى من جسمه

وملابسه ويتوضأ إن أراد أن يكون على طهارة ، أو أراد الصلاة أو فعل ما لا يحل للمحدث عمله كمس المصحف مثلاً .

فقد روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : « كنت رجلاً مذأفاً فاستحييت أن أسأل رسول الله ﷺ - فأمرت المقداد بن الأسود فسأله . . . » .
فقال : « فيه وضوء » أخرجه البخاري ومسلم ، ولمسلم : يفضل ذكره وأنثيه ويتوضأ .

في الفرق بين الاستحمام والاعتسال

لا فرق بين الاعتسالم والاعتسال فهما اسمان لمسمى واحد وهو غسل جميع البدن ، وهو واجب للطهارة من الحدث الأكبر (الجنابة) والحيض والنفاس ، والواجب فيه غسل البدن كله وما كان غائراً فيه إذا كان لا يضر غسله كالسرة والقلفة التي لا عسر في فسخها والمضمضة والاستنشاق ، وذلك بعد إزالة ما يكون بيدنه من نجاسة وغسل فرج ، كما يكون في الاعتسالم الاستنجاء ، ثم الوضوء وهو قبل الغسل سنة . فإن لم يتوضأ فعليه أن يتمضمض ويستنشق ، لأنهما فرض في الاعتسالم ثم يفيض الماء على بدنه ، والأفضل أن يبدأ بغسل رأسه ووجهه ثلاثاً مع تخليل شعر الرأس حتى يطمئن إلى أن الماء وصل إلى منابت الشعر ، ثم على بدنه ، والغسل مرة واحدة هو الفرض والتثليث سنة - ويلاحظ تأخير غسل الرجلين إن كان يقف في محل يجتمع فيه الماء .
وقد جاء في صفة الغسل ما روى عن عائشة رضي الله عنها - أن النبي ﷺ كان إذا اعتسل من الجنابة يبدأ فيغسل بدنه ثم يفرغ يمينه على شماله فيغسل فرجه ثم يتوضأ وضوء الصلاة ، ثم يأخذ الماء ويدخل أصابعه في أصول الشعر ، حتى إذا رأى أن قد استبرأ حفن على رأسه ثلاث حضات ثم أفاض على سائر جسده ثم غسل رجله ، وفي رواية لها : ثم يخلل يديه شعره حتى إذا ظن أنه قد أروى بشرته أفاض عليه الماء ثلاث مرات . وعن ميمونة قالت : وضعت للنبي ﷺ ماء يغتسل به فأفرغ على يديه فغسلها مرتين أو ثلاثاً ، ثم أفرغ يمينه على شماله وغسل مذاكيره ، ثم دلك يديه بالأرض ثم مضمض واستنشق ثم غسل وجهه ويديه ثم غسل رأسه ثلاثاً ، ثم أفرغ الماء على جسده ثم تنحى من مقامه فغسل قدميه ، قالت : فأتيته بمخرقة فلم يردها وجعل يفيض الماء بيده ، رواه الجماعة ولبس لأحمد والترمذي نفص اليد ، نيل الأوطار للشوكاني - باب صفة الغسل .

في كي شعر المرأة

والحكم في هذا لا غموض فيه من ناحية الشرع ، ولا يمكن أن يمارى فيه أحد ، وهو أن المرأة لا يجوز لها أن تسلم رأسها إلى رجل يحول بيده في شعرها كما تشاء له مهتته .
ونحن نحسن الظن بالسائلات ، فإنهن يسألن عن أمور دينهن ، وفترض أن الذى يكوى الشعر امرأة مثلهن ، وعلى أساس من هذا الغرض الطبيعى فيمن يسأل عن أمور دينه . نقول : لا فرق بين الرجل والمرأة فيما يتعلق بوجوب تحليل الشعر حتى يظن الإنسان أنه قد أروى بشرته ثم يفيض على رأسه الماء بعد ذلك .

ولقد روى الإمام البخارى بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة غسل يديه وتوضأ وضوءه للصلاة ثم اغتسل وخلل بيده شعره ، حتى إذا ظن أنه قد أروى بشرته ، وأفاض عليه الماء ثلاث مرات ، ثم غسل سائر جسده .
ويروى يحيى عن مالك ، بأنه بلغه أن عائشة رضى الله عنها مثلت عن غسل المرأة من الجنابة فقالت : لتحفن على رأسها ثلاث حففات ماء ، ولم تقتصر السيدة عائشة رضوان الله عليها على ذلك ، بل أضافت ، وتوضفت رأسها بيديها .

وفي المعنى توضفت رأسها بيديها يقول ابن الأثير :

الوضفت معالجة شعر الرأس باليد عند الغسل ، كأنها تخلط بعضه ببعض ، ليدخل فيه الغسل والماء .

وروى الإمام مسلم بسنده عن السيدة عائشة أن أسماء سألت النبي ﷺ عن الحيض ، فكان فيما قال ﷺ :
« ثم تصب على رأسها فتدلكه دلکاً شديداً حتى تبلغ شئون رأسها ، ثم تصب عليها الماء معناه : أصول شعر رأسها .

في نسيان الغسل من الجنابة

على من نسي الغسل من الجنابة لمدة معينة أن يعيد ما صلاه بعد هذه الجنابة وقبل الغسل لقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ، وَامْسَحُوا

برء وسكم وأرجلكم إلى الكعبين ، وإن كنتم جنباً فاطهروا) وقوله ﷺ : « لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » .

أما النسيان المرفوع في مثل قوله ﷺ : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ، فالمراد رفع إثم التأخير بسبب هذا النسيان ، أما رفع الفرض نفسه كالصلاة وعدم وجوب إعادتها فلا . .

وعلى المؤمن أن يكون مستيقظاً في عبادته متحرراً من كل شبه تفسد صلاته ، ولعل في توجيه الإسلام إلى الاغتسال يوم الجمعة ونحوه ما يمنع من آثار هذا النسيان .

ذلك لأن مكانة الصلاة كبيرة ، وفضلها عظيم ، والمحافظة على أدائها بشروطها مطلوبة ، قال تعالى : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) .

وقال : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى) .

وقال ﷺ : « إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » رواه مسلم وقال : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » رواه الترمذي وقال حسن صحيح . وروى الإمام مسلم بسنده عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من امرئ تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة وذلك الدهر كله » .

في هل يشترط الطهارة في انعقاد الإيمان ؟

ليست الطهارة من الجنابة موطأ لانعقاد الإيمان ، فالإيمان صحيحة ومنعقدة سواء كان الخالف طاهراً أو غير طاهر ، غير أن مس المصحف يحرم على من ليس على طهارة إتياله تعالى : (لا يمسه إلا المطهرون) فإذا كان السائل وضع يده على المصحف أو مسه أو لمس شيئاً منه في أثناء الخلف فقد ارتكب إثماً مضاعفاً إلى ما ارتكبه من ذنوب وآثام في حق الله ، وفي حق نفسه ومجتمعه . وإذا كان السائل يريد أن يتوب إلى الله تعالى فبإيه سبحانه مفتوح لكل من قصده ليلاً أو نهاراً ، فهو سبحانه ييسر يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، وييسر يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، وسبحانه القائل : (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات) .

وإذا كان السائل يريد راحة ضميره واستقرار النفس فعليه بالتوبة إلى الله والإقلاع عن هذه الرذيلة وعدم العودة إليها ولا إلى غيرها من المعاصي ، وأول الطريق إلى التوبة أن يكفر عن الإيمان

اللذين حنث فيها وكفارة كل يمين إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم ، فإن لم يستطع فصيام ثلاثة أيام ، قال تعالى : (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم ، واحفظوا أيمانكم ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون) .

وعلى السائل وغيره أن يحلّ ويتزّه كتاب الله الكريم عن الحلف على الصغيرة والكبيرة حتى يظلّ لله ولكتابه مقام الجلالة والتقدير ، قال تعالى : (ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم) .
وعلى السائل بعد الكفارتين أن يتوب إلى الله توبة صادقة خالصة ، وأن يقطع عن المعاصي ، وأن يكثر الطاعات مؤدياً الفرائض ومتقرباً إلى الله بالنوافل مكثراً من العبادة والذكر والاستغفار مبتعداً عن كل ما يثير مما يقرأ أو يشاهد .
والله يوفقه إلى سواء السبيل .

في هل يكفي أن ترش المرأة شعرها بدل أن تغسله في أثناء غسل الجنابة ؟

لقد أنعم الله سبحانه وتعالى بنعم كثيرة ظاهرة وباطنة ، من بين هذه النعم نعمة الطهارة من الأنجاس والأخباث .

فالطهارة في الإسلام ، أو الطهارة للمسلم لها هدفها الأسمى من جهة كونها وسيلة وغاية ، أما هدفها من كونها وسيلة فهي تلبس الإنسان ثوب الجمال والحسن والحشمة والوقار والزينة والبهاء وتحليه بمظاهر الشيم ومكارم الأخلاق .

وأما هدفها من كونها غاية فهي التي ترز عبادة المرء وتجعلها في التجارة الراجعة التي تقرب العبد من ربه ، ويكون جليساً للملائكة ، فانه طيب لا يقبل إلا طيباً .

وما من شك في أن أطيب الطيبات طهارة القلوب والأبدان ، لذلك أمر الإسلام بالطهارة وحث بالحرص عليها ، والقرآن حافل بالكثير من الآيات الكريمة التي تبين ما للطهارة من قيمة حتى يكون المتطهر حبيباً لله سبحانه . . يقول تعالى :

(وإن كنتم جنباً فاطهروا . .) النخ ، ويقول : (إن الله يحب المتطهرين) . ويقول : (والله يحب المتطهرين) ، وغير ذلك كثير من الآيات التي تتضمن الحث على الطهارة والأمر بها .

ومن ذلك فلا يتأني لمسلم ولا مسلمة ، ولا يجوز لامرأة أن ترش شعرها بالماء بعد الجنابة بدلاً من الغسل ، فقد قرر بعض علماء الفقه عليهم رضوان الله ، أن المرأة تنقض صفاتها شعرها حتى يصل الماء إلى منبت الشعر في حالة الغسل .

في تطهير الميت في صحراء لا ماء فيها

من مات في صحراء لا ماء فيها يُسمّ وجوباً عند الأئمة الأربعة ، لأن الغسل تطهير لا يتعلق بإزالة نجاسة ، فيجب الانتقال عن الماء عند عذر وجوده إلى التيمم .
والمقصود من الغسل ليس بمجرد التنظيف وإنما هو التطهير الشرعي من الحدث المتوقع غالباً باسترخاء الجسد عند الموت وزوال العقل .
وإذا كانت حياة الميت بالروح دون الجسد فذلك لا يمنع من التطهير ، إذ إن الأمور الشرعية لا تفرق بين روح وجسد وإنما تتعلق بالإنسان ككل ، هذا من ناحية .
ومن ناحية أخرى فإن الإنسان يوم البعث سيرد إلى جسده الذي تحلل أو ذاب ، والطهارة هي التي تليق بالمؤمن في هذا المجال ، مجال الحساب والثواب أو العقاب .
هذا وفي الغسل احترام للمؤمن وإظهار لأخوة الإسلام ورعاية المسلمين حق أخيم حتى بعد الوفاة .

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْوَضُوءِ

في فروض الوضوء وسننه

إن سادتنا الفقهاء حينما يتحدثون عن الوضوء فإنهم يبينون فروضاً وسنناً ، أما الفروض فإنها تستند إلى الآية القرآنية الكريمة : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ لِلصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ، وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) سورة المائدة ٦ .

ويضاف إلى ما تضمنته هذه الآية الكريمة من فروض أربعة فرض خامس هو النية ، وليس من شرط النية أن ينطق بها الإنسان وإنما يكفي فيها الاتجاه القلبي .

أما سنن الوضوء ويصح أن نسميها آدابه المستحبة فهي أولاً التسمية أي بسم الله الرحمن الرحيم ، والتسمية مطلوبة من المسلم في ابتداء كل عمل من أعمال الخير يشرع فيه .

* ومن سنن الوضوء (السواك) روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال : عليكم بالسواك فإنه مطهرة للفم ومرضاة للرب .

ومن سنن الوضوء الدعاء ، ومن المأثور عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في ختام الوضوء : « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » ، وكان يقول أيضاً : « سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك » .

وروى أيضاً أنه كان يقول : في ختام الوضوء ما حدث به أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ بوضوء فتوضأ فسمعته يقول : « اللهم اغفر لي ذنبي ، ووسع في دارى ، وبارك في رزقى » ، فقلت : يا نبي الله سمعتك تدعوك بكذا وكذا قال : « وهل تركن من شئ » ؟ ؟ .

في الآداب الواجبة في أثناء الوضوء

قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ) . سورة المائدة .

الوضوء : نوع من أنواع الطاعات يلتزم المتوضئ منه النية والتسمية عند غسل أول جزء .

واستحضار عظمة الله عز وجل ، واستقبال القبلة إن تيسر ذلك ، وأن لا يتكلم في أثناء الوضوء بأي كلام حتى ينتهى من الوضوء ، ثم يقول بعد الوضوء أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . لقد صح عن رسول الله ﷺ أن من قالها فتحت له أبواب

الجنة اللطيفة يدخل من أيها شاء .

وورد استحباب قول المتوضئ قبل الوضوء أو في أثنائه أو بعده :

« اللهم اغفر لي ذنبي ، ووسع في داري ، وبارك لي فيما رزقني ، وقنعني به ولا تفتني بما زويت عني » .

في الوضوء من البرك الراكدة

هذه البرك الراكدة إذا لم تلق فيها نجاسات تغير طعمها أو لونها ورائحتها فلا مانع من الوضوء منها ، خاصة أن مياه المطر النقية تغذيها وتحرك ركودها .

والماء طهور لا ينجسه إلا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه بغير مقره ، أو ما يرد عليه بواسطة ريح ونحوها من الأشياء الطاهرة .

وعلى ذلك . . . فتل هذه المياه يبنى على الأهالي المحافظة على طهارتها وعدم إلقاء النجاسات فيها .

وإنه من الدين ومراعاة لقواعد الصحة تنزيه مثل هذه المياه عن النجاسات والأقذار .

في نواقض الوضوء على حسب مذاهب العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين .

أشار القرآن الكريم إلى نواقض الوضوء بقوله : (أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء) .

وقد أجمع المسلمون على انتقاض الوضوء بما يخرج من السيلين من غائط وبول وريح ومذى لظاهر الكتاب ، ولتظاهر الآثار بذلك .

روى البخاري بسنده : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تقبل صلاة من أحدث حتى يتوضأ » وقد اختلف العلماء فيما تدل عليه هذه الآثار : فعند أبي حنيفة وأصحابه والثوري وأحمد وجماة أن كل نجاسة نسل من الجسد وتخرج منه يجب منها الوضوء كالدم ، والرعاف الكثير ، والفصد ، والحجامة ، والقيء ، إلا البلغم عند أبي حنيفة ، وقال أبو يوسف من أصحاب أبي حنيفة : إنه إذا ملأ الفم فيه الوضوء ولم يعتبر أحد من هؤلاء اليسير من الدم إلا مجاهد .

وعند الشافعية أن كل ما خرج من السيلين ناقض للوضوء من أى شيء خرج ، من دم أو حصة أو بلغم ، وعلى أى وجه خرج ، سواء أكان خروجه على سبيل الصحة أم على سبيل المرض .

وعند المالكية : أن ما ينقض الوضوء كل ما خرج من السيلين ما هو : معتاد خروجه من البول والغائط والمذى والوذى والريح إذا كان خروجه على وجه الصحة ، ولم يروا في الدم والحصة والدود يخرج من أحد السيلين وضوءاً ولا في السلس .
ومما اختلف في نقضه الوضوء النوم ، فقليل يتنقض الوضوء بقليله وكثيره وقيل لا يجب منه الوضوء إلا إذا تيقن من الحدث أو شك فيه ، وقيل يفرق بين النوم القليل الخفيف ، والكثير الثقيل ، فلا يتنقض الوضوء إلا من الثقيل وأما عن لمس النساء والسلام عليهن فيمكن تفصيل مذاهب العلماء كما يلي :

- ١ - يرى الحنفية عدم انتقاض الوضوء من لمس النساء .
- ٢ - ويرى الشافعية الفرق بين اللامس والملموس فيجب الوضوء على اللامس دون الملموس وقيل يجب على الاثنين ، وقيل يجب الوضوء من لمس الزوجة دون ذوات المحارم .
- ٣ - وللمالكية تفصيل جميل في اللمس ، إن قصد اللذة ووجدتها فعليه الوضوء وإن وجد ولم يقصد فيه فعليه الوضوء ، وإن قصد ولم يجد فعليه الوضوء وإن لم يقصد ولم يجد فلا وضوء عليه . هذا وفيما يتصل بالسلام على السيدات - كان رسول الله ﷺ لا يصافح السيدات وقد روت عائشة رضي الله عنها قالت :
« ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط في المباينة ، ما بايعهن إلا بقوله قد بايعتك على ذلك ، رواه البخارى وغيره .
وروى أحمد والترمذى وصححه عن أميمة بنت رقيقة قالت :
« أتيت النبي ﷺ في نساء لتبايعه فأخذ علينا ما في القرآن . . . قلنا ألا تصافحنا ؟ قال :
إني لا أصافح النساء .
هذا وبالله التوفيق .

في الريح الذى ينقض الوضوء

هذا الهواء الذى يخرج من فرج السيدة المائنة هو ما يسميه الفقهاء بالريح ، والريح ينقض الوضوء بإجماع الفقهاء إذا خرج من الدُّبُر (مكان خروج البراز) أما إذا خرج من القُبُل فإنه

لا ينقض الوضوء عند الحنفية ، سواء كان خروجه من ذكر الرجل أم من فرج المرأة .
وعبارة كتب الحنفية : ينقض الوضوء كل ما خرج من السيلين إلا ريح القبل فإنه من ذكر
الرجل اختلاج ، أى حركة تنبعث من الذكر لا شيء فيها من المرأة ريح لا تنبعث عن محل
النجاسة فإن كانت المرأة مفضضة أو اختلط سبيلها استحب لها الوضوء لاحتمال أن يكون هذا
الريح من الدبر ، وروى عن محمد وجوب الوضوء للمفضضة ، وقيل عنه : إن كانت متنته وجب
الوضوء وإلا فلا يجب .

وعن الإمام الشافعى والإمام أحمد رضى الله عنهما ومحمد بن الحكيم من أصحاب مالك :
الريح الخارج من القبل من الرجل أو المرأة ينقض الوضوء كالريح الخارج من الدبر .
وعند الإمام مالك رضى الله عنه وجل أصحابه : كل ما خرج من السيلين مما هو معتاد
خروجه ، وهو البول والغائط والمذى والودى والريح إذا كان خروجه على وجه الصحة من غير
مرض فهو منقض للوضوء . (١٥٣)

هذا : والأخذ بمذهب الحنفية دفع الحرج الذى تشكو منه السائلة فإن شاءت الأخذ بمذهب
الإمام الشافعى رضى الله عنه فعليها أن تتوضأ كلما خرج منها هذا الهواء إذا أرادت الصلاة وغيرها
مما لا يحل لغير المتوضئ ، فإن كان هذا الهواء قد استمر معها وقتاً كاملاً من أوقات الصلاة بحيث لم
ينقطع زمناً يتسع للوضوء أو الصلاة فإنها حينئذ تكون معذورة والمعدور يتوضأ لوقت الصلاة
ويصلى بوضوئه ما شاء من الفرائض النوافل وينقض وضوءه بخروج الوقت ما لم يتنقض بناقض
آخر غير العذر الذى تشكو منه ، ويجدد وضوءه كلما دخل وقت من أوقات الصلاة ، ويظل العذر
قائماً حتى ينقطع سببه وقتاً كاملاً من أوقات الصلاة فيعود صاحبه صحيحاً يأخذ حكم الأصحاء
في الوضوء . والله سبحانه وتعالى أعلم .

في نواقض الوضوء

اتفق الفقهاء على أن ما خرج من السيلين - القبل أو الدبر - ناقض للوضوء .
النوم على غير هيئة المتمكن .
زوار العقل بالسكر أو المرض .

أما ما عدا ذلك فقد اختلف الفقهاء فيه ، وللإنسان في اختلافهم سعة وفي اختلافهم رحمة .

(١٥٣) راجع نواقض الوضوء في الهداية وفتح القدير وابن عابدين من كتب الحنفية وكتاب الأم للإمام الشافعى رضى الله
عنه ، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد من كتاب المالكية ، وكتاب العقق على المذاهب الأربعة

في حكم بول الصبي هل ينقض الوضوء

لا ينقض بول الصبي الوضوء ، لأن الوضوء لا ينقضه إلا ما خرج من الشخص نفسه كالبول ، أما إذا أصاب بول آخر جسد المتوضئ أو ثوبه أو نحو ذلك فلا ينقض وضوءه ، وعليه إذا أراد الصلاة أن يطهر موضع النجاسة بالماء المطهر ، وفيما يتصل بتطهير النجاسة من البول إذا أصابت ثوب الشخص أو بدنه .

اختلف العلماء في بول الصبي على ثلاثة مذاهب :

أولها : إن بول الصبي إذا وقع على الثياب يرش موضعه بالماء الطاهر ولا يغسل ، وأما بول البنت الصغيرة فيغسل ، والمراد بالصبي والصبية من لم يستغن عن اللبن الذي يرضعه في غذائه ، وروى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « أتى رسول الله ﷺ بصبي فبال على ثوبه فدعا بماء فأتبعه إياه » .

وعن أم قيس بنت حصن أنها أتت بابت لها لم يأكل الطعام إلى رسول الله ﷺ ، فأجلسه رسول الله ﷺ في حجره ، فبال على ثوبه فدعا بماء فنضجه ولم يغسله .

وثانيها : يكفي نضح الماء أي رشه من بول الصبي والصبية .

وثالثها : هما سواء في وجوب الغسل من بولهما .

والحكمة في ذلك - فيما قال العلماء - أن الصبي أقرب إلى قلب أهله ، وكثيراً ما يحملونه فيبول فيتعذر تطهير الثوب من بوله .

إن الإسلام بذلك يسر على الآباء أعباء التربية ، ويخفف في مقابل العناية بالأطفال بعض مشقات التطهير ، وهي لفظة لطيفة تبين مدى عناية الإسلام بالأجيال الناشئة ، ورعايته لما تتطلبه تربيتها من مشاق ..

في ما يحرم على المحدث حدثاً أصغر

أولاً : ما يحرم على المحدث حدثاً أصغر هو الصلاة قرصاً أو نفلاً ، وكذلك صلاة الجنابة ، لأن الطهارة من الحدث شرط في صحة الصلاة ، لقوله ﷺ : « لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ » . ومن ذلك مجرد التلاوة ومجرد الشكر ، لأنه في معنى الصلاة . كما يمنع

الحدث من الطواف بالبيت فرضاً أو نفلاً لقوله ﷺ : « الطواف بمنزلة الصلاة إلا أن الله قد أحل فيه المنطق لمن نطق فلا ينطق إلا بخير » .

وقال الحنفية من طاف محدثاً صح طوافه وإن كان آثماً ، لأن الطهارة من الحدث واجبة للطواف وليست شرطاً في صحته .

ويمنع الحدث كذلك من مس المصحف كله أو بعضه ولو آية : لقوله تعالى (لا يمسه إلا المطهرون) .

ثانياً : يزداد على ذلك بالنسبة للجنب أنه يحرم . وقال المالكية يجوز مس المصحف وحمله للبالغ الحدث ولو حائضاً إذا كان معلماً أو متعلماً .

لأن عليه قراءة القرآن ودخول المسجد كما لا يجوز ذلك للحائض والنفساء ، إلا أن تكون هناك ضرورة داعية لدخول المسجد ، وقال المالكية : يجوز للجنب قراءة اليسير من القرآن إذا قرأه للتحسن أو الاستدلال .

وقال الحنفية : يجوز للجنب إذا كان معلماً أن يلقى المتعلم القرآن كلمة كلمة بحيث يفصل بينهما ، كما يجوز له أن يفتح أمراً من الأمور ذات البال بالنسبة ، وأن يقرأ الآية القصيرة بقصد الدعاء أو الثناء ، ومثل الجنب في ذلك الحائض والنفساء .
أما الصيد والذبح فلا يحرمان على الجنب ، وليس في القرآن آية تحرم الصيد أو الذبح على الجنب .

في التزهر عن البول

يأمر الإسلام بالنظافة ويحث عليها ويرغب فيها ، ولذا جعل الطهارة شرطاً من شروط صحة الصلاة .

ولقد أمر الرسول ﷺ بالتزهر عن البول بقوله : « تزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه » . وقد مر صلوات الله وسلامه عليه بقبرين فقال : « إنها يعذبان وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستبرئ من بوله وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالخميمة » .

من كل ذلك نعلم أنه يجب على المسلم أن يتزهر عن البول ويتحرز أن يصيب ثوبه أو بدنه ، ومن آداب البول الجلوس .

لكن إذا كان الإنسان محتاطاً لنفسه من إصابة البول مستبرئاً منه يجوز له أن يبول قائماً ولا إثم عليه ولا عقاب ، والمهم هو الاحتياط . بحيث لا يصيب الإنسان رذاذاً من بوله ، وبحيث يستبرئ من البول ويتزهر منه .

في صلاة الفرائض جميعها بوضوء واحد

هل يجوز لشخص أن يصلي جميع الفرائض الخمسة طوال اليوم بوضوء واحد دون الاستنجاء ؟ الإجابة : لا تقبل الصلاة ولا تصح إلا بشرط الطهارة لقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ، وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ، وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ . مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .
فتى كان الإنسان متوضئاً فقد تحقق فيه شرط صحة الصلاة ، وله أن يصلي بهذا الوضوء ما شاء من الصلوات مادام لم يحصل منه ناقض للوضوء ولو بقي طوال اليوم وصلى خمس الصلوات بالوضوء الواجب .

والاستنجاء ليس واجباً إلا إذا خرج من أحد السيلين نجس يحتاج إلى التطهير .

في المسح على الباروكة

إن الله تعالى يقول في الحديث عن الوضوء : (وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ) .
والباروكة ليست الرأس ، فالمسح عليها باطل ، وليس لمن مسحت على الباروكة وضوء .

في الوضوء على طلاء الأظفار

إن الوضوء على طلاء الأظفار باطل ، وذلك أنه لا يتمثل في طلاء الأظفار عذر شرعي .
إن الطلاء طبقة على الأظفار تحجب وصول الماء إليها ، وهو طبقة متعمدة ، ومعروف عند فاعلتها أنه طبقة حاجبة . وهي طبقة لا تدعو إليها ضرورة ولا حاجة ماسة .
إذن وضوء من يتخذ الطلاء باطل . وكل ما قيل عن قياسه بأشياء أخرى لا يصح .

في كَيِّ المرأة شعرها هل ينقض الوضوء ؟

كَيِّ شعر المرأة لم يذكر في نواقض الوضوء عند الفقهاء ، ما دامت المرأة هي التي تكويه بنفسها ، والأمر الهام في كَيِّ الشعر ليس هو أن ينقض الكي الوضوء ولا ينقضه ، وإنما هو الكَيُّ نفسه . . هل تستسيغ الشريعة أن تكوي المرأة شعرها أو لا تستسيغه ؟ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنها قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : يكون في آخر أمتي رجال يركبون الخيل يركبون على سرج كأشباه الرجال ، ويتزلون على أبواب المساجد ، نساءهم كاسيات عاريات ، على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف » العنوم فإنهن ملعونات .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :

« لعن الله الواشيات والمستوشيات والمتنمصات والمتفلجات للحسن ، والمفغيرات لخلق الله » والوشم هو الدق ، والتنمص هو اقتلاع الشعر ، والتفلج الأخذ من الأسنان تحديداً أو ترقيعاً .

فلما قال ذلك عبد الله بن مسعود قامت امرأة تعترض مستفسرة ؟

فقال رضي الله عنه : « وما لي لا ألن من لعنه رسول الله ﷺ وقد قال الله في كتابه : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .

من هذه الأحاديث ومن غيرها نأخذ أن ضياع الوقت في كَيِّ الشعر أمر لا تستسيغه الشريعة . . أما إذا ذهبت المرأة إلى صالون الحلاق وأسلمت نفسها إلى الرجل يحول في شعرها بيديه فإن ذلك حرام ناقض للوضوء .

في الوضوء من أكل لحم الجوزور

عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : « أنتوضأ من لحوم الغنم : قال إن شئت توضأت ، وإن شئت فلا تتوضأ . قال أنتوضأ من لحوم الإبل قال نعم : توضأ من لحوم الإبل : قال أصلي في مرائب الغنم قال : نعم : قال : أصلي في مبارك الإبل قال لا » رواه أحمد ومسلم .

ويرى الخلفاء الأربعة أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم أن أكل لحم الجوزور لا ينقض الوضوء ، وليس هذا رأي الخلفاء الأربعة فقط وإنما هو رأي جمهور الصحابة والتابعين والفقهاء .

يبد أنه ورد أن رسول الله ﷺ قال : « من أكل لحم جزور فليتوضأ » ويبدو أن الأمر بالوضوء في هذه الأحاديث ليس للوجوب وإنما هو للاستحباب والندب ، ومن أجل ذلك سار الجمهور على عدم نقض الوضوء بأكل لحم الجزور ، أى لحوم الإبل .
ولحم الجزور هو لحم الإبل ولا يدخل فيه لحم البقر ولا الغنم .

في استحباب الوضوء لمن أراد النوم

جاء في كتاب استحباب الوضوء لمن أراد النوم ، نيل الأوطار الجزء الأول : عن البراء ابن عازب قال : « قال رسول الله ﷺ إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم أسلمت نفسي إليك ، رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك . اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت ، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تتكلم به » قال : فرددتها على النبي ﷺ فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت ورسولك قال : لا ونبيك الذي أرسلت .
رواه أحمد والبخارى والترمذى .

في إلقاء السلام على من يتوضأ

الأولى عدم إلقاء السلام على من يتوضأ ، لأنه مشغول في كل حركة من حركات الوضوء بالذكر المناسب له . وقد حدث أن ألقى السلام أحد الصحابة على الرسول ﷺ وهو يتوضأ فلم يرد عليه حق انتهى من وضوئه .

والأصل في إلقاء السلام : أنه سنة ، ولكن رده واجب .

ويستحب كما يقول الإمام النووي أن يقول المبتدئ بالسلام : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيأتى بضمير الجمع وإن كان المسلم عليه واحداً ، ويقول المجيب : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، فيأتى بواو العطف في قوله وعليكم .

وفما رواه البخارى وغيره : أن رسول الله ﷺ قال :

« بسم الزاكب على الماشى ، والماشى على القاعد ، والقليل على الكثير ، والصغير على الكبير » .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه :

« قيل يا رسول الله : الرجلان يلتقيان . أيهما يبدأ بالسلام ؟ قال صلوات الله عليه : أولاهما بالله تعالى . »

في مصافحة المرأة الأجنبية دون الشعور بشهوة والمسلم متوضئ

إن من توضأ ثم صافح امرأة أجنبية دون أن يقصد بالمصافحة اللذة ، ودون أن يشعر بها فإن وضوءه لا ينقض .

والإنسان بالنسبة للمصافحة له حالات يختلف الحكم فيها بالنسبة لاختلافها ، وهو إذا قصد بالمصافحة اللذة فإن وضوءه ينقض . سواء شعر باللذة أو لم يشعر ، ويكون الوضوء بالنسبة له نوعاً من التطهر النفسى لهذا القصد الذى قصده .

وإذا صافح الإنسان امرأة دون قصد اللذة ولكنه شعر فى المصافحة باللذة فعليه الوضوء أيضاً .

أما إذا لم يقصد الإنسان بالمصافحة اللذة ولم يشعر بها فى أثناء المصافحة فليس عليه إعادة الوضوء .

وَسُئِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّلَاةِ

في أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ

روى الشافعي في الأم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أمتي جبريل على باب الكعبة مرتين فصلى الظهر حين كان الفجر مثل الشراك . ثم صلى العصر حين كان كل شيء بقدر ظله ، وصلى المغرب حين أفطر الصائم . ثم صلى العشاء حين غاب الشفق . ثم صلى الصبح حين حرم الطعام والشراب على الصائم ، ثم صلى المرة الآخرة الظهر حين كان كل شيء قدر ظله ، ثم صلى العصر حين كان ظل كل شيء مثيله . ثم صلى المغرب القدر الأول لم يؤخرها . ثم صلى العشاء الآخرة ، حين ذهب ثلث الليل ثم صلى الصبح حين أسفر ثم التفت فقال يا محمد هذا وقت الأنبياء من قبلك فيما بين هذين الوقتين » .
ورواه أبو داود بنحوه عن ابن عباس أيضاً .

وفي هذا الحديث ما يدل على أن أول صلاة من الصلوات المفروضة صلاها الرسول ﷺ هي صلاة الظهر .

وينبغي أن نعلم أن أولية الصلاة لا تعني فضلاً ما لها على سواها .
ومما لا شك فيه أن تحديد أول صلاة أم فيها جبريل النبي ﷺ يدل على حرص كامل من النبي ﷺ في تسجيل تفاصيل هذا الركن العظيم من أركان الإسلام . وبيان التوجيه الإلهي الحميد .
والعناية الإلهية الكريمة بهذا الركن (الصلاة) . حيث فرض من أرفع مكان ليلة الإسراء في أرفع موقف للرسول ﷺ (قاب قوسين أو أدنى) ونولى جبريل بالتدريب العملي تعليم الرسول ﷺ هياته وأوقاته .

في صلاة رسول الله ﷺ

من المتفق عليه أن الصلاة المعهودة فرضت على رسول الله ﷺ ليلة الإسراء . عن أنس ابن مالك رضي الله عنه قال : « فرضت على النبي ﷺ ليلة أسرى به الصلاة خمسين ، ثم نقصت حتى جعلت خمساً . ثم نودي يا محمد : إنه لا يبدل القول لدى . وإن لك بهذه الخمس خمسين » . أخرجه أحمد والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح .

وقد وردت أحاديث كثيرة في صفة صلاة الرسول ﷺ . منها ما رواه الترمذي وقال حسن صحيح عن أبي حميد الساعدي قال : « كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة اعتدل قائماً ورفع يديه حتى يحاذي (يقابل) بها منكبيه ، فإذا أراد أن يركع رفع يديه حتى يحاذي بها منكبيه

ثم قال الله أكبر وركع ثم اعتدل فلم يصوب رأسه (بخفضه) ولم يقنع ووضع يديه على ركبتيه ثم قال : سمع الله لمن حمده ورفع يديه واستدل (أرخى يديه) حتى يرجع كل عظم في موضعه معتديلاً ثم هوى إلى الأرض ساجداً ثم قال : الله أكبر حتى جافى (بعد) عضديه عن إبطيه وفتح (ألان وأرخى) أصابع رجليه ثم ثنى رجله اليسرى وقعد عليها ثم اعتدل حتى يرجع كل عظم في موضعه معتديلاً ، ثم هوى ساجداً ثم قال الله أكبر ثم ثنى رجله وقعد واعتدل حتى يرجع كل عظم في موضعه ثم نهض ثم صنع في الركعة الثانية مثل ذلك حتى إذا قام من السجدة كبر ورفع يديه حتى يحاذي بها منكبيه كما صنع حين افتتح الصلاة ثم صنع كذلك حتى كانت الركعة التي تنقضى فيها صلاته آخر رجله اليسرى وقعد على شقه متوركاً ثم سلم .

وهناك صفات أخرى لصلاته ﷺ لا فرق بينها إلا في بعض الهيئات كقبض اليد على جسده وإرسالها حال الوقوف ونحو ذلك ، وكل من الأئمة اعتمد ما رجع عنده والخلاف هنا ليس خلافاً مُفِيراً وإنما هو من باب التوسعة وكل صحيح .

فإذا قبض المصلي يديه في أثناء الوقوف فصلاته صحيحة ، وإذا أرسل يديه في أثناء الوقوف فصلاته صحيحة ، ويجب ألا تفرق أمثال هذه الأمور بين طوائف المسلمين ، وذلك أنه لم يقل إمام من أئمة المسلمين قط : إن من أرسل يديه فسدت صلاته ، ولم يقل أحد من أئمة المسلمين قط : إن من قبض يديه فسدت صلاته . إن الصلاة صحيحة قبض المصلي يديه أو أرسلها .

في شروط الصلاة

لا يشترط في الصلاة أن تكون في المسجد أو في مكان معين ، بل تصح في كل مكان مادامت شروطها من الطهارة واستقبال القبلة قد توفرت . وذلك لقول الرسول ﷺ : « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأبما عبد أدركته الصلاة فعنده طهوره ومسجده » .

وقد ورد في الصحيح أن الرسول ﷺ كان يصلي حيث أدركته الصلاة ، فالصلاة في المدينة التي ليست بها مساجد جائزة في أي مكان منها بشرط طهارته .

وهذا من فضل الله على المسلمين وقسمة الإسلام الرحمة التي لا تحتم على المسلم أن لا يصلي إلا بين الجدران - بيد أن من حكمة المساجد أن يؤذن للصلاة فيها حتى يجتمع المسلمون فيستأنس بعضهم ببعض ، ويتعارف بعضهم على بعض فيتعارفوا . ولذلك يبنى على أهل المدينة من المسلمين أن يتآزروا ويتعاونوا على بناء مسجد يجمع شملهم ويوحد جمعهم ، ومع ذلك فإن

الصلاة تجوز في أى مكان توافرت فيه شروط الطهارة واستقبل فيه المصل القبلة .
والشروط التى يلزم توافرها لصحة الصلاة وينجب على المصل أن يأتى بها ، بحيث لو ترك شيئاً
منها تكون صلاته باطلة هى :

- ١ - العلم بدخول الوقت بأى سبب من الأسباب التى يتأتى بها العلم ولو بغلبة الظن .
- ٢ - الطهارة من الحدث الأصغر والكبير .
- ٣ - طهارة البدن والثوب والمكان الذى يصلى فيه من النجاسة الحسية متى قدر على ذلك .
- ٤ - ستر العورة . وحدّتها فى الرجل ما بين السرة والركبة ، وفى المرأة جميع البدن ما عدا الوجه والكفين .
- ٥ - استقبال القبلة : لقوله تعالى : (فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا
وجوهكم شطره) .
- ٦ - أداء الصلاة على وجهها : أى العلم بكيفية الصلاة من قيام وقراءة وركوع وسجود
ونشهد ، ففى توافرت هذه الأمور صحت الصلاة وإن فقد شيء منها لا تصح الصلاة .

فى شروط ملابس المصل

قال الله تعالى فى محكم كتابه : (وثيابك فطهر)
ظاهر الآية يدل على أن تطهير الثياب من النجاسات واجب فى الصلاة محبوب فى غيرها .
وذلك بفصلها وبمحافظة عن النجاسة بتقصيرها ، مخافة جر الديول فيها وهو أول ما أمر به من رفض
العادات المذمومة .
وعلى هذا الأساس يجوز أن يصلى بثياب عليها بقعة من العسل مع خلاف الأولى ، والأفضل
أن يزيلها ، لأن بقاء العسل فى الثوب يجمع عليه الذباب ، وقد يعلق بالثوب بعض التراب . لأن
العسل أقرب إلى أخذ التراب والأشياء الأخرى ، هذا إن قدر على إزالتها .
أما إذا لم يقدر على إزالتها صلى بها ولا إعادة عليه (١٥٤) .
وإذا كان الإنسان يستنكف أن يقابل عظيمًا من الناس بثوب مثل ذلك فالثوب بين يدي الله
عز وجل يجب أن يكون على الهيئة اللائقة بجلال الله .
والشروط التى يجب توافرها فى الملابس فى أثناء الصلاة :
أولاً : أن تكون طاهرة فى أثناء الصلاة .

ثانياً : أن تكون سائرة للعودة .

ثالثاً : ألا تكون طويلة بحيث تجر على الأرض ، وإنما تكون مرتفعة قليلاً .

رابعاً : ألا تكون الثياب من الحرير الخالص .

خامساً : ألا يكون على الثياب صور تماثيل تصرف بعض الناس إلى النظر مثل صور حيوانات أو تماثيل لكراهة النبي ﷺ ذلك . .

في الصلاة على الأرض الطاهرة

أجمع الفقهاء على صحة الصلاة على الأرض الطاهرة ، فيستطيع الرعاة أن يصلوا في مكان عملهم ، ويجوز أغانمهم ما دامت الأرض طاهرة ، يقول ﷺ : « جعلت لي الأرض مسجداً والزاب طهوراً » ، فيصلى المسلم حيث وجبت الصلاة غير مقيد ببيت أو مسجد ، وليست هناك ضرورة تلجئ راعي الغنم في مثل هذه الحالة إلى تأخير الصلاة عن وقتها أو الذهاب بغنمه إلى البيت لأداء الصلاة فيفوت وقت الرعى على الأغنام ، ويستطيع أن يصل الظهر في آخر وقت ويصل العصر في أول وقت ، وبذلك يؤدي الصلاة في وقتها ولا يفوته من رعايته لغنمه وقت طويل .

في الأوقات التي تكرر فيها الصلاة

الأوقات التي تكرر فيها الصلاة ثلاثة :

- ١ - عند طلوع الشمس حتى ترتفع .
- ٢ - عند استوائها في وسط السماء حتى تزلزل .
- ٣ - عند اصفرارها حتى تغرب .

هذه الأوقات الثلاثة نهى الرسول ﷺ عن الصلاة فيها ، وأخذ الأحناف من ذلك عدم جواز الصلاة في هذه الأوقات إلا عصر اليوم ، فإنه يصل مع الكراهة وكره غيرهم الصلاة في هذه الأوقات .

والشافعية : أجازوا الصلاة التي لها سبب في هذه الأوقات الثلاثة مثل تحية المسجد ، وعلى ذلك إذا دخل إنسان المسجد في الأوقات الممنوعة له أن يصل تحية المسجد عند الشافعية من غير كراهة ، لأنها صلاة لها سبب وهو دخول المسجد .

في النقطة الهابطة

إن كثيراً من الناس - طلبة وموظفين وعمالا - يسألون في هذا الموضوع ، بتوضاً الواحد منهم وفي نهاية الوضوء أو في أثناء الصلاة بحس بقطرة ماء تنزل منه دون أن يكون عنده المقدرة على إمساكها ، ودون أن يكون له اختيار في عدم نزولها ، ويعيدون الوضوء ويعيدون الصلاة ويكون عندهم قليل أو كثير من القلق فيما يتعلق بنجاسة الثوب . إلى كل هؤلاء وأولئك نقول : إن كتب بعض الفقهاء تتحدث في هذا الموضوع تحت عنوان (النقطة الهابطة) .

وكانت النتائج التي وصلوا إليها أن هذه النقطة الهابطة لا تنقض وضوءاً ولا تبطل صلاة ولا تنجس ثوباً وأن من أحس بها هابطة في أى وضع كان فعليه ألا يعيرها التفاتاً وهذا من يسر الإسلام ومن تخفيفه على المسلمين ، حتى لا يكون عليهم في الدين من حرج .

فعل المسلم أن يتطهر تطهيراً كاملاً ، ثم إذا هبطت منه بعد التطهر الكامل قطرة ما من ماء بعد الوضوء فلا يلتفت إليها . . وليس عليه إعادته ، وإذا هبطت في أثناء الصلاة فليكمل الصلاة وليس عليه إعادتها .

وهي لا تمنع من مس المصحف ، وذلك لأن هذه النقطة لا تنقض الوضوء ، فمن هبطت منه فتوضاً يفعل كل ما يفعله المتوضي من صلاة ومن مس المصحف ومن العبادة الصادقة بجميع ألوانها .

في الأذان

حين قدم الرسول صلوات الله عليه المدينة كان الناس يجتمعون إليه للصلاة في مواقيتها بغير دعوة ، وحينما انتشر الإسلام في أطراف المدينة فكر الرسول صلوات الله عليه في وسيلة لإعلام المسلمين ودعوتهم لحضور الصلاة ، وبينما هو في مشورة مع الصحابة في ذلك ، قدم عبد الله ابن ثعلبة يقص على النبي ﷺ رؤيا ، فقال له : يا رسول الله إنه طاف في هذه الليلة طائف . مر في رجل عليه ثوبان أخضران ، يحمل ناقوساً في يده ، فقلت له : يا عبد الله أتبيع لي هذا الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ قال : قلت : ندعو إلى الصلاة قال : أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قال : قلت : وما هو ؟ قال : تقول : الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله .

حتى على الصلاة ، حتى على الصلاة ، حتى على الفلاح حتى على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله . فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال : إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فآلقها عليه فليؤذن بها ، فإنه أندى صوتاً منك ، فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب ، وهو في بيته ، فخرج إلى رسول الله ﷺ وهو يجرد رداءه ، وهو يقول : يا نبي الله ، والذي بعثك بالحق ، لقد رأيت مثل الذي رأى ، فقال رسول الله ﷺ : فله الحمد على ذلك .
أما حكم الأذان فهو سنة مؤكدة . . .

في إضافات الشيعة للأذان

ليس مما أضافه الشيعة في الأذان من قولهم : أشهد أن علياً ولياً الله أصل مقبول أو وجه جائر ، وليس لقولهم في الأذان حتى على خير العمل - أصل إلا ما رواه الطبراني في الكبير بسند فيه عبد الرحمن بن عمار بن سعد ضعفه ابن معين - عن بلال : « أنه كان يؤذن للصبح فيقول : حتى على خير العمل ، فأمر رسول الله ﷺ أن يجعل مكانها « الصلاة خير من النوم » (ويترك) حتى على خير العمل » .

والأذان فعل شرعي تواترت الأدلة على وقوعه وعلى صيغته وعلى ما فيها من اختلاف في أعداد التكبيرات ، وترجع الشهادة ونحو ذلك .

ولا يجوز الزيادة فيه أو عليه ، لأن في ذلك افتئاتاً على الشارع وخروجاً عن حدوده . . وهو بوقته وصيغته وحدوده . يجب التزامه على ما ورد ولا يجوز أى تغيير فيه .

وعلى ذلك فلا حكمة لتلك الزيادات إلا المخالفة للسنة والافتئات على الشارع استناداً إلى روايات قد تكون مكذوبة وقد تكون ضعيفة .

ومثل هذه الأمور المخالفة للسنة يعتبر الإصرار عليها كبيرة من الكبائر ، وإن كانت في أمر غير واجب ، لأنها تفرق بين الأمة ، وتثير اضطراباً وبلبلة بين المسلمين .

وليس الأذان من الأمور السرية أو الأمور الخفية ، لقد كانوا يؤذنون في عهد الرسول ﷺ وعهد خلفائه الراشدين فلم يرد عنهم أى زيادة من هاتين الزيادتين أو التزامها ، وعلى فرض ثبوت الحديث الذي ذكرناه فإن « حتى على خير العمل » قد استبدل بها « الصلاة خير من النوم » فلم يبق لها وجود .

في فضل الصلاة وفي عقوبة الترك والتهديد عليه

وكيف ينسى الإنسان صلاة سنة كاملة وبدع هذا الفضل الوافر الذي جعله الرسول ﷺ لها ،
والخير الذي جعله الله سبحانه جزاء عليها ؟

قال تعالى : (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)
وقال جل شأنه : (إن الإنسان خلق هلوعاً ، إذا مسه الشر جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً
إلا المصلين . . .) وقال ﷺ :

« خمس صلوات كتبتن الله على عباده ، فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن
كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ، إن شاء عذبه
وإن شاء أدخله الجنة » .

وكيف يترك المسلم الصلاة ، أو يتغافل عنها وقد ورد التحذير على تركها بقوله ﷺ « بين
الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » ولما أوشك بصر ابن عباس أن يذهب قيل له : نداويك وتدع
الصلاة أياماً ؟ قال : لا : إن رسول الله ﷺ قال : « من ترك الصلاة لقي الله وهو عليه غضبان »
وآثر ذهاب بصره على ترك الصلاة .

في المحافظة على الصلاة

يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيما رواه الإمام مالك : لاحظ في الإسلام لمن ترك
الصلاة .

وإن من الأدب النبوي الكريم أن يؤمر الأولاد بالصلاة لسبع وأن يضربوا عليها لعشر : ذلك
ليتناص الإنسان عليها ويحيط بها عن طريق المران علماً وعملاً . وعلى من ترك الصلاة فترة من
الزمن أن يبادر في غير تردد ولاتوان إلى تعلمها وإلى أدائها ، لا يحول بينه وبين ذلك خجل من
الناس أوحياء ، ويمكنه أن يتعلمها ممن لا يعرفه ، والمسلمون بحمد الله تعالى على استعداد تام لتعليم
الصلاة وما يتصل بها بكل سهولة ويسر لمن لا يعرفها ، وكل كتاب من كتب الفقه به باب لشرح :
أوقاتها وكيفيتها .

ومن خير الكتب في ذلك وأسهلها « كتاب إحياء علوم الدين » للإمام الغزالي .
فإذا تعلم الإنسان الصلاة وتاب إلى الله توبة نصوحاً وقضى ما فاتته بأن يصلي مع كل صلاة
ما وفقه الله لأدائه أو يقضى في كل يوم صلاة يوم أو أيام ، ذلك أرجى لمغفرة الله له .

في القصد من الصلاة

مَنْ صلى الصلاة على أنها حركات رياضية تفيد البدن ، فقد خرج بها عما شرعت له وما قصدت به .

فالحرركات الرياضية متعددة ومتنوعة وليست محددة بشروط خاصة من طهارة وإخلاص ووقت محدد وشروط خاصة ، وقد لا يستطيع القيام بها الرجل الكبير أو الطفل الصغير . ولكن الصلاة في حقيقتها عبادة تعبر عن الإيمان وتدل على الصدق فيه ، وشروطها الإخلاص فيها لله وحده فلا يقصد بالطهارة نظافة الظاهر فقط ولا يقصد بحركات الصلاة تنشيط الجسم وهكذا ، ولا ينصرف عما يتلوه من قرآن أو ينطق به من ذكر .

ومع ذلك فهل في الصلاة حركات رياضية .

الواقع أن الصلاة - مع ما فيها من عبادة الله تعالى وقيام بما أوجب فيها - تنشيط للجسم ، وأن حركاتها - فيما يرى العارفون بتركيب الأعضاء وألوان الحركات - من أعظم الحركات فائدة لجسم الإنسان في كل مرحله .

وكانما أراد الله تعالى أن تكون الصلاة جامعة لفائدة الجسم والنفس وخير الدنيا والآخرة ونظرة الناس للصلاة تختلف : مَنْ يهتم بالآخرة وصلاح النفس والمشاعر ورضا الله - لا يرى منها سوى الجانب التعبدي .

ومن يهتم بالدنيا وصلاح الجسد ، ولا يهتم بالآخرة ورضا الله - لا يرى منها سوى الجانب الرياضي أو الحركي .

والرسول ﷺ يقول :

مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جارٍ عذب على باب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات فما يبقى بعد ذلك من الدنس ؟ .

وعلى ذلك فإنه يجب أن يقصد بالصلاة أداء الفرض الذي أوجبه الله تعالى على جميع البالغين العقلاء ، مرضاة لله ورغبة في ثوابه ، أما ماعدا ذلك من الفوائد فإنها تأتي تبعاً ، وتأتي لأعلى أنها هدف أو غاية ، فغاية الصلاة أداء الفرض ومرضاة الرب ،

في الصلاة طريق للوصول إلى الله تعالى

الطاعة ومنها الصلاة كانت ولا تزال منذ الأزل ، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين - طريقاً للوصول إلى الله تبارك وتعالى والقرب منه جلّ وعلا وللطاعة الموصلة إلى الله تبارك وتعالى شروط لا غنى عنها ، وهي منها بجملة الروح من الجسد .
تلك الشروط هي :

- ١ - أداؤها على الوجه الصحيح الذي صحت به عن رسول الله ﷺ .
- ٢ - أداؤها في الأوقات المحددة لها : إن كانت ذات وقت وإن فات وقتها لعذر شرعي قضيت ولا تترك ، لأنها دين على مؤديها لله تعالى لا خلاص له منه إلا بأدائها .
- ٣ - تخليصها من شوائب الهوى المستيع مصلحة دنيوية أو حالاً من الأحوال التي اشتهر بها بعض الصالحين من الكشف ونحوه . قال الله تعالى لنبيه ﷺ (قل الله أعبد مخلصاً له ديني) .
- ٤ - التخلص عن المذام كلها بالإقبال على الله وترك المحرمات والمكروهات والرفق بالناس في حدود ما أمر الله .

منى فرضت الصلاة

الصلاة فرضت ليلة الإسراء والمعراج ، وقبل ذلك كان المسلمون يصلون ركعتين ركعتين ، وقد علم جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ كيف يصلى . ثم علم رسول الله (ﷺ) أصحابه وانتقلت إلينا كيفية الصلاة بالتواتر .

في فرض الصلوات كلها في وقت واحد

قال الله تعالى : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) أى فرضاً مؤقتاً بأوقات محددة .

وقال أيضاً : (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل) .
أخذ العلماء من الآية عدد الصلوات ، فطرفا النهار : الصبح في أوله ، والظهر والعصر في آخره ، وزلفاً من الليل : المغرب والعشاء .
وقال رسول الله ﷺ : « خمس صلوات كتبهن الله على العباد » رواه أحمد وروى البخاري .

ومسلم : أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ نائر الشعر فقال : يا رسول الله أخبرني ما فرض الله على من الصلوات ؟ فقال : الصلوات الخمس وقد فرضت هذه الصلوات الخمس في وقت واحد ولم تفرض متفرقة الواحدة بعد الأخرى .

أما كيف فرضت هذه الصلوات ، فإنها فرضت في ليلة المعراج حينما تجاوز صلوات الله وسلامه عليه السماوات سماء سماء وحينما فتحت له السماوات : سماوات المعرفة ، وسماوات المكانة ، والسماوات المادية في تلك الليلة المباركة التي وصل فيها رسول الله ﷺ إلى سدرة المنتهى وهي الحد الفاصل بين عالم المادة وعالم الروح ، ثم تجاوز ذلك إلى مرتبة أعلى هي ماسماها الله سبحانه وتعالى بقوله (قاب قوسين أو أدنى) فأوحى الله إليه ما أوحى وكان مما أوحاه الله إليه في تلك الليلة : الصلاة ومن أجل ذلك كانت الصلاة معراج المؤمنين ، يتاجون فيها ربهم ويتقربون بها إليه .

في تعويد الأولاد على الصلاة

يهتم الإسلام اهتماماً كبيراً بإعداد المسلم وتعويده على مطالب الإسلام وتأديبه بآدابه والصلاة من أهم أركان الإسلام وآيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ متعددة ومتنوعة في الأمر بإقامتها والتحذير من التهاون فيها ، قال تعالى : (وأقيموا الصلاة) وقال : (اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ولأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولأنها صلة بالله سبحانه ، ولأنها معراج المؤمن إلى الله سبحانه فقد عمل الرسول ﷺ على أن يفرسها المسلمون في أبنائهم منذ الصغر وللصلاة شروط وأركان وآداب وتحتاج الصلاة إلى إيمان راسخ وعزم قوى .

وتعويدهم عليها وتعليمهم إياها بل ضربهم عليها ، وحدد السن الملائمة للتربية بالحسنى والموعظة العلية والسن المتطلبة للضرب والتعنيف . .

روى أبو داود وأحمد والحكم عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع ، فأدنى سن يجب علينا فيه تعليم الولد الصلاة سن السابعة ، ويستمر ذلك التعليم والتهديب ثلاث سنوات كاملة ، فإذا لم تثمر تلك الطريقة في حمل الصبي على الصلاة وتعويده ضربناه على ذلك وسنه عشر سنوات ، وهو أسلوب تروى جميل ، يثمر كل خير ويدفع كل شر ، ولا يستطيع كشف

علمي أن يعارضه قال الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه
ويقول ﷺ : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته « ثم يقول : « والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، ومن رعيته أولاده ، خصوصًا إذا كانوا من الصغار ، فيجب تعويدهم منذ الطفولة على الصلاة ، حيث تنهاهم عن الفحشاء والمنكر ، وفي ذلك خير كثير .

الصلاة تفرق بين المؤمن والكافر

بين الكافر والمسلم هو ترك الصلاة ، أما أعمال الخير التي يؤديها المسلم فله ثوابها ، لأن الله لا يضيع أجر المحسنين ، ولكنها مهما كثرت لا تنفي عن الصلاة ولا تسد مسدها ، وقد يكون الخير الذي يعملُه نافلة لا يعاقب على تركها ، ولكن الصلاة فريضة يعاقب الله تعالى عليها من لم يؤديها كاملة . وأما حفظ القرآن فليس فرضًا على كل مسلم ، ولكن لا بد أن يحفظ كل مسلم منه آيات يستعملها في صلاته .

في جواز قراءة المصل القرآن نظرًا من المصحف

يخوز للمصلي أن يقرأ من المصحف نظرًا وهو في الصلاة ما لم تبلغ حركاته ثلاث حركات متواليات في الركعة الواحدة عند الشافعية .
وعند المالكية لا تبطل الصلاة بالحركات مادامت الحركات لا تشر بخروج المصل من صلاته .

في الحكم في الصلاة في مسجد به الوطواط

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد / فنفيد بأن هذا مما نعم به البلوى . وبشق الاحتراز عنه فيعني عنه بشرط ألا يتعمده بالوقوف أو السجود عليه . .
واشترط بعضهم ألا يكون الزرق رطبًا أو القدم مبتلة . وبمقتضى القاعدة الفقهية « المشقة تجلب التيسير وعدم اشتراط ذلك .

في الصلاة في منزل من ليس مسلماً

لا مانع من الصلاة في منزل من ليس مسلماً إذا تحققت الطهارة وخلًا من الهياكل أو الصليان ، وما إلى ذلك من كل ما يخالف تعاليم الإسلام .
والدليل على ذلك ما رواه البخاري عن عمر أنه قال : إنا لا ندخل كنائسكم من أجل التماثيل التي فيها الصور ، وكان ابن عباس يصلي في البيعة إلا بيعة فيها تماثيل .
وأخرج ابن أبي شيبة عن بكر قال : كتب إلى عمر من نجران أنهم لم يجدوا مكاناً أنظف ولا أجود من بيعة ، فكتب : انضحوها بماء وسدر - أي (وصلوا فيها) .
والمهم في الصلاة أن تكون على وقتها ، وأن تتحقق شروطها من ستر العورة وطهارة البدن والثوب والمكان ، فقد سئل رسول الله ﷺ : أي الأعمال أحب إلى الله فقال : الصلاة على وقتها . وحذر رسول الله ﷺ من تأخير الصلاة عن وقتها ، وبين أن ذلك من دلائل الابتداع .
على أن الصلاة في منزل من ليس مسلماً قد تكون سيئاً في تفتح قلبه على الإسلام . وبصفة خاصة إذا كانت الصلاة نابعة من قلب نقي وصادرة عن إيمان عميق .
عن جبير بن مطعم رضى الله عنه قال : أتيت المدينة والنبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، أي (سورة الطور) ، وذلك أول ما قرأ الإيمان في قلبي ، وكان جبير هذا من أسارى بدر . فمن الممكن أن تكون الصلاة المستكملة لشرائطها وسيلة من أنجح الوسائل للدعوة إلى الإسلام وإظهار محاسنه ، وهذا ما ينبغي أن يحرص عليه المسلمون .

في الصلاة في السوق

إن الصلاة في السوق صحيحة متى استوفت شروطها من دخول الوقت والوضوء والطهارة يقول رسول الله ﷺ : « جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً » .
بيد أن من المعروف أن الصلاة مناجاة قلبية ولسانية بين العبد وربّه ، وكلما كانت هذه المناجاة واعية صافية كانت الصلاة أكثر قبولاً وأكثر تحقيقاً لأهدافها التي منها النهي عن الفحشاء والمنكر .
والسوق عادة مليء بالحركة ومليء بالضجيج ومليء بكثير مما يصرف المصلي عن هذه المناجاة ويحمل الذهن مشتتاً وموزعاً بين الصلاة والأحوال التي تجري في السوق ، ومن أجل ذلك كره بعض الفقهاء الصلاة في السوق ، ولكن هذه الكراهة لا تؤدي إلى بطلانها .

وإذا كان رسول الله ﷺ يقول ما معناه « ليس للإنسان من صلاته إلا ما عقل » فإن من الخير للمسلم أن يتلمس من أجل الصلاة الجو الذي يناسب صفاء المناجاة ، ومع استكمال تحله لكل حركة أو فعل أو قول تتضمنه الصلاة ، وبذلك تتوفر أهداف الصلاة كاملة تامة . ولا يفوتنا في النهاية هذه الإجابة أن نذكر أهل الأسواق من تجار وعمال بقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَادَى لِلصَّلَاةِ . .) إلى قوله خير الرازقين .

في من تذكر في أثناء الصلاة أن وضوءه ناقص

من تذكر وهو في صلاة الجماعة أنه نسي فرضاً من فرائض الوضوء فإن صلاته باطلة ، وعليه أن يخرج من الصلاة إذا تيسر له الخروج ، دون أن يمر أمام أحد من المصلين ، ودون أن يتضرر به في خروجه أحد من المصلين في أثناء الصلاة ، وإن لم يتيسر له الخروج ظل في مكانه من الصف بلا صلاة حتى تنتهي الصلاة ثم يذهب فيتوضأ ويحسن الوضوء ويصلي بعد ذلك . قال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ . . .) إلخ الآية . وقال ﷺ « الطهور شطر الإيمان » ، فكل صلاة بوضوء ناقص فرضاً من فروضه فهي صلاة باطلة .

في صلاة الأغلف

نصح صلاة الأغلف وليس في ذلك شيء من الكراهية أو عدم الصحة ، ذلك لأن الحتان سنة ، وتارك سنة مثل سنة الحتان مادام ليس مستهتراً بالسنة أو مستنكفاً عن الاتباع لا مانع يمنع من قبول صلاته .

وليس من شروط صحة الصلاة الاختتان . . وليس من صلة بين الصلاة والاختتان . والصلاة كما هو معلوم - ركن هام من أركان الدين ، وأساس راسخ من أسس الإيمان لا نسقط عن أحد من المسلمين إلا بالموانع الشرعية كما حددها الإسلام في وضوح . فعل هذا الأغلف أن يختن اتباعاً للسنة واقتداءً برسول الله ﷺ ، وإن لم يختن فعليه الصلاة وهي صحيحة منه وليس فيها شيء يتزل بها عن درجة صلاة المختنين . .

في إعفاء الشيخ الطاعن السن من أداء الصلاة باعتباره ضعيفاً لا يستطيع أداءها

الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام . يقول عليه الصلاة والسلام : « بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . وإقام الصلاة . وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً » .
وللصلاة أهمية كبرى في الإسلام . وذلك أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر . يقول الله تعالى :
(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وهي تذهب السيئات وهي عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، وهي الفارقة بين المؤمن والكافر . ومن يسر الإسلام وسماحته أنه خفف على المريض والضعيف في أداء الصلاة فمن عجز عن القيام صلى قاعداً . ومن عجز عن الركوع والسجود صلى بالإيماء ولا تسقط عنه الصلاة بحال من الأحوال ، لأنه يستطيع أن يؤديها بأي كيفية ، إلا إذا لم يستطع الإيماء ولا الحركة فإنه تؤخر عنه الصلاة . فإذا دام عجزه أكثر من خمس صلوات سقطت عنه .

يقول تعالى : (أقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ، إن الحسنات يذهب بها السيئات) ويأمر الله سبحانه وتعالى أمراً صريحاً جازماً بالمحافظة على الصلاة فيقول : (حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى) ويقول ﷺ : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر » .

في حكم من صلى قبل أن يقيم الإمام الصلاة

إذا كان المراد من السؤال من صلى منفرداً بعد الأذان وقبل أن يقيم الإمام الصلاة فصلاته صحيحة ، غير أنه آثم لتركه السنة المؤكدة ، وهي الصلاة مع الجماعة .

أما إذا كان المراد أنه دخل في صلاة الجماعة متابعاً للإمام قبل أن يصلي الإمام أى قبل أن يدخل في الصلاة فصلاته باطلة ، لأن من شروط صحة صلاة الجماعة ألا يسبق المأموم الإمام وهذا قد سبقه بتكبيرة الإحرام .

في التلقت في أثناء الصلاة

إن التلقت في الصلاة مكروه ، وذلك لاشتغال المصلي بغير الله عز وجل . وقوله تعالى : (قوموا لله قانتين) أى خاشعين متبتلين وجلين من ألا تقبل الصلاة .
والصلاة التي يحبها الله ورسوله إنما هي صلاة الخاشعين ، والخاشع في الصلاة مستغرق في أدائها على خير وجه فلا يتأني أن يتلفت يمينا أو يسارا ولقد قال رسول الله ﷺ في رجل غير هادئ في الصلاة : « لو خشع قلبه لخشعت جوارحه » . وكان ذلك ذمًا له والعبد في صلاته واقف بين يدي ربه والمؤمن الصادق يلتزم الأدب بين يدي الله سبحانه ، فهو حينما يقول بادئاً الصلاة : الله أكبر ، فإنه ينصرف عن كل ما عدا الله سبحانه ، ويستغرق فيما يؤديه على ما يجب الله ورسوله . . .

في البصق في أثناء الصلاة

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه إلى يوم الدين :
الصلاة يجب فيها الخشوع والخضوع وعدم الإتيان بما يتنافى مع الآداب ، لأن للمصلي بين يدي ربه ، وهو منذ أن يقول : « الله أكبر » يجب أن يكون ذلك شعاره بالفعل ، ويجب عليه منذ افتتاح الصلاة أن يلزم منتهى الأدب مع من هو واقف بين يديه ، وهو الله سبحانه . ولذا يكره البصق في أثناء الصلاة ، لأن الإنسان لا يفعله مع رئيس أو غيره إن كان واقفاً بين يديه ، لأن فيه إساءة أدب مع من يتحدث معه .
بيد أنه إذا غلبه ذلك ولم يجد مفراً منه فبأخذه بطرف ثوبه أو منديله ، ومن المعروف أن من آداب الإسلام عدم البصق تجاه القبلة في الصلاة ، وعدم البصاق في المسجد .

في من تذكر صلوات سنة فانت

لا تبطل الصلاة التي يقوم بها (بأدائها) من تذكر صلوات سنة كاملة فانت ، وقد ورد في مثل ذلك عن ابن عمر قال : « من نسي صلاة فلم يذكرها إلا وهو مع الإمام فليتم صلاته ، فإذا فرغ

منها فليصل التي نسي ثم ليعد التي صلاها مع الإمام « أخرجه مالك والطحاوي والدارقطني وغيرهم .

وعليه أن يقضى هذه الفوائت بمجرد تذكرها لحديث أنس أن النبي ﷺ قال : « من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها ، لا كفارة لها إلا ذلك ، فإن الله تعالى قال : (أقم الصلاة لذكرى) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه .

أما كيفية قضاء هذه الصلوات : فإن على من يريده أن يبادر إليه ، في كل وقت يتمكن فيه من ذلك ويترك النوافل ما عدا ركعتي الفجر والشفع المتصل بالوتر ، ويجوز أن يقضى مع كل صلاة مثلها أو صلاتين مثلها تيسيراً له . .

ونترك هذه الصلوات المتعددة لا يسقط أدائها بل هي معلقة بدمية صاحبها . . على أننا نستبعد أن ينسى الإنسان صلوات سنة كاملة ، فالأذان يذكر وطلوع الشمس وغروبها وتبدل الليل والنهار وغير ذلك مما يدل على وقت الصلاة . . ومن هنا فإن على من يترك الصلاة سنة كاملة إذا قصى هذه الصلوات إثم التأخير .

في صلاة المسلم ويجواره فاسق أو فاجر

لا يبطل الصلاة أن يصلي الإنسان ويجواره فاسق أو فاجر أو حتى كافر ، فإنه ليس من شروط الصلاة أن يصلي الإنسان ويجواره رجل صالح .
يبد أن على المصل الصالح واجباً اجتماعياً ودينياً ، وهو واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو واجب الإرشاد والهداية .

ولأن يهدي الله به رجلاً خيراً من الدنيا وما فيها ، فعل المصل المستقيم أن يبين للمصل المنحرف حكم الله في انحرافه ويبين له الضرر الذي يعود عليه وعلى المجتمع من أذى الانحراف .
يقول رسول الله ﷺ من رأى منكراً فليغيره . . . إلخ .

في مَنْ رَفَعَتْ عَنْهُ الصَّلَاةُ

يقول رسول الله ﷺ : « رفع القلم عن ثلاث : عن الصبي حتى يحتلم ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يفيق » .

فالمصلي قبل البلوغ لا تجب عليه الصلاة . أما قوله - صلوات الله عليه - حائثاً على الصلاة

« مروا أولادكم بالصلاة لسبع واضربوهم لعشر » . فإن الرسول صلوات الله عليه يهدف من وراء ذلك إلى فرض التعود على الصلاة منذ الصغر ، حتى تصبح مألوفة متعوده عند البلوغ ، لأن التعود مما يسهل الأعمال ، وفترة الصبي إذن لا تكليف فيها ، ولذلك فإنه يجب قضاء ما فاتته منها . وعلامة البلوغ الذي يوجب التكليف إنما هي الاحتلام عند الذكر ، والحيض عند الأنثى كما هو معروف في كتب الفقه .

في أمر الأولاد بالصلاة

أهم أركان الإسلام وأولها هي الصلاة ، فهي عماد الدين . وقد شرعت للمسلمين قبل أن تشرع الأركان الأخرى وطبقاً لحديث رسول الله ﷺ يؤمر الأولاد بالصلاة وهم في سن السابعة ليتعودوا عليها ، فإذا بلغ الناشئ العاشرة ولم يصل ضربه ولئى أمره كى يؤدى الصلاة ، وهو فى هذه السن - طبعاً غير مكلف - ولكن يضرب عليها حتى يتعودها ويدرك أهميتها ، والطفل فى سن العاشرة لا يصوم لمشفة الصيام عليه ولكنه يصل .

في كيفية الصلاة

إذا دخل الإنسان فى حضرة مولاه - أعنى : فى الصلاة - فينبغى ألا يشغل بشىء من النوافل أو الفرائض الأخرى التى شرعها الله سبحانه وسنها رسوله ﷺ سوى الصلاة .
لأننا مأمورون بالتأسى برسول الله ﷺ فى أقواله وأفعاله لا سيما لأنه أمرنا أن تؤدى فريضة الصلاة كما أداها فقال : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » .
ولم يؤثر عنه - ﷺ - أنه صلى على نفسه أو أمر أحداً من أصحابه أن يصل على عليه ويسلم فى الصلاة فى غير التشهد .

والعبادات المشروعة سنة متبعة يجب ألا يدخلها ما ليس منها ، وألا يتأول فى ذلك لتبقى على هيئتها كما أخذت عنه ﷺ .

وليس لأحد من المجتهدين أن يتأول وأن يشرع فى الصلاة غير ما شرع الله تعالى وسن رسوله ﷺ ، وهذا ما عليه الجمهور غير أنه صلى وسلم على رسول الله - ﷺ - فى الصلاة فى غير التشهد الأخير ، والتشهد الأول عند الشافعى رضى الله عنه فإن ذلك لا يفسد الصلاة ، وعلى المصلى أن يلتزم بما نص عليه الشارع ليكون مناسباً برسول الله ﷺ فى ذلك المشهد العظيم .

مشهد الصلاة ، ولا يكون كالذى يرى نقصاً فيما شرع الله سبحانه وسنّ رسوله ﷺ فتذلل قدمه ، ولا يكون له ثبات في طريق الله سبحانه .

أما خارج الصلاة فالصلاة على رسول الله ﷺ من خير ما يتقرب به العبد إلى الله عز وجل ، ولا سيما أن الله أمرنا بالصلاة عليه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) ، ويجب الصلاة على رسول الله ﷺ عند ذكر اسمه قال ﷺ : « أرغم الله أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلّ علىّ » ﷺ .

في قراءة البسملة في الصلاة

إن البسملة - بسم الله الرحمن الرحيم - من القرآن باتفاق الأئمة جميعاً ، وهي جزء من آية من سورة المل بلا خلاف ، قال تعالى : (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) أما غير سورة المل ففيها خلاف .

فعند الشافعية هي آية من كل سورة من سور القرآن الكريم ، أى أنها مائة وثلاث عشرة آية بعدد سور القرآن ما عدا سورة براءة ، فليست آية منها . وعند الحنفية أنها آية واحدة من جميع القرآن أنزلت للفصل بين السور .

ومن تركها في الصلاة فقد ترك آية من الفاتحة التي هي ركن من أركان الصلاة عند الشافعية وعلى ذلك فلا تصح صلاته بدونها .

وعند الحنفية صلاته صحيحة لأنها ليست آية من سورة الفاتحة .

والخطب إذن في أمر قراءتها وعدم قراءتها حين مادام الأئمة قد اختلفوا فيها ، فبأى الرأيين أخذ الإنسان فصلاته صحيحة ، غير أن الأخذ بتلاوة البسملة في كل فاتحة في الصلاة أولى للحبطة وللخروج من كل خلاف .

في وضع اليدين على الصدر في أثناء الصلاة

إن وضع اليدين على الصدر ، أو على ما تحت الصدر ، أو عدم وضعها لا يفسد الصلاة ، وذلك أن وضع اليدين على الصدر من سنن الصلاة ، إنه من السنن وليس من الواجبات أو الفروض ، ويستوى ذلك بالنسبة للرجل والمرأة على السواء ولقد قال الكمال بن الهمام وهو من أئمة علماء الفقه : لم يثبت عن النبي ﷺ ، حديث صحيح يوجب كون وضع اليدين تحت

الصدر أو على الصدر ، والحق أن وضع اليدين على الصدر أو تحته أو إرسالهما قد فعله الصحابة ، ولكن الأمر المهم في ذلك بالنسبة للرجل والمرأة هو أنه إذا وضع الرجل أو المرأة اليد على الأخرى ، فإن اليمنى هي التي توضع على اليسرى ، فمن جابر رضى الله عنه فيما رواه الإمام أحمد قال :

«مر رسول الله ﷺ برجل وهو يصلي ، وقد وضع يده اليسرى على اليمنى ، فانترعهما ووضع اليمنى على اليسرى» .
وللمرأة إذن أن تضع يديها على صدرها أو تحت صدرها أو ترسلهما .

في ذهاب النساء لصلاة الجمعة

لا يجب على النساء الذهاب لصلاة الجمعة ، ويجوز لمن - إذا أمنت الفتنة عليهن - حضور الصلاة وأداؤها ، ويجزى ذلك عنهن ، لأن إسقاط الجمعة للتخفيف عنهن . فإذا لم تذهب النساء لحضور الجمعة ، أو إذا خيفت الفتنة من ذلك الحضور - فصلاة الجمعة بالنسبة إليهن هي صلاة الظهر أربع ركعات .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام عناية الإسلام بحفظ كرامة النساء ، والعمل على منع ما يمكن أن يصيبهن من مضايقات ، وفي نفس الوقت حرصه على منع العبادة من أن يتطرق إليها ما يفسدها أو يخرج بها عما حدّ لها من حدود .

أليس في ذلك ما يشير إلى وجوب احترام المرأة لتعاليم دينها وبعدها عن كل ما يسبب الخروج عن هذه التعاليم في الزى أو السلوك أو الاجتماع أو الاختلاط .
ثم إن فيه أيضاً وجوب تجريد العبادة من كل خروج بها عن حدودها والابتعاد بها عن كل ما يشغل أو يبعد عن الجو المطلوب لأدائها على أكمل الوجوه .

في صلاة المسافر في القطار أو السيارة

إن كان المصلي يعلم بالجهة التي يتوجه إليها بالقطار أو السيارة فيستدير نحو القبلة ثم يكمل صلاته ولا إعادة عليه . أما إذا كان لا يعلم أن القطار أو السيارة وهو في الصلاة قد غير جهة السير واستمر في صلاته إلى آخرها ولم يسأل بعد ذلك فالصلاة صحيحة لعدم علمه ولا إعادة عليه ، وإذا استدار القطار أو السيارة إلى أي جهة غير جهة القبلة يستدير إلى القبلة حتى يتم صلاته مُستقبلاً القبلة . ولو تحول عن القبلة لا تجزئ صلاته في قولهم جميعاً .

في صلاة الجنائز على المولود

المولود الذي مات بعد ولادته مباشرة يصلى عليه صلاة الجنائز ما دام قد نزل حياً من بطن أمه ، فقد أجمع أهل العلم على أن الطفل إذا عرفت حياته واستهل يُصلى عليه . ومعنى الاستهلال : الصباح أو العطاس ، أو أى حركة يعلم بها حياة الطفل بعد ولادته . روى الإمام أحمد وأبو داود عن المغيرة بن شعبه عن النبي ﷺ قال : « الراكب خلف الجنائز والماشي أمامها قريباً منها عن يمينها أو عن يسارها والسقط لا يصلى عليه ويُدعى لوالديه بالمغفرة والرحمة » .

في قصر الصلاة والفطر في السفر الذي لا مشقة فيه

قال الله تعالى : (ومن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر) . هذه الآية تبيح للمريض والمسافر الفطر ، وذلك لأن السفر مظنة المشقة ، لذلك رخص الله للمسافر أن يفطر فيه .

روى مسلم عن حمزة الأسلمي قال : « يا رسول الله أجد منى قوة على الصوم في السفر فهل على جناح ؟ فقال : هي رخصة من الله تعالى لمن أخذ بها فحسن ، ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه » .

والمسافة التي نسمى مسافة سفر هي ما يساوي اثنين وثمانين كيلومتر تقريباً ، وما بين مصر وطنطا أو بينها وبين أسبوط يعتبر مسافة سفر .

غير أن من لم يتضرر بالسفر ولم يجد فيه مشقة فصيامه أولى من فطره عملاً بقوله تعالى : (وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون) . .

في من يصلى وأولاده الصغار يحومون حوله .

من يصلى وأولاده الصغار يحومون حوله أو يتعلقون به صلاته صحيحة ما لم يكن بمن يتعلق به أو يحوم حوله نجاسة تبطل بها الصلاة ، فقد كان رسول الله ﷺ يصلى وهو يحمل حفيده ابنة السيدة زينب في أثناء صلاته ، حتى إذا ركع وضعها على الأرض فإذا رفع من الركوع احتملها

وقد ورد أن الحسن والحسين - رضي الله عنهما - كانا يتعلقان بالنبي ﷺ وهو ساجد ، فما كان يرفع من السجود رأسه حتى يتزلا .

وفي ذلك تأليف للأولاد وشفقة ورحمة بهم . . . والصلاة في حقيقتها خشوع لله سبحانه وتعالى ، وتهذيب للنفس وتكامل لها بجميع الفضائل التي يجب أن يتحلل بها المسلم في كل شئونه فكيف يضيق المصلى بمن يحوم حوله من الأولاد وهو بين يدي مولاه الذي يجب منه أن يكون بالمؤمنين رءوفاً رحيماً ، وبأولئك الأولاد الصغار عطوفاً ودوداً .

في أوقات الصلاة

للصلوات الخمس أوقات محدودة لا بد أن تؤدي فيها لقوله تعالى : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) .

وقد حددت السنة هذه الأوقات روى عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ جاءه جبريل عليه السلام فقال له : « قم فصله فصل الظهر حين زالت الشمس ثم جاءه العصر فقال : قم فصله فصل العصر حين صار ظل كل شيء مثله ثم جاءه المغرب فقال : قم فصله فصل المغرب حين وجبت الشمس ، ثم جاءه العشاء فقال : قم فصله فصل العشاء حين غاب الشفق ، ثم جاءه الفجر حين برق الفجر أو قال سطع الفجر . ثم جاءه من الغد للظهر فقال : قم فصله فصل الظهر حين صار ظل كل شيء مثله ، ثم جاءه العصر فقال : قم فصله فصل العصر حين صار ظل كل شيء مثله ثم جاء للمغرب وقتاً واحداً لم يزل عنه ، ثم جاءه العشاء حين ذهب نصف الليل أو قال ثلث الليل فصل العشاء ثم جاءه حين أسفر جداً فقال : قم فصله فصل الفجر ثم قال ما بين هذين الوقتين وقت » رواه أحمد والنسائي والترمذي وقال البخاري : هو أصح شيء في المواقيت يعني إمامة جبريل ، أما وقت الجمعة فهو وقت صلاة الظهر فلا تصح قبلها ولا بعدها .

في جواز الاعتماد على الساعة في أداء فريضة الصلاة

إن الإسلام في بساطته ويسره ربط كثيراً من شعائره بالنسبة لأوقاتها بالمظاهر الطبيعية للكون ومن ذلك أوقات الصلاة ، وأوقات الصلاة التي حددها رسول الله ﷺ بحسب المظاهر الطبيعية هي كما حددها الحديث السابق .

وعن عقبة بن عامر ، أن النبي ﷺ قال : « لا تزال أمتي بخير أو على الفطرة ما لم يؤحروا

المغرب حتى تشتبك النجوم » وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال : « الشفق الحمراء ، فإذا غاب الشفق وجبت الصلاة أى صلاة العشاء » ولما اخترعت الساعات - وكان اختراعها فى الحضارة العربية حاول علماءها تحديد وقت الصلاة بحسبها فعينوا الأزمنة والأوقات لكل فرض من الفروض متبعين فى ذلك توجيهات رسول الله ﷺ فالساعة تحديد للوقت بحسب الأصول الإسلامية فيجوز الاعتماد عليها فى أداء فريضة الصلاة .

فى السنة بعد تكبيرة الإحرام

السنة بعد تكبيرة الإحرام أن يترث المصلى قبل قراءة الفاتحة فترة يتمكن فيها من افتتاح الصلاة لما صح عن رسول الله ﷺ أنه كان يفتح الصلاة به من قوله : الله أكبر كبيراً ، ثلاثاً والحمد لله كثيراً ثلاثاً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً ثلاثاً ، وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين .
ثم يقرأ البسملة مع الفاتحة خروجاً من خلاف من اعتبرها آية مستقلة من الفاتحة وقال : بأن تركها يبطل الصلاة .

فى التشهد فى الصلاة

إن الصلاة من الله سبحانه وتعالى على أحد أفراد عباده إنما هى الرحمة تفيض منه سبحانه وتعالى على عبده .

ورحمة الله إنما هى رضاه وتجلياته . وهذه التجليات لا تعد ولا نهاية لها ، وهى فياض باستمرار ، لأن الله كرم جواد والصلاة على إبراهيم عليه السلام هى رحمة الله وبركاته عليه وعلى أهل بيته ، وقد ورد فى القرآن الكريم بالنسبة لسيدنا إبراهيم قوله تعالى : (رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد) وفى قوله تعالى : (سلام على إبراهيم) وصلاة الله سبحانه وتعالى على إنسان هى كاملة بالنسبة لهذا الإنسان أى أنها تتناسب هى وما فطره الله عليه من خير وصلاح وإحسان ، ونحن حينما نقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم فالمعنى اللهم صل على محمد بما يناسب ما فطرته عليه من كمال ذاتى كما صليت على إبراهيم بما يناسب ما فطرته عليه من فطرة طيبة ، والمثلية هنا إذن ليست مثلية اتحاد

كثماً وكيفاً ، وإنما هي مثلية تشابه في الصلاة وإن اختلفت الصلاة على كل منها كثماً وكيفاً : كل بحسب ما يناسبه وما فطره الله عليه .

أما لماذا نصلى عليه نحن ولقد صلى الله عليه وصلى ملائكته عليه وليس بعد صلاة الله وملائكته من حاجة لصلاتنا نحن عليه فإنما ذلك من أجل فائدتنا نحن ، فإننا كلما ارتبطنا برسول الله ﷺ بوساطة الصلاة عليه زادنا الله نوراً وأكرمنا ، ففائدة الصلاة عليه تعود علينا نحن ، لقد أراد سبحانه أن يوثق صلتنا برسول الله ﷺ . .

• في هل يجوز عند المذاكرة الجمع في الصلوات ؟

لا يجوز ذلك فليست المذاكرة عذراً مبيحاً للجمع عند القائلين به ، والجمع لا يجوز عند الحنفية إلا في عرفة ومزدلفة للحاج فقد يصلى الحاج الظهر والعصر قصرًا وجمعًا مع الإمام في وقت الظهر ، أى أنه يصلى في عرفة الظهر ركعتين ويصلى العصر بعده مباشرة ركعتين كذلك بلا سنة بينها ، ويصلى المغرب والعشاء جمعًا وقصرًا للعشاء في وقت العشاء بمزدلفة ، والأول جمع تقديم والثاني تأخير وأباح الشافعية الجمع - تقديمًا أو تأخيرًا - بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، للمسافر القصر بشرط السفر عندهم يجوز جمعها جمع تقديم فقط بسبب نزول المطر ويشترط لذلك شروط مبسطة في كتاب فقه الشافعية .

غير أنه يجوز للطالب إذا ما ضاق وقته بسبب كثرة المذاكرة وقرب الامتحان مثلاً أن يجمع بين هذه الصلوات جمعًا صوريًا كأن يصلى الظهر في آخر وقت الظهر ويصلى العصر في أول وقت العصر وهكذا .

وبذلك يكون مؤدياً لكل فريضة في وقتها ، وموفرًا لنفسه زماناً يستغله في مذاكرته والله الموفق .

في معرفة أوقات الصلاة في البلاد التي لا تظهر الشمس

في سماها في بعض شهور السنة

هناك بلاد لا تظهر فيها الشمس في بعض شهور السنة . وأهل هذه البلاد يؤدون الصلاة بحسب المواقيت في أقرب البلاد المعتدلة إليهم .

والصلاة لا تسقط إذا ظهرت الشمس أو لم تظهر ، والله سبحانه وتعالى يقول : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) .

والصلاة هي الركن الثاني : من أركان الإسلام ، إنها الركن الذي يتلو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله مباشرة ، وهي لا تسقط بأى حال من الأحوال سواء أشرقت الشمس أو لم تشرق ، وأمر تحديد مواقيت الصلاة في هذه البلاد أصبح الآن أمراً ميسراً بفضل الوسائل العلمية البسيطة التي تعين على ضبط الوقت وتحديد مجرى أقرب البلاد المعتدلة إلى الإقليم الذي لا تشرق فيه الشمس شروقاً عادياً ..

في أداء الصلاة قبل الوقت

لا يجوز أداء الصلاة قبل الوقت ، ولا تصح إلا في حالات خاصة محددة هي حالات جمع الصلاة جمع تقديم . وأجمع العلماء على أن الجمع بين الظهر والعصر في وقت الظهر بعرفة سنة ، وهو جمع تقديم ، والجمع بين المغرب والعشاء بالمزدلفة في وقت العشاء سنة أيضاً وهو جمع تأخير ، وما عدا ذلك من ألوان الجمع غير جائز إلا في وقت السفر فإنه يجوز جمع الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء جمع تأخير ، لما أخرجه البخاري ومسلم عن أنس قال كان رسول الله ﷺ إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس - أى قبل حلول وقت الظهر أخر الظهر إلى وقت العصر - نزل فجمع بينهما ، فإن زاغت الشمس - أى حل وقت الظهر قبل أن يرتحل - صلى الظهر ثم ركب . وما أخرجاه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : رأيت رسول الله ﷺ إذا أعجل السير في السفر يؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء .

والسبب في ذلك هو امتداد وقت الظهر والمغرب لما بعد العصر والعشاء إذا دعت الضرورة إلى ذلك .

وعلى ذلك فتقديم الصلاة عن وقتها لا يجوز ، وتأخير الصلاة عن وقتها لا يجوز، إلا في يوم عرفة وفي السفر ، وحكم السفر في تأخير الصلاة النوم الاضطراري والنسيان والمرض المذهب للعقل طول الوقت ، وقد حذر الرسول ﷺ من تأخير الصلاة عن أول وقتها وبين أن في ذلك خروجاً عن السنة وإقامة للبدعة .

ومع ذلك فإذا خرج وقت الصلاة وجب أداؤها متى تبسرت الفرصة ليسقط الفرض عن المصلى وعليه إثم التأخير إن لم يكن عذر دعا إليه ..

في الشك في الوضوء والصلاة

يكفي غلبة الظن بزوال آثار البول لإتمام الطهارة ولا يلزم بل يكره ، بل يحرم إعادة التطهر من النجاسة ، لأن ذلك استسلام للوسوسة ، وخروج عن حد الاعتدال ، وعليك إزالة هذا الشك من نفسك بقطع أسبابه ، وهو معاودة التطهر مرة بعد مرة .

وفي الوضوء يكفي غسل كل عضو مرة لتحقيق الطهارة . ويندب تكرار الغسل ثلاث مرات لكل عضو . وما عدا ذلك يعتبر إسرافاً عليك تجنبه . وإذا ما انتابك الشك في غسل عضو ما . . أخذت بغالب الظن ، فإن غلب على ظنك عدم غسله أعدته وأعدت ما بعده ما دامت الأعضاء لم تجف ، وإلا أعدت غسل العضو الذي شككت فيه وحده أما إذا كان الشك في وقوع الوضوء أو عدم وقوعه ، أخذت بما غلب على ظنك أو اعتمدت ما يناقض الشك ويقضي عليه . وفي الصلاة إذا شككت في أنك أتممت الصلاة أو بقيت ركعة أو صليت ركعتين أو ركعة بنيت على ما تيقنت أنك صليته وأكمل الصلاة . فقد روى مالك ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا شك أحدكم في صلاته ، فلم يدر كم صلى . أثلاثاً أم أربعاً . فليصل ركعة ، وليسجد سجدتين وهو جالس قبل التسليم . فإن كانت الركعة التي صلى خامسة شععها بهاتين السجدتين وإن كان رابعة فالسجدتان ترغيم للشيطان » .

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال :

« إذا شك أحدكم في صلاته فليبتوح الذي يظن أنه نسى من صلاته فليصله . ثم ليسجد سجدتين السهو وهو جالس » وروى مثله عن عبد الله بن عمرو على أن هذا الشك في التطهر والصلاة بهذه الصورة لا يدل إلا على انصراف عن العمل وتعاود عن التفكير فيه . وعلى صاحبه محاولة القضاء عليه بإهمائه والعمل على الظن . وحبر ما يمكن أن يكون من نقص في الصلاة بسجود السهو كما في الحديث .

ومما وصف لإزالة الشك قراءة الموعودتين قبل الصلاة ثلاث مرات . وقراءة : (رب أعوذ بك من همزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون) ثلاث مرات . وقد وصفت لإزالة الشك تكرار الصيغة التالية : « سبحان الملك الخلاق . إن يشأ يذهبكم وبأت بخلق جديد » ..

في وقت صلاة الصبح

وقت صلاة الصبح من طلوع الفجر إلى شروق الشمس ، فإذا طلعت الشمس مضى وقت صلاة الصبح أداء . . . ووجب قضاؤها وتصل على أنها قضاء . . . ولا يلزم الأذان على المرة لصلاة الصبح بعد طلوع الشمس ، وإنما عليه أن يقيم لها الصلاة ، ولو كانوا جماعة غلبهم النوم فعليهم الأذان والإقامة والصلاة جماعة لما رواه البخاري بسنده عن أبي قتادة قال : « سرنا مع النبي ﷺ . . . فقال : بعض القوم لو عرست بنا يا رسول الله ! قال : أخاف أن تناموا عن الصلاة . . . قال بلال : أنا أوقظكم فاضطجعوا وأسند بلال ظهره إلى راحلته فغلبته عيناه فنام ، فاستيقظ النبي ﷺ وقد طلع حاجب الشمس ، فقال : يا بلال : أين ما قلت ؟ قال : ما ألقيت على نومة مثلها قط ، قال : إن الله قبض أرواحكم حين شاء وردها عليكم حين شاء . . . يا بلال : قم ، فأذن بالناس بالصلاة . . . فتوضأ . . . فلما ارتفعت الشمس قام فصل . »

في متى يمكن الجمع بين صلاتين ؟ ولماذا لا يجوز الجمع بين الصبح والظهر ولا بين العصر والمغرب ؟

يمكن الجمع بين صلاتي الظهر والعصر ، وبين صلاتي المغرب والعشاء جمع تقديم بصلاة الثانية في وقت الأولى معها أى صلاة العصر مع الظهر في وقت الظهر ، وصلاة العشاء مع المغرب في وقت المغرب ، ويمكن الجمع بين كل من الصلاتين جمع تأخير بصلاة الظهر مع العصر في وقته وصلاة المغرب مع العشاء في وقت العشاء ، وذلك كله مشروط بالسفر ، فإذا كان وصوله إلى الجهة التي يقصد إليها بعد فوات وقت العصر أو العشاء جمع جَمْع تقديم قبل السفر ، وإذا كان سفره قبل حلول وقت الصلاة الأولى ووصوله في وقت الثانية جَمْع تأخير بعد الوصول ، وذلك عند مالك والشافعي وأحمد خلافاً لأبي حنيفة وقبل يجوز الجمع بين المغرب والعشاء للمطر ، لمن يصلي جماعة بمسجد يُقصد من بعد . . . لئلا يتأذى بالمطر إذا عاد مرة ثانية لصلاة العشاء .

وهل يجوز الجمع للخوف ؟ قيل نعم . والراجع أن الجمع لا يجوز ، وننتهي من ذلك كله إلى أن الجمع للسفر هو الأساس ، والجمع للمطر يجوز أحياناً عند بعض العلماء .

أما الجمع المتفق على جوازه فهو الجمع بين الظهر والعصر في أول وقت الظهر بيوم عرفة ، والجمع بين المغرب والعشاء في وقت العشاء بمزدلفة بعد الوقوف بعرفة والانصراف منها إلى المشعر الحرام .

والأساس في ذلك كله التيسير على المسلم والترخيص له في تمام العبادة في كل الظروف . أما الجمع الذي لا يجوز فهو ما لم يكن في إطار ما قدمناه لمن يجمع الظهر مع العصر في وقت العصر والمغرب مع العشاء في وقت العشاء كسلا أو تراخيا ، لأن أول الوقت رضوان الله ولأن إقامة الصلاة الإتيان بها في وقتها المحدد لها على ما شرعها الله . أما صلاة العصر أو العشاء قبل وقتها فلا يجوز لأن العلم بدخول وقت الصلاة بالتعيين شرط في صحة الصلاة .

في تحديد القبلة في الصلاة

إن استقبال القبلة أمر ضروري للمصل . فهو شرط في صحة الصلاة وقبولها ، والله سبحانه وتعالى يقول : (قول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) ، ولا بد من تحرى القبلة والوصول إلى العلم اليقيني . في ذلك من أجل أمر آخر أيضاً ، وهو أن يفرغ المصل لتوجيه وجهه للذي فطره . فلا يكون موزع القلب بين صحة الصلاة وبطلانها . وبين التكبير فيها إذا كان متجهاً نحو القبلة أو متجهاً إلى غير القبلة . وأمر بتحقيق القبلة الآن مبسور ، فقد وجدت الآلات التي تحدد اتجاه القبلة وهي أدوات خفيفة يمكن أن تحمل في الجيب دون أن يكون في ذلك إرهاق أو مشقة وقد تعددت اختراعات هذه الآلات وأصبحت متداولة بين الناس ، ولو فرصنا أنها ليست في مبسور الطالب فيمكنه أن يشتري بوصلة ويذهب إلى أي مسجد من مساجد إنجلترا ويحدد على البوصلة في المسجد اتجاه القبلة . فإذا تدرك كل ذلك - ولا أظن أن يتعذر - فإنه يتخذ ما استطاع مسترشداً بآراء الآخرين . ونحن إذ نحمد في النهاية محاولة الطالب التحرى في أمور دينه فإننا نرجو له التوفيق .

في الصلاة فوق القمر

تؤدى الصلاة ونحن فوق القمر كما تؤدى بها ونحن فوق الأرض . مع مراعاة ما يحدث فوق الأرض من ظهور المعجزة الصادق بالنسبة لصلاة الفجر إلى طلوع الشمس .

ومراعاة وقت الزوال وهو وقت تحول الشمس إلى جهة الغرب وتحول الظل إلى جهة الشرق إلى أن يصير ظل كل شيء مثله بعد ظل الزوال بالنسبة لصلاة الظهر . أما صلاة العصر فيدخل وقتها حين يصير ظل كل مثله بعد ظل الزوال إلى أن تغرب الشمس ، ووقت المغرب يبدأ من غروب الشمس إلى وقت ظهور الشفق الأحمر ، ووقت العشاء يبدأ من ظهور الشفق الأحمر إلى ظهور الفجر الصادق ، والجانب المظلم من القمر يراعى فيه بالنسبة للصلاة المقدار الزمني في كل وقت ، ويمكن للذي يريد الصلاة فوق القمر أن يتجه نحو القبلة بالاستدلال بالشمس والنجم القطبي والبوصلة .

في الصلاة في البيت

الصلاة المفروضة في البيت جائزة ومجزئة ، غاية الأمر أن صلاتها في جماعة أفضل من صلاة الفرد بخمس وعشرين درجة أو سبع وعشرين درجة ، وصلاة المسجد أفضل من صلاة البيت وليس من المحتم على الرجل أن يؤدي الصلاة في المسجد ، ماعدا الجمعة إلا في مذهب أحمد لمن كان بجوار المسجد ، لحديث : لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد ، لكن الحديث لم يصح ، غير أن أحمد رحمه الله كان يقدم الحديث الضعيف على رأى الرجال . . .

في صلاة الفريضة في المسجد

صلاة الفرض في المسجد أفضل أجراً وأكثر ثواباً وأرفع درجة من الصلاة في البيت . . وقد ورد في فضل المشي إلى المسجد والرجوع منه ما بين هذا الفضل وذلك التفاوت في الدرجات . فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من غدا إلى المسجد أراح أعد الله له في الجنة نزلاً غداً أراح » . وقال ﷺ « من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من غرائض الله كانت خطواته : إحداها تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة » . والسبب في ذلك أن المساجد بيوت الله ، فإذا كان المرء منا يكرم من يزوره ويقدر ما تكبده من مشقة في سبيل هذه الزيارة فالله تعالى أكثر كرمًا وأعظم تفضلاً على من يزوره في بيوته الطاهرة - وهي المساجد .

ولقد كان الصحابة يسرون بعد ما زلهم عن المسجد لتكون خطواتهم إليه أكثر ومشيمهم إليه أطول ، عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : « كان رجل من الأنصار لا أعلم أحداً أبعد من

المسجد منه وكانت لا تخطئه صلاة . . فقبل له : لو اشتريت حماراً لتركيه في الظلماء وفي الرمضاء قال : ما يسرفني أن متزلي إلى جنب المسجد ، إني أريد أن يكتب لي ممشاق إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي فقال رسول الله ﷺ : « قد جمع الله لك ذلك كله » وقال ﷺ لأناس أرادوا أن يتقلوا قرب المسجد « دياركم تكتب آثاركم . . دياركم تكتب آثاركم » فقالوا ما يسرنا أنا كما نحولنا أي انتقلنا من ديارنا البعيدة عن المسجد إلى ديار قريبة منه ، ويزداد فضل الصلاة في المسجد إذا كانت في جماعة كما هو معلوم . هذا وقد جعل النبي ﷺ من أسباب محو الخطايا ورفع الدرجات كثرة الخطأ إلى المسجد ، وجعل المشي إليها في الظلمات سبيلاً إلى النور التام يوم القيامة . فقل : « بشر المشائين إلى المسجد بالنور التام يوم القيامة » وقال : إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان . .

موقف المسلم من قراءة الفاتحة وسورة بعدها في الصلاة

إن موقف المسلم في الصلاة بالنسبة لقراءة الفاتحة ، وسورة بعدها فلا يخلو حاله من أمرين :
أحدهما : أن يكون مقتدياً .
وثانيهما : أن يكون منفرداً .
فإن كان المصلى خلف الإمام ، وكانت الصلاة جهرية ، لا يجوز له القراءة مطلقاً ، لا الفاتحة ولا غيرها ، عملاً بقوله سبحانه :
(إذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) .
أما في الصلاة السرية فإنه يقرأ ما تيسر له من القرآن بعد الفاتحة . هذا بالنسبة للمقتدي .
أما بالنسبة للمنفرد في صلاته فالواقع أن هناك شيئاً من التفصيل .
وذلك إما أن يكون المصلى ، يحسن القراءة ويحفظ شيئاً من القرآن أولاً . فإن كان يحسن القراءة ويحفظ شيئاً من القرآن ، وجبت عليه قراءة السورة ، أو آية ، أو آيات بعد الفاتحة وإن ترك ذلك وجب عليه السجود للسهو .
وإن كان لا يحسن القراءة ولا يحفظ شيئاً من القرآن مطلقاً ، جاز له أن يكفى بالفاتحة ، وصلاته على ذلك صحيحة .

في قراءة القرآن في أثناء الصلاة

افترض الله على المسلم أن يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويصوم رمضان ، ويحج البيت إن استطاع إليه سبيلاً .

وليس من الفرائض إجادة قراءة القرآن إلا بالقدر الذي تجوز به الصلاة ، فما دام المسلم يحفظ من القرآن الكريم ، ما تنصح به صلاته فلا إثم عليه في عدم إجادة ما عدا ذلك .
غاية ما هنالك أن قراءة القرآن عبادة مرغّب فيها ولها ثوابها ، كما قال صلوات الله وسلامه عليه : « من قرأ القرآن فله بكل حرف عشر حسنات ، لا أقول « ألم ، حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » .
فإذا أراد المسلم أن يضاعف الله له الحسنات ويزداد قرباً من ربه فعليه بقراءة القرآن الكريم . .

في الجمع والقصر في صلاة السفر

السفر مظنة المشقة والتعب لذا كان من سماحة الشريعة الإسلامية ويسرها أنها رخصت في تخفيف الصلاة على المسافر حتى لا يكون في أدائها مشقة أو إرهاق له .
وصلاة السفر الصلاة الرباعية وهي الظهر والعصر والعشاء يؤديها المسافر ركعتين قصراً ، وله أن يصلي جمع تقديم الظهر والعصر في وقت الظهر ، والمغرب والعشاء جمع تأخير في وقت العشاء .
ليكون عنده من الوقت متسع لقضاء مصالحه ومهامه في السفر وكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك في سفره وكذلك الصحابة من بعده ، وعليه إجماع المسلمين وهي رخصة من الله سبحانه وتعالى لعباده والرسول ﷺ يقول : « إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه »
والمسافر إذن يقصر ويجمع متى كان السفر أكثر من ثلاثة وثمانين كيلومتراً ، والمسافر يفعل في قيامه وركوعه وسجوده وقراءته كما يفعل المقيم ، والفرق بين المقيم والمسافر إنما هو في إباحة جمع الظهر والعصر ، وأداء كل منهما ركعتين فقط ، وجمع المغرب والعشاء في وقت واحد وأداء العشاء ركعتين فقط .

كيفية صلاة رسول الله ﷺ في الليل

في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي سلمة قال : « سألت عائشة عن صلاة رسول الله ﷺ فقالت : كان يصلي ثلاث عشرة ركعة يصلي ثماني ركعات ثم يوتر ثم يصلي ركعتين وهو جالس » .

قال النووي : الصواب أن هاتين الركعتين فعلهما النبي ﷺ بعد الوتر جالساً لبيان جواز الصلاة بعد الوتر وبيان جواز النفل جالساً ، ولم يواظب على ذلك ، بل فعله مرة أو مرتين أو مرات قليلة ، إذ الروايات المشهورة في الصحيحين وغيرهما عن عائشة مع روايات خلافتي من الصحابة في الصحيحين تصرح بأن آخر صلاته ﷺ في العمل كانت وتراً وفي الصحيحين أحاديث كثيرة مشهورة بالأمر بجعل آخر الصلاة بالليل وتراً . . منها . . اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وتراً . . صلاة الليل مثنى مثنى فإذا خفت الصبح فأوتر بواحدة وبعد : فالأفضل جعل آخر الصلاة بالليل وتراً .

ويحوز عند الضرورة صلاة نفل بعد الوتر في الليل اغتناماً للخير وتحصيلاً للبركة ، ومن يخاف غلبة النوم عليه أن يوتر قبل أن ينام ، ومن يتأكد أو يغلب على ظنه البقطة قبل الفجر يؤخر الوتر بعد البقطة .

في السجود في الصلاة

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « اعتدلوا في السجود ولا ييسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب » وفي رواية : ولا يتبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب » .

وروى بسنده عن البراء قال : قال رسول الله ﷺ : إذا سجدت فضع كفيك وارفع مرفقيك وعن عبد الله بن مالك بن بحينة أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى فرج بين يديه حتى يبدو بياض إبطيه . . وفي رواية :

كان رسول الله ﷺ إذا سجد ينعح في سجوده حتى يرى وضح إبطه . . أي يباعد مرفقيه وعضديه عن جنبه .

وهذه الأحاديث تدل على أنه ينبغي للساجد أن يضع كفه على الأرض ويرفع ذراعيه عن

الأرض وعن جنبه رفعاً بليفاً بحيث يظهر باطن إبطيه إذا لم يكن مستوراً .
وقال النووي : « وهذا أدب متفق على استحبابه فلو تركه كان مسيئاً ، والنهي للترتبه .
والصلاة صحيحة ، » ولا يخفى أن متابعة السنة خاصة في مثل هذا المظهر التعبدى أولى وأكد .

في كيفية السجود

نعم هناك ما يمنع من بسط الذراع كلها على الأرض عند السجود في أثناء الصلاة لما ورد في
النهي من ذلك وتقيحه : فقد قال ﷺ :

« اعتدلوا في السجود ، ولا يسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب » وقال ﷺ : « إذا
سجدت فضع كفك وارفع مرفقك » .

وكان ﷺ إذا سجد فرج ، أى وسع بين يديه وجنبه حتى يبدو قريباً من إبطيه .
وفي ذلك كله ما يفيد أهمية رفع الذراعين والامتناع من بسطها على الأرض قال الإمام
النووى : والمقصود من هذه الأحاديث أن يضع الساجد كفيه على الأرض ويرفع مرفقيه - أى
ذراعيه - عن الأرض وعن جنبه رفعاً بليفاً بحيث يظهر باطن إبطيه إذا لم يكن مستوراً ، وهذا
أدب متفق على استحبابه فلو تركه كان مسيئاً ، والنهي للترتبه وصلاته صحيحة .
والحكمة في هذا . أنه أشبه بالتواضع وأبلغ في تمكين الجبهة والأنف من الأرض ، وأبعد من
هيات الكسالى ، فإن المنبسط يشعر حاله بالتهاون بالصلاة وقلة الاعتناء بها والإقبال عليها .
ومع ذلك فإنه لو بسط ذراعيه على الأرض في السجود فإن ذلك لا يفسد الصلاة وصلاته
صحيحة ولكنه خلاف السنة .

في قوله ﷺ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ في سجوده

س : أسمع بعض الناس في سجودهم يقولون : سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ فلا أفهم لما معنى فهل ذلك
وارد في الشرع وما معناهما ؟

ج : سُبُّوحٌ : من صفات الله تعالى ، قال صاحب القاموس :

سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ : من صفاته تعالى . لأنه يُسَبَّحُ وَيُقَدَّسُ . وقال صاحب المختار : سُبُّوحٌ من
صفات الله تعالى : وقال صاحب القاموس : وسبحان الله تترجماً لله من الصاحبة والولد معرفة .
وُنُصِبَ على المصدر أى أبرأ الله من السوء براءة ، أو معناه السرعة إليه والخفة في طاعته . هذا

كلام صاحب المختار وصاحب القاموس .

ولو نظرنا إلى أصل الاشتقاق لوجدنا أن كلمة سبوح تفيد معينين :
الأول التتريه . . والثاني السرعة . وهما بالنسبة إلى الله تعالى : يفيدان تتريه الله تعالى عما لا يليق به ، وسرعة الانجاء والوصول إليه وعلى هذا المعنى سبحانه الله : أنزه الله تعالى عما لا يليق به ، وأتوب إليه وأتصل به مسرعاً .

وهل سبوح قدوس معناها أسبح الله وأنزهه عما لا يليق به ؟ سبوح قدوس أبلغ من أسبح الله وأنزهه عما لا يليق به ، لأن المعنى المصدري يفيد التأكيد بخلاف الفعل فإنه لا يفيد . .
وفي صحيح مسلم : عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده : سبوح قدوس رب الملائكة والروح .

هل ورد أن رسول الله ﷺ كان يقول في سجوده شيئاً آخر ؟
ورد أنه ﷺ كان يقول : أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

ويصح أن يقول الإنسان الدعاء الذى علمه رسول الله ﷺ لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه :
وهو : « اللهم إني ظلمت نفسى ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفرلى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم » .

في سجود السهو

لا يجب سجود السهو عند نسيان سنة من سنن الصلاة كدعاء الاستفتاح وغيره من السنن ، ولا يجب السجود على مذهب الشافعية إلا في حالة واحدة وهى ما إذا كان المصلى مقتدياً وسجد إمامه سهواً في هذه الحالة يجب عليه أن يسجد تبعاً لإمامه فإن لم يفعل عمداً بطلت صلاته ، ووجب عليه إعادتها . إن لم يكن قد نوى المرافقة قبل أن يسجد إمامه . ويكون السجود سنة في حق المنفرد .

في صلاة الصبح والفجر والضحي

س : ما هى صلاة الصبح وصلاة الفجر وصلاة الضحي ؟
ج : صلاة الصبح هى الصلاة المفروضة المحدد وقتها بطلوع الفجر الصادق إلى طلوع

الشمس ، وهى ركعتان : القراءة فيها جهرية ومن السنة طول القراءة فيها وإتيانها فى جماعة لقوله ﷺ : « ولو يعلمون ما فى العتمة والمصباح لأتوهما ولو حثوا » .

أما صلاة الفجر فهى سنة المصباح ، وهى ركعتان خفيفتان ، القراءة فيها سرية وتصل قبل صلاة المصباح وبعد أذان الفجر - وقد وردت أحاديث صحيحة فى بيانها منها ، ما رواه الإمام مسلم بسنده عن عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ يصل ركعتى الفجر إذا سمع الأذان ويخففها » وقد ورد ما يفيد هذا التخفيف فيها ، روى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قرأ فى ركعتى الفجر : (قل يابئها الكافرون) ، و (قل هو الله أحد) .

وقد حث الرسول ﷺ على هاتين الركعتين فقال :

« ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » وإذا كان هذا فى النفل فما بالك بالفرض ؟ .. هذا وقد شرف الله صلاة الفجر ووقته فأقسم بها . قال تعالى (والفجر وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسر ، هل فى ذلك قسم لذي حجر) .

وأما صلاة الضحى فهى صلاة تؤدى فى وقت الضحى أى وقت ارتفاع الشمس أول النهار ، وهى سنة ورد فيها فضل كبير وأجر عظيم قال ﷺ :

« يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة ، فكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليل صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهى عن منكر صدقة ، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » .

والسلامى العرق والمفصل . ولن يستطيع الإنسان الوفاء بحق كل عرق ومفصل من الصدقات ، ومن هنا كانت أهمية صلاة الضحى ، إنها تكفل للإنسان ما لم يستطع تحقيقه من الصدقات ، وبدونها يكون مقصراً فيما طلب منه أداؤه والقيام به وقد أوصى الرسول ﷺ بصلاة الضحى أبى هريرة وأبى الدرداء ، وأقلها ركعتان . وأكثرها اثنتا عشرة ركعة .. وأكثر ما نقل عن النبى ﷺ فيها أنه صلاها ثمانى ركعات .

فى صلاة الفجر

صلاة الفجر ركعتان بعد أذان الفجر ، والقراءة فيها سرية ، وهى نافلة المصباح وليست فرضاً .

وورد فى الترغيب فيها الكثير . وهى بنص الأحاديث خير من الدنيا وما فيها . أما صلاة

الصبح فركعتان والقراءة فيها جهرية ، وهي الفرض المطلوب ، وإحدى الصلوات الخمس اللاتي كتبهن الله على العباد .

ووقت صلاة الفجر بعد أذان الصبح إلى طلوع الشمس ، وهو وقت صلاة الصبح الذي يحرم تأخير الصلاة عنه إلا لعذر ، والعذر المقبول يحدده قول الرسول ﷺ : « رفع القلم عن ثلاث : عن النائم حتى يستيقظ وعن المبتل حتى يبرأ وعن الصبي حتى يكبر » وقوله : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

فإذا ما طلعت الشمس كانت صلاة الصبح قضاء ، ومع ذلك مسقطه الفرض عن صاحبه ، وصلاة الفجر تصلى إذا لم يحل وقت الظهر بعد صلاة الصبح .

في فضل ركعتي الفجر

ذكر الإمام مسلم في صحيحه جملة من الأحاديث في فضل ركعتي الفجر والحث عليها ومن هذه الأحاديث :

عن حفصة - رضي الله عنه - قالت : « كان رسول الله ﷺ إذا طلع الفجر لا يصل إلا ركعتين خفيفتين .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصل ركعتي الفجر إذا سمع الأذان ويخففها ، وعنهما رضي الله عنهما أن النبي ﷺ لم يكن على شيء من النوافل أشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح ، وعنهما أن النبي ﷺ قال : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » ، وفي هذه الأحاديث دلالة على فضل هاتين الركعتين وعلى أنها من السنن الهامة التي يحرص عليها الإسلام .

وقد ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ صلى ركعتي الفجر بعد طلوع الشمس فيما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة قال ما معناه : عرسنا - أي نزلنا آخر الليل للنزوم مع نبي الله ﷺ فلم يستيقظ حتى طلعت الشمس وأمر النبي ﷺ بالتأهب للرحيل ثم دعا بالماء فوضأ ثم سجد سجدتين أي السنة - ثم أقيمت الصلاة فصلى الغداة - أي الصبح . وفي رواية لمسلم بسنده عن أبي قتادة أن النبي ﷺ استيقظ والشمس في ظهره أي بعد أن طلعت وارتفع قرصها ، وفيه : فصلى رسول الله ﷺ ركعتين : أي السنة ثم صلى الغداة أي الصبح وعلى ذلك فعل المسلم إذا استيقظ بعد طلوع الشمس أن يصل ركعتي الفجر ثم يصل الصبح كما فعل الرسول ﷺ .

في حكم من ترك القنوت

ما حكم من ترك القنوت ؟

إن القنوت سنة عند صاحبها أبي حنيفة وأحمد ، وعند الشافعي ، وعند مالك مندوب ، وقد اختلفوا في وقته .

وعلى كل فلا تبطل الصلاة بتركه ويسجد سجود السهو .

في من أدرك ركعة من المغرب

من أدرك ركعة من المغرب -- يقوم بعد تسليم الإمام فيصل ركعة يقرأ فيها جهراً بالفاتحة وبعض آيات من القرآن ثم يتشهد في هذه الركعة تشهد الأول للصلاة ، حيث إنها الركعة الثانية بالنسبة إليه شخصياً ثم يقوم من التشهد فيصل الركعة الثالثة ويقرأ فيها جهراً بفاتحة الكتاب وبعض القرآن . . ويتشهد التشهد الأخير .

وبذلك يكون قد صلى ثلاث ركعات بثلاثة تشهدات : الأول اقتضته ضرورة متابعة الإمام . والثاني والثالث التشهدان الأصليان في الصلاة ، والقاعدة في قضاء ما فات من الصلاة ، كما قال المالكية : أن يبنى على الأفعال فيعتبر نفسه حال القضاء كأنما كان يصلي ما صلى مع الإمام منفرداً ويبنى عليه ويكمل الصلاة ، ويقضى ما فاتة بحسب الوضع العادي الطبيعي .

في صلاة الشفع والوتر وركعتي الفجر

صلاة الشفع والوتر وركعتي الفجر حكمها أنها سنة مؤكدة فهي أكد السنن التي واظب عليها رسول الله ﷺ .

والشفع يكون بعد العشاء وهو ركعتان ، والوتر ركعة واحدة فتكمل ثلاث ركعات . أما ركعتا الفجر فتصليان قبل صلاة الصبح ، وقد ورد في الترغيب فيها وفي فضلها كثير من الأحاديث الصحيحة ومن ذلك ما رواه الشيخان وأحمد وأبو داود عن عائشة قالت : « لم يكن رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشد معاهدة من الركعتين قبل الصبح .

وروى أحمد ومسلم والترمذي عن عائشة أيضاً أن النبي ﷺ قال : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » .

في سنة المغرب

سنة المغرب المؤكدة ركعتان بعده ، ويندب ست ركعات بعد صلاة المغرب خلاف السنة المؤكدة - وهذا عند الحنفية - وعند الشافعية ركعتان بعد المغرب سنة مؤكدة وركعتان قبل المغرب غير مؤكدة ، ويسن تحقيقها وفعلها بعد إجابة المؤذن لحديث : بين كل أذانين صلاة ، والمراد الأذان والإقامة ويقول المالكية : إن من السنة الراتب ست ركعات بعد صلاة المغرب وهي مندوبة ندباً أكيداً .

في صلاة الوتر

يجوز صلاة ثلاث ركعات من الوتر بسلام واحد عند الشافعي وأحمد ، والحنفيون يعتبرون هذه الصورة - من صور صلاة الوتر مع التشهد في الوسط دون سلام كصلاة المغرب - أمراً لا يجوز سواه ، ويستدلون على ذلك بما روى عن علي أن رسول الله ﷺ كان يوتر بثلاث . . أخرجه أحمد والترمذي . واستدلوا أيضاً بما روى عن عائشة قالت : « كان رسول الله ﷺ يوتر بثلاث لا يسلم إلا في آخرهن » .

وقال مالك : الوتر ركعة واحدة يسبقها شفع ، أي صلاة ركعتين فأكثر من الركعات المزدوجة لا المفردة .

ويمكن القول بأن الأدلة الصحيحة فيما يتصل بعدد ركعات الوتر قد تفاوتت وتعددت ، فروى أنه ركعة واحدة بعد ركعات مزدوجة ، وروى أنه ثلاث ركعات متصلة ، سواء سبقها نفل أولاً . وروى أنه خمس ركعات متصلة متتابعة لا جلوس إلا في آخرها قبل السلام ، وروى أنه سبع ركعات متصلة .

وكل هذه الروايات صحيحة صريحة وكلها سنة . والعمل بأياها على سبيل الاتباع يجزئ ولا ضرورة للاختلاف ما دام قد ثبت أن رسول الله ﷺ فعل هذه الصور ليبين للناس أنها كلها صحيحة ، وهي من السنة .

في هل بعد الوتر صلاة ؟ وهل ورد شيء في فضل صلاة الليل ؟

يسأل كثير من الناس في هذا الموضوع :

والأصل فيه ما رواه الإمام مسلم عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ من خاف أن يقيم من آخر الليل فليوتر أوله ، ومن طمع أن يقوم آخره ، فليوتر آخر الليل ، فإن صلاة الليل مشهودة وذلك أفضل . وكان للصحابه عادات في ذلك معروفة ، فقد روى الإمام مالك عن سعيد بن المسيب أنه قال : « كان أبو بكر الصديق إذا أراد أن يأتي فراشه ، أوتر ، وكان عمر بن الخطاب يوتر آخر الليل » قال سعيد بن المسيب : فأما أنا ، فإذا جئت فراشي أوترت ، وقد يصلى بعض الناس الوتر في أول الليل خشية ألا يستيقظ من آخره وينام بعد الفراغ من صلاته ثم يستيقظ في أثناء الليل ، ويمنحه الله نشاطاً ويرزقه قوة على العبادة وانشراحاً للصلاة ، وعلى هذه الحالة له أن يصلى ما يشاء الله له ، وليس عليه أن يعبد الوتر ، يقول الإمام مالك : « من أوتر أول الليل ثم نام ثم قام فبدا له أن يصلى فليصل مثنى مثنى » ويقول صاحب بداية المجتهد : ذهب كثير من العلماء إلى أن المرء إذا أوتر ثم نام فقام بتغفل فإنه لا يوتر ثانية لقوله عليه الصلاة والسلام ، لا وتران في ليلة .

أما عن فضل صلاة الليل فقد روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : أفضل الصيام بعد رمضان شهر المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل ، وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل صلاة الليل ، وهي تفسير وشرح لما ورد في القرآن أمراً لرسول الله ﷺ باعتباره قدوة أو ورد وصفاً للصالحين ، ومن ذلك قوله تعالى : (ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) .

وقوله تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً) .

في أداء صلاة التراويح

لا تؤدي صلاة التراويح إلا في ليالي رمضان فقط ، فإذا انقضت ليالي رمضان فقد انقضى وقت التراويح حتى للذين عليهم قضاء رمضان كله أو شيء منه والدليل على ذلك قول النبي ﷺ فيما رواه مسلم في صحيحه : « من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله ما تقدم من ذنبه » . وقيامه هو صلاة التراويح ، أما الذين يصومون في غير رمضان فليس لهم إلا قيام الليل ، فإنه

نافلة عامة في جميع ليالي السنة كلها ، وردت بها نصوص الكتاب الكريم والسنة الصحيحة .
قال الله تعالى : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، آت_Xذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ . كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) .

وعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال :
« نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل ، قال سالم فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام الليل إلا قليلا » متفق عليه .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ « أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل » رواه مسلم .

في صلاة العيدين

صلاة العيدين سنة مؤكدة وليست واجبا أي فرضاً ، لأن الصلوات قد حددها الرسول ﷺ بخمس في كثير من الأحاديث الصحيحة ، كحديث الأعرابي حينما أخبره ﷺ عن فريضة الخمس الصلوات في اليوم واللييلة فقال هل على غيرها ؟ قال لا : إلا أن تَطْلُوع ، وما ورد في حديث الإسراء من خمس أي في العمل ومن خمسون أي في الأجر .
ومن لم يدرك صلاة العيد يقضيها في وقت من أوقات إباحة صلاة النفل . أما عن حكم القضاء فهو تابع لحكم صلاة العيد نفسها . من أنها سنة مؤكدة .

في سن تعجيل صلاة عيد الأضحى وتأخير صلاة عيد الفطر

السبب في ذلك أن يوم الأضحى يوم يضحي فيه المسلم بالذبائح والذبح يكون بعد الصلاة لا قبلها ، فلو تأخرت الصلاة لتوهم بعض الناس انتهاءها ، فبادر بالذبح قبل الصلاة ففسدت الأضحية ولم تؤد عن صاحبها ، وصارت لا تريد على كونها لحماً لا يختلف عن اللحم المذبوح في غير أيام العيد ، لم يستوف شروط القرية ولم تجتمع فيها شروط القبول ، ومما يوضح ذلك ويقرره ما رواه البخاري بسنده عن البراء قال سمعت النبي ﷺ يخطب فقال : « إن أول ما نبدا به في يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر لمن فعل فقد أصاب ستنا » . وفي رواية للبخاري عن البراء قال خطبنا النبي ﷺ يوم الأضحى بعد الصلاة فقال : « من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ، ومن نسك قبل الصلاة فإنه قبل الصلاة ولا نسك له » فقال أبو بردة بن نيار

خال البراء : يا رسول الله إني نسكت شاة قبل الصلاة وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب ، وأحييت أن تكون شاتي أول شاة تذبح في بيتي فذبحت شاتي وتغذيت قبل أن آتي الصلاة قال : « شاتك شاة لحم » .

أما تأخير صلاة عيد الفطر فذلك لبأكل قبل أن يخرج فيخالف عادة الصيام بالأكل بعد طلوع الفجر : عن أنس بن مالك فيما رواه البخاري قال : « كان رسول الله ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل ثمرات ، ولم يكن الأكل قبل الخروج لصلاة عيد الفطر كثيراً بل كان يسيراً يشعر بالاستجابة لأوامر الله تعالى والشكر له ، ولو كان الأكل للقضاء على الجوع أو لمتابعة حاجة الجسد إلى الطعام لما اقتصر على الثمرات ولو قل بالطعام إلى حد الشبع . وما ينبغي التنبيه إليه أن صلاة العيد لا تعلى قبل طلوع الشمس ولا عند طلوعها ، وإنما بعد طلوعها بوقت تحمل فيه النافلة ، أي بعد أن ترتفع عن مطلعها قدر ذراع ، والفرق بين وقت صلاة عيد الأضحى وعيد الفطر ليس بكثير ..

في تكبيرات صلاة العيد

تكبيرة الإحرام في الافتتاح لصلاة العيد تكون بقول الله أكبر ، بعد نية صلاة العيد . والقيام لها وهي في ذلك لا تختلف عن أي صلاة عادية . ولكن صلاة العيد تتميز بتكبيرات أخرى عدا تكبيرة الإحرام في الركعة الأولى وعدا تكبيرة القيام في الركعة الثانية .

ويرى الشافعية : ومن وافقهم أن عدد التكبير في صلاة العيد سبع تكبيرات في الركعة الأولى غير تكبيرة الإحرام ، وخمس في الثانية غير تكبيرة القيام . ويرى المالكية ومن وافقهم أن التكبير في صلاة العيد سبع في الأولى بتكبيرة الإحرام وخمس في الثانية غير تكبيرة القيام ويستحب الفصل بين كل تكبيرتين فصلاً يتميز به العدد ويتمكن المأمومون من ترديد التكبير .

وقال الشافعي وأحمد : يستحب الذكر بين كل تكبيرة وأخرى بأن يقول : سبحان الله والحمد لله : ولا إله إلا الله والله أكبر .

والاختلاف في التكبير إنما اختلاف في عدد تكبيرة الإحرام منها أو عدم عدها ، والصورتان صحيحتان وكل منهما جائز .

في ذهاب النساء إلى صلاة العيد كما يذهبن إلى الجمعة

لا يجب على النساء الذهاب إلى صلاة الجمعة ويجوز لهن إذا أمنت الفتنة عليهن أو الفتنة بسبب حضور الصلاة وأداؤها ولا يجوز لرجل منعهن من هذا الحضور .

وإذا كانت النساء في هذا العصر قد تغفلن في كثير من شئون الحياة ، ودخلن في كثير من المجالات وأصبحن يحضرن في أكثر الأماكن العامة - ولو كان مما يصرف عن الدين - كالسينما ونحوها - فإن في ذهابهن إلى المساجد لحضور صلاة الجمعة تدعيم لإيمانهن وتقوية لدينهن وزيادة في عملهن بما يستمعن إليه من آيات الله وأحاديث الرسول ﷺ وتعاليم الدين الرشيدة في خطبة الجمعة ، ولهن الثواب على هذا الانتفاع ، خاصة وقد اتسعت المساجد وتحدت فيها أماكن خاصة للسيدات بل لقد خصصت مساجد خاصة لصلاة النساء .

وقد ورد عن السلف ما يفيد ذلك ، فقد ورد أن ابن عمر رضي الله عنه روى عن رسول الله ﷺ قال : لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ، فقال ابن له : والله لئمنعهن فقال له : أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول والله لئمنعهن ؟ والله لا أكلمك أبداً ولم يكلمه حتى مات .

إذا لم تذهب النساء لحضور الجمعة وإذا خيفت الفتنة من ذلك الحضور فصلاة الجمعة بالنسبة إليهن هي صلاة الظهر أربع ركعات ، ويسقط بأدائها عنهن الفرض .

وواجب النساء في الذهاب إلى صلاة الجمعة لبس الملابس السابغة الواسعة وأن يكون شعورهن في الذهاب أداء الواجب الديني ، وقد كانت زوجة سيدنا عمر رضي الله عنها وعنه تذهب إلى المسجد على هذه الصورة وكان لا يمنعها .

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا المقام عناية الإسلام بحفظ كرامة النساء والعمل على منع كل ما يمكن أن يصيبهن من مضايقات ، وفي نفس الوقت حرصه على منع العبادة من أن يتطرق إليها ما يفسدها أو يخرج بها عما حُدَّ لها من حدود .

أليس من ذلك ما يشير إلى وجوب احترام المرأة لتعاليم دينها وبعدها عن كل ما يسبب الخروج عن هذه التعاليم في الزى أو في السلوك أو الاجتماع والاختلاط ، ثم إن فيه أيضاً وجوب تجريد العبادة من كل خروج عن حدودها أو الاعتماد بها عن كل مالا يتوفر لها من أجواء .

صلاة العيدين تخرج النساء إليها لتدعم الإيمان وتم الفرحة ، وروى البخاري وغيره عن أم عطية قالت : أمرنا أن نخرج العواتق وذوات الخدور أي البالغات من النساء والمحتجيات في ذلك اليوم ، وقد بين ﷺ علة ذلك فقال : يشهدن الخير ودعوة المسلمين ، وزاد في تأكيد خروج

النساء في ذلك اليوم فقال : من ليس عندها جلباب تخرج به لئلبها صاحبها من جلبابها فيشهدون الخير ودعوة المسلمين .

وكل ذلك ما لم تخرج المرأة من حدود الشرع في اللباس أو الوقار ، وإلا منعت من الخروج .

في الزوجة التي خرجت متبرجة لصلاة العيد

الزوجة التي خرجت لصلاة العيد في أحسن ملابسها وطيبها لا إثم عليها ما دامت غير متبرجة لأمر النبي ﷺ بإخراج النساء العواتق وذوات الخبض يوم العيد يشهدن العيد والصلاة والتكبير واجتماع المسلمين فإن كانت متبرجة فهي آثمة ولاحق لها في الخروج ولو بإذن زوجها .

في صلاة العيدين من السنة أن يعود المصلون من طريق

غير الطريق التي ذهبوا منها إلى المصل . .

روى الإمام البخاري بسنده عن جابر قال :

كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق . وأخرج أبو داود والبيهقي والحاكم (بسند رجاله الثقات) - عن ابن عمر أن النبي ﷺ أخذ يوم العيد في طريق ثم رجع في طريق آخر . . السنة إذن هي المخالفة بين الطريقين . وإن جاز عدم المخالفة لما رواه أبو داود والحاكم والبيهقي عن بكر بن مبشر الأنصاري قال :

كنت أغدو مع أصحاب رسول الله ﷺ إلى المصلى يوم الفطر ويوم الأضحى فنسلك بطن بطحان حتى نأق المصلى فنصلى مع رسول الله ﷺ ثم رجع من بطن بطحان إلى بيوتنا . أما السبب في تغيير طريق العودة أو الرجوع من المصلى في العيد فيشمل وجوهاً متعددة منها :

- ١ - أنه فعل ذلك ليشهد له الطريقان . وسكانها من الجن والإنس .

- ٢ - وقيل ليسوى بينهما في مزية الفضل بمروره فيهما أو في التبرك به أو لبشم رائحة المسك من الطريق التي يمر بها لأنه كان معروفاً بذلك .

- ٣ - إن ذلك كان لإظهار شعار الإسلام في الطريقين برفع الصوت بالذكر وإظهار الشكر لله على العيد .

- ٤ - ومن أسباب ذلك عموم السرور به ﷺ في هذا اليوم والتبرك بمروره ورؤيته والانتعاش به

في قضاء حوائجهم في الاستفتاء والتعلم والاقتداء والاسترشاد والصدقة على المستحقين والسلام عليهم وغير ذلك .

٥ - ويمكن أن يضم إلى ذلك التفاؤل بتغير الحال إلى تمام الرضا وكمال المغفرة .
وأجمل ما قبل في ذلك قول أبي جمرة رحمه الله : هو في معنى قول يعقوب لبنه :
(لا تدخلوا من باب واحد) فأشار إلى أنه فعل ذلك حذر إصابة العين .
وقد كان الرسول ﷺ يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنسان فلما نزلت الموعظتان أخذ بهما وترك ما سواهما .

ويمكن أن يضم إلى ما تقدم أن الناس كانوا يسرون خلفه ، فلم يكن ليشق على نفسه وعليهم بالنفاذ من بينهم ، وتحويل اتجاههم ، ولذلك كان يسير في طريق آخر باعتباره امتداداً لطريق القدوم بدلا من إعادة تنظيم السير ، والعودة إلى الخلف

في صلاة الاستخارة

روى الإمام البخاري بسنده عن جابر رضي الله عنه قال :
كان النبي ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول : اللهم أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم . فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم . وأنت علام الغيوب اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ، ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال : في عاجل أمري وآجله - فاقدره لي . وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال : في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه . واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به ويسمى حاجته .
والمقصود في هذه الاستخارة أساساً هو الدعاء . وهذه الصلاة تهبة وتمهيد لهذا الدعاء .
وأفاد النووي أنه يقرأ في الركعتين (الكافرون والإخلاص) أي لما فيها من الإخلاص والتوحيد مما يعين على صحة الاستخارة .

قال العراقي : ومن المناسب أن يقرأ فيها مثل قوله : (وربك يخلق ما يشاء ويختار) وقوله : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) .

وقال ابن حجر : الأكمل أن يقرأ في كل ركعة السورة مع الآية .
وهذا كله يدل على أن المرء في الصلاة والدعاء ينبغي أن يكون طالباً من الله أن يختار له الخير ، وأن يبني له أسباب السعادة والتوفيق . .

في سجدة التلاوة

عن أبي هريرة رضى الله عنه فيما رواه مسلم قال : قال رسول الله ﷺ « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول : ويله أمر بالسجود فسجد فله الجنة . وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار » .

وفي القرآن الكريم بضع عشرة آية ذكر فيها السجود أو الركوع ، وشرع عند تلاوتها أو سماعها السجود من التالى والسامع طاعة للأمر واقتداء بالصالحين ورمزاً لتقديس الله وتعظيمه والخضوع له . وذكراً لجلاله . وشكراً لنعمه . وابتغاء لرحمته وخشية لعذابه .

والسجود من أعمق الإشارات لمعاني العبودية والتدلل والخضوع لله العلى الكبير ويلزم لسجود التلاوة ما يلزم للصلاة من الطهارة فى البدن والثوب والمكان واستقبال القبلة ونحو ذلك ، غير أنه لا تشهد له ولا تسليم .

وقد نص بعض الفقهاء أن سجدة التلاوة لا تجب عند السماع من الصدى . . فلعل سماعها من المدبغ كدلك حكاية للصوت الملتقط المختزن وبناء على ذلك يرجح أن من سمعها من المدبغ أو التليفزيون من المتكلم نفسه ساعة نطقه لا من الشريط الذى يستعاد - فإنه يكلف بالسجود . ومن تلاها فى الصلاة سجد هو والمقتدون به ، ثم عاد إلى حيث كان من الصلاة . .

فى جهر المرأة عند قراءتها فى الصلاة

جهر المرأة عند قراءتها فى الصلاة - ينبغى أن يكون بحيث تسمع نفسها أو نفسها ومن يليها ، أما رفع الصوت كالرجال فكروه ، وصوت المرأة ليس بهورة .
وهناك نوعان من الكلام : الكلام العادى الجاد الذى لا تكسر فيه ولا تمطيط ، بحيث يسمعه السامع فلا يستشعر غرابته ولا يجد فيه مظهراً من مظاهر التكلف .
وهناك الكلام المرقق الممتلى بالتكلف وإظهار نغمت الصوت المثير للأحاسيس والغرائر .
وقراءة القرآن للمرأة إذا لم تكن عالمة بأحكامها كثيراً ما تخرج عن اللون المتوازن إلى اللون غير المتوازن فيثير الصوت ما لا ينبغى إثارته . ويخرج بنحوها عن جو الصلاة .
وقد أرشد الله سبحانه إلى الفرق بين النوعين فى قوله :

(يا نساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول ، فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولا معروفاً) .

قال القرطبي : أمرهن الله أن يكون قوهن جزلاً وكلامهن فصلاً . ولا يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين ، كما كانت الحال عليه في ساء العرب من مكالمة الرجال بترخيم الصوت ولينه . مثل كلام المربيات والمومسات فنهاهن عن مثل هذا .

في شرائط صلاة الجمعة

يقول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله . وذروا البيع ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) .
ويقول سبحانه وتعالى : ناصحاً ومحذراً : (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين) .
فالغرض من يوم الجمعة هو صلاة الجمعة في وقت الظهر على من استكمل شرائطها وهو أن يكون مقيماً خالياً من الأمراض وأن يكون بالغاً عاقلاً ولا يكون على ثغر من ثغور المسلمين مجاهداً في سبيل الله . فإن المجاهد في سبيل الله لا الجمعة عليه إذا كان عدم وجوده يضر بالمسلمين ووجوده في حراسة ما لا بد من حراسته يجوز معه ترك الجمعة وأداؤها ظهراً ، فمن استكمل شرائط الجمعة ولم تكن لديه أعذار شرعية مانعة وجب عليه صلاة الجمعة لا يعفيه عنها أى شغل ويجب على المسئولين عن العمل أن يبينوا الفرصة لصلاة الجمعة ، وأن يعرضوها بوقت آخر فهي لا تعد أن تكون ساعة كل أسبوع وتركها معصية .

في طهارة المكان الذى تؤدى فيه الصلاة

من شروط صحة الصلاة طهارة المكان واستقبال القبلة . ففى كان المكان طاهراً واستقبال القبلة متحققاً صحت الصلاة فى أى مكان ولو كان ذلك المكان بيت مسيحى قال عليه الصلاة والسلام : « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » فأبما عبد مسلم أدركته الصلاة فليصل ولا حرج فى ذلك وربما كانت الصلاة فى بيت المسيحى داعية له إلى التأمل فى وقوف المسلم بين يدى ربه على طهارة كاملة مستقبل القبلة يناجيه بكلامه ويوحده ولا يشرك بعبادته أحداً من خلقه ربما كان ذلك داعياً له إلى التأمل فيما هو عليه ، والمقارنة بين هذه العبادة فى بساطتها وصحتها فى أى مكان وبين الطقوس التى لا يجوز له أن يؤديها إلا فى الكنائس وبواسطة القسيس . فيهديه بذلك إلى الطريق الحق ويرشده إلى الصواب فى العبادة ويفتح له باب الخير والسعادة .

في شد الرحال إلى المساجد

روى أحمد والبخارى ومسلم : وغيرهم من أصحاب الكتب المعتمدة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :
« لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد :

المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى » والسبب في ذلك ما رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » . وما عدا ذلك من المساجد هل يوجد تفاضل بينها يبيح للمسلم أن يترك أحدها إلى غيره . يروى البخارى وغيره عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان يأتي مسجد قباء كل سبت ماشياً وراكباً فيصل ركعتين .

واستدل بعض العلماء بذلك على أن أفضلية المساجد بحسب القدم ، فالقديم أولى من غيره بالصلاة فيه .

ولكن زيارة الرسول ﷺ لمسجد قباء إنما تفيد الجواز ولا تفيد التفضيل وإلا لداوم على ذلك .

وقيل أفضل المساجد ماكثر جمعه ، وقيل ما بعد لكثرة الأجر . وقيل ما قرب لعدم العسر . والذي نراه أن ذلك أمر جائز بشرط ألا يكون من يترك المسجد الذي يوجد في الحى إماماً يحتاج إليه أهل حيه . وبشرط ألا يحدث ترك المسجد تشويشاً على إمام المسجد أو على المصلين . يتركه شخص يزعم أن الصلاة في غيره من المساجد البعيدة عن الحى أفضل .

في أداء صلاة الجمعة في جماعة

نؤدى - نحن المسلمين - صلاة الجمعة في جماعة لأن الجمعة لهم بمثابة عيد أسبوعى يجتمعون فيه لله وللتوجه إليه والتشاور في أمورهم ، ولهذا شرعت لها الخطبة . ومن لم يدرك صلاة الجمعة في جماعة فلاحظ له في الجمعة ولا يصلحها ركعتين بل يؤديها ظهراً ، ومن تعمد ترك الجمعة واكتفى بصلاة الظهر بدلاً منها فهو آثم والله أعلم .

في صلاة الجمعة في المذهب الشافعي

لا يجمع بين صلاة الجمعة والظهر في المذهب الشافعي إذا لم تزد المساجد التي تقام فيها الجمعة عن حاجة البلد الذي تعددت فيه المساجد ، فقد كان الإمام الشافعي بالعراق لا يصلي الظهر بعد الجمعة لعدم زيادة المساجد عن حاجة البلد .

أما لو زادت المساجد التي تصلى فيها الجمعة في البلد الواحد عن حاجة أهل ذلك البلد فإنه لا بد حينئذ من صلاة الظهر . لأن صلاة الجمعة من تأخروا عن غيرهم في الركعة الأولى باطللة ، وهو أمر غير معروف للمصلين جميعاً فتعاد صلاة الظهر بعد الجمعة في البلد الذي تعددت مساجده لغير حاجة احتياطاً .

في خطبة الجمعة

خطبة الجمعة موعظة وتذكير للمسلمين في أمور دينهم وبيان للوضع السليم في كل ما يحدث في المجتمع من المخرفات وإذا كانت الغالبية العظمى من المصلين لا تفهم اللغة العربية فإن فائدة الخطبة تضع وبصبح إلقاؤها عبثاً ومن أجل ذلك فإنه على الخطيب الذي يخطب الجمعة في مجتمع لا يفهم اللغة العربية أن يلقى أولاً كلمة موجزة كل الإنجاز . يبدأها بحمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ ، ويوصي بتقوى الله . ويقرأ شيئاً من القرآن ويدعو للمسلمين . ويكفي مقدار أربع دقائق مثلاً لذلك . وفي هذا من الفائدة أن يذكر الناس ثم يبدأ في إلقاء خطبة تامة بلغة القوم الذين يخاطبهم . فيؤدي بذلك جميع ما يتطلبه الموقف الشرعي من قراءة القرآن باللغة العربية في الخطبة التي بدأ بها ومن الموعظة والصيحة بلغة القوم فيما تحدث به بعد ذلك . أما كون خطبة الجمعة فرضاً أم سنة فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أنها فرض ، وهي شرط في صحة الصلاة وركن من أركانها .

في حكمة فرض الجمعة

إن من حكمة فرض الجمعة أموراً منها : الاجتماع للتعارف والتآلف ، والمودة والتشاور بين المسلمين بعضهم لبعض ، والتعاون فيما بينهم ، ومنها الاجتماع في فترة من فترات الأسبوع على ذكر

الله ، ومنها سماع خطبة الجمعة . وخطبتها موعظة وعبرة وتذكير بالله ، وخطبة الجمعة في الوضع السليم درس أسبوعي من فوق المنبر ، إنها تعليم للجاهل ، وتبصرة للمسترشد ، وتذكير للغافل . ولا بد أن ينصرف الناس قسراً لتجديد الإيمان عن طريق درس بصورة جبرية هو خطبة الجمعة . لا بد من صرفهم عن الانغماس في المادة بصورة اضطرارية ليسمعوا ما يذكرهم بالدار الآخرة وما يصرفهم بأمور دينهم .

ولهذه المعاني وغيرها يؤدي المسلمون صلاة الجمعة جماعة . وعن هذه المعاني وغيرها يقول الله سبحانه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ . ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

في أداء صلاة الفريضة في مسجد الجمعة الذي يجتمع فيه المسلمون

لا مانع من أداء صلاة الفريضة في مسجد غير مسجد الجمعة الذي يجتمع فيه المسلمون . ونالنا النعم الإلهية التي افتخر بها الرسول ﷺ وبين أنه فضل بها على الأنبياء أن الأرض كلها جعلت له مسجداً وطهوراً . يصل في أيها شاء ما دام المكان طاهراً . وما دام لم يرد نهى من الصلاة فيه أو كراهية لفعلها فوقه ، كالمقابر والمجازر وما إلى ذلك .

وما دام المسجد قد بنى للصلاة فيه حلت فيه صلاة الجماعة . ووجب على المسلمين عمارته بالعبادة والأذان والصلاة فيه . ولا يخل لهم هجره أو تخريبه تحت أي دعوى ومع أي شعار ، مادام المسجد لم يقصد به الإضرار بالمسلمين وتفريق كلمتهم وتلثم وحدتهم .

على أن كثيراً من الأئمة قالوا بجواز صلاة الجمعة في مسجد غير المسجد الجامع ، خاصة إذا كثرت الناس وضاق بهم المسجد الجامع .

وما يحرص عليه الإسلام قبل كل شيء وبعبء هو أداء الصلاة مستوفية شروطها والمحافظة على وحدة المسلمين الفكرية والعملية . وإزالة أسباب التفرق والشقاق بينهم . ذلك : لأن العبادة الحقيقية هي التي تشر إخاء وتعاطفاً حقيقياً بين المسلمين .

في شروط الإمامة في الصلاة

شروط الإمامة في الصلاة أن يكون الإمام مسلماً فلا تصح إمامة الكافر إجماعاً . وأن يكون عاقلاً حال إمامته ، وأن يكون بالغاً عند البعض . ونجوز إمامة الصبي عند البعض الآخر في الفرض والنفل وأن يكون ذكراً فلا تصح إمامة المرأة ولا الخنثى للرجال ، ونجوز إمامة المرأة للنساء في الفرائض والنوافل على الراجح . وأن يكون الإمام مستوفياً لشروط الصلاة . سالماً من الأعذار إذا وجد من هو أصح منه .

ومن فقد شرطاً من هذه الشروط حرمت إمامته لتسببه في فساد صلاة المأمومين إذا لم يعلموا بما هو عليه من فقد شروط الصلاة . .

والفرق بين صلاة الفرض والنفل والركوع والسجود غير موجود ، إن الركوع هو الركوع . والسجود هو السجود بهيته ولزومه في الصلاة . وعدم صحة الصلاة - فرضاً كانت أو نفلاً - بدون واحد منها .

ومما لا يمكن التسامح فيه التنازع على منصب الإمام بحجة الفضل في العلم أو القراءة أو السن أو الورع أو ما إلى ذلك . . فإن تقديم الأفضل في ذلك أمر مندوب . . وليس بواجب . فإذا ترتب عليه تنطع من غير الأفضل فلا تصح منازعته في ذلك مادام مستوفياً لشروط الإمامة والآداب الإسلامية . يمكن الدعوة إليها بالحكمة والموعظة الحسنة . وقد اتفق العلماء على جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل مادام مستوفياً لشروط الإمامة .

في إمامة الجمعة للمسافر

الخطبة : يحيزون إمامة الجمعة للمسافر .

فقد قالوا : يشترط في الجماعة التي تصح بها الجمعة أن تكون بثلاثة غير الإمام ، وإن لم يحضروا الخطبة . فلو خطب بحضور واحد ثم انصرف قبل الصلاة وحضر ثلاثة رجال بعد ذلك وصلى بهم صحت من غير أن يعيد عليهم الخطبة .

ويشترط فيهم أن يكونوا رجالاً . ولو كانوا عبيداً أو مرضى أو مسافرين أو أميين أو بهم صمنهم . لأنهم يصلحون للإمامة في الجمعة إما لكل أحد وإما لمثلهم في الأمي والأخرس بعد أن يخطب واحد غيرهم . إذ لا يشترط أن يكون الخطيب هو الإمام للجمعة فصلاحتهم للاقتداء

لغيرهم أولى ، بخلاف النساء أو العبيان ، فإن الجماعة في الجمعة لا تصح بهم وحدهم لعدم صلاحيتهم للإمامة بمثلهم فيها .

الشافعية : تجوز إمامة المسافر في صلاة الجمعة إذا كان زائداً على الأربعين الذين تنعقد بهم الجمعة ، فإن كان منهم فلا تجوز إمامته .

فقد قالوا : من شروط الخطبة (١) أن يكون الخطيب ذكراً (٢) أن تصح إمامته للقوم ، فإن كان من الأربعين الذين تنعقد بهم الجمعة إذ لا تنعقد عندهم بأقل من أربعين ، فيشترط في الإمام ما يشترط في المأمومين بأن يكونوا أحراراً ذكوراً مكلفين متوطنين بمحل واحد . فلا تنعقد بالعبيد والنساء والعبيان والمسافرين .

وإن كان الإمام زائداً على الأربعين صح أن يكون صبياً أو عبداً أو مسافراً .
المالكية : يشترطون في إمامة الجمعة أن يكون ممن تجب عليه الجمعة ولو كان مسافراً نوى الإقامة أربعة أيام ، لكن بشرط أن تكون الإقامة بغير قصد الخطبة ، فإن أقام بقصد الخطبة فلا يصح أن يكون إماماً ، ويشترط المالكية أن يكون الإمام هو الخطيب فلو صلى بهم غير من خطب فالصلاة باطلة إلا إذا منع الخطيب من الصلاة مانع يباح له الاستخلاف - كعراف ونقض وضوء - فيصح أن يصلى غيره إن لم يتظر زوال عذره في زمن قريب وإلا وجب انظاره .
الحنابلة : يشترطون أن يكون الخطيب ممن تجب عليه الجمعة بنفسه فلا تجزئ خطبة عد أو مسافر ولو نوى إقامة مدة ينقطع بها السفر . فيشترطون فيه ما يشترطونه في الجماعة الذين تنعقد بهم الجمعة وهم :

١ - أربعون ولو بالإمام

٢ - أن يكونوا ممن تجب عليهم الجمعة بأنفسهم - وهم الأحرار المذكور بالافون - المستوطنون بالمحل الذي يصح أن تقام فيه الجمعة .
فلا يصح أن يكون من جماعة الجمعة رقيق ولا أنثى ولا صبي ولا مسافر ولا مقيم غير مستوطن ولا مستوطن بمحل خارج عن بلد الجمعة .

في صلاة النافلة في أثناء خطبة الإمام

لقد حث الله سبحانه وتعالى على التقرب إليه بفعل الطاعات وأرشد رسوله صلوات الله وسلامه عليه على الإكثار من النوافل ليكون ذلك جباً للإنسان عما سبق من تقصير أو خطأ .

وعلى الرغم من أن النافلة زيادة عما فرضه الله سبحانه وتعالى على عباده فإنها تجبر الإنسان وتزيده قرباً من الله تعالى ، لذلك أمر بها الله سبحانه وحث عليها نبيه ﷺ غير أن الأمر لم يكن على طريق الفرض أو الوجوب .

أما من دخل المسجد والخطيب فوق المنبر فإن السادة الفقهاء اختلفوا فيما بينهم هل تجوز له صلاة ركعتي نحية المسجد أولاً يجوز له ذلك ؟

والجواب : عن ذلك أن السادة الفقهاء منهم من قال : يجوز ذلك شرعاً ، بل إن الإنسان مأمور بذلك ، واستدلوا على ذلك بقوله ﷺ : « إذا جاء أحدكم المسجد فليركع ركعتين » .

والبعض الآخر يقول بعدم جواز ذلك واستدل على ذلك بقوله ﷺ :

« إذا صعد الخطيب فوق المنبر فلا صلاة ولا كلام » .

هذا ما ورد عن السادة الفقهاء في حكم من دخل المسجد والإمام يخطب فهل له أن يصل نحية المسجد أو ليس له ذلك .

أما الوجه الآخر وهو الراجح والذي نختاره أن من دخل المسجد والإمام فوق المنبر له أن يصل ركعتين خفيفتين ويتجاوز فيها .

في إذا لحق المأموم الإمام بعد الصلوات

إذا لحق المأموم الإمام في بعض الركعات اعتبر ما صلاه معه أول صلاته ثم أكمل الصلاة بعد سلام الإمام .

فإذا أدرك الركعة الأخيرة مع الإمام اعتبرها أولى ركعات صلاته . فإذا سلم الإمام قام فصل ركعة ثم جلس للشهادتين ثم قام فأكمل الصلاة .

وإذا أدرك ركعتين مع الإمام قام بعد سلام الإمام وأكمل باقي الصلاة وبما أن القراءة في الصلاة تكون في الركعتين الأوليين بفاتحة وسورة وفي الركعة الثالثة وفي الركعة الرابعة بفاتحة فقط . فإن المأموم إذا أدرك الركعة الأخيرة مع الإمام أتم صلاته على ما بينا وقرأ في الركعة الثانية والثالثة من صلاته بفاتحة وسورة . ثم قرأ الفاتحة فقط في الركعة الرابعة وإذا أدرك ركعتين مع الإمام قام فأكمل الركعتين الأخريين أو الركعة الثالثة في المغرب وقرأ بفاتحة وسورة .

وهذا هو ما يعنيه الفقهاء بقولهم : يبنى على الأعمال ويقضى الأقوال .

في جواز مجمع أهل المذاهب المختلفة للصلاة في مسجد واحد

صلاة الجماعة سنة مؤكدة وورد في فضلها أحاديث كثيرة منها ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته وسوقه خمسة وعشرين ضعفاً ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة فإذا صلى لم تزل الملائكة تصل عليه ما دام في مصلاه ما لم يحدث : اللهم صلى عليه اللهم ارحمه ، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة » .

فاجتماع الناس في مسجد واحد لصلاة الجماعة صحيح ومندوب إليه وكان أهل المدينة جميعاً يجتمعون لصلاة الجماعة خلف رسول الله ﷺ ولقد روى أبو داود بإسناد حسن عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من ثلاثة في قرية ولا بلد لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليكم بالجماعة ، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية » . والمذاهب الأربعة مستمدة من القرآن والسنة كلها صحيحة ، فإذا اجتمع أهل المذاهب المختلفة في مسجد واحد فمن السنة المؤكدة أن يؤدوا جميعاً صلاة الجماعة ولا يضر اختلاف المذاهب .

في جواز مصافحة الناس بعد صلاة النافلة

التي تسبق صلاة الجمعة

إن المساجد جعلت في الإسلام لمجالس الذكر ومجالس العلم سواء أكانت تفسيراً للقرآن أم كانت غير ذلك من أنواع العلم وفروعه المختلفة ، والمساجد على كل حال إنما جعلت للعبادة بالمعنى الواسع العام الشامل -- ومع ذلك فإنه لا تمنع فيها المصافحة أو الحديث في غير إثم اللهم إلا في حالة واحدة هي عندما يكون الخطيب على المنبر يوم الجمعة في أثناء الخطبة ، فقد ورد عن رسول الله ﷺ نهى عن ذلك حتى لقد ورد عنه النهي عن قول المسلم لأخيه (أنصت) والمصافحة إذا تجوز في المسجد بعد صلاة النافلة التي تسبق صلاة الجمعة ومع ذلك فإن تأخيرها إلى ما بعد صلاة الجمعة أفضل .

في الجمع بين صلاة الجمعة والظهر

يجوز الجمع بين صلاة الجمعة والظهر في بلد تعددت فيه المساجد لغير حاجة وأقيمت الجمعة فيها كلها . وذلك للاعتداد بجمعة من سبق غيره بالركعة الأولى من المصلين في تلك المساجد . قال بهذا الشافعية . أما إن تعددت المساجد لحاجة فجمعة أهل كل مسجد صحيحة ولا يحتاجون إلى إعادة صلاة الظهر .

وذهب بعض الفقهاء إلى أن الجمعة لا تنعقد إلا بالمسجد العتيق الذي أُنشئ قبل غيره . وذهب آخرون إلى أن الجمعة في كل المساجد صحيحة ولا يحتاج المصلون بعدها إلى إعادة صلاة الظهر غاية ما في الأمر أنهم رجحوا الصلاة في المسجد الذي بنى أولاً . . قالوا إن الصلاة به تعدل الصلاة في غيره بسبعين ضعفاً .

في هل صلاة النافلة في المسجد تتوقف على حضور الإمام ؟

صلاة النافلة في المسجد لا تتوقف على حضور إمام المسجد ما دام قد حان وقتها . لأنها للوقت وليست للإمام ، كنافلة الصبح القبليّة والظهر والعصر والعشاء والنوافل التي لا وقت لها ولا سبب تؤدي متى شاء من يريد أدائها ما دام ذلك في غير أوقات الكراهة المنصوص عليها في كتب الفقه بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس وترتفع قدر رمح وعند الزوال قبل الظهر وبعد صلاة العصر حتى تغرب الشمس .

ويجوز أداء نافلة الجمعة بعد صلاة الجمعة في المسجد وفي غيره حسب ظروف المصل .

في السهو والتفكير في العدو في أثناء الصلاة في الحرب

إن الشكوى من تشتت الذهن - في أثناء الصلاة بهذا الذي ذكره السائل أو بما يترتب عليه من سهو أو سرحان ذهن - كثيرة متعددة ولا مفر من الالتجاء إلى الله في هذه الحالة . ولا بد مع ذلك من المحاولات الصادقة للتخلص منها : وليس الأمر في الحقيقة بالعسير عسراً شديداً . فلو وطّن الإنسان العزم على أن يجمع شتات فكره ، وصدقت نيته في ذلك فإنه سينتهي إلى ما يجب إن شاء الله .

ومن المعروف في الجول الإسلامى أنه ليس للإنسان من صلاته إلا ما عقل ، وأن ثوابه إنما هو بمقدار انتباهه وتعلقه للصلاة ، أو بمقدار إقامة الصلاة على حد التعبير القرآنى ، وإقامتها إنما تكون بأدائها على أتم ما تكون التأدية ، وأنه من المفيد أن يقرأ الإنسان عدة مرات سورة الناس قبل الدخول في الصلاة وأن يقول :

رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ، فإذا ما تأمل الإنسان بذلك وتنبأ للصلاة أعانه الله ووفقه .

ومن المفيد في ذلك أيضاً : أن يقوم بمران يومى على ذكر الله مع جمع شتات أفكاره لمدة خمس دقائق ، فإذا ما نجح في ذلك فهو ناجح لا محالة بتوفيق الله ، في تركيز ذهنه في الصلاة . على أنه إذا وطّن نفسه على تدبر ما يقول وما يفعل منذ ابتداء الصلاة إلى انتهائها ، فإن ذلك يصرف ذهنه عن الدنيا إلى ما هو فيه وهو الصلاة .

في انشغال الفكر في الصلاة

إن انشغال الفكر في الصلاة أمر يشبه أن يكون منتشرأ بين كثير من المسلمين في العصر الحاضر ، والشكوى من ذلك كثيرة متعددة ولا مفر من الالتجاء إلى الله في صرف هذه الحالة ولا بد مع ذلك من المحاولات الصادقة للتخلص منها ، وليس الأمر في الحقيقة بالعسير عسراً شديداً .

فلو وطّن الإنسان على أن يجمع شتات فكره وصدقت نيته في ذلك فإنه سينتهى إلى ما يجب إن شاء الله ، وإنه لمن المفيد في ذلك أن يقرأ الإنسان عدة مرات سورة الناس قبل الدخول في الصلاة ، وأن يقول : رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ، فإذا ما تأمل الإنسان بذلك وتنبأ للصلاة أعانه الله ووفقه ، ومن المفيد في ذلك أيضاً أن يقوم بمران يومى على ذكر الله مع جمع شتات أفكاره لمدة خمس دقائق تزداد إلى عشرة تدريجياً ، فإذا ما نجح في ذلك -- وهو ناجح لا محالة إذا صدقت النية -- فإنه سينجح بتوفيق الله إلى تركيز ذهنه في الصلاة .

من سنن الهدى الصلاة في المسجد

يقول صلوات الله عليه فيما رواه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه :
 « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان » قال الله عز وجل (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) ويقول صلوات الله عليه فيما رواه مسلم : « مَنْ تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضى فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطبئة والأخرى ترفع درجة » ومن أجل ذلك كان سلفنا الصالح : يؤمون المساجد في غبطة وسرور ، وكانوا يحاولون ما استطاعوا المحافظة على صلاة الجماعة في المسجد ، وذلك لما روى في التهديد على تركها ، روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أثقل الصلاة على المنافقين : صلاة العشاء وصلاة الفجر ، ولو يعلمون ما فيها لأنوها ولو حبواً ، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلاً فيصلى بالناس ثم أنطلق ومعى رجال ومعهم حزم من الحطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » .

أخذ من هذا الحديث وغيره بعض الأئمة وجوب الصلاة في المسجد ، وقال بعضهم بفرضيتها ، وأكثر العلماء - كما يقول القاضى عياض ، ذهب إلى أنها سنة مؤكدة .
 والصلاة المفروضة في البيت إذن على هذا الرأى الأخير ، وهو رأى أكثر العلماء مجزئة وإن كان فيها مخالفة واضحة لسنة رسول الله ﷺ والأمر فيها هو ما قاله ابن مسعود رضى الله عنه معبراً عن الروح الإسلامية الصحيحة حيث قال : « من سره أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبيكم صلى الله عليه وسلم من الهدى وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف » وفي رواية قال : « إن رسول الله ﷺ علمنا سنن الهدى وإن من سنن الهدى الصلاة في المسجد الذى يؤذن فيه » .

في آداب المسجد

للمسجد آداب تؤخذ من نص الآيات القرآنية المتعلقة بالمساجد ومن روحها يقول الله تعالى :
(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) والآية الكريمة تنهى في صراحة عن أن تخطر في أذهانتنا أو يجرى على ألسنتنا ذكر أحد من الناس ، وتعلل ذلك بهذا التعليل المعبر الواضح الذي تذكره ابتداء وهو أن المساجد لله ، وإذا كانت له فلا ينبغي في الذوق السليم أن نشرك معه فيها غيره .
ويقول سبحانه : (في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) .

لقد أذن الله أن ترفع المساجد التي هي بيوت الله ليذكر فيها اسمه . أما تسبيح الله فيها أي تزيينه التزييه المعتد به المثاب المتقبل من الله سبحانه وتعالى ، فهو الصادر من هؤلاء الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وليس المقصود التجارة والبيع فحسب وإنما المقصود كل شئون الدنيا ، والآية الأولى إذن إنما تنهى عن أن يذكر أحد إلا الله ، والثانية توجهنا إلى أن نشغل في المسجد بأمر من أمور الدنيا .

ومها يكن من شيء فإن الإنسان بمجرد دخول المسجد ينبغي أن يصل ركعتين تحية المسجد ، وينبغي أن يلتزم الأدب اللائق برب البيت ، لا يتخطى رقاب الناس ، ولا يرفع صوته في صخب ، ولا يغتاب ولا يحدث أي شيء بصرف الناس عن سكوتهم وخشوعهم وطمأنينتهم ، ومن أهم آداب المسجد النظافة وطيب الرائحة . يقول الله تعالى : (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) . من كل ذلك نتبين آداب المسجد ونتبين أن الحديث في المسجد عن أمور الدنيا إنما هو خلاف الأولى ، وهو عمل يثتره عنه كل صاحب شعور ديني صحيح اللهم إلا إذا كان الحديث في أمور الدنيا ضروريا لجماعة المسلمين نافعاً مفيداً فيحدث بقدر الحاجة .

في اتخاذ القبور مساجد

اختلف العلماء في المراد بقوله ﷺ في مرض موته « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » هل كانوا يسجدون إلى القبور ويعظمون القبور ، أو كانوا يبنون فوقها المساجد ويصلون فيها .

فإن كان المراد تعظيم القبور والسجود لها أو لأصحابها . فلم يعمد ذلك في بلاد الإسلام ولا يقول مسلم بذلك أو يرضى به ، وعلى ذلك فالصلاة في مسجد فيه قبر لاشيء فيها . وإن كان المراد بناء المساجد على القبور أو اتخاذ القبور في المساجد فالصلاة في مسجد فيه قبر جرام ، وقد نهى ﷺ عنها . .

على أن الصلاة في المقابر نفسها اختلف فيها العلماء : فقليل بحرمة الصلاة وقيل بكرامتها . وقيل بجوازها . وهذا فيما إذا لم تتحقق النجاسة من لحوم الموتى وصديدهم وما يخرج منهم وإلا لم تصح الصلاة - ومن المعلوم أن المسجد إن كان فيه قبر - أو قبران أو ثلاثة - محفوظ من النجاسة مراعى فيه تحقق الطهارة - أى أن الخوف من الصلاة على النجاسة غير موجود فيه ، وتصح الصلاة فيه .

ولكن هذا لا يمنع من أن الصلاة في غير هذا المسجد أولى من الصلاة فيه ما دام هناك غيره - مالم يفصل القبر عن المسجد بمحائط أو حاجز مثلا - وإلا استوى هو وغيره من المساجد . ومن الأمور المكروهة تخصيص مسجد ما بصلاة التراويح أو العيدين ونحوهما دون غيره ، إذ هو تخصيص بغير محصل ، وقد يؤدي إلى الوقوع في الابتداع المذموم ، فالمساجد كلها في مرتبة واحدة عدا المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى . وتخصيص غيرهم من المساجد بصلاة خاصة أو عبادة معينة لا يجوز ، فالأولى الابتعاد عنه .

في الصلاة من قعود للقادر على القيام

لا تصح الصلاة المفروضة من قعود للقادر على القيام . ولم يكن الكسل في يوم من الأيام ولا في بيئة من البيئات عذراً مقبولاً . ومن صلى الصلاة المفروضة قاعداً كسلاً وهو قادر على القيام بها فإنها لا تصح . وإن في التأدب لله سبحانه وتعالى يوجب أن ينفض الإنسان عن نفسه الكسل ، وأن ينهض إلى الصلاة في تفاؤل وفي غبطة متمثلاً قول الرسول صلوات الله عليه لبلال رضي الله عنه « أرحنا بها يا بلال » أى أرحنا بالصلاة : أى أن الصلاة راحة ويقول صلوات الله عليه : « جعلت قرعة عيني في الصلاة » أما إذا عجز حقيقة عن القيام في الصلاة المفروضة فله أن يصليها من قعود أو حسب ما يستطيع دون أن ينقص من أجره شيء . أما الصلاة التي يجوز للإنسان أن يصليها من قعود فإنها النافلة على وجه العموم ، ولكن ثواب القاعد فيها وهو قادر على القيام يكون نصف ثواب القائم .

في من منع زوجته من الذهاب إلى المسجد

كانت زوجة سيدنا عمر رضى الله عنها : تذهب إلى المسجد للصلاة وتقول ما معناه : « والله لا أمتنع من الصلاة في المسجد إلا إذا منعني عمر » .

لما كان سيدنا عمر رضى الله عنه بمنعها ، وذلك لأنه يعلم أن سنن الإسلام أن يصلى النساء في المسجد محشمات غير متبرجات ولا متعطرات .

وإذا كانت صلاة النساء في المساجد وسماعهن الدروس فيها من الأمور الضرورية في العصور الماضية فإنها في هذا العصر أكثر ضرورة فلعل جو المسجد وما يستمعن فيه من عظات وآيات قرآنية وأحاديث نبوية يكون موجهاً لمن إلى الخير والإتابة .

ويقول أسلافنا رضى الله عنهم في أمر خروج المرأة لطلب العلم في غير المساجد : إن على الرجل أن يقوم بتعليم زوجته ، ومتى كان الرجل قائماً بتعليم ما يجب لزوجته امتنع عليها الخروج لسؤال العلماء ، وكذا إن تاب عنها في السؤال وعرفها الجواب . . فإن لم يكن ذلك ظلها الخروج للسؤال ، بل يجب عليها ذلك وبعضى الرجل بمنعها .

ومها أهملت المرأة حكماً من الأحكام الواجبة ولم يعلمها الرجل إتياء شاركتها في الإثم ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً) . .

في رد المصلى للسلام

المصلى لا يجب عليه السلام ولورد السلام بالكلام بطلت صلاته ، ويرى علماء الحنفية أن رد السلام في الصلاة بالإشارة مكروه ، ويرى البعض أن الإشارة باليد أو بالرأس لرد السلام جائزة في الصلاة بشرط أن تكون إشارة خفيفة .

في صلاة الجمعة مع الراديو والتليفزيون

لا تجوز صلاة الجمعة مع راديو أو تليفزيون أو غيرها من الإداعات المنقولة من المساجد . وذلك لفقدان المعنى المطلوب من صلاة الجمعة في المساجد ولوجود الفاصل المانع من صحة الاقتداء بين الإمام ومأموميه في الجمعة أو في غيرها .

في ترك الصلاة وتأخيرها

يتبين الإنسان أهمية الصلاة في الدين الإسلامي حينما يعلم أن الحرب نفسها في وضع الإسلام لا تسقط الصلاة ، فقد نظم الإسلام صلاة معينة للحرب .

وعدم وجود الماء لا يسقط الصلاة فقد بين الله أن التيمم يغني إذا لم يكن من ذلك مناص : والمرضى ليس عذراً لترك الصلاة اللهم إلا إذا استحال ذلك بأن فقد المريض عقله . وفي هذه الحالة عليه القضاء .

من ذلك وغيره نرى الأهمية الكبرى للصلاة في نظر الإسلام ، فليس بغريب أن تكون عماد الدين ، وأن من أقامها أى أداها على ما ينبغي أن تكون عليه فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين .

وأن محاولة جعل العمل عذراً في تأخيرها إنما هي محاولة باطلة ، وذلك أن هذا الذي يعمل اثنتي عشرة ساعة ، يأكل ويشرب ويذهب لقضاء حاجته وقد يتكرر ذهابه لقضاء حاجته عدة مرات في اليوم الواحد فلا يمنعه العمل من ذلك .

والوقت الذي تستغرقه الصلاة أقل من وقت الغداء أو العشاء ، وذلك أن الوضوء والصلاة يستغرقان أقل من عشر دقائق .

فعل العمال أن يراعوا ما فرضه الله ، ألا يتمحلوا المعاذير . لو عزم الواحد منهم على إرضاء الله لوفقه الله تعالى إلى مرضاته .

بمناسبة الحديث عن أهمية الصلاة ما الحكم في من تركها :

إن من ترك الصلاة متعمداً أو مستهتراً أو غير مقرر بها فقد كفر . أما من تركها لأن الحياة قد جرفته بتيارها المادى فأصبح مستعبداً لها لا يفكر إلا فيها فإنه من كبار العصاة في نظر الدين ، وهو كلما تهاوى وتكاسل عنها أضلم قلبه وازداد انغماساً في غضب الله . وعليه أن يبادر بالتوبة الخالصة الصوح . ويرجع إلى الله بالطاعة . فلعل الله يتفضل عليه بالمغفرة ويرحمه بحسن الخاتمة

في الصلاة على الميت

إن المسلم إذا مات فإنه يُغسل قبل دفنه ويُصلى عليه ، ولا يحتاج في ذلك إلى شهادة شخص من الأشخاص بأنه كان يصلى . ولا يحتاج ذلك إلى علم فلان أو فلان ، أو علم أهل القرية .

أو علم الإمام . إن ذلك كله لا يدخل في الموضوع بمنع أو إباحة الغسل أو الصلاة . فإن ذلك على المسلمين بالنسبة لمات مسلماً ولو كان مسلماً عاصياً لا يؤدي الصلاة .
والأمر الوحيد الذي كان يؤخر الرسول ﷺ الصلاة على الميت من أجله (الدّين) فإنه صلوات الله وسلامه عليه كان يسأل عن الميت قبل الصلاة عليه فيقول : عليه دّين ؟ :
فإن قالوا له نعم أحر الصلاة عليه إن أن يسدد دينه . أما إذا لم يكن عليه دّين فإن رسول الله ﷺ كان يصلي عليه دون أن يسأل عن أي شيء من سيرته . فلا يجب عندما يموت إنسان أن يسأل الإمام أو غيره عنه في صلاته أو زكاته أو صومه فإن هذا ليس من السنة .

في حضور النساء صلاة الجنازة

يجوز للنساء حضور صلاة الجنازة إذا خرجن متسترات غير متبرجات ولا متعطرات وأمنت الفتنة .
لما أخرجه الطبراني بسند حسن : من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انتظر أم عبد الله حتى صلت على عتبة .
فإن كن مع الرجال صلتين متتبيتين بإمام الرجال .
وإن كن منفردات قيل : يستحب أن يصلين منفردات وقيل يصلين جماعة وتؤمهن إحداهن .
والإسلام لا يفرق بين النساء والرجال إلا فيما تقتضيه الفطرة . وتطلبه الطبيعة لكل منها كإسقاط الصلاة عن الخائض وعدم إرام النساء بحضور صلاة الجمعة مثلاً تاركاً لمن الاختيار في الذهاب إلى المسجد لصلاة الجمعة أو في المكث في البيت وصلاة الظهر .

في جواز النيابة في الصلاة عن الميت إذا لم يكن يؤدي الصلاة

العبادات التي فرضها الله سبحانه وتعالى على عباده تنقسم إلى ثلاثة أقسام . بدنية محضة - كالصلاة والصوم . ومالية محضة كالزكاة . ومركبة منها كالحج .
واقصد من العبادة الدنية التذلل والخضوع لله تعالى . ولا تصح النيابة فيها . لأن التذلل والخضوع إنما يحصل من الشخص المؤدّي :
فمن مات ولم يكن يؤدي الصلاة لا يرفع عنه إثم ترك الصلاة ولا يخرج من عهدة المؤاخدة بأداء أحد أبنائه ، وهو مرتكب كبيرة وأمره مفوض إلى ربه .

في حكم صلاة ركعتي السنة قبل صلاة الجمعة

عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من اغتسل يوم الجمعة ، وتطهر ما استطاع من طهر ثم ادهن أو مس من طيب ، ثم راح فلم يفرق بين اثنين فصلى ما كتب له . ثم إذا خرج الإمام أنصت غفر له ، ما بينه وبين الجمعة الأخرى » وهذا الحديث يرسم صورة واضحة لما ينبغي على المؤمن من سلوك يوم الجمعة إنه بعد أن يخرج من بيته يدخل المسجد فيجلس في المكان الذي يتيسر له ، ويصلي ما تيسر له من الركعات إلى أن يصعد الإمام المنبر . فإذا خرج الإمام وصعد المنبر تأهب المصلون للاستماع له والأخذ عنه وكفوا عن الصلاة وعن الكلام . وإذا دخل رجل والإمام على المنبر فهل يسن له الجلوس . أو يسن له صلاة ركعتين ؟ روى المالكية والحنفية أنه إذا جلس الإمام على المنبر فلا صلاة ولا كلام وعلى الداخل الجلوس . أما عن صلاة السنة بعد الأذان الأول للجمعة وقبل الأذان الثاني الذي يتم بعد صعود الإمام على المنبر فقد اختلف فيه .

فالشافعية : يرون أن سنة النفل بعد الأذان الأول للجمعة ثابتة ومقررة لما رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنة عن عبد الله بن مغفل قال : قال رسول الله ﷺ : « بين كل أذانين صلاة لمن شاء » ولا فرق في ذلك بين الجمعة وغيرها .

ويرى غيرهم من العلماء أن الجمعة ليست داخلة في هذا المجال ، لأن الخطبة هي الفاصل بين الأذان والإقامة .

وكان الصحابة يدخلون للمسجد مبكرين ، فإذا دخل أحدهم صلى ما تيسر له من الركعات وما يستحق الإشارة أن الأذان الثاني فعله عثمان رضي الله عنه وفعله سنة لأنه من الخلفاء الراشدين الذين اعتبر الرسول ﷺ سنتهم جزءاً من سنته وأمر باتباعها ولم يختلف منهج الصحابة بعد هذا الأذان عن منهجهم قبله - إذا دخلوا المسجد صلوا تحية المسجد ثم لا يقومون بعد الأذان .

في ما يجب على الإمام والخطيب

روى الإمام مسلم بسنده : عن عثمان بن أبي العاص قال : « آخر ما عهد إلي رسول الله ﷺ : (إذا أمت قوماً فأخف بهم الصلاة) ويروى الإمام مسلم أيضاً بسنده عن أنس رضي الله عنه قال إن رسول الله ﷺ كان من أخف الناس صلاة في تمام : عن أبي مسعود الأنصاري فيما

رواه مسلم قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا ، فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ فقال : « أيها الناس فإن منكم منفرين ، فأبيكم أم الناس فليوجز ، فإن من ورائه الكبير والضعيف وذو الحاجة » .

وروى الإمام مسلم أيضاً عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « إذا أم أحدكم الناس فليخفف ، فإن منهم الصغير والكبير والضعيف والمريض ، فإذا صلى وحده فليصل كيف شاء » . وقد بينت هذه الأحاديث الأمر بياناً كافياً ، فالإنسان إذا صلى وحده فليطل الصلاة كيفما أحب ، ليطلها في وقوفها وقراءتها ، وفي ركوعها وفي سجودها مسبحاً الله فيها وداعياً وقد قال ﷺ أقرب ما يكون العبد لربه وهو ساجد ، وليطلها في التشهد والدعاء بعد التشهد ، أما إذا صلى بالناس فليخفف ولم يأمر الرسول ﷺ أمر التخفيف هذا إلا بسبب الضعيف الذي لا يستطيع تحمل إطالة الصلاة ، والمريض الذي يتعذر عليه متابعة الإمام في الإطالة والصغير الذي يمل الإطالة ، وذو الحاجة الذي يهيم قضاء حاجته ، ولكن الأمر بالتخفيف ليس معناه الإخلال بشيء من إقامة الصلاة ، كلا بل لا بد من إقامتها ، وإنها للفتة موفقة من سيدنا أنس حين يصف رسول الله بتخفيف الصلاة يضيف قوله (في تمام) وفي رواية أخرى :

يقول عن النبي ﷺ : « كان يوجز ويتم » فالصلاة خلف الإمام الذي يؤدي أركانها كلها كاملة صلاة صحيحة ولا شيء فيها ، وهي مقبولة إن شاء الله تعالى (فإنما بعثتم ميسرين لا معسرين) لقد عبر الرسول ﷺ عن إطالة الإمام للصلاة بقوله : « أيها الناس إن منكم منفرين فأبيكم أم الناس فليوجز » .

وحسبنا في ذلك أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أمر الإمام بالتخفيف والتجوز في الصلاة شفقة على المأمومين ، فهو صلوات الله وسلامه عليه بالمؤمنين رعوف رحيم .

في بعض أخطاء الإمام والمصلين

لقد أخطأ كل من الخطيب والإمام والمصلين الذين لم يستجيبوا لطلبه يجمع المسابح في جويهم وأسأوا إلى جلال الموقف وهم في صلاة جامعة في بيت من بيوت الله (١٥٥) .

فأما الخطيب فقد كان عليه - وهو يخطب أن يقف موقف رسول الله ﷺ وأن يلتزم آداب الإسلام التي أدب القرآن الكريم بها من يتصدى للدعوة إلى الله ونشر دينه فقال تعالى لرسوله

(١٥٥) كانت هذه الفتوى نتيجة خلاف حدث في مسجد من المساجد أدى إلى نزاع بين المصلين وإمامهم ترتب عليه هاد الجمعية في نظر البعض ، فكانت فتوى الإمام عبد الحليم محمود رضي الله عنه التبراس للضيء لهذا الموضوع .

المصطفى ﷺ الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه (فما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك) ، وقال تعالى لرسوله ولمن يحمل من بعده عبء الدعوة إلى الإسلام : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتقى هي أحسن) .
وأما أولئك المانعون الذين لم يستجيبوا لنداء الخطيب فقد أساءوا إلى نفوسهم وإلى دينهم وإلى جماعة المسلمين ، فإن الذين يحضرون خطبة الجمعة ممنوعون من كل ما من شأنه أن يشغلهم عن الإنصات للخطبة أو يشغل الخطيب عن إلقاء خطبته وقد ورد : إذا خرج الإمام ، أى من حجرته متجهاً إلى المنبر فلا صلاة ولا كلام . كما ورد : إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب أنصت فقد لغوت ومن لغا فلا جمعة له . أما كون صلاة الجمعة في هذه الحالة صحيحة فمن المقرر أن خطبة الجمعة شرط من شروط صحة صلاة الجمعة ، لأنها بديل عن ركعتين من صلاة الظهر .

وقد قرر الإمام أبو حنيفة أن ركن الخطبة هو مطلق الذكر الشامل للقليل والكثير ، فيكفي لتحقيق الخطبة المفروضة عندهم تحميدة أو تسيحة أو تهليل ، وإن كان يكره تعدد الاقتصاد على ذلك لعدم تحقق سنن الخطبة وهي حمد الله والثناء عليه بما هو أهله ، والشهادتان والصلاة على النبي ﷺ والعظة بالزجر عن المعاصي والتخويف والتحذير مما يسبب مقت الله وعقابه ، والتذكير بما به النجاة في الدنيا والآخرة ، وقراءة آية من القرآن الكريم ، وتكرار الخطبة واستكمال الخطبة الثانية على حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي ﷺ والدعاء للمؤمنين والمؤمنات والاستغفار لهم . . إلخ ، فإن كان القدر الذي افتتح به الخطيب خطبته قبل أن يحدث ما حدث مشتملاً على مطلق ذكر الله تعالى - والمفهوم أنه كذلك فإن صلاة الجمعة صحيحة على رأى الحنفاء .

وأما الشافعية فقد اشترطوا لصحة خطبة الجمعة أن لا ينصرف عنها الخطيب بصارف فإذا انصرف عنها ولم بعدها قبل الصلاة فقد فسدت الخطبة وإذا فسدت الخطبة فقد فسدت الصلاة ، لأن صحة الخطبة شرط من شروط صحة صلاة الجمعة .

هذا - ومادامت صلاة جمعنكم هذه قد صحت على مذهب من المذاهب الإسلامية فقد انتهى الأمر ، غير أننا ننبه بالمسلمين سواء من يقصدون للإمامة أو من يحضرون الجماعة أن يتأسوا برسول الله ﷺ وصحابته وأن يتخلقوا بأخلاق القرآن الكريم ولا يثربوا بينهم الخلافات حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، وليكن المسلمون صفاً واحداً خلف أمتهم وليستمعوا إلى قول الله تعالى : (ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ربكمم واصبروا إن الله مع الصابرين) .
وليحسن الأئمة النصيحة أمراً بمعروف ونهياً عن منكر وليحسن المسلمون الاستماع إلى إرشاد

أنتم وحسن توجيهاتهم وليعملوا بها حتى يكونوا ممن قال الله تعالى فيهم (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولو الألباب)

في الطريقة المثلى في خطبة الجمعة لمن لا يفهمون اللغة العربية

إن الطريقة المثلى في خطبة الجمعة بالنسبة لمن لا يعرفون اللغة العربية إنما هي أن يحمد الله ويتشهد ويصلى على رسول الله ﷺ ، ويقرأ آية من القرآن وحديثاً من أحاديث رسول الله ﷺ باللغة العربية فيكون بذلك أدى أركان الخطبة .

وذلك كله لا يستغرق أكثر من ثلاث دقائق . وهو فضلاً عن هذا أمر سهل ميسور لا يشق على الخطيب حفظه .

ثم بعد ذلك يخطب بلغة القوم الذين يصلى بهم الجمعة ويمكنه أن يستفيض في الخطبة بلغة القوم كيف شاء .

وذلك أن الخطبة عظة وتذكير بالله وبالتقوى والإخلاص ، وبالأخرة والحساب . وبالجنة ونعيمها والنار وعذابها ، فلا بد أن تكون بلغة القوم وإلا فقدت الخطبة وظيفتها . وإذا اتبع الخطيب ما ذكرناه فإنه يكون قد خرج من كل خلاف لأنه ذكر أركان الخطبة باللغة العربية ثم وعظ القوم بلغة يفهمونها .

في بناء المسجد وسط مقبرة

لا يصح بناء مسجد وسط مقبرة مسلمين إذا كان ذلك يستدعى هدم بعض المقابر وإزالتها ونبشها . لأن حرمة موتى المسلمين وهم في قبورهم كحرماتهم في حال حياتهم ، وقبورهم التي حلوا بها صارت ملكاً دون غيرهم ، ولا يحل لأحد نبشها ، أو التزول بأحد قبورها إلا لضرورة ملحة كدفن بعض الأموات بغير أسرته إن لم يتيسر دفنه بقبوره منفرداً .

وقد ورد عن سيدى رسول الله ﷺ أنه قال : « لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه ثم تخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر أو يتكى عليه » أما إذا كان في وسط المقبرة مكان خلاء لا قبور فيه وكان بناء المسجد فيه لا يستدعى هدم قبر أو إزالته فإن ذلك جائز ولا شيء فيه .

في الصلاة في مسجد فيه ضريح

أحب - إجابة على هذا السؤال - أن أنبه الناس في قوة إلى مسجد رسول الله ﷺ . إنه مسجد مبارك ، الصلاة فيه بألف صلاة ويتوسطه ثلاثة أضرحة مباركة هي الضريح

الشریف صلوات الله وسلامه على صاحبه ، وضريح الصديق ، وضريح الفاروق رضوان الله عليهما .

ونحن في هذا المسجد المبارك نصلى عن يمين الأضحية ، وعن يسارها ومن أمامها ومن خلفها .

فالأضحية الشريفة تكون تارة عن يميننا ، وتارة عن يسارنا . وتارة خلفنا ، وتارة أمامنا ، والصلاة في المسجد المبارك بألف صلاة .

ولا يتأتى بعد ذلك أن يثار سؤال عن الصلاة في مسجد به ضريح ، إنها جائزة وليس معنى هذا أننا ندعو إلى إقامة الأضحية في المساجد ، كلا وإنما نقول : إنه لو فرض أن ذهب للمسلم إلى مسجد به ضريح فلا يتخرج من الصلاة فيه ، فإنها مباحة لا حرمة فيها ولا كراهية ومسجد رسول الله ﷺ خير شاهد .

في الصلاة خارج المسجد والإمام بداخله

لقد بنى الإسلام على السر ويقول رسول الله ﷺ : يسروا ولا تعسروا وصلاة الجماعة خارج المسجد والإمام داخله نجوز إذا كان المأموم عالماً بانتقالات الإمام في الصلاة من ركن إلى ركن ومن وضع إلى آخر ، وذلك إما برؤيته أو بسماع صوته أو صوت مبلغ عنه ، وبشرط أن لا يكون المأموم أمام الإمام ، اللهم إلا إذا كانت هنا ضرورة اقتضت ذلك .

في عجز الإمام عن القيام في أثناء صلاته بالمؤمنين

ذهب الشافعي رضي الله عنه إلى صحة إمامة الذي لا يقدر على الصلاة من قيام ، وذهب إلى أنه يجوز للقادر على القيام الصلاة وراء القاعد العاجز ، والقاعد وراء المضطجع وللقادر على الركوع والسجود وراء المومي بها .

ولا يجوز للقادر على شيء من ذلك موافقة ، العاجز في ترك القيام أو القعود أو الركوع أو السجود ، قال الإمام النووي ، ولا خلاف في شيء من هذا عندنا .

واستدل الشافعي رضي الله عنه على ذلك بأن النبي ﷺ فيها رواه البخاري ومسلم « صلى جالساً والناس خلفه قيام » .

وعلى ذلك تصح الصلاة من قيام خلف الإمام الذي يصلى من قعود لعجزه عن القيام ، وعلى

المؤمنين أن يتابعوه من قيام ما داموا يستطيعون ذلك ، ونكون صلاة كل من الإمام والمؤمنين صحيحة كاملة الأجر والثواب ، وليس لهم أن يجلسوا لأن الجلوس إنما رُخص للعاجز عن القيام فقط .

في الصلاة خلف حليق اللحية

الصلاة خلف حليق اللحية صحيحة مع الكراهة ، لمخالفته أمر رسول الله ﷺ والثابت عنه طول حياته .

وما دام عليه هو والصحابة رضوا الله عنهم وأمرهم أشدداً ومكرراً كثيراً وكثيراً الظاهر فيه الوجوب ، والواجب حرام تركه .

وهذا هو الذى قال به علماء الأمة وجمهور الأئمة قال ﷺ « قصوا الشارب وأتركوا اللحية » (جزوا الشارب واعفوا اللحية) .

(احفوا الشارب واعفوا اللحية) إلى غير ذلك لدرجة أن كثيراً من الحفاظ والجهابذة ألف في ذلك كتباً منها كتاب الدعامة في أحكام اللحية والعمامة . وعلى هذا فالصلاة خلفه صحيحة مع الكراهة . .

في إمامة شارب الدخان

إن المطلوب في الإمام الذى يصلى بالمسلمين أن يكون قدوة حسنة ، لأن الملاحظ فيه أنه إمام أى قدوة لغيره - وصلاته إماماً بالناس تدريب على الاقتداء به حتى فى سلوكه . يتبعه الناس صفاراً وكباراً ، ويتسامع به أهل القرية والمدينة كمعلم للدين وكخليفة لرسول الله ﷺ ، يلقي الأضواء على المجتمع الذى يعيش فيه بل على الإمام أن يكون صورة واضحة سليمة للكتاب والسنة فى سلوكه قولاً وعملاً وحركة وسكوناً وذلك لا يتأتى إلا باتباع رسول الله ﷺ الذى هو الطريق الوحيد الموصل إلى الله تعالى . قال تعالى (وإن تطيعوه تهتدوا) وقد صح أن الرسول الله ﷺ قال : « إذا حان وقت الصلاة . . فليؤذن أحدكم ويؤمكم أفضلكم » .

نعم تجوز وتصح إمامة المفضول مع وجود الفاضل ، لكن ذلك غير المشروع وغير المطلوب وغير الثابت عن رسول الله ﷺ .

وعلى هذا فصلاة الإمام شارب (التباك) تصح ، وليست بباطلة ، ولكن إذا وجد فى

لمصلين من لا يشربه وكان مستقيماً عنه وأعلم منه فهو أولى بالإمامة منه .
 وذلك لما يراه الكثيرون من أن شرب (التباك) إسراف وتبذير ، حتى ولو كان الشارب غنياً
 موسراً ، ولأن فقراء المسلمين أولى وأحق بهذا المال الذى يضيع فى شرب (التباك) فضلاً عن
 الضرر الصحى الذى نكلم عنه الأطباء ، والإمام قدوة حسنة حتى فى الاقتصاد والمعيشة والمحافظة
 على الصحة .

فى ثواب الذهاب إلى المساجد

إن كل خطوة إلى المسجد لها ثوابها .
 عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
 « صلاة الرجل فى الجماعة تضعف على صلاته فى بيته وفى سوقه خمساً وعشرين درجة ،
 وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى الصلاة لايخرجه إلا الصلاة ، لم يخط خطوة
 إلا رفعت له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلى عليه مادام فى
 مصلاه : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال فى صلاة ما انتظر الصلاة » .
 وفى رواية « اللهم اغفر له ، اللهم تب عليه ، ما لم يؤذ فيه ، ما لم يحدث فيه » أخرجه
 البخارى ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجه ، ومالك فى الموطأ ، ولفظه :
 « من توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج عامداً إلى الصلاة ، فإنه فى صلاة ما كان بعيداً إلى
 الصلاة ، وإنه يكتب له بإحدى خطوتيهِ حسنة ، ويُمحى عنه بالأخرى سيئة ، إن أعظمكم
 أجراً أبعدكم داراً ، قالوا : لِمَ يَا أَبَا هريرة ؟ قال : من أجل كثرة الخطأ » والأحاديث فى هذا
 المعنى كثيرة .

ولقد كان يحدث أحياناً أن يحاول بعض الصحابة أن يقيم له مسكناً بالقرب من المسجد ، ثم
 يعلم بثواب الذين يكتثرون الخطأ إلى المسجد فيلتزم مكانه .
 ومن ذلك ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه من أن بعض الأنصار - وكانت منازلهم بعيدة
 عن المسجد - أرادوا أن يتقربوا ، فترلت (ونكتب ما قدموا وآثارهم) .

فى النهى عن دخول المساجد برائحة كريهة

لقد نهى رسول الله ﷺ أن يدخل المسجد من أكل الكرات أو البصل أو الثوم وكانت رائحتها
 لاتزال بقمه ، وذلك من أجل ألا يتأذى المصلون بالرائحة .

ومن آداب المساجد أن يتزين الإنسان لها لقوله تعالى (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) .

ومن آدابها أن يتعطر الإنسان إذا استطاع .

وإن مما تحدث به رسول الله ﷺ : أن الملائكة تأتي مما يتأذى مما يتأذى منه بنو آدم من الخبائث .
وآداب المساجد على وجه العموم أن لا يحدث فيها ما يغفل بجلالها وقلميتها ، ولا يجوز كذلك أن يدخن الإنسان فيها (السجائر أو التباك) أو ما شاكلها فإن رائحتها يتأذى منها كثير من الناس فضلاً عن أن فعل ذلك لا يناسب ما ينبغي للمسجد من حرمة وإجلال والله سبحانه وتعالى يذكر فيقول :

(في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يُسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) .

في بناء المساجد

إن المؤمن فطنٌ حكيم يضع الأمور في نصابها ، ويكيف الظروف والمقتضيات تكييفاً يتفق والحاجة والضرورة ، فثلا البقعة التي لا مساجد فيها ، ولا مآذن ينادى للصلاة من فوقها ومن أجل ذلك لا وعظ فيها ولا إرشاد ولا تعليم لأمر الدين يكون من أقرب المقربات إلى الله بناء مسجد بها .

والبقعة التي تكثر فيها المساجد ويكثر فيها الفقراء يكون مما يثاب عليه الإنسان ثواباً جزيلاً أن يتصدق بما يستطيع عليهم .

وإذا كانت قرية في مكان بعيد عن المطابع والمكاتب ومن أجل ذلك ثقل فيها المصاحف فإنه يكون من الخير أن يتصدق الإنسان بنسخ من القرآن الكريم .
من ذلك ترى أن الحالة الاجتماعية توجه عمل الخير .

على أن الثواب يتفاوت بتفاوت قدر الإخلاص وصفاء النية يقول الله تعالى : (ألا الله الدين الخالص) وكل عمل من أعمال الخير تشوبه أية شائبة من الرياء فإن ذلك يبطله ، وقد تحدث الله سبحانه عن هؤلاء الذين يتقبل أعمالهم قبولاً حسناً ، ويصفهم بأنهم الذين يعملون الخير ابتغاء وجه الله ، يقول تعالى : (وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) ويقول سبحانه (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) . فعلى قدر الإخلاص وعلى قدر الحاجة ، وعلى قدر المتصدق به يكون الثواب .

في نظافة المساجد

إن من شرط صحة الصلاة طهارة المكان . فإذا كان المكان قد تنجس بروث الخيل والحمير فإنه لا يكون مسجدًا ولا نصح فيه الصلاة .

والمسجد في الإسلام مكان طاهر . إنه طاهر من الناحية المادية . وينبغي أن يكون طاهرًا من الناحية الروحية .

أما طهارته من الناحية المادية فذلك واجب وجوبًا حتميًا من أجل صحة الصلاة . والمسلمون في جميع أوقاتهم يحافظون على هذه الطهارة ويشمترون ممن يكون سببًا في تلويث المسجد . ولقد كان رسول الله ﷺ يحاول دائمًا أن تكون الرائحة في المسجد عطرة جميلة ، وكان يحث بسلوكه على اتخاذ العطر عند الذهاب إلى المسجد . لأنه هو كان يمس الطيب عند ذهابه إلى المسجد اتباعًا لقول الله تعالى : (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) ومن الزينة اللباس الحسن والرائحة الحسنة . ولقد حث الإسلام على الطهارة والنظافة . وأوجب ذلك إيجابًا في كثير من الحالات ، وطهارة الثوب والجسم والمكان من شروط الصلاة . والوضوء وهو نظافة وطهارة من شروطها أيضًا ، والاغتسال من الجنابة واجب شرعًا وهو طهارة ونظافة .

ولقد وصل الأمر برسول الله ﷺ أن نصح من أكل الثوم والبصل أن لا يقرب المسجد ، لأن المصلين يتأذون براحتها .

ولقد ذهب أبو يزيد البسطامي رضى الله عنه يومًا مع صديق له لزيارة رجل قد شهر نفسه بالولاية . وكان رجلاً مقصوداً مشهوراً بالزهد . قال : فضينا إليه فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببصافة تجاه القبلة . فانصرف أبو يزيد ولم يسلم عليه . وقال : هذا غير مأمون على أدب من آداب رسول الله ﷺ . فكيف يكون مأموناً على ما يدعيه ؟ والذي نريد أن ننهي إليه هو أن المكان الذي فرش بروث الخيل والحمير لا يسمى مسجدًا ولا تجوز الصلاة فيه . وبيوت الله أظهر وأزكى وأجل من أن تفرش بمثل هذه القاذورات .

وطهارة المساجد لا تقتصر على الناحية المادية فحسب وإنما يجب أن تكون المساجد طاهرة من الناحية الروحية أيضًا فلا يدور بين المصلين حديث في غيبة أو غيبة أو غير ذلك من آثام اللسان أو من آثام الجوارح .

إن المساجد لله . وهى بيوت الله . وما كان لله يجب أن يكون مقدسًا مادة وروحًا

في تعمير المساجد

المساجد ينبغي أن تكون خالصة لعبادة الله القائمة على أساس من توحيده وإخلاص العمل له . فلا ينبغي أن تشغل بغير الذكر والعبادة وتدريس العلم ونحو ذلك : (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) ومعنى الآية الكريمة أن كل مكان يسجد فيه لله ينبغي أن يكون مكاناً لهذه العبادة ، وكل سجود ينبغي أن يكون قائماً على أساس التوحيد ليكون سجوداً حقيقياً جاثراً للقبول عند الله .

وقد حدد الله للمساجد أهلها ، وبين ما ينبغي أن تكون عليه صفاتهم ومظاهرهم فقال : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) . والمراد بعمارة المساجد كما يقول الألوسي : ما يعم إصلاح بنائها وتنظيفها وتربيتها بالفرش التي لا تشغل قلب المصل عن الحضور وتحقيق الراحة والاستغراق في العبادة ، وتنويرها بالسراج وإدامة العبادة والذكر . ودراسة العلوم الشرعية فيها ونحو ذلك . . وصيانتها من حديث الدنيا والغناء .

في إمامة الابن لوالده

الأحق بالإمامة هو الأعلم بأحكام الصلاة ، والأقرأ لكتاب الله ، فإذا كان الابن عالماً وأبوه ليس بعالم فهو أحق بالإمامة من أبيه ، وذلك لأن الإمامة أمر يتصل بالدين . والمقدم فيها هو الأعلم بالدين ، وليس على الأب من غضاظة أن يأنم بابه روى مسلم والإمام أحمد عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سناً .

وروى عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم وأحقهم بالإمامة أقرؤهم » .

في حكم إمام المسجد الذي يتقاضى أجرًا عن عمله

إن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه حينما تولى الخلافة أصبح ذاهبًا إلى السوق لينجر كمعاشه وليكسب عيشه بيده فمنعه أصحاب رسول الله ﷺ من الذهاب إلى السوق للتجارة ، وفرضوا له من بيت المال ما يكفيه ويكفي من يعول من أفراد أسرته مئونة العيش ، وعمل سيدنا أبي بكر رضي الله عنه في الخلافة عمل ديني ، فإنه يصرف أمر الدين وأمور الدنيا ، وهو في تصرفه أمور الدين إمام المسلمين ، يصلي بهم ، ويخطب فيهم يوم الجمعة ، ويفتيهم في أمور دينهم . وهذا هو الأصل والأساس في إباحة أخذ الإمام أجرًا عن وظيفته وذلك أنه متفرغ لها ، ويتأذى سيدنا أبي بكر رضي الله عنه في أخذ ما فرضه له الصحابة رضوان الله عليهم ، ويجوز أن يشترع إمام بالإمامة دون أن يأخذ على ذلك أجرًا ، وهذا ليس حجة على غيره . والأفضل أنه إذا كان الإمام ميسورًا قد وسع الله عليه في الرزق وبسط له في النعمة أن لا يأخذ أجرًا على إمامته . أما إذا كان لا مال له وكان محتاجًا إلى الأجر لعيشه وعيش أسرته التي يعولها فله أن يأخذ الأجر ولا بأس بذلك .

في سدل الإمام يديه

• مادام الإمام يصلي الصلاة مستوفية لأركانها وشروطها فإن صلاته صحيحة والصلاة خلفه جائزة ولو سدل يديه ولم يقبضها ، لأن قبض اليدين ليس من أركان الصلاة ولا من شروطها ، بل هو مندوب فقط ، فمن فعله فحسن ، ومن تركه لا اعتراض عليه . كما أنه لا يجوز للإمام أن يتقدم الذين يقبضون أيديهم في الصلاة ، لأن هذا الفعل مندوب إليه ، وقد ورد فيه الأحاديث عن الرسول ﷺ منها قوله ﷺ : « إنا معشر الأنبياء أمرنا بتعجيل فطرنا وتأخير سحورنا ، ووضع أيماننا على شمالكنا في الصلاة » . وقال ابن عبد البر : إنه قول جمهور الصحابة والتابعين ، وذكره مالك في الموطأ وقال : لم يزل مالك يقبض حتى لقي الله عز وجل .

في صلاة الجمعة في مسجد يعتقد المؤمن أن إمامه مشرك

قال الله سبحانه وتعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء ، إن الله عليم حكيم) . وعلى هذا لا يجوز للمسلم أن يصلي الجمعة معتقداً أن إمامه مشرك ، لأن النية شرط في الصلاة ، والله سبحانه وتعالى يقبل كل تائب إلا للمشرك . ويغفر كل الذنوب ماعدا الشرك حيث يقول في سورة النساء .

(إن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يُشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً) . وعلى هذا الأساس لا يجوز للمسلم أن يصلي الجمعة في مسجد يعتقد أن إمامه مشرك .

في إذا أمر إنسان بترك الصلاة

من المبادئ المقررة في الدين الإسلامي ، أنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، والصلاة من أهم أركان الإسلام ، بنى سيدنا عمر الإسلام عمن تركها فيقول رضوان الله عليه : « لاحظ في الإسلام لمن ترك الصلاة » ويقول الرسول صلوات الله عليه : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » .

فلا يجوز أبداً أن يترك إنسان الصلاة من أجل مرضاة إنسان آخر أو بسبب تهديده له ، ولن يضيق الله إنساناً أدى ما أوجبه الله عليه ، يقول الله تعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه) .

بيد أن المؤمن كئس فعلن لبق يجب عليه أن يعمل بكل وسيلة ذكية للمحافظة على دينه كما يحتال في ذكاء للمحافظة على دنياه :

في تهديد الخادم والأجير إذا لم يترك الصلاة

يقول الله تعالى : (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) ، ويقول سبحانه : (وفي السماء رزقكم وما تنوعدون) ويقسم سبحانه على ذلك نظراً لضعف الإنسان وقلته فيما يتعلق

بالرزق فيقول تعالى : (فارب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون) .
 هذا ومن المبادئ المقررة أنه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق ، من كل ذلك نتيين الإجابة على
 هذا السؤال فيما يتعلق بالأجير ، وفيما يتعلق بوجوب أداء الصلاة برغم كل الظروف في أول
 الوقت ، أو في منتصفه أو قرب نهايته إذا لم يكن بدمن هذا ، ولتكن النتيجة بعد ذلك ما نكون ،
 ومن انجه إلى الله فإن الله لا يضيعه .

في المكروه على ترك الصلاة

يقول الله سبحانه وتعالى (وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) ، ويقول صلوات الله
 عليه عندما ذكر الصلاة يوماً : « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم
 يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي
 ابن خلف » .

ومما له مغزى عميق في الدين الإسلامي أن الصلاة تقام حتى في حالة الحرب ، وعندما يكون
 الجيشان وجهاً لوجه ، ومع كل ذلك فإن الإنسان إذا أكره على ترك الصلاة وهدد في ذلك بالقتل
 ولم يجد مفرّاً من تركها أو القتل فإن الله سبحانه وتعالى أرحم بعبده من أن يوجب عليه فعلها في
 هذه الظروف وعليه أن يقضيها فور استطاعته وحسب استطاعته .

في حكم المرور أمام المصل في أثناء الصلاة

روى الإمام البخاري رضي الله عنه عن أبي الجهم عبد الله بن الحارث رضي الله عنه قال :
 قال رسول الله ﷺ لو يعلم المار بين يدي المصلى ماذا عليه لكان أن يقف أربعين جبراً له من أن يمر
 بين يديه . قال الراوى لأدري قال أربعين يوماً أو شهراً أو أربعين سنة .
 والمرور بين يدي المصلى مكروه ، ومن أجل ذلك يستحب للمصل أن يقف في مكان لا يكون
 طريقاً للمارة ، فإذا لم يكن ذلك فعليه أن يضع حداً يمر الناس من بعده أو ينحط خطأ .
 وعليه أن ينه المار بالإشارة أو بالتسبيح أو برفع الصوت بالقراءة ، فإذا كان المصل سيدة فإنها
 تصفق ولا ترفع صوتها بالقراءة . وفي المرور أمام المصل في أثناء تسليمه في ختام الصلاة خلاف
 الأولى - والأولى في هذه الحالة انتظار التسليم ، وذلك لابتعد أن يكون ثوانى محدودة .

في إذا صلى المرء كما رأى الناس يصلون

إذا صلى المرء كما رأى الناس يصلون تصح صلاته وتسقط الفريضة ، إن كانت الصلاة فرضية أى اتفقت فيه نية الإمام مع نية المأموم أما إذا لم تتفق فليست مسقطة للفريضة وإنما له بها حسنات وعليه إعادة الصلاة .

أما قول رسول الله ﷺ « صلوا كما رأيتموني أصلي » فيريد الرسول به أن يبين موضع كيفية الصلاة لهم بأركانها ومستحباتها ومنها ، فقال لهم صلوا كما رأيتموني أصلي ، وسبب ورود الحديث أن المقام مقام تعليم وتعريف وانتقال بهم من النظر إلى العمل ، لأجل أن تستقر الصورة في أذهانهم ويسيروا عليها ويؤدونها .

في من يقضى عمله أن يكون مشغولاً

وقت صلاة الجمعة ويصلها ظهراً .

الفرض يوم الجمعة هو صلاة الجمعة في وقت الظهر على من استكمل شرائطها ، وهو أن يكون مقيماً خالياً من الأمراض وهو بالغ عاقل ، فمن استكمل هذه الشرائط وجب عليه صلاة الجمعة لا يعفيه منها أى شغل ، ويجب على المسئولين عن العمل أن يهيئوا الفرصة لصلاة الجمعة ، لأنها ساعة كل أسبوع وتركها معصية ..

في الأمور التي تمنع المصل من ثواب صلاة الجمعة

الأمور التي تمنع المصل من ثواب يوم الجمعة :

١ - تخطي الرقاب .

٢ - الاشتغال بذكر الدنيا .

٣ - الحديث وقت الخطبة بأى حديث كان سواء كان الحديث حديثاً دينياً أو حديثاً دنيوياً ،

فقد ورد في السنة « من تخطى رقاب المصلين يوم الجمعة يجر قصبة في النار يوم القيامة » وورد في السنة « أن من قال لصاحبه يوم الجمعة أنصت فقد لغا ، ومن لغا فلا جمعة له » وورد في السنة « إذا قام الإمام فلا صلاة ولا كلام » .

في أيهما أفضل : المصل مع ارتكاب الكبائر ؟ أم غير المصل مع عدم فعل الكبائر ؟

لأفضل في هذا ولا في ذاك -- كلاهما مقصر ومخالف للدين ، وإن كان بعضهم أخف من بعض ، فالذى يصلى ويرتكب بعض الكبائر كالزنى يدل بفعله هذا على نقص في صلاته من ناحية الإخلاص والخشوع والاستغراق فيها ، لأن صلاته لولا هذا النقص الخطير فيها كفيلة بمنعه من ارتكاب أى كبيرة .

قال تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ، أى الصلاة الحقيقية الصادقة ، وعليه أن ينظر في صلاته ويعلم أنه ليس له إلا ما عقل منها وأنها بدون هذا التعقل وهذا التأثير النافع في كبح جماح النفس عن الشهوات صورة ظاهرة لا قيمة لها عند الله ، بل تصعد وعليها فترة وغبرة فتغلق دونها أبواب السماء ويضرب بها وجه صاحبها .
وأما الذين لا يرتكبون الكبائر ولا يصلون ، فقد هدموا بتركهم الصلاة ركناً من أركان الدين لقوله ﷺ . (بنى الإسلام على خمس) وعد منها إقامة الصلاة .

وقد قاتل أبو بكر رضى الله عنه مَنْ ترك الزكاة قياساً على قتال من ترك الصلاة ، فقد كان الصحابة مجتمعين على قتال تارك الصلاة وقتله . وقال ﷺ : « من ترك الصلاة متمعداً فقد كفر جهاراً » ، وقال : « من ترك صلاة العصر حبط عمله » ، ويكفى في إنذار تارك الصلاة وذمه قول الله تعالى : (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً . إلا مَنْ أتى الله بعبادة) وبعد فكلا الفريقين كما قلنا عاص وبعيد عن الله ؛ الذين يصلون صلاتهم - صلاة لأرواح فيها ولا أثر ، والذين يمتنعون عن الكبائر لا يفعلون الصالحات ويخالفون أمر الله تعالى بترك الصلاة ، والمؤمن من تمسك بفعل الطاعة وترك المعصية .

في إغلاق المساجد وتعطيلها

المساجد بيوت الله في الأرض تقام فيها الصلوات ، وتودى فيها شعائر الدين ، ولا يصح إغلاقها ولا تعطيل الشعائر فيها بأى عذر من الأعذار ، وإلا دخل مَنْ فعل ذلك تحت قوله تعالى : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها) ورحيل إمام المسجد عن القرية ليس عذراً يميز منع الصلاة في المسجد أو إغلاقه بل يلزم فتحه للمسلمين يصلّون فيه ، وليست الصلاة

خاصة بالإمام الرسمي بل لكل مسلم يعلم أحكام الصلاة أن يؤم الناس في الصلاة .
فليأدر أهل القرية بفتح المسجد وأداء العبادة فيه وعدم تعطيل شعائر الإسلام .

في تسبب إنسان في إفساد صلاة الجماعة

إذا تسبب إنسان في إفساد صلاة آخر فإنه يحرم عليه ذلك ، إلا إذا كان مضطراً إلى هذا الفعل وليس له مخلص منه .

وإذا كانت الصلاة في الطريق العام تقطع الطريق على السيارات أو تشغل المصلين بحركة المرور أو تفصل بين المصلين وبين الإمام - فإنها تكون مكروهة .
والسائل الذي قطع الصلاة على المصلين إذا كان يمكنه أن يتفادى ذلك دون قطع صلاتهم أو إفسادها فإنه يحرم عليه هذا الفعل .

إن الصلاة عبادة أوجبها الله سبحانه وتعالى : إنها ركن من أركان الإسلام ، وهي الركن الثاني ، وهي عماد الدين : من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين ، وهي من أول ما يُحاسب عليه العبد ، ومن أجل كل ذلك يجب أن يساعد المصلين وبعينهم كل مسلم على إتمام صلاتهم في هدوء وفي سكون وطمأنينة ، فإذا قطع عليهم قاطع صلاتهم فإنه يكون آثماً .
ولكن من جانب آخر على المصلين أن لا يصلُّوا في مكان يمنع الناس من أداء مصالحهم إذا أمكنهم أن يصلُّوا في مكان آخر .

في من يصل على فترات متقطعة

الصلاة ركن من أركان الإسلام لقوله عليه الصلاة والسلام : « بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحُجِّ الْبَيْتِ لِمَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » .

وهي عماد الدين وركنه الركين ، وهي الفارقة بين المؤمن والكافر وهي فرض على المسلم منذ أن يصل إلى مرحلة البلوغ حتى وفاته ، يلزمه أن يؤديها ويحافظ عليها امتثالاً لأمر الله : (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين) .

ومن قصر في أدائها يعاقب على تركها ، وإذا أدى بعض الفرائض دون البعض سقط عنه الفرض الذي أدى وبقي الآخر في ذمته لانتهاه عنه إلا بالأداء . وإن لم يستطع حصر ما فاتته من

الصلوات اجتهد وقضى على غالب ظنه ، وينوى عند القضاء آخر فرض عليه سواء كان ظهراً أو عصرًا وهكذا ، وبعد الصلاة تكون الآية آخر صلاة عليه .
ولسهولة الأداء يلزم أن يصلى مع كل فرض من الصلوات الخمس فرضين أو أكثر قضاء حتى تبرأ ذمته والله الموفق والمعين . .

في تهاون الحاج في أداء الصلاة

الصلاة ركن من أركان الدين ، وهى عماده وعليها بناؤه . قال تعالى : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) .
وقال عليه السلام « الصلاة عماد الدين ، من أقامها فقد أقام الدين ، ومن هدمها فقد هدم الدين » وقال : « بين المرء وبين الكفر ترك الصلاة » .
فن أهمل في أداء الصلاة أو تكاسل أو تهاون في أدائها صدق عليه قول الله تعالى : (فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون) وكان مستحقاً لهذا الوعيد ، ولا يشفع له حجه في التهاون في أداء الصلاة أو التكاسل عنها ، بل يزيد من مسئوليته ووجوب محافظته على أدائها في أوقاتها ، لأن من حج فقد كمل دينه ، فيلزمه أن يحافظ على كماله ، ولا يتهاون في شيء من فرائضه وأركانه حتى يتقبل الله حجه ، لأن من علامات الحج المبرور أن يرجع أحسن حالاً مما كان عليه ، ولأن الحاج يتهاون في أداء الصلاة يكون قلوة سيئة لمن يريدون الحج ، ويتسبب في سب الناس لهم والتشنيع عليهم .
لذا يجب على الحاج أن يتعدى عن كل ما يفضب الله ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

في موقف المسلم من تارك الصلاة

إن موقف المسلم من تارك الصلاة هو موقف الإنكار ، وذلك أن ترك الصلاة منكراً يفضبه الله ورسوله .
وإنكار المنكر يكون تارة باليد ، وتارة باللسان ، وتارة بالقلب ، لأن رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » .

وموقف المسلم إذن من تارك الصلاة - هو في أقل الدرجات - إنكار بالقلب ، والإنكار

بالقلب اعتزال وتجنب ، فلا يجوز إذن شراء شيء منه طعاماً كان أو غير طعام ، وهذا هو ما يترتب على الإنكار القلبي .

أما أن يرى المسلم تارك الصلاة فيصاحبه ويخالسه ويشترى منه ويفيده مكسباً بالشراء فإن كل ذلك يخالف الوضع الإسلامى ويشبه عمل بنى إسرائيل . وإذن فالموقف السليم إسداء النصيحة ، فإن لم يستجب واستمر على ترك الصلاة فأضعف الإيمان مقاطعة كاملة .

فى الصلاة فى المساجد التى بناها المستشرقون بأموالهم

إن بناء المساجد أمر قد رسم الله سبحانه وتعالى شروطه من حيث الهدف الذى بُنى المسجد من أجله ، ومن حيث الباعث الذى جعل البانى يبنيه - بين الله ذلك بمناسبة مسجد الضرار الذى بناه أبو عامر بالمدينة منافساً به مسجد رسول الله ﷺ - يقول سبحانه فى سورة التوبة : (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً...) إلخ الآيات ..

فإذا كان المسجد الذى بناه المستشرق أُريد به التفرقة بين جماعة المسلمين أو أُريد به غرض سبىء أياً كان هذا الغرض فإنه يجب على المسلمين ألا يدخلوه ، وذلك توحيداً لكلمتهم ، وتلافياً للضرر الذى يبنى عن الغرض السبىء الذى من أجله بنى المستشرق المسجد . أما إذا لم يكن فى الأمر أى غرض سبىء ولم يحدث تفريق فى كلمة المسلمين ولا خوف فيما بينهم فإنه لا بأس بالصلاة فى المسجد .

فى المسجد

إن الجلوس فى المسجد لسماع الخطبة عبادة ، فإذا طالت الخطبة فقد كثر الثواب ، والمؤمنون الأوفياء لعقد الإيمان قلوبهم معلقة بالمساجد فإذا أتاحت لهم الفرصة لإطالة الإقامة فإنهم يستبشرون بذلك ويعدون من فضل الله ، أما هذا الذى يضيق بطول الخطبة فقد شغله الدنيا وأهواه التكاثر ، فإذا ضاق بالخطبة خرج على الأوضاع الإسلامية وصلى الظهر منفرداً فهو آثم مدنب فإن الظهر لا يغنى عن الجمعة فى مثل هذا الحال ، وبعض هؤلاء الذين يضيقون بطول الخطبة يقضون الساعات فى الملاحى والمقامى ، أو فى الأحاديث التى ليست دائماً بريئة ، ومع ذلك فإن السنة تقصير الخطبة وإطالة الصلاة ، وقد كانت خطبته صلوات الله عليه وسلامه من القصر والتركيز بحيث لا تستغرق أكثر من عشر دقائق فى أغلب الأحيان ، فعلى خطباء المساجد

مراعاة ذلك ، فإذا أطلأ أحدهم إلى حد يتجاوز الوضع السليم فإنه ينبه في رفق حتى يعود إلى السنة الشريفة وهو على كل حال مأجور بقدر إخلاصه وصفاء نيته فيما يتعلق بإطالة الخطبة .

في المرأة والمسجد

يقول صلوات الله عليه - فيما رواه الإمام أحمد في مسنده والإمام مسلم في صحيحه :
« لا تمنعوا إماء الله مساجد الله » ويقول الإمام النووي في ذلك ، بشرط أن لا تكون متعطرة أو متزينة أو ينجس منها الفتنة ، ويفصل الأمر إذن في هذا الموضوع أن ذهاب النساء إلى المساجد محتشمات لا يمنع منه مانع ، بل هو في هذا العصر مطلوب ، ينبغي أن نشجع عليه النساء ، لعل الله يهديهن بسماع كلمة موعظة أو بالتعرض لنفحات الله في مساجده .

ولقد فتحت أبواب السبنا والمسارح على مصاريحها أمام النساء ، فمن الحكمة والأمر كذلك أن نفتح أمامهن أبواب المساجد ، أما ماروته السيدة عائشة - رضى الله عنها - من أنه لو رأى رسول الله صلوات الله عليه وسلامه ما أحدثته النساء في زينتهن لمنعهن المساجد ، فإن مرادها أنه على النساء أن يذهبن إلى المساجد محتشمات ، وحاشاها - رضى الله عنها - أن تقصد منع شيء أباحه الرسول صلوات الله عليه وسلامه ، فإذا ما كان الاحتشام ، وانتفت أسباب الفتنة ، فلا يأتى ذهاب النساء إلى المساجد إلا بنجى : بنجى لمن وبنجى للمجتمع ، بنجى في الدنيا وبنجى في الآخرة .

في الميت الذى لم يُصلَّ عليه

الصلاة على الميت يلزم أداؤها قبل الدفن ، فإذا دُفن الميت من غير أن يُصلَّى عليه أُخرج من القبر - إن كان لم يُهل عليه التراب - يُصلَّى عليه ثم يُعاد دفنه ، وإن كان قد أهيل عليه التراب حرم نبش قبره وإخراجه منه ، ويصلَّى عليه وهو فى القبر ، وقد ورد أن النبى ﷺ صلى على شهداء أحد بعد ثمانى سنين ، ومن السنن الجميلة ما نفعه نحن الآن من الصلاة على الغائب ، والسؤال الذى معنا لا يجوز فيه إخراج رفات الميت بحال من الأحوال بعد هذه المدة الطويلة ، لأن فيه انتهاكاً لحرمه الميت ، ونشأً للقبر ، وهو حرام ، والإسلام يحترم الميت كما يحترم الحى .
ومما لاشك فيه أن فتح القبر بعد هذه المدة الطويلة وإخراج ما بقى من الميت من عظام ورفات إنما هو إساءة لما تعارف عليه الناس من حرمة واجبة للميت . ثم إن الصلاة تصل إلى الميت ، سواء كان قريباً أم بعيداً وسواء كان فى القبر أو خارجه . ومن أجل كل هذا يُحرَّم فتح القبر وإخراج الميت منه .

في الأمور التي تمنع الإنسان من ثواب صلاة الجمعة

روى الإمام البخارى بسنده عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله ﷺ « لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » .
ومن هذا الحديث نلمح الأمور التي تمنع الإنسان من ثواب صلاة الجمعة وأول هذه الأمور التفريق بين اثنين أو تخطي الرقاب .

وفي حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص « فمن تخطى أو لغا كانت له ظهراً » وقد استثنى العلماء من تخطي الرقاب . التخطي لسد فرجة في صف تقدم وأن يقيم إنساناً من مكانه ليجلس فيه ، فمن ابن عمر رضى الله عنه قال : « نهى النبي ﷺ أن يقيم الرجل أخاه من مقعد ويجلس فيه ، لأنه إن كان فعله هذا من جهة الكبر كان قبيحاً ، وإن كان من جهة الأثرة وحب الذات كان أقبح » .

أما ثاني هذه الأمور فهو عدم الإنصات حال خطبة الإمام ، أو التلاعب عن هذا الاستماع . فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ، ومن مس الحصا فقد لغا » .

ومن الأمور التي تنقص من ثواب الجمعة ترك الغسل لها وعدم الاستعداد لها ، وقص الأظفار وتحسين الهيئة . . ونطيب الرائحة بالطيب ، والمبادرة بالخروج إليها قبل الخطبة بوقت كاف .
بقي أن نقول ما هو ثواب الجمعة ؟ إن ما يثبت الأحاديث الصحيحة : غفران الذنوب الصغار وزيادة ذنوب ثلاثة أيام من الأيام التي بعدها ، فإن لم تكن صفات زادت بالحسنات وكثر الثواب .

في ترك الزوجة للصلاة

أجمع العلماء على أن من أنكر فريضة الصلاة أو استخف بها كافر ، لإنكاره أمراً معلوماً من الدين بالضرورة وعليه يحمل قول الرسول ﷺ : « إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » رواه مسلم وقوله : « إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » رواه أحمد

وغيره : وأما من تركها كسلا مع اعتقاد فرضيتها فإنه مسلم عاص ، ومصريه أن يعذب عذاباً أليماً في جهنم .

يقول الله تعالى : (فخلفَ من بعدهم خلفٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقونَ غياً) .

وعلى كل فتاركها عمداً أو كسلا مفرط مستحق للعقاب والتأديب ، وقد قال تعالى : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) .

والخطاب فيها شامل لكل مسلم رعاية للقرابة وسعيًا إلى تكميل الخير بعد تكميل النفس الأقرب فالأقرب . وكان ﷺ يوقظ أهله للصلاة ، وكان عمر يفعل ذلك ويتمثل بهذه الآية .

وبعد ، فإن كانت الزوجة جاحدة لفريضة الصلاة بعد إخبارها بأهميتها وبما يترتب عليها من الكفر فهي كافرة يفسخ نكاحها ولا تحل معاشرتها .

وإن كان تركها الصلاة لكسل ونحو ذلك فعل الزوج دعوتها إلى الصلاة برفق ولين ومصابرة حتى تتعود عليها ، فإن أبت اشتد عليها بقدر الوسع ولا يلزمه طلاقها ، وعلى الزوجة ومثلاتها أن يعلمن أن المرأة مسئولة عن عملها وأن مسئولية الزوج عنها مسئولية فرعية . قال تعالى : (مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهَ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى مَنْ يعمل صالحًا من ذكر أو أنثى فسيلقى جزاءه .

يقول سبحانه (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى) أى معيشة ضنكاً في هذه الحياة أما في يوم القيامة فإنه سبحانه يحشره متخبطاً ضالاً كالأعمى الذى لا يهتدى لطريقه .

في دخول المسجد وقت الجمعة والإمام يخطب

إن الصلاة هي الركن الإسلامى الذى يلى مباشرة في أركان الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولقد حث عليها الإسلام ، وحجب فيها كثيراً مع فرضيتها التى يصل إنكارها إلى الكفر ، وذلك لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتكفر الذنوب وتغفر الآثام وتنير القلب ، وهى بكل ذلك من أهم العوامل في إصلاح المجتمع وتدعيم الأمن فيه .

- فقد فرضها الإسلام في أوقات معينة ، وسنها الرسول ﷺ في مناسبات كثيرة جداً ، منها تحية المسجد ، روى البخارى ومسلم عن أبى قتادة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ، قال : « إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين » ، وهذا عام في كل وقت يدخل فيه الإنسان

المسجد ماعدا الأوقات التي تكره فيها الصلاة .

أما فيما يتعلق بدخول المسجد يوم الجمعة والإمام يخطب فقد روى البخارى ومسلم عن جابر رضى الله عنه قال : « دخل رجل يوم الجمعة ورسول الله ﷺ يخطب فقال له : أصليت ؟ قال : لا . قال فصل ركعتين وقال : إذا دخل أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجاوز فيها » أى يخففها - وروى البخارى ومسلم عن رسول الله ﷺ : « إذا جاء أحدكم يوم الجمعة وقد خرج الإمام - أى خرج من غرفته واعتلى المنبر يخطب فليصل ركعتين » .

صلاة النفل التي تنوب عن خمسة فروض

هذه الصلاة صلاة مبتدعة ليس لها أصل من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ . وأمر الصلاة مشهور وواضح ، وليس من المعقول أن تنوب صلاة نفل عن خمسة فروض أو عن فرض .

فالفرض معلق بذمة صاحبه وعليه قضاؤه ، وإن لم يقبل ذلك في الدنيا حوسب عليه يوم القيامة .

ونحب أن ننبه إلى أن أى صلاة تخالف في كيفية الصلاة المشروعة من قيام وركوع وسجود وألوان الذكر وصيغه ونحو ذلك - هى صلاة مبتدعة ، وتغيير في الدين بما لم يترل به شرع ، وخروج من حدود الاتباع ، وهى مبعدة عن الله تعالى فضلا عن كونها غير مقربة إليه . وفيما ورد عن الرسول ﷺ من الصلوات الثابتة الواردة ما يغنى وما يفيد . وقد أكمل الله لنا الدين وأتم الشريعة ، وحدد ما يقربنا إليه وحذرنا مما سواه .

في من لا يصل ولا ينكر الصلاة

يقول الله تعالى : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا) وعن جابر رضى الله عنه فيما رواه الإمام مسلم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة .

وقد روى الترمذى في حديث حسن صحيح عن النبي ﷺ قال : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » أى من تركها إنكارًا لها وجحودًا وتكديًا فقد كفر إن للصلاة في الجو الإسلامى منزلة كبيرة فهى عماد الدين ، وهى ركن من أركانه باتفاق الأئمة ، وعلى تاركها أن

يسارع بالتوبة ، وأن يحافظ عليها ، ومادام لا ينكر الصلاة باعتبارها ركناً من أركان الدين ، ومادام يقر بها - فإنه لا يكون كافراً وإنما يكون بتركها عاصياً .

والعاصي يحاسبه الله على عصيانه ويكافئه خيراً على ما يأتية من خير ، فالمسلم نحصى عليه حسناته وسيئاته وهو مجزى بالخير خيراً ، وبالشر شراً ، وأن العاصي أو تارك الصلاة الذي يتصدق لوالديه تقبل صدقته ، ويشبه الله سبحانه وتعالى خيراً على ذلك ، وعسى الله سبحانه وتعالى أن يشرح صدره للصلاة بسبب ما عمله من خير وهو تصدقه لوالديه فيكون مصيره الصلاح والهداية .

في مَنْ قالوا بإسقاط الأعمال - وفيها الصلاة - عنهم

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وبعد فقد قال جلّ ذكره .
(فإذا اطمأننتم فأقيموا الصلاة ، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) وإقامة الصلاة هي أداؤها على ما يحب الله ورسوله ، ومعنى ذلك أن الإنسان يستغرق في الصلاة منذ ابتدائها ، فلا يفكر في شيء خارجها ، إن من يقيم الصلاة لا يفكر في أثنائها في وظيفة ولا مال ولا جاه ولا مشاغل دنيوية أيّا كانت ، وذلك لتكون الصلاة حقاً صلة بين العبد وربّه ، ولن تكون كذلك إلا حينما يكون الإنسان بحيث لا تلعب به - في صلاته - دنيا ولا يلعب به شيطان يصرفه عن صلاته ليفكر في أمر آخر ، وحينما يؤكد الله سبحانه نهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر فإنما يعبر الله سبحانه عن الصلاة المقامة .

أما كونها كتاباً موقوتاً فعناه أنها فرض له وقت معين ، أي مؤقت بأوقات محددة لا يجوز أن تتجاوز دون أدائها ، وذلك يعني أوقاتها الخمسة المحددة في الشريعة الإسلامية ، وهذا التحديد بالوقت باق ببقاء الإنسان ، لا يسقط في أي سن ، ولا يسقط منها وصل الإنسان من الدرجات الروحية ، بل إن الدرجات الروحية تبعث الإنسان في صورة أقوى على المحافظة على الصلاة ، ومن أجل ذلك فإن كل من يزعم أنه وصل إلى درجة تسقط فيها الصلاة عنه فإنه مفتر على الحق ، وخائن للأمانة الدينية .

وقديماً قال رجال : أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحرمات من باب البر والتقرب إلى الله عز وجل فقال الجنيد رضي الله عنه : إن هذا قول قوم تكلموا بإسقاط الأعمال ، وهي عندي عظيمة ، والذي يسرق ويزني أحسن حالا من الذي يقول هذا : وبعد فيقول الله تعالى : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) .

في الرجل يصلي في دكانه مع قرب المسجد منه

بن الرجل الذي يصلي في دكانه مع قرب المسجد منه واعتذاره عن ذلك أنه يكون وحده في الدكان ويصلي جالساً لتعبه . إن هذا الرجل صلاته صحيحة ، إلا أنه محروم من ثواب الجماعة ومع أن صلاته صحيحة فإننا نريد أن نضع تحت سمعه وبصره الحديث الصحيح التالي الذي رواه إماما السنة : البخاري ومسلم رضي الله عنهما : عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته . وفي سوقه (أي في دكانه) خمسين وعشرين ضعفاً » وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرج إلا للصلاة لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة ، وحطت عنه بها خطيئة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه . ما لم يحدث تقول : اللهم صل عليه ، اللهم ارحمه ، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة » .

في تأخير الصلاة عن موعدها

من أدى فريضة الصلاة في غير موعدها ولم يكن متعمداً في ذلك التأخير ، وكان تأخيرها نتيجة نسيان أو نوم فلا حرج عليه لقول النبي ﷺ : « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

وإن كان تأخيرها : نتيجة اشتغال ببعض الأعمال فتؤخرها آثم وعليه أداؤها فوراً إذا تذكر حتى الله عليه في أداؤها لقول النبي ﷺ : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » . وعلى المسلم الذي يريد أن لا يتعرض لغضب الله عز وجل ، ويريد الحظوة برضوان الله تبارك وتعالى أن يبادر بالصلاة لأول وقتها وفي جماعة الأول متى تيسر له ذلك . وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي بيده قد هممت أن آمر بخطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها . ثم آمر رجلاً فيؤم لها . ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ، ثم أخلأ إلى رجال أحرق عليهم بيوتهم » .

لهذا نرى المبادرة بالصلاة في وقتها ، كيلا يعرض للإنسان من شواغل الحياة ما قد يحول بينه وبينها ، بل ربما وافاه الأجل المحتوم قبل أداؤها ، فيكون ملوماً بترك المبادرة إليها .

في البصاق في الصلاة

روى مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ رأى نخامة في قبلة المسجد فحكها بحصاة ثم نهى أن ييزق الرجل عن يمينه أو أمامه .

وفي رواية أن رسول الله ﷺ رأى نخامة في قبلة المسجد ، فأقبل على الناس فقال : « ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه . فيتنخع أمامه ، يحب أحدكم أن يُستقبل . فيتنخع في وجهه ؟ » . قال العلماء : أما البصق في المسجد فلا يجوز لقوله ﷺ : « البزاق في المسجد خطيئة » . والمتأمل فيما تقدم من الحديثين يجد أن الرسول ﷺ لم يمنع من البزاق في الصلاة مطلقاً وإنما منع بعض مظاهره في الصلاة وأباح البعض الآخر ، فالبصاق في الصلاة جائز ولا تبطل به الصلاة إذا كان عن غلبة وعدم اختيار . أو كان عن اختيار ولم يقصد به صاحبه العبث . والإنسان يمكنه - وهو في الصلاة - أن يستخرج منديلاً ويصق فيه . وذلك إذا لم يجد مناصاً من البصاق .

أما إذا كان يغلبه البصاق دائماً وهو في الصلاة فعليه أن يضع المنديل في مكان قريب منه بحيث يتناوله في سهولة وهو في الصلاة .

في الحكم في إمام قرأ الفاتحة جهراً حتى وصل إلى قوله تعالى

(إياك نعبد وإياك نستعين) فقال بصوت مرتفع « استعنا بالله »

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ، فنفيد بأن هذا دعاء لا يشبه كلام الناس ، فلا تبطل به الصلاة ، وحكم قراءته أنه إن كان عامداً عالماً أن الذكر يقطع موالاة القراءة وجب عليه استئناف قراءة الفاتحة . وإن كان ناسياً أو جاهلاً ، صحت قراءته ، ولا يحسب عليه الاستئناف ، هذا بالنسبة للإمام ، وأما المأموم فصلاته صحيحة لعذره والله تعالى أعلم .

في من فاتته صلاة في عمره

حاول كثير من المنحرفين أن يلموا على رسول الله ﷺ كثيراً من الأحاديث ، ولقد جاهد علماؤنا رضي الله عنهم ، في تخليص الأحاديث من هذا الباطل ، فوفقهم الله سبحانه في ذلك إلى

ما يرضى الله ورسوله ﷺ ، وليس في الأحاديث الصحيحة حديث يقول :

إن من فاته صلاة في عمره ولم يحصها ، فليقم في آخر جمعة من رمضان ، ويصلي أربع ركعات بتشهد واحد ، بنية الكفارة ، كلا ، وإنما مَنْ فاتته صلاة فإنه يجب عليه أن يتجه إلى الله سبحانه ، في إخلاص تائباً توبة نصوحاً ، مستغفراً في خضوع وخشوع ، فإذا ما قام بالتوبة على الوجه الصحيح ، فإنه يبدأ بقضاء ما فاته من صلاة ، على قدر استطاعته فإن لم يكن يعرف عددها أو أوقاتها فليعمل بحسب غالب ظنه ، ولن يكلف الله نفساً إلا وسعها .

ومما يجب التنبيه عليه أن الإنسان إذا اخترع حديثاً حتى ولو أراد به العظة والاعتبار فإنه يتبوأ مقعده من النار ، يقول ﷺ : « من كذب على متعمداً ، فليتبوأ مقعده من النار » ويشترك في الإثم والمعصية مَنْ رَوَّج الحديث مزيف ، فإنه ناشر للباطل ، ومروج للكذب على رسول الله ﷺ ، وإن من يأتي بهذه الصلوات التي ذكرت في الحديث المزيف فإنه بذلك يشجع غيره على فعلها فيكون آثماً بصلاته وعليه مثل إثم من اقتدى به ، والواجب إذن على المؤمن أن ينهى عن ذلك ، ويبين خطأه ويوضح الوضع الصحيح لقضاء الفوائت ، فإنه بذلك ينال ثواباً ويُوجَرُّ على عمله ويكون في زمرة هؤلاء الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وهم الذين آمنوا بالله إيماناً سليماً ، قد صح عن رسول الله ، ﷺ : أنه قال : « من نام عن صلاة أو نسيها فليصلها إذا ذكرها » وفي رواية أخرى بزيادة « لا كفارة لها إلا ذلك » وبهذا نعلم يقيناً أنه لا كفارة للصلاة الفائتة إلا قضاؤها .

في الذين يعملون يوم الجمعة ويقولون نحن نصليها ظهراً

والمدارس التي جدول حصصها بمنع من صلاة الجمعة

يقول الله تعالى :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

وهذه الآية الكريمة تبين الوضع الإسلامي عند الأذان للجمعة ، والبيع مثل من الأمثلة للأمور التي تشغل الإنسان عند الأذان للجمعة ، وليست المسألة خاصة بالبيع فحسب وإنما هي لكل ما يشغل الإنسان ، والآية صريحة في أمرها وفي إيجابها .

وصلاة الجمعة في الوضع الصحيح لا تأخذ أكثر من نصف ساعة خطبة وصلاة ، فإذا ما انتهت عاد الإنسان إلى عمله ، وفي ذلك يقول الله تعالى : (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشَرُوا فِي

الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون) .
ولقد كان بعض الناس ممن لم يتغلغل الإيمان في أعماق قلوبهم يتركون جزءاً من صلاة الجمعة منصرفين إلى غيرها فأنبهم الله على ذلك قائلاً : (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً ، قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) . وليس لصلاة الجمعة من بديل إذا كان في الاستطاعة أداؤها .

أما المدارس التي تعمل يوم الجمعة ويمنع جدول حصصها من صلاة الجمعة فإننا نشكو إلى السيد وزير التربية والتعليم لمنع هذا المحرم في دور التعليم ، لأن التربية الإسلامية في المدارس أساس لمنع كثير من الفتن التي تحيط بشبابنا في عالمنا المعاصر ، وما انحرف كثير من شبابنا إلا لعدم وجود التطبيق السليم للنواحي الإسلامية في دور التعليم .

في إقامة حفلات المسرح لأجل بناء المساجد

يقول الله تعالى : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين) ويقول الله تعالى : (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) . إنه سبحانه يحب المتطهرين في نياتهم ، ويحب المتطهرين في أعمالهم ويحب المتطهرين في أموالهم . . . ومن أول شروط بناء المساجد أن يكون المال طاهراً مبدولاً من متطهرة وعملاً وأموالاً : . . . ومما من شك في أن بناء المساجد من أفضل القربات إلى الله وأن الإقامة بها من أفضل القربات إلى الله ، وأن الآية القرآنية الكريمة : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) .

تشمل البائنين لها والمقيمين فيها ؛ بيد أن ذلك كله لا بد أن يكون أساسه الحلال ، والله سبحانه وتعالى لا يقبل إلا طيباً ومن المعروف أن الحفلات التثيلية مهما حاول القائمون بها من تطهيرها ، إنما هي حفلات لا تخلو من المحون والعبث ، أو من التبرج والسفور المستهتر ، ولا يجوز والأمر كذلك أن يؤخذ من مالها لبناء المساجد ، أو أن تقام من أجل بناء المساجد .

وإذا كان هناك جهة تخلو من المساجد فهل الضرورة والحاجة إلى بناء المساجد تبيح مثل هذا

التصرف ؟

إن أمر المساجد في الإسلام هين سهل ، فقد جعلت الأرض كلها لرسول الله ﷺ ولأمته مسجداً وطهوراً وحينما يدرك الإنسان وقت الصلاة يصلي في أي مكان طاهر ومسجد الرسول ﷺ

كان في غاية البساطة ، ويستطيع الكثيرون أن ينوا مثله دون حاجة إلى أن يكون سبيل الطاعة - وهو بناء المساجد - المعصية وأقصد الحفلات التمثيلية وسيصبح قوم في ثورة معارضة متحدثين عن طهر الفن وبراءته ولكن هؤلاء بالتأكيد لا يصدقون أنفسهم . ولا يصدقهم الواقع ، ولا يصدقهم الآخرون ، والنتيجة هي أن الله طيب لا يقبل إلا طيبا .

نہج الفتاویٰ

الجزء الأول

ومثل رضى الله عنه في العقيدة

صفحة

١١ في العقيدة الإسلامية
٢٩ في التعريف بالإيمان
٣٥ في أساس الإيمان (أشهد أن لا إله إلا الله)
٤٥ في أشهد أن محمداً رسول الله
٥٦ في صور إيمانية
٦٣ في صور تتعارض هي والإيمان
٦٤ في صفات الذين لم يعمروا الإيمان قلوبهم
٧١ في قوانين إلهية خاصة بالإيمان
٧٣ في الإيمان والمجتمع
٧٦ في نتيجة النطق بالشهادتين
٧٦ في الدليل على وجود الله
٧٧ في المعجزة تدل على صدق الرسول
٧٨ في الإسلام صالح لكل زمان ومكان
٧٨ في معنى كلمة الإسلام
٨٠ في الحكمة من إرسال الرسل
٨٠ في معرض الرسالة
٨١ في خلافة الله في الأرض
٨٢ في معنى الإيمان في الكتاب والسنة
٨٢ في مظاهر الإيمان
٨٣ في هل الشك ينقض الإيمان
٨٤ في الدين والعقل
٨٥ في مشكلة القدر
٨٨ في مشكلة الصفات
٩١ في أن روح الإنسان هي ميدان التحدى
٩٢ في ظاهرة الإلحاد في الأوساط العلمية

صفحة

٩٣ في الروح
٩٣ في الروح من أسرار الله تعالى
٩٤ في زيارة القبور والأضرحة
٩٤ في اكتشافات العلم الحديث ووجود الله
٩٥ في العقائد التي انخرقت بسبب الإلحاد
٩٦ في ذكر أنبياء الله في الكتاب
٩٦ في عبادة الأوثان
٩٧ في القوة المادية وسيلة لإرضاء الله تعالى
٩٨ في الحلف بغير الله
٩٨ في الجبر والاختيار
٩٩ في الإسلام دين الفطرة
١٠٠ في الخلافة
١٠٠ في الشيعة
١١٦ في علامات الساعة
١١٦ في الإمام المهدي المنتظر
١١٧ في نزول المسيح عليه السلام إلى الأرض مرة ثانية
١١٨ في المسيح الدجال
١١٩ في الخلط بين المذاهب الفنية والأدبية ، وبين المذاهب الاجتماعية الوثيقة الصلة بتصور العقيدة .

وسئل رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم

١٢٥ في عند الرسل
١٢٥ في لماذا اختار الله الجزيرة العربية للرسالة المحمدية
 في ما يقال من أن سيدنا محمدا ﷺ هو أول مخلوق فأنين كان حين كان آدم وحواء
١٢٦ في الجنة ؟
١٢٨ في السب الشريف
١٢٩ في حكمة إرسال محمد ﷺ
١٣٠ في معجزة النبي في الأمية
١٣٠ في خلق الرسول ﷺ

صفحة

١٣١ في حجة الوداع
١٣٣ في معجزات النبي ﷺ غير القرآنية
١٣٤ في كيف كان بدء الوحي
١٣٥ في حياة الشباب لرسول الله ﷺ
١٣٦ في الرسول ﷺ يعمل كما يعمل سائر الناس
١٣٧ في أبرز صفات الرسول ﷺ الخالدة
١٣٨ في عرض الرسول ﷺ نفسه على قبائل العرب
١٣٩ في عدد الغزوات التي قام بها النبي ﷺ
١٣٩ في أن الإسلام حمل السيف دفاعاً عن العقيدة
١٤٠ في رسائل النبي ﷺ إلى الأمراء والملوك
١٤٢ في أن زواج الرسول ﷺ كان لمصلحة الرسالة
١٤٣ في لقب أمهات المؤمنين
١٤٣ في مظاهر الرحمة في سلوك الرسول ﷺ
١٤٤ في الإسراء والمعراج
١٤٦ في الحكمة من الإسراء والمعراج

وسئل رضى الله عنه في تفسير القرآن الكريم

١٥١ في المراد من أسماء الله الحسنى
١٥١ في أفضل وسيلة لحفظ القرآن الكريم
١٥٢ في حرمة مس المصحف للمحدث
١٥٣ في احترام ما كتب عليه آيات قرآنية
١٥٣ في المصحف المكتوب بلغات غير العربية
١٥٤ في فضل البسملة
١٥٤ في استحباب سماع تلاوة المصحف
١٥٥ في معنى كلمة آمين
١٥٦ في نزول القرآن في ليلة القدر
١٥٦ في الوحي
١٥٧ في محاولات تحريف القرآن

صفحة

١٥٨	في التوبة كما وردت في القرآن
١٥٩	في حديث الإفك
١٦٠	في إمكان الإعادة بعد العدم
١٦٠	في منهج التشريع القرآني
١٦٢	في حكم النسخ في القرآن
١٦٢	في من قاموا بتشكيل القرآن الكريم
١٦٣	في الحفاظين لحدود الله
١٦٤	في دعاء الصالحين
١٦٤	في الفرق بين العزم والهم
١٦٥	في التخلق بأخلاق الله الجمالية
١٦٥	في خلق آدم خليفة الله على الأرض
١٦٦	في معنى اليتيم
١٦٧	في قصة قوم تبع
١٦٨	في حكم قراءة القرآن على الأموات
١٦٨	في تفسير أوائل السور
١٦٨	في آراء في أوائل السور
١٦٩	في مكانة الأنبياء
١٧٠	في تفسير الربع الثاني من الحزب الأول من سورة البقرة
١٧٠	في تفسير : (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة ...)
١٧٥	في تفسير : (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ...)
١٧٦	في تفسير : (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي ...)
١٧٨	في تفسير : (فاذكروني أذكركم)
١٧٨	في حياة الشهداء في سبيل الله
١٨٠	في تفسير : (أحل لكم ليلة العياد الرفث إلى نسائكم ...)
١٨٠	في تفسير : (ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة ...)
١٨١	في تفسير : (نساؤكم حرث لكم ...)
١٨٣	في تفسير : (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً ...)
١٨٤	في تفسير : (يأيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ...)
١٨٥	في تفسير : (فلما أحس عيسى منهم الكفر ...)

صفحة

١٨٧	في تفسير : (ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه . . .)
١٨٨	في تفسير : (لن حاجتك فيه من بعد ما جارك من العلم . . .)
١٩٠	في تفسير : (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم . . .)
١٩١	في تفسير : (كنتم خير أمة أخرجت للناس . . .)
١٩٢	في تفسير : (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . . .)
١٩٣	في تفسير : (الذين استجابوا لله والرسول . . .)
١٩٤	في تفسير : (يا أيها الذين آمنوا لا يجعل لكم أن تروا النساء . . .)
١٩٥	في تفسير : (الرجال قوامون على النساء . . .)
١٩٧	في تفسير : (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير . . .)
١٩٧	في تفسير : (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب . . .)
١٩٨	في تفسير : (يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام . . .)
١٩٩	في تفسير : (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا . . .)
١٩٩	في تفسير : (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب . . .)
٢٠٠	في تفسير : (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم . . .)
٢٠١	في تفسير : (إذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا . . .)
٢٠٢	في تفسير : (الله أعلم حيث يجعل رسالته . . .)
٢٠٣	في تفسير : (هو الذي أنشأ جنات معروشات . . .)
٢٠٣	في تفسير : الأعراف
٢٠٤	في تفسير : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا . . .)
٢٠٥	في تفسير : (إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها . . .)
٢٠٥	في تفسير : (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه . . .)
٢٠٦	في تفسير : (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً . . .)
٢٠٦	في تفسير : (إذا قرئ القرآن فاستمعوا له . . .)
٢٠٧	في تفسير : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم . . .)
٢٠٨	وسائل النصر في القرآن
٢٠٩	في تفسير : (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال . . .)
٢١٠	في سورة براءة والبسملة
٢١١	في تفسير أول سورة التوبة
٢١١	في حكم التشاؤم

صفحة

٢١٢	في تفسير : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم . . .)
٢١٥	في تفسير : (وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض . . .)
٢١٦	في تفسير : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم . . .)
٢١٧	في تفسير : (الكتاب أحكمت آياته . . .)
٢١٨	في تفسير : (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها . . .)
٢١٨	في تفسير : (وأما الذين سعدوا في الجنة خالدين فيها . . .)
٢١٩	في تفسير : (وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل . . .)
٢٢٠	في قصة سيدنا يوسف عليه السلام
٢٢١	في تفسير : (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه . . .)
٢٢٢	في تفسير : (الله الذي جعل لكم مما خلق ظلالاً . . .)
٢٢٣	في تفسير : (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر . . .)
٢٢٤	في تفسير : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان . . .)
٢٢٥	في تفسير : (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن . . .)
٢٢٥	في تفسير : (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . . .)
٢٢٦	في تفسير : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً . . .)
٢٢٧	في تفسير : (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب . . .)
٢٢٨	في تفسير : (إن المبشرين كانوا إخوان الشياطين . . .)
٢٢٩	في تفسير : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه . . .)
٢٣٠	في تفسير : (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة . . .)
٢٣١	في تفسير : (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن . . .)
٢٣٢	قصة أصحاب الكهف
٢٣٣	في تفسير : (قالوا ياذا القرنين . . .)
٢٣٤	في تفسير : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم . . .)
٢٣٥	في تفسير : (وإن منكم إلا واردها . . .)
٢٣٦	في تفسير : (قال امضوا منها جميعاً بضعكم لبعض عدو . . .)
٢٣٧	في تفسير : (قد أفلح المؤمنون . . .)
٢٣٧	في تفسير : (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة . . .)
٢٣٨	في تفسير : (الله نور السموات والأرض . . .)
٢٣٨	في تفسير : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً . . .)

صفحة

٢٣٩	في تفسير : (إذ قال موسى لأهله إني آنست ناراً...)
٢٤٠	في تفسير : (إنه من سلجان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم...)
٢٤٠	في تفسير : (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها...)
٢٤١	في قصة قارون
٢٤٤	في تفسير : (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً...)
٢٤٤	في فضل سورة يس
٢٤٤	في تفسير : (لقد حق القول على أكثرهم...)
٢٤٥	في تفسير : (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين...)
٢٤٦	في تفسير : (إنك ميت وإنهم ميتون...)
٢٤٧	في تفسير : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم...)
٢٤٧	في تفسير : (ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً...)
٢٤٨	في تفسير : (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر...)
٢٤٩	في تفسير : (إنما المؤمنون إخوة...)
٢٥٠	في تفسير : (ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً...)
٢٥١	في سورة الحجرات
٢٥٣	في تفسير : (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى...)
٢٥٤	في تفسير : (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون...)
٢٥٤	في تفسير : (قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها...)
٢٥٥	في سورة الممتحنة
٢٥٦	في تفسير : (يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون...)
٢٥٦	في تفسير : (يقولون لأن رجعنا إلى المدينة...)
٢٥٧	في فضل سورة الملك
٢٥٨	في تفسير : (إن أدري أقرب ما توعدون...)
٢٥٩	في تفسير : (عبس وتولى...)
٢٥٩	في قصة أصحاب الأخدود في سورة البجج
٢٦٠	في تفسير : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً...)

وسئل رضى الله عنه في السنة النبوية الشريفة

صفحة

٢٦٥ منج الإيمان والحكمة في رحلة الحياة
٢٦٦ في محبة الرسول ﷺ
٢٦٩ في الاقتداء برسول الله ﷺ
٢٧٠ في سيادة الرسول في التشهد وغيره
٢٧١ في صفة خاتم النبي ﷺ
٢٧٢ في صيام الاثنين والخميس
٢٧٣ في الاحتفال بالمولد النبوى الشريف
٢٧٤ في لماذا لم يكن الصحابة والتابعون يحتفلون بمولد النبي
٢٧٤ في كيفية الصلاة على النبي ﷺ
٢٧٥ في دلائل الخبرات
٢٧٦ في الرسول ﷺ وستة الشريفة
٢٧٨ في مكانة الرسول ﷺ
٢٨٣ في مكانة السنة من القرآن
٢٨٤ في مكانة السنة من التشريع
٢٨٧ في تدوين السنة
٣٠٠ في أقسام الحديث النبوى
٣٠٠ في رواية الحديث عن المتخصصين
٣٠١ في معنى حديث : «إنما الأعمال بالنيات»
٣٠٢ في معنى حديث : «الناس معادن»
٣٠٢ في بر الوالدين
٣٠٣ في معنى حديث : «علماء أمى كأنبياء بنى إسرائيل»
٣٠٣ في معنى حديث : «الميت يبعث في ثيابه القى يموت فيها»
٣٠٣ في معنى حديث : «ارحموا البناتى وأكرموا الغرباء»
٣٠٤ في معنى حديث : «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر»
٣٠٤ في معنى حديث : «صنفان من أهل النار لم أرهما»
٣٠٥ في معنى حديث : «المؤمن للمؤمن كالبنان يشد بعضه بعضاً»

صفحة

٣٠٨	في معنى حديث : «كنت نهيكم عن زيارة القبور فزوروها»
٣٠٨	في الشرك الحقيقى
٣١٠	في معنى حديث : «من لم تنه صلاته»
٣١٠	في معنى حديث : «يهرم بن آدم وتشب معه اثنتان»
٣١١	في عدد الرسل
٣١٢	في حرمة العود في الحبة
٣١٣	في السنة الحسنة والسنة السيئة
٣١٤	في معنى حديث : «إنما يهتد لأنعم مكارم الأخلاق»
٣١٥	في حق التوكل على الله
٣١٦	في زيارة المريض وتشجيع الجنازة
٣١٧	في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله
٣١٨	في وعظ الرجال والنساء يوم العيد
٣١٩	في السيدة سارة زوجة الخليل إبراهيم عليه السلام
٣٢٠	في الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر

وسئل رضى الله عنه في الذكر والدعاء

٣٢٥	في الذكر
٣٢٧	في الدعاء بأسماء الله الحسنى
٣٢٧	في الشكر في الجور الإسلامى
٣٢٨	في فائدة الشكر بالنسبة للفرد
٣٢٩	في فائدة الشكر بالنسبة للمجتمع
٣٢٩	في مفهوم : لا حول ولا قوة إلا بالله
٣٣٠	في الإذن بالذكر
٣٣١	في الذكر بصوت مرتفع
٣٣١	في الذكر بلفظ أهو ويلفظ هو
٣٣٢	في صيغة الصلاة على الرسول ﷺ
٣٣٣	في دعاء الرسول ﷺ
٣٣٤	في قوله تعالى : (وإذا سألك عبادى عني فإني قريب . . .)

صفحة

٣٣٤	في ظروف وأمكنة الدعاء
٣٣٥	في صبح الدعاء من السنة الشريفة
٣٣٧	في الذكر والدعاء بخير المأثور
٣٣٨	في آداب الدعاء
٣٣٩	في كيف يدعو الإنسان ربه
٣٤٠	في هل يجب أن يقرأ الدعاء بعد صلاتي الفجر والمغرب
٣٤٠	في دعاء الوالدين
٣٤١	في التوبة هل تمحو الذنوب
٣٤٢	في التوبة والشباب
٣٤٢	في الابتلاء
٣٤٣	في هل الدعاء ينفع للميت
٣٤٣	في حكم الدعاء للميت بعد الصلاة عليه وقبل دخوله القبر
٣٤٤	في أدعية تفريج الكرب وجلب الرزق
٣٤٤	في الدعاء على الغير بخير حق
٣٤٥	في من يدعو ويظن أنه لا يستجاب له
٣٤٦	في عدم اهتمام بعض الأئمة والعلماء بالدعاء
٣٤٧	في هل تقبل توبة المذنب وهو على فراش الموت

ومثل رضى الله عنه في الفقه

٣٥١	في الاجتهاد والثبات في الشريعة الإسلامية
٣٥١	في الدين هاد للعقل
٣٥٢	في تناقض الفكر البشرى
٣٥٤	في أن هداية الدين للعقل دائمة لا تتأثر بزمان أو مكان
٣٥٧	في الانحراف ودواعيه
٣٥٨	في الاجتهاد
٣٥٩	في مقدمات الاجتهاد ووسائله
٣٦٢	في التعاقد
٣٦٤	في الغضب

٣٦٥	في الزنى
٣٦٦	في حد الزنى
٣٦٦	في شروط قبول التوبة ورد الحقوق لأصحابها
٣٦٧	في عقد القران
٣٦٨	في نشوز الزوجة
٣٦٨	في حكم زيارة القبور
٣٦٩	في حكم من أفق بغير علم
٣٦٩	في الفروق والمميزات بين الرجل والمرأة
٣٧٠	في الميراث
٣٧١	في الجن المؤجل
٣٧١	في نجاة صاحب الكبيرة
٣٧٢	في نوى المرأة القضاء
٣٧٣	في حكم من يخون الأمانة
٣٧٤	في تركة المتوفى
٣٧٤	في العلم بالعبادة
٣٧٥	في الخلاف بين الأئمة
٣٧٦	في قتل اللص
٣٧٧	في النية
٣٧٧	في الرهن
٣٧٨	في ثبوت النسب
٣٧٩	في الوصية
٣٨٠	في فوائد التقسيط
٣٨٠	في فوائد البنوك
٣٨٠	في أسرار العبادات في الإسلام

وستل رضى الله عنه في الغسل

٣٩٥	في صحة الغسل دون نية
٣٩٦	في غسل رسول الله ﷺ

صفحة

٣٩٧ في الميت على طهارة
٣٩٨ في وجوب غسل الجنابة
٣٩٨ في فرائض الغسل المطلوبة
٤٠٠ في الميت على جنابة
٤٠١ في جواز الصلاة بعد الغسل مباشرة
٤٠١ في الطهارة هل هي شرط من شروط صحة العقد
٤٠٢ في الفرق بين الاستحجام والاغتسال
٤٠٣ في كفى شعر المرأة
٤٠٣ في نسيان الغسل من الجنابة
٤٠٤ في هل يشترط الطهارة في انعقاد اليمين
٤٠٥ في هل يكفي أن ترش المرأة شعرها
٤٠٦ في تطهير الميت في صحراء لا ماء فيها

وسئل رضى الله عنه في الوضوء

٤٠٩ في فروض الوضوء وستة
٤٠٩ في الآداب الواجبة أثناء الوضوء
٤١٠ في الوضوء من البرك الراكدة
٤١٠ في نواقض الوضوء على حسب مذاهب العلماء
٤١١ في الريح الذى يتقض الوضوء
٤١٢ في نواقض الوضوء
٤١٣ في حكم بول الصبي هل يتقض الوضوء
٤١٣ في ما يحرم على المحدث حدثاً أصغر
٤١٤ في التنزه عن البول
٤١٥ في صلاة الفرائض جميعها بوضوء واحد
٤١٥ في المسح على الباروكة
٤١٥ في الوضوء هل طلاء الأظافر
٤١٦ في كفى المرأة شعرها هل يتقض الوضوء
٤١٦ في الوضوء من أكل لحم الجوزور
٤١٧ في استحباب الوضوء لمن أراد النوم

صفحة

٤١٧ في إلقاء السلام على من يتوضأ
٤١٨ في مناقحة المتوضي' للمرأة الأجنبية دون الشحور بشهوة

وسئل رضى الله عنه في الصلاة

٤٢١ في أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ
٤٢١ في صلاة رسول الله ﷺ
٤٢٢ في شروط الصلاة
٤٢٣ في شروط ملابس المصل
٤٢٤ في الصلاة على الأرض الطاهرة
٤٢٤ في الأوقات التي تكره فيها الصلاة
٤٢٥ في النقطة الحابطة
٤٢٥ في الأذان
٤٢٦ في إضافات الشيعة للأذان
٤٢٧ في فضل الصلاة . وفي عقوبة الترك والتهديد عليه
٤٢٧ في المحافظة على الصلاة
٤٢٨ في القصد من الصلاة
٤٢٩ في الصلاة طريق للوصول إلى الله
٤٢٩ في متى فرضت الصلاة
٤٢٩ في فرض الصلوات كلها في وقت واحد
٤٣٠ في تمديد الأولاد على الصلاة
٤٣١ في الصلاة تفرق بين المؤمن والكافر
٤٣١ في جواز قراءة المصل القرآن نظراً من المصحف
٤٣١ في الحكم في الصلاة في مسجد به الوطواط
٤٣٢ في الصلاة في منزل من ليس مسلماً
٤٣٢ في الصلاة في السوق
٤٣٣ في من تذكر أثناء الصلاة أن وضوءه ناقص
٤٣٣ في صلاة الأغلف
٤٣٤ في إعفاء الشيخ الطاعن في السن من أداء الصلاة

صفحة

٤٣٤	في حكم من صلى قبل أن يقيم الإمام الصلاة
٤٣٥	في التلفت أثناء الصلاة
٤٣٥	في البصق أثناء الصلاة
٤٣٥	في من تذكر صلوات سنة فانت
٤٣٦	في صلاة للمسلم وبحواره قاسق أو فالجر
٤٣٦	في من رُفعت عنه الصلاة
٤٣٧	في أمر الأولاد بالصلاة
٤٣٧	في كيفية الصلاة
٤٣٨	في قراءة البسملة في الصلاة
٤٣٨	في وضع اليدين على الصدر أثناء الصلاة
٤٣٩	في ذهاب النساء لصلاة الجمعة
٤٣٩	في صلاة المسافر في الفطار أو السبارة
٤٤٠	في صلاة الجنائزة على المولود
٤٤٠	في قصر الصلاة والفطر في السفر الذي لا مشقة فيه
٤٤٠	في من يصل وأولاده الصغار يحومون حوله
٤٤١	في أوقات الصلاة
٤٤١	في جواز الاعتماد على الساعة في أداء الفريضة
٤٤٢	في الستة بعد تكبيرة الإحرام
٤٤٢	في التشهد في الصلاة
٤٤٣	في هل يجوز عند المداكرة الجمع في الصلوات
٤٤٣	في معرفة أوقات الصلاة في البلاد التي لا تظهر فيها الشمس في بعض أوقات السنة
٤٤٤	في أداء الصلاة قبل الوقت
٤٤٥	في الشك في الوضوء
٤٤٦	في وقت صلاة الصبح
٤٤٦	في من يمكن الجمع بين صلاتين
٤٤٧	في تحديد القبلة في الصلاة
٤٤٧	في الصلاة على القمر
٤٤٨	في الصلاة في البيت
٤٤٨	في صلاة الفريضة في المسجد

صفحة

١١٩ في موقف المسلم من قراءة الفاتحة وسورة بعدها في الصلاة
١٥٠ في قراءة القرآن أثناء الصلاة
١٥٠ في الجمع والقصر في صلاة السفر
١٥١ في كيفية صلاة رسول الله ﷺ
١٥١ في السجود في الصلاة
١٥٢ في كيفية السجود
١٥٢ في قوله ﷺ سبح قدوس في سجوده
١٥٣ في سجود السهو
١٥٣ في صلاة الصبح والفجر والضحي
١٥٤ في صلاة الفجر
١٥٥ في فضل ركعتي الفجر
١٥٦ في حكم من ترك القنوت
١٥٦ في من أدرك ركعة من المغرب
١٥٦ في صلاة الشفع والوتر وركعتي الفجر
١٥٧ في سنة المغرب
١٥٧ في صلاة الوتر
١٥٨ في هل بعد الوتر صلاة
١٥٨ في أداء صلاة التراويح
١٥٩ في صلاة العيدين
١٥٩ في سر تعجيل صلاة عيد الأضحى وتأخير صلاة عيد الفطر
١٦٠ في تكبيرات صلاة العيد
١٦١ في ذهاب النساء إلى صلاة العيد كما يذهبن إلى الجمعة
١٦٢ في الزوجة التي خرجت مترتبة لصلاة العيد
١٦٢ في صلاة العيدين من السنة العودة من طريق آخر غير طريق الذهاب
١٦٣ في صلاة الاستخارة
١٦٤ في سجدة التلاوة
١٦٤ في جهر المرأة عند قراءتها في الصلاة
١٦٥ في شرائط صلاة الجمعة
١٦٥ في طهارة المكان الذي تؤدي فيه الصلاة

صفحة

٤٦٦	في شد الرحال إلى المساجد
٤٦٦	في أداء صلاة الجمعة في جماعة
٤٦٧	في صلاة الجمعة في المذهب الشافعي
٤٦٧	في خطبة الجمعة
٤٦٧	في حكمة فرض الجمعة
٤٦٨	في أداء صلاة الفريضة في مسجد الجمعة
٤٦٩	في شروط الإمامة في الصلاة
٤٦٩	في إمامة الجمعة للمسافر
٤٧٠	في صلاة النافلة أثناء خطبة الإمام
٤٧١	في إذا لحق المأموم بالإمام بعد الصلوات
٤٧٢	في جواز تجمع أهل المذاهب المختلفة للصلاة في مسجد واحد
٤٧٢	في جواز مصافحة الناس بعد صلاة النافلة التي تسبق صلاة الجمعة
٤٧٣	في الجمع بين صلاة الجمعة والظهر
٤٧٣	في هل صلاة النافلة في المسجد تتوقف على حضور الإمام
٤٧٣	في السهو والتفكير في العدو أثناء الصلاة في الحرب
٤٧٤	في انشغال الفكر في الصلاة
٤٧٥	من صان الهدى الصلاة في المسجد
٤٧٦	في آداب المسجد
٤٧٦	في اتخاذ القبور مساجد
٤٧٧	في الصلاة من قعود للقادر على القيام
٤٧٨	في من منع زوجته من الذهاب إلى المسجد
٤٧٨	في رد المصل للسلام
٤٧٨	في صلاة الجمعة مع الراديو والتليفزيون
٤٧٩	في تارك الصلاة
٤٧٩	في الصلاة على الميت
٤٨٠	في حضور النساء صلاة الجنازة
٤٨٠	في جواز النيابة في الصلاة عن الميت إذا كان لم يكن يؤدي الصلاة
٤٨١	في حكم صلاة ركعتي السنة قبل صلاة الجمعة
٤٨١	في ما يجب على الإمام والخطيب

صفحة

٤٨٢ في بعض أخطاء الإمام والمصلين
٤٨٤ في الطريقة المثلى في خطبة الجمعة لمن لا يفهمون العربية
٤٨٤ في بناء المسجد وسط مقبرة
٤٨٤ في الصلاة في مسجد فيه ضريح
٤٨٥ في الصلاة خارج المسجد والإمام بدخله
٤٨٥ في عجز الإمام عن القيام أثناء صلاته بالمؤمنين
٤٨٦ في الصلاة خلف حلق اللحية
٤٨٦ في إمامة شارب الدخان
٤٨٧ في ثواب الذهاب إلى المساجد
٤٨٧ في النهي عن دخول المساجد براثة كربة
٤٨٨ في بناء المساجد
٤٨٩ في نظافة المساجد
٤٩٠ في تعمیر المساجد
٤٩٠ في إمامة الابن لوالده
٤٩١ في حكم إمام المسجد الذي يتقاضى أجراً عن عمله
٤٩١ في سدل الإمام يديه
٤٩٢ في صلاة الجمعة في مسجد يعتقد المأموم أن إمامه مشرك
٤٩٢ في إذا أمر إنسان بترك الصلاة
٤٩٢ في تهديد الخادم والأجير إذا لم يترك الصلاة
٤٩٣ في المكروه على ترك الصلاة
٤٩٣ في حكم المرور أمام المصل أثناء الصلاة
٤٩٤ في إذا صلى المرء كما رأى الناس يصلون
٤٩٤ في من يقتضى عمله أن يكون مشغولاً وقت صلاة الجمعة ويصليها ظهراً
٤٩٤ في الأمور التي تمنع المصل من ثواب الجمعة
٤٩٥ في أيهما أفضل المصل مع ارتكاب الكبائر أم غير المصل مع عدم فعل الكبائر
٤٩٥ في إغلاق المساجد وتعطيلها
٤٩٦ في تسبب إنسان في إفساد صلاة الجماعة
٤٩٦ في من يصل على فترات متقطعة
٤٩٧ في تناول الحاج في أداء الصلاة

صفحة

٤٩٧ في موقف المسلم من تارك الصلاة
٤٩٨ في الصلاة في المساجد التي بناها المستشرقون بأموالهم
٤٩٨ في المسجد
٤٩٩ في المرأة والمسجد
٤٩٩ في البيت الذي لم يُعزل عليه
٥٠٠ في الأمور التي تمنع الإنسان من ثواب صلاة الجمعة
٥٠٠ في ترك الزوجة للصلاة
٥٠١ في دخول المسجد وقت الجمعة والإمام يخطب
٥٠٢ في صلاة النفل التي تنوب عن خمس فروض
٥٠٢ في من لا يصل ولا ينكر الصلاة
٥٠٣ في من قالوا بإسقاط الأحمال وفيها الصلاة عنهم
٥٠٤ في الرجل يصل في دكانه مع قرب المسجد منه
٥٠٤ في تأخير الصلاة عن موعدها
٥٠٥ في البصاق في الصلاة
	في الحكم في إمام قرأ الفاتحة جهراً حتى وصل إلى قوله تعالى (إياك نعبد وإياك نستعين) فقال
٥٠٥ بصوت مرتفع (استمعنا يا الله)
٥٠٥ في من قاتله صلاة في عمره
٥٠٦ في الذين يعملون يوم الجمعة ويقولون نحن نصلّيها ظهراً
٥٠٦ في المدارس التي جدول حصصها بمنع من صلاة الجمعة
٥٠٧ في إقامة حفلات المسرح في المساجد

رقم الإيداع	١٩٩٨/٤٧٤٦
الترقيم الدولي	ISBN 977-02-5572-6

١/٩٨/١٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)



يُعَدُّ الإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود صاحب ورائد مدرسة الفكر الإسلامي والتصوف في العصر الحديث ، ولقب بأبي التصوف في العصر الراهن ، فقد أثرى المكتبة العربية بأمهات الكتب بين تحقيق وتأليف وترجمة ، فمنها دراساته القيمة عن الإمام الغزالي وكتابه ، المتقذ من الضلال ، ، و ، دلائل النبوة ، ، و ، القرآن في شهر القرآن ، إلى جانب ما كتبه عن رواد التصوف على مر العصور الإسلامية المختلفة .

والإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود له عمق وغزارة الآراء الفقهية ودقة الاجتهادات مما جعله يكسب صفوف المعارضين قبل المؤيدين ، إلى جانب الباقة والدراية الكاملة في عرض أى موضوع أو مسألة تتعلق بأمور الدين ، وأيضا يمتاز بقوة ورصانة الأسلوب والعبارات ، مما يدل على المهارة الفائقة والملكة اللغوية فلهذا اكتسب هذا العالم الجليل احترام كل الفرق والمذاهب الإسلامية في شتى بقاع العالم ، وسيبقى هذا العالم وتراثه في قلوبنا على مر العصور .



دارالمعارف

...١٥٠/٠١



تأليف : محمد أبو طالب

دارالمعارف
١٥٠٠٠٠